
لعبة الشيطان
كيف ساعدت الولايات المتحدة على إطلاق العنان للأصولية الإسلامية
روبرت دريفوس
ترجمة: أحمد مصطفى حسونة
راجعه: أ. د. عبد المنعم خربوش

(لعبة الشيطان)

لعبة الشيطان

تأليف : روبــرت دريفــوس
ترجمة : أحمــد مصطفى حسونة
مراجعة : أ. د. عبد المنعم خربوش

الطبعة الأولى 2010م

الناشر

دار الثقافة الجديدة
" شركة ذات مسئولية محدودة "
32 ش صبري أبو علم، باب اللوق، القاهرة
ت وفاكس 23922880
e-mail: elguindimohamed@hotmail.com

تصميم الغلاف: أحمد مراد

روبرت دريفوس

Robert Dreyfuss

لعبة الشيطان

كيف ساعدت الولايات المتحدة على إطلاق العنان للأصولية الإسلامية

أول وأوفى بحث فى أخطر أخطاء السياسة الأمريكية على مدى ستين عاما من الدعم للأصولية الإسلامية

Metropolitan Books
Henry Holt Company
New York
First Edition 2005

دار الثقافة الجديدة

ترجمة : أحمد مصطفى حسونة

راجعه : أ. د. عبد المنعم خربوش

فهرس

*

عن المؤلف ودار النشر *

1- نبذة عن المؤلف:

صحفي. متخصص فى مجال السياسة والامن القومى.

- خريج جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية
- رئيس التجرير المشارك لمجلة The Nation
- المحرر المسئول عن تغطية شئون الأمن القومي في مجلة The Rolling Stone
- رئيس مراسلي The American Passport
- يشارك في تحرير مجلة إلام جونزMother Jones
- رئيس قسم الأبحاث في مجلة Columbia Journalism Review
- تنشر مقالاته في عدة صحف منها Washington Monthly, The New republic, The Texas Observer, California Lawyer, Newsday.
- منح الجائزة الأولى لبحثه عن دور البترول قي السياسة الأمريكية تجاه العراق (2003).
- يشارك في العديد من البرامج الإذاعية والتلفزيونية منها: Fox News, CNBC, MSNBC, Court TV, National Public Radio.
- ربما يعتبر من أفضل ما كتب وحقق له الشهرة ويعتبر ضربات صحفية مقالاته عن: حرب العراق، الحرب على الإرهاب، سياسة الولايات المتحدة بعد 11 سبتمبر.

في 2002 كان أول صحفي يكشف حقيقة احمد شلبي ودوره في مؤامرة غزو العراق بالتواطؤ مع إدارة بوش والمخابرات المركزية الأمريكية ونشر في مجلة The American Prospect.

---

* النبذة عن المؤلف ودار النشر قام بتجميعها المترجم من نفس الكتاب المترجم بالإضافة الى المصادر المشار إليها علي الإنترنت

- وهو أول من كشف عن التناقضات الداخلية في إدارة بوش وخاصة بين المخابرات المركزية والبنتاجون وحقيقة ودور مكتب الخطط الخاصة Office Of Special Plans في نسج وتمرير المؤامرة.
- يقيم حاليا في مدينة الإسكندرية بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية.
- عضو الجمعية الأمريكية للصحفيين ASJA وعضو اتحاد المراسلين والمحررين.
- من أعماله التى ظهرت حديثا:
- المحافظون الجدد في عهد أوباما – بتاريخ 2008/12/2 نشر فى مجلة توم ديسباتش. Tom Dispatch
- كابوس أمريكا فى أفغانستان – بتاريخ 2008/12/22 نشر فى مجلة ذى نيشن The Nation
- موقعه على الانترنت: The Dreyfuss Report

2- عن دار النشر:

فكرة عن مشروع الإمبراطورية الأمريكية:

هذا المؤلف بين يديك – لعبة الشيطان– هو احد إصدارات مشروع الإمبراطورية الأمريكية.

حسبما يرى المشاركون فيه يمثل هذا المشروع استجابة للتغيرات التي طرأت على طريقة التفكير الأمريكية وكذلك التغيرات في الموقف الاقتصادي والعسكري.

حسب وجهة نظرهم كانت الإمبراطورية تعتبر لفترة طويلة عدوانا على القيم الديمقراطية للولايات المتحدة. والآن– حيث تبنى قادة الولايات المتحدة باضطراد طموحات امبريالية – تمثل هذه التطورات، تهديدا لعلاقاتنا مع سائر أنحاء العالم.

كيف تسنى لهذا التحول الخطير أن يأخذ مجراه وما الذى ينطوي عليه سلوك هذا الطريق. من اجل الإجابة على هذا التساؤل تقدم مجموعة كتب متروبوليتان Metropolitan Books هذا المشروع (مشروع الإمبراطورية الأمريكية)

حيث تتصدى مجموعة من قادة الفكر والأدب لتواجه هذا التحدي الكبير وتكشف الأسس الخاصة ببناء هذه الإمبراطورية وكل ما يكمن وراءها واقتراح

أساليب أخري للتفكير واقتراح البدائل الداخلية والخارجية بما يكفل مواجهة هذا القرن الأمريكي الجديد.

يعود الفضل فى ظهور هذا المشروع وتطوره الى نخبة من قادة الفكر وفى مقدمتهم توم انجلهارت Tom Englehardt وستيف فريزر Steve Fraser، وهما بالإضافة إلى كونهما ناشرين فهما أيضا مؤرخان ومؤلفان. ثم ينضم إليهما كوكبة من قادة الفكر الآخرين مثل شالمرز جونسون Chalmers Johnson ومايكل كلير Michael Klare ورفائيل بارجاس Rafael Barejas رسام الكاريكاتير المكسيكى المعروف. كذلك احتل تشومسكى بعدد من مؤلفاته جانبا هاما من إصدارات هذا المشروع.

إصدارات المشروع تتناول عددا من القضايا ذات الأهمية البالغة على المستوى الداخلى والخارجى ويكفينا ان نشير الى بعض عناوين هذه الإصدارات الدالة بحد ذاتها مثل: الدم والنفط ، تكاليف وعواقب الإمبراطورية ، من الحرب الباردة الى الحرب على الإرهاب، كيف صادرت الرئاسة الامبريالية الدستور، جرائم الحرب الأمريكية علي العراق، أيام الجمهورية الأمريكية الأخيرة.

يمكن لمن يرغب ،الاطلاع على قائمة إصدارات المشروع

The American Empire Project Book List

على موقعه علي شبكة الانترنت:.www.americanempireproject.com

مقدمة المترجم

ربما تزداد اهمية هذا المؤلف بمضى بعض الوقت. فقد تم نشره سنة 2005 بعد اربع سنوات من احداث 11 سبتمبر 2001 وفى اثناء ولاية جورج بوش الابن الاولى وشنه ما اطلق عليه الحرب على الارهاب وغزوه افغانستان والعراق، وأعلانه بصلافة ان كل من لا يقف معنا فى هذه الحرب فهو ضدنا. فهذا الكتاب يمثل لا صرخة رفض وادانة لسياسة بوش وعصابته من المحافظين الجدد وحلفائهم من الاستعماريين البريطانيين العتاة وصهاينة اسرائيل فحسب ولكنه يعبر ايضا عن وجود اتجاه شجاع داخل الولايات المتحدة نفسها يتصدى بجرأة للسياسة الإمبريالية الأمريكية الرسمية ويفضحها، وهو اتجاه بدا فى ذلك الوقت ضعيفا خافت الصوت لا يعيره الرأى العام الامريكى فى جله اهتماما يذكر ولكنه أخذ يكتسب مع مرور الوقت مزيدا من الأهمية والقوة حتى استطاع فى الانتخابات الامريكية الاخيرة أن يسقط شكليا على الأقل بوش وحزبه الجمهوري بقيادة المحافظين الجدد وليعتلى منصة الحكم رئيس جديد من حزب آخر يعلن تبنيه سياسة مختلفة تدين الحرب على العراق وتحدد موعدا للانسحاب منه وكذلك تصفية معتقل جوانتنامو. والترجمة العربية لهذا الكتاب بدأت اواخر عهد بوش واوائل عهد أوباما حيث من الواضح ان أوباما لم يف بمعظم ما تعهد به أثناء الحملة الانتخابية، وبرغم اقصاء حزب بوش الجمهورى عن الحكم لا يزال للمحافظين الجدد الذين كان لهم اكبر الاثر على سياسة بوش، لا يزال لهم نفوذهم وتأثيرهم على نحو ما جاء فى مقالتى المؤلف آنفتى الذكر اللتين نشرهما فى ديسمبر 2008. ونلاحظ هنا ان المؤلف انهى كتابه بجملة: "وتستمر لعبة الشيطان"، فى أشارة واضحة الى استمرار نفس السياسة.

لعله من نافلة القول ان ما جاء فى هذا المؤلف يعبر عن وجهة نظر كاتبه ولا تعنى ترجمته ان المترجم يشاركه كل ما جاء فيه جملة وتفصيلا. ولا يريد المترجم أن يخوض كثيرا فى أوجه اتفاقه أو خلافه وأنما يريد ان يقول أنه من المفيد قراءة ما جاء فيه بتمعن. ان المؤلف يعرض للأحداث التى جرت وما زالت تجرى فى منطقتنا منقبا عن جذورها منذ بداية تفكك الإمبراطورية العثمانيسة أواخر القرن الثامن عشر ومتابعا تطوراتها حتى وقتنا الراهن فى بدايات القرن الواحد والعشرين،وكذلك تداعياتها التالية وقدم لنا كما من المعلومات التى استقاها من

مصادر متعددة بما فيها مصادر عايشت هذه الاحداث بل وشـاركت فيهـا. وهـو يغوص فى بحر التاريخ والجغرافيا المتلاطم الى ابعاد أكثر عمقا ومجـالات أشـمل اتساعا حيث الاطماع الاستعمارية والتنافس بين دول الاستعمار للفوز بالغنائم التـى اتاحها انهيار الامبراطورية الاقطاعية العثمانيـة واقتطـاع ولاياتهـا واماراتهـا واستعباد وقهر ونهب شعوبها، ويعرج على مؤامرات الدول الاستعمارية وتكتيكاتها ومناوراتها من أجل تفكيك أواصر هذه الشعوب وأشاعة الفرقة فيما بينها وأثـارة اطماع قادتها من أجل تمزيق وحدة كل منها الداخليـة بأشـاعة الطائفيـة الدينيـة والعرقية والمذهبية بين افرادها وطوائفها غير متورع عن استخدام شعب ضد شعب وطائفة ضد أخرى. ولكنه في نفس الوقت برغم كل ما يظهره لهذه القيادة أو تلـك ولهذه الطائفة أو غيرها من مودة ألا انه يعتبرها في حقيقة الأمر أما تابعا عليه أن ينفذ ما يرى دونما تعقيب أو شيطانا لا مناص من التعاون معه هونا لبعض الوقـت حتى يستنفد إغراضه في القضاء على أعدائه واحدا أثر آخر سواء كان هذا العـدو هو الاتحاد السوفييتي والدول التي تدور في فلكه أو الدول الوطنية أو القومية التـي تعارض سياسة النهب والتسلط الاستعمارية أو أيا من الدول النامية التي يطمع فـي الاستيلاء على ثرواتها، ولا بأس من أن يفتعل ودا مؤقتا تجاه إحدى هـذه القـوى ويتخذ منها حليفا مؤقتا ليصبح هذا الحليف المؤقت أيضا فريسته أو إحدى فرائسـه المتعددة التي حل عليها الدور ولا يستحى أن يضحى به أو يجعله عربونا على مذبح مغامراته الجديدة. ويكشف لنا المؤلف ليس فقط حقيقة السياسـة الأمريكيـة ولكـن مطبخ أو مركز صناعة هذه السياسة ومن يتخذ القرار، ومراكز القوى المتعددة في الولايات المتحدة وما بينها من خلافات وصراعات ترقى إلى اسـتخدام واسـتعانة بعضها ضد البعض الآخر بقوى خارجية لعل في مقدمتها إسرائيل بحيـث تطغـى على قرارات السلطة العليا الرسمية بما فيها سلطة الرئيس وتحيلها هباءا منثـورا، لتعلى رؤيتها الخاصة ومصالحها الذاتية.

ثمة نقطة أخري تطرق أليها المؤلف وربما لم تحظ بما تستحق من اهتمام من جانب أدبياتنا السياسية وأعني بها ظهور وتطور اليمين الرأسمالي علي المسـتويات المحلية والاقليمية والدولية ونمـو مصـادر التمويـل والبنكيـة الاسـلامية ودور المؤسسات والاحتكارات الغربية في هذا التطور وتداخل المصالح المشـتركة فيمـا بينها.

نترك للقارئ حرية تقليب كافة وجهات النظر، بل ولعل هذا المؤلـف يكـون عونا له ولنا لتوضيح أو استكمال أو تصحيح جوانب أكثر شمولا. ولكننا نرجو ألا

توقفنا أية تفصيلات أو جزئيات قد نرفضها كلية أو جزئيا عن متابعة جوهر القضية التي يعرضها المؤلف..

نعرض فقط حاليا لبعض رؤوس المواضيع التي قد لا نتفق فيها مع المؤلف أو نتحفظ عليها أو تحتاج إلى المزيد من التدقيق والبحث، وأهمها:

1- مقولة " الإرهاب الأسلامى" فليس في الإسلام إرهاب.
2- الزعم بأن نظام صدام فى العراق كان اشتراكيا علمانيا.
3- بالرغم من أن المؤلف يورد مقتبسات لباحثين معروفين تشيد بكل من جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وموقفهما ضد الاستعمار ومن أجل الأصلاح غير أنه من الواضح أنه يأخذ علي محمل الجد ما نسب أليهما من كونهما عملاء للاستعمار. ولكن الخوض فى هذا الموضوع ليس مسالة سهلة وليس مما تتحمله هذه المقدمة ويكفينا فى هذا الحيز الاشارة الى ان الرجلين لا تحكمهما وحدة المنهج واتسمت كثير من مواقفهما بالازدواجية. فحين يتعلق الامر بمناهضة الانجليز يدعو الى الوحدة الدينية ويقبل الخلافة أساسا للحكم، وحين يناهض الخلافة العثمانية يدعو الى الوحدة القومية ويرفض الدين أساسا للحكم.* كذلك تختلف الكثير من مواقفهما اختلافا بينا عن مواقف الاخوان المسلمين بالرغم من تشابهها فيما يتعلق بالرابطة الاسلامية، ولنا عودة الى هذا الموضوع بمشيئة الله.
4- اليمين الأسلامي والأخوان المسلمون كتنظيم دولي له علاقاته وتداخلاته وأهدافه مع أطراف أخري محلية و أقليمية ودولية بما في ذلك من بنوك وهيئات تمويلية.
5- أحداث 11 سبتمبر 2001، جذورها وتداعياتها والمسئول الحقيقي عنها.

راجين أن تتاح لنا الفرصة فيما بعد لإيفاء هذه المواضيع حقها، خاصة وأن الكتاب لا يتناول موضوعا طوي التاريخ صفحاته وأصبح من حكايات الماضي، فأحداثه لم تزل حية وتداعياته لا تزال تتوالي وحلقاته لم تكتمل بعد. أفلا يستدعي ذلك مزيدا من اليقظة والجهد!؟

*

* ينظر د محمد عمارة "الأفغانى ..مفكرا ومنضلا" مجلة الطليعة 1969 لعدد الرابع ص ص 122- 146
د. غالي شكرى "النهضة والسقوط فى الفكر المصرى الحديث" ص ص 164-168 و 186-201
أحمد شفيق باشا " مذكراتى فى نصف قرن" ج 3 ، اصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ص 34-37 و ص 232

مقدمة المؤلف

1

ثمة حلقة مفقودة غير معروفة فى تاريخ الحرب الباردة والنظام العالمي الجديد بعدها، وهى كيف أن الولايات المتحدة – صراحة أحيانا و خفية أحيانا أخرى- قامت بتمويل وتشجيع الجناح اليميني الاسلامى. ويحاول هذا الكتاب (لعبة الشيطان) أن يملأ الفراغ الذى خلفه فقدان هذه الحلقة ذات الأهمية البالغة.

وهذا أمر ذو أهمية قصوى لأن هذه الحلقة المفقودة التي لا يعرف عنها سوى القليل والتي مضى عليها أكثر من ستة عقود هي المسئولة عن ظهور الإرهاب الإسلامي كظاهرة عالمية واسعة الانتشار. وصحيح أن الإمبراطورية الأمريكية المراد إقامتها فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ووسط وغرب أسيا، كان من المفترض -على الأقل حسبما خطط مصمموها – أن ترتكز فى أحد جوانبها على قاعدة الإسلام السياسي إلا أن الأحداث اللاحقة أثبتت أن ذلك لم يكن سوى لعبة شيطانية لم تكتشف واشنطن خطأ الحسابات الإستراتيجية التي بنيت عليها إلا فى وقت جد متأخر اثر أحداث 11 سبتمبر 2001.

لقد قضت الولايات المتحدة عشرات السنين تزرع الإسلاميين وتخادعهم وتتعامل معهم بخبث وبوجهين. تستخدمهم وتسيء استخدامهم كحلفاء لها فى الحرب الباردة لتكتشف فيما بعد أنها ساعدت على انتشار قوة ما لبثت أن استدارت ضد راعيها بشكل انتقامي.

ومثلهم مثل الوحوش التي تلهمها روح مصنوعة انطلق الأئمة الأصوليون والملالى وآيات الله يصولون ويجولون فى أنحاء هذه المنطقة الشاسعة صاخبين ليس فقط ضد الولايات المتحدة وضد حرية الفكر بل وضد العلم العلمانى، ضد الوطنية واليسار وضد حقوق المرأة. البعض كان ارهابيا، ولكن غالبيتهم العظمى كانوا من ذوى العقول الوسطية المتعصبين دينيا ممن يريدون اعادة عجلة التاريخ الى القرن السابع (الميلادى)

خلال الحرب الباردة -1945 /1991 – لم يكن العدو هو الاتحاد السوفيتي فقط وإنما طبقا للقواعد المانوية (إما معي أو ضدي) السائدة فى ذلك الوقت كانت الولايات المتحدة تكره كراهيتها للشيطان القادة الذين لا يؤيدون الأجندة الأمريكية

تأييدا مطلقا أو يتحدون سيادة الغرب وخاصة الولايات المتحدة واعتبرت الأفكار والأيديولوجيات التي تغذى هؤلاء القادة كالوطنية والإنسانية والعلمانية والاشتراكية أفكارا مشبوهة. إلا أن هذه الأفكار كانت أيضا هي نفسها أكثر ما تخاف منه قوى الإسلام السياسي الناشئة. وفى كافة أنحاء المنطقة خاضت قوى اليمين الاسلامى معارك مريرة ضد ما تثيره هذه الأفكار من انطباعات ليس فقط فى مجال الحياة الفكرية بل وكذلك فى الشارع السياسي. وخلال المعركة ضد القومية العربية التي استمرت عقودا طويلة، إضافة الى المعركة ضد القومية الفارسية والقومية التركية والقومية الهندية وجدت الولايات المتحدة قضيتها المشتركة مع اليمين الاسلامى.

وبمعنى أكثر شمولا قضت الولايات المتحدة سنوات طويلة فى محاولاتها من أجل بناء حاجز يحول بين الاتحاد السوفيتي وجناحها الجنوبي. ونظرا لحقيقة أن كل الأمم فيما بين اليونان والصين هي أمم إسلامية فقد أعطى ذلك انطباعا بان الإسلام نفسه يمكن أن يدعم مثل هذا الخط الاستراتيجي. وشيئا فشيئا أخذت فكرة هذا الحزام الأخضر الممتد عبر هذا(الهلال الاسلامى) تأخذ شكلا محددا. ولم تكن الفكرة مجرد فكرة دفاعية فقد قدر واضعو هذه السياسة المغامرة أن المسلمين المتواجدين داخل حدود الاتحاد السوفيتي فى إطار جمهورياته الكائنة فى وسط أسيا، قد يكونون عامل تفتيت لكيان الاتحاد السوفيتي ذاته. ومن ثم فقد اتخذوا الخطوات اللازمة لتشجيعهم على ذلك.

لقد تلاعبت الولايات المتحدة ليس بالإسلام ذاته كعقيدة للملايين بل بالاتجاهات الإسلامية. فعلى عكس العقيدة الإسلامية التي يساندها 14 قرنا من التاريخ كانت الاتجاهات الإسلامية أنفة الذكر أحدث جذورا بوصفها عقيدة سياسية تعود جذورها الأولى إلى القرن التاسع عشر، عقيدة سياسية جهادية تضم فلسفة شاملة يبدو معتنقوها أغرابا أو مهرطقين حسب وجهة نظر المسلمين الأوائل وما زالت تبدو كذلك عموما لعدد كبير من المسلمين. أما الأصولية الإسلامية أو الإسلام السياسي فهي شيء مختلف تماما فيما يتعلق بالجانب الروحي للحياة الإسلامية التي تنص عليها أركان الإسلام الخمسة. بتعبير أخر فان الأصولية الإسلامية أو الإسلام السياسي ليس سوى مراجعة للعقيدة الدينية وهذه هي الايديولوجيا الانقلابية التي شجعتها الولايات المتحدة ودعمتها ونظمتها ومولتها، أنها نفس العقيدة التي يمثلها بإشكال مختلفة الإخوان المسلمون وآية الله الخميني فى إيران والوهابية الأكثر تطرفا فى العربية السعودية كما تمثلها حماس وحزب الله وجهاديو أفغانستان وبن لادن.

2

لقد وجدت الولايات المتحدة فى الإسلام السياسي شريكا مريحا فى كل مرحلة من مراحل بناء الإمبراطورية الأمريكية فى الشرق الأوسط منذ بواكير دخولها إلى المنطقة وحتى تغلغلها التدريجي وتوسعها فى المنطقة حتى استقرارها العسكري فيها وحتى ظهورها أخيرا كجيش احتلال فى العراق وأفغانستان.

فى الخمسينيات لم يكن العدو هو الإتحاد السوفيتي فقط بل شكل عدوا لها كذلك ظهور الوطنية فى العالم الثالث من جمال عبد الناصر فى مصر إلى محمد مصـــدق فى إيران. لقد استخدمت الولايات المتحدة وبريطانيا الإخــوان المســلمين كحركــة إرهابية وبوصف حركتهم كالجد الأكبر للتنظيم الاسلامى الأرهابى ضد ناصر الذى ظهر وقام كقائد للقومية العربية. وفى إيران نظمت المخابرات المركزية الأمريكيــة سنة 1953 الانقلاب العسكري حيث قامت الولايات المتحدة سرا بتمويــل آيــة الله الذى أسس " أنصار الإسلام " وهو تنظيم متطرف موالى للإخوان المسلمين. بعــد ذلك فى نفس العقد بدأت الولايات المتحدة لعبتها مع الكتلة التــي تتلفــع بالإســلام وتقودها السعودية كمرتكز لمناهضة اليسار الوطني.

فى الستينيات من القرن العشرين برغم جهود الولايات المتحدة لاحتواء الجناح اليساري الوطني، امتدت الاشتراكية العربية من مصر إلــى الجزائــر، وســوريا فالعراق ثم فلسطين. ولمناهضة ما بدا أنه تهديدا لها أعدت الولايات المتحدة تحالفا فعالا مع السعودية لتوظيف الأصولية الوهابية لخدمة سياساتها الخارجيــة فتابعــت الولايات المتحدة بمشاركة الملك سعود والأمير فيصل " الملك فيصل فيما بعد" قيام كتلة إسلامية تمتد من شمال إفريقيا حتى باكستان وأفغانستان. وأقامــت الســعودية المؤسسات لتوظيف العقيدة الوهابية السعودية، اليمينية والإخوان المســلمين لــذلك الغرض كما قام النشطاء الذين تظاهرهم السعودية بإنشاء المركز الاســلامى فــى جينيف 1961 ورابطة العالم الاسلامى 1963 والمؤتمر الاسلامى 1969 ومنظمات عديدة اخرى اصبحت تشكل قلب الحركة الاسلامية العالمية.

وبوفاة عبد الناصر 1970 وتراجع حركة القومية العربية اصبح الاســلاميون سندا هاما للعديد من الأنظمة المرتبطة بالولايات المتحدة، ووجدت الولايات المتحدة نفسها حليفا لليمين الاسلامى فى مصر حيث استخدم السادات اسلاميى هــذا البلــد لإقامة قاعدة سياسية مناهضة للناصرية ، وفى باكستان حيث سيطر الجنرال ضياء الحق بالقوة على السلطة وأسس دولة إسلامية، وفى السودان حيث واصــل حســن الترابى زعيم الإخوان المسلمين طريقه إلى السلطة، وفى ذات الوقت الذى بدأت فيه

الولايات المتحدة تتوسم فى الأصولية الإسلامية أداة هجومية ينبغي استخدامها ضد الاتحاد السوفيتي بدءًا من أفغانستان الى آسيا الوسطى حيث استخدمتها كسلاح ضد المظلة السوفيتية وكذلك فى إيران حيث أخذت الثورة الإيرانية تعلن تعاطفها مع الإسلاميين. ومع تجاهل الولايات المتحدة التام لطبيعة الاتجاهات الإسلامية السائدة فى إيران فى ذلك الحين اندفع كثير من المسئولين الأمريكيين ينظرون إلى آية الله الخميني كشخصية معتدلة ينبغي الاعتداد بآرائه كشخصية معادية للشيوعية وكان من نتيجة ذلك أن الولايات المتحدة قللت بشكل كارثي من قدرات حركته فى إيران، وحتى بعد قيام الثورة الإيرانية سنة 1979 فشلت الولايات المتحدة وحلفاؤها فى استيعاب درس أن الحركة الإسلامية حركة خطرة وقوة غير قابلة للسيطرة عليها. لقد أنفقت الولايات المتحدة بلايين الدولارات لمساندة الجهاد الاسلامى فى أفغانستان حيث كانت الجماعات الموالية للإخوان المسلمين تتولى قيادة المجاهدين. كذلك لم تلق الولايات المتحدة اهتماما بالمساعدات التي كانت تقدمها إسرائيل والأردن سرا إلى الإخوان المسلمين فى حربهم الأهلية ضد سوريا ولا المساعدات التي كانت تقدمها إسرائيل لتشجيع ونشر الحركة الإسلامية فى المناطق المحتلة من فلسطين مما ساعد على تأسيس حركة حماس.

كذلك عضد المحافظون الجدد جهود المخابرات المركزية الأمريكية برئاسة بيل كيزى Bill Casey فى ثمانينيات القرن العشرين فيما يتعلق بالصفقات السرية التي عقدتها مع آية الله الخميني فى إيران.

إلا أنه بحلول التسعينيات ونهاية الحرب الباردة أصبحت مسألة استخدام اليمين الاسلامى تستوجب إعادة النظر. وبدأ بعض الاستراتيجيين يرون فى الإسلام السياسى تهديدا جديدا ويحلونه محل الشيوعية باعتباره المنافس العالمى للولايات المتحدة وهو الأمر الذى أدى على أية حال إلى المبالغة الشديدة فى قدرات قوة محدودة بحدود الدول الفقيرة الأدنى تطورا underdeveloped.

وبالرغم من ان الإسلام السياسى من المغرب إلى اندونيسيا يظل قوة على الولايات المتحدة ان تتعامل معها إلا ان استجابة الولايات المتحدة لهذه القوة كان مراوحا ومرتبكا. ففى خلال التسعينيات واجهت سلسلة من الأزمات مع الإسلام السياسى، فبينما كانت الولايات المتحدة تتعاطف مع القوة الصاعدة للإسلام السياسي كانت تؤيد الهجمات التي تقوم بها الحكومة الجزائرية ضد هذه الجماعات وفى نفس الوقت ظلت تحتفظ بالمحادثات التى كانت تجريها مع الإسلاميين الجزائريين الذين ما لبثوا أن اتجهوا إلى الارهاب.

وفى مصر شكل الإخوان المسلمون والحركات السرية العنيفة التى خرجت من عباءتهم تهديدا خطيرا لنظام الرئيس مبارك إلا أن الولايات المتحدة ظلت تتخذ من مسألة دعم الإخوان المسلمين لعبة تتلاعب بها.

وفى أفغانستان التي تشطرت إلى أجزاء بعد حقبة الجهاد التي رعتها الولايات المتحدة (ضد الغزو السوفيتي) سرعان ما تمكنت طالبان من كسب دعم الولايات المتحدة التى وجدت نفسها حتى بعد أن تشكلت طالبان بقيادة أسامة بن لادن فى تحالف مع اليمين الاسلامى فى باكستان والسعودية والخليج العربى.

ثم جاءت أحداث 11 سبتمبر2001

بعد 2001 بدا أن إدارة بوش قد وضعت توقيعها على بيان المحافظين الجدد الذى يرى ان العالم يتسم بصيغة " الصدام بين الحضارات" وشنت حربها العالمية ضد الارهاب مستهدفة تنظيم القاعدة –الأكثر تلوثا بذات الفيروس – الذى ساعدت الولايات المتحدة على زرعه. وحتى قبل وأثناء وبعد غزو العراق – وهى دولة اشتراكية علمانية طالما ناهضت الأصولية الإسلامية – كانت الولايات المتحدة تقدم دعما نشطا للإسلام اليميني فى العراق وتعضد بشكل صريح الإسلاميين الشيعة العراقيين بدءًا من آية الله على السيستانى إلى الأحزاب الشيعية الأصولية، كالمجلس الأعلى للثورة الإسلامية فى العراق وحزب الدعوة وكلها تحظى بدعم ملالى إيران.

3

إن الزعم بوجود صدام بين الحضارات هو زعم متبجح يقوم على أساس وجود تعارض بين الغرب من جهة والعالم الاسلامى من جهة أخرى وإذا كان الأمر كذلك حقا فانه يبدو نذير شؤم.

من بين حطام الحرب العالمية الثانية ، تعثرت أمريكا شاعت أم أبت فى الشرق الأوسط وهو عالم لا تعرف عنه سوى القليل.

وإذا كانت الولايات المتحدة قد ارتكبت أخطاء فى تعاملها مع الإسلام فى النصف الثاني من القرن العشرين فان ذلك يعود جزئيا إلى الجهل العميق به. فحتى سنة 1941 كان الشرق الأوسط بالنسبة لأمريكا الحديثة مكانا يبعث على الخوف والدهشة وكان يبدو بلادا خيالية يقطنها الشيوخ والحريم والسلاطين المعممين، مكان

يعج بالحمامات القذرة والحريم والواحات والأهرامات والأرض المقدسة. وحسبما جاء فى الأدب القديم من القصص وإشعار ومذكرات الرحالة هو مكان الغموض والمكائد، يسكنه أناس غير متحضرين غير مؤمنين يصورون باعتبارهم أصحاب مكيدة " مسلمون" " محمديون" غير متمدنين وغير مهذبين، وهى ارض القراصنة والأتراك وهو اصطلاح لا يزال حتى اليوم ينم عن الازدراء.

ولا يزال كتاب مارك توين " الأبرياء فى الخارج" منذ ظهوره سنة 1869 يرمز إلى نوع غريب من التخبط الساذج الذى تمارسه السياسة الخارجية الأمريكية غير أن القليل من الأمريكيين هم الذين يدركون ان مارك توين، ولعله كان اكثر كتّاب أمريكا سخرية وقدرة على الملاحظة، قد استخدم الكتاب لوصف انطباعاته أثناء رحلة لم تستغرق منه اكثر من شهر قام بها فى بلاد البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط ولكنه كان الأكثر تأثيرا على القارئ الامريكى خلال القرن التاسع عشر، ولسوء الحظ ساهم فى غرس وبناء التحيزات ضد كل ما هو اسلامى. خلال ترحاله فى تركيا وسوريا ولبنان وفلسطين كان " توين " يتحدث بازدراء وتعالى متعجبا من البربرية التي كان يراها، فالمساكن حقيرة ومليئة بروث الجمال المرصوص على الأرض ليجف. أما عن دمشق(" إلى اى حد يكره الدمشقيون المسيحيين!") فهي اكثر بلاد العرب الإسلامية تعصبا والأكثر حاجة إلى التطهير، والدمشقيون فى رأيه هم الأكثر شرا وقبحا والأشد حقارة. ومقارنا البلاد المقدسة بـ"الناصرة" كما صورتها المنحوتات الكلاسيكية كتب يقول:

" غير أن الصورة المحفورة ليس بها كل هذا الدمار ولا القذارة ولا الأسمال البالية ولا البراغيث، ليس هناك هذه الملامح القبيحة ولا العيون المتورمة والذباب الذى يرتع والملامح التي تنم عن الجهل الذى يفتقد الفعل ولا هذه التقرحات على ظهر الحمير ولا هذه الثرثرة بلغات غير مفهومة ولا الرائحة النتنة للجمال، ولو اقترح احدهم استخدام طنين من مساحيق التجميل لتحسين الصورة وإعطاء انطباع ايجابي يستحق أن يتذكره المرء لما كان ذا فائدة "

وخلال السنوات الأولى من القرن العشرين ومع مقدم الحرب العالمية الأولى فان الانحلال القسرى للإمبراطورية العثمانية وبداية الصحوة العربية برعاية الانتداب البريطانى* الذى قاده ونستون تشرشل ولورنس العرب و جرترود بيل

* هل حقا يعود الفضل في الصحوة العربية الى بريطانيا وجهود تشرشل ولورنس....؟؟!!- المترجم

وأشباههم، بدأ الشرق الأوسط يدخل فى الوعى الامريكى ولكنه كان لايزال مشــوبا ببناء من الرومانسية والجهل.

كانت مغامرات لورنس الجنسية وخيالاته الرومانسية بما فى ذلك مؤلفه الشهير " أعمدة الحكمة السبعة" كانت اكثر الإعمال مبيعا فى الولايــات المتحــدة وكــذلك الرحلات التى قام بها العديد من المغامرين إلى الواحات واحة بعد أخــرى. كــان الشرق الأوسط فى نظر الكثيرين من الأمريكيين مجرد ذكريات معلبة فى الأفــلام والأغاني. وأصبح فيلم الشيخ (1921) الذى قام ببطولته رودولــف فــالنتينو هــو النموذج الذى يمثل فكرة الامريكى العادى عن العرب بالإضافة إلى الأغنيــة التــى يتضمنها الفيلم " شيخ العرب " التى تتضمن مقطوعات التهديدات الفجة "فــى الليــل بينما تغط فى النوم داخل خيمتك سوف ازحف" واستمر تأثيرها لعقود، وقــام بتــى جودمان بتسجيل الأغنية سنة 1937 كما قام بذلك أيضا فريق الخنافس (البيتلز) سنة 1961 واليون روديون سنة 1977. ولعل أحدا من الخبراء الأمــريكيين أو ربمــا القليل منهم من غامر بالتواجد فى المنطقة منذ القرن التاسع عشر وحتى عشــرينات القرن العشرين باستثناء مجموعة من المبشرين البروتستانت والمدرسين والأطبــاء الذين آلوا على أنفسهم أن يقودوا الجماهير الى الهداية وان يقومــوا بــالوعظ بــين مسيحيى الإمبراطورية العثمانية فى سوريا ولبنان بشكل خاص. ومن بينهم الــرواد من امثال دانييل بليسDaniel Bliss وابنه هــوارد بلــيس واخــوان دودج Dodge brothers (القس ديفيد ستيوارت دودج ووليم أيرلى دودج) الــذين انشــأوا وأداروا الكلية البروتستانتية السورية –التي أعيد تسميتها بالجامعة الأمريكية فى بيروت فى العشرينيات – ومارى ادى Mary Eddy وهى ابنة مبشر أنشأت فى لبنان عيادة تطل على شواطئ الأقاليم العربية فى الإمبراطورية العثمانية وأصبحت عــائلات بلــيس ودودج وايدى هم الآباء والأجداد وأجداد الأجداد للقساوسة الأمريكان المســتعربين الذين ظهروا بعد الحرب العالمية الثانية.

4

فى سنه 1945 توجه فرنكلين روزفلــت Franklin Delano Roosevelt إلــى الشرق بحثا عن البترول ووجد الإسلام. وقدر له أن يلتقى ابن سعود ملك السعودية على ظهر السفينة. بالنسبة للولايات المتحدة كانت هذه المقابلة بمثابة البداية الحقيقية لانخراطها السياسى والعسكري فى المنطقة.

ووجدت الولايات المتحدة المنتشية بما حققته من نصر فى الحرب العالمية الثانية،وجدت نفسها فى دور القوة الدولية العظمى.وكانت فعاليتها فى ذلك الحين تتسم بالسذاجة ومحاباة شركائها إلى أقصى حد بينما تتسم بالحذر الشديد تجاه الآخرين.واتسم سلوك قادتها التالين بعد الحرب العالمية الثانية بالثقة الكاملة فى ان الروح الأمريكية سوف تتغلب على الجميع، أو بالتحديد فى حالة الضرورة على أساس واقعى.كان هذا على اى حال حسب تعبير هنرى لوس Henry Luceهو"القرن الأمريكى".

كان الشرق الأوسط فى ذلك الحين قد بدأ يبزغ كالمنطقة الأكثر حيوية من الناحية الإستراتيجية التى تقع خارج الغرب الصناعى واليابان.

وبالرغم من افتقار الولايات المتحدة للخبرة والمهارات اللغوية والألفة الثقافية بالنسبة للحضارة المعقدة للمنطقة فقد استجابت لمهامها الامبريالية بمنطق قوتها الهائلة. وحسبما ذكر نورمان ميلرNorman Mailer فى مؤلفه " العرايا والموتى " The Naked and the Dead أن الجنرال كمنجز General Cummings وصف بوضوح جموح القوة الأمريكية الذى لا يمكن إيقافه الذى ستطلقه الحرب العالمية الثانية. يقول كمنجز " اننى أفضل أن أسمى عملية التطور التاريخى للقوة الأمريكية بأنها عملية تاريخية. فهناك بلاد لديها قوىً كامنة ومصادر كامنة يمكن أن نطلق عليها بلاداً مليئة بالطاقة الكامنة.... وطبقا لنظرية الحركة التى تقول بان الأشياء فى حركة دائمة فان الدولة بوصفها مولدة للطاقة هى الهيئة التى تتولى تنسيق الجهود وتنظيمها.... وتاريخيا فان الهدف من الحرب هو تحويل طاقة أمريكا الكامنة إلى طاقة محركة.... وحينما تخلق الطاقة المادة والجيوش فإنها لا تذوى من تلقاء نفسها، إن فضاءنا كأمة هو فضاء مملوء بالقوة المتدفقة واستطيع أن أقول لكم أننا أصبحنا الآن خارج إطار التخلف التاريخي ".

غير انه حينما انطلقت القوة الأمريكية إلى العالم الاسلامى بدأت الولايات المتحدة مهامها طويلة الأمد ربما بادراك كامل أو بإدراك محدود للقوى التي تتعامل معها.

حتى الحرب العالمية الثانية لم يكن لدراسات الشرق الأوسط وجود حقيقي فى الولايات المتحدة، أو لعلها كانت تقوم على منظومة من اللاهوت. ولم تنشأ المراكز التى تهتم بشئون الشرق الأوسط وترعاها الحكومة، لم تبدأ فى الظهور الا بعد سنة 1947 حينما قامت جامعة برنستون بإنشاء أول مركز لشئون الشرق الأوسط فى

الولايات المتحدة. غير انه كان لابد من مرور عدة سنوات قبل ان يصبح لدى الولايات المتحدة الكوادر من الخبراء الأكاديميين الذين لديهم خبرة بالسياسة والثقافة والدين الاسلامى.

وبدءاً من فرنكلين روزفلت فصاعداً كان الساسة الأمريكان سجناء كل التصورات المقولبة المضللة المعززة بكل الصور الدنيوية للمحاورين من العرب.

وبعد مقابلته لابن سعود عاد روزفلت إلى واشنطن " دون أن تبارح مخيلته صورة الملك السعودي الشبيه بالصقر وهو متكئ على عرشه الذهبى يحيط به ستة من العبيد." بعد ذلك بعامين وصف الرئيس هارى ترومان Harry Truman مسئولا سعوديا بارزا بأنه طبق الأصل من الصورة التى أوردها الإنجيل للعربي (ذي اللحية المدببة الذى يرتدى الجلباب الأبيض الموشى بإطار مذهب وكل شيء). واستبعد إيزنهاور أن يكون العرب " نوعية غريبة متفجرة ومفعمة بالتحيزات." ويزخر الأرشيف الرسمي الامريكى بمثل هذه التصورات المقولبة المتكررة عن العرب والمسلمين التى رسمها الموظفون الأمريكيون. خلال الستين عاما التالية باءت بالفشل محاولات المتخصصين فى الشئون العربية من المسئولين الأمريكان الذين لا يتعدى عددهم أصابع اليد الواحدة ويعرفون عن حق بعض الشيء عن الشرق الأوسط، فشلوا فى التغلب على هذه التصورات والانطباعات.

5

حينما جاء الوقت لتنشغل الولايات المتحدة بشئون الشرق الأوسط السياسة والعسكرية. كانت هذه التصورات الخيالية المرتبطة فى ذهن الأمريكان وتخيلاتهم للحياة العربية التى تغذيها العنصرية والازدراء الدينى للوثنية العربية المزعومة بمثابة المزيج المسموم الذى ربما كان له تأثير فى دفع واضعى السياسة الأمريكية ليروا فى المسلمين مقاتلين ألداء. ولربما اعتقدوا أن هذه التصورات الدينية سوف تدفع معتنقيها إلى مقاومة الإلحاد الشيوعي. وربما كان لديهم انطباع بأن تشكل المؤسسات الدينية التقليدية فى جنوب غرب آسيا حاجزا طبيعيا ضد الشيوعية. ولكن لم يخطر قط ببال المسئولين الأمريكيين أن المنظمات الإسلامية كالإخوان المسلمين كانت ظاهرة مختلفة تماما من الناحية الكيفية عن ظاهرة المؤسسات الاكليريكية الكمبرادورية. والحقيقة انه عندما تطورت الحرب الباردة اصبح العدو الكبير وهو الاتحاد السوفيتى وشركاؤه من القوميين العرب بدا كأن لهم عدوا مشتركا هو الإسلام. وبشكل أو بآخر فان الحرب الباردة بدأت فى الشرق الأوسط عندما أعلن

الرئيس الامريكى هارى ترومان سنة 1947 مسئولية الولايات المتحدة عن اليونان وتركيا لتخلف بذلك بريطانيا فى هذا الدور وليواجه الاتحاد السوفيتي فى أذربيجان شمال إيران. وكان نفوذ الامبريالية البريطانية قد اخذ يتضاءل حيث تخلت بريطانيا عن اليونان وتركيا ثم الهند وفلسطين وكان تراجعها مستمرا بينما تملأ أمريكا الفراغ الناجم عن هذا التراجع الذى اصبح هدفا للتوسع السوفيتي (وستظهر الدراسات العلمية فيما بعد انه لا ستالين ولا خروشوف كان لدى اى منهما النية أو القدرة على السيطرة على الخليج الفارسى أو الشرق الأوسط.)

كانت أهمية الشرق الأوسط واضحة لعيان الجميع، فقد كان (ولا يزال) مصدر الطاقة الذى لا يمكن لحلفاء أمريكا فى أوروبا واليابان أن يستغنوا عنه بينما لم تكن الولايات المتحدة فى ذلك الوقت تعتمد على بترول الخليج الفارسى وإنما تعتمد على بترول فنزويلا وتكساس ولويزيانا و أوكلاهوما. ولكن أوروبا واليابان كانتا تعتمدان بشدة على الخليج لسد احتياجاتهما البترولية اليومية حتى يستمران فى الوجود. وليس من المبالغة القول بان استراتيجيي الولايات المتحدة أدركوا بان الدفاع عن أوروبا الغربية لا يمكن تحقيقه بدون خطة موازية للسيطرة على الخليج. وبرغم التوترات الداخلية الهامة بين القوى الغربية فقد تمكنت من تحقيق سلسلة من الأحلاف فى المنطقة: حلف الاطلنطى، حلف الدفاع عن الشرق الأوسط، حلف بغداد المنهار، وحلف جنوب شرق آسيا (السنتو) وكلها موجهه ضد الاتحاد السوفيتي. وبهدوء ساندت كل من واشنطن ولندن الإسلام اليميني ضد اليسار بلدا اثر بلد وشجعت على ظهور " الكتلة الإسلامية".

ولكل هؤلاء الذين لا يعلمون سوى القليل عن العقيدة والثقافة فى الشرق الأوسط وجد رؤساء الولايات المتحدة والمخابرات المركزية الأمريكية وجدوا فى اليمين الاسلامى الركوبة المناسبة ليمتطوها. وأمكنهم أن يتعارفوا على الناس الذين تلهمهم العقيدة الدينية العميقة بالرغم من أن عقيدة هؤلاء الدينية كانت مغايرة لعقيدتهم. وفى بحثهم عن الحلفاء التكتيكيين بدا لهم إن الرهان على الإسلام يفضل الرهان على العلمانية طالما أنهم يرون فى العلمانية اليسارية الأداة الطيعة لموسكو بل ورأوا أن الوسطيين يشكلون خطرا يهدد ملوك المنطقة وصفوتها التقليدية. وبعد انحسار الآثار الكارثية للحرب العالمية الثانية كانت قائمة البلاد التى يحكمها الملوك ليس فقط الأردن والعربية السعودية وإنما تشمل أيضا مصر والعراق وإيران وليبيا.

فى خمسينيات القرن الماضى كان ثمة دراسات تتعلق بجماعات المثقفين العسكريين تجرى فى كثير من الجامعات الأمريكية لتخريج مستعربين ومستشرقين

ليكونوا تحت طلب واضعى السياسة الأمريكية من اجل استشارتهم فيما يتعلق بالتعامل مع التعقيدات العقائدية فى المنطقة. وكانت المخابرات المركزية الامريكية والإدارة الأمريكية يقودها خريجو رابطة ايفى Evy League Graduates الذين يتحدثون العربية والتركية والفارسية والأوردية وغيرها من لغات الشرق الأوسط. وتخرجت نخبة ممتازة من المستعربين تتميز بأن لديها على الأقل معرفة عملية بالمنطقة. غير أنهم وطبقا لشهادات صادرة منهم أنفسهم فان القليل منهم فقط هم الذين كانوا يعرفون شيئا عن الإسلام والحركة الإسلامية حيث كانت معارفهم تتركز بدلا من ذلك على مبادئ الاقتصاد والمسائل السياسية. كان معظم المستعربين علمانيين ولم يكن لديهم اى تعاطف مع الأصولية الإسلامية. وفى الواقع فان الكثير منهم كان يتعاطف إلى حد كبير مع دعاة القومية العربية. وكان الكثيرون منهم يرون فى الإسلام مجرد رمز لزمن مضى وعصر فات أوانه. غير انه عندما كشفت الحرب الباردة عن ثناياها تم إلى حد كبير تجاهل موظفي الإدارة الأمريكية والمخابرات المركزية الأمريكية الذين تعاطفوا مع حركة القومية العربية، وهوجمت آراؤهم من قبل سدنة الحرب الباردة والمتعاطفين مع إسرائيل الذين عقدوا العزم على الغض من شأن اى فرد يعتبر نفسه مؤيدا للعرب. وخلال السبعينيات تم تشويه معنى المستعربين وبدأت منذ ذلك الحين الأنشطة الموالية للصهيونية تتراكم وتوجه الحملات الإيديولوجية الصاخبة ضد هؤلاء الأكاديميين المستعربين الذين استمروا فى الإدارة.

ويوضح روبرت كابلان Robert D. Kaplan فى كتابه المتميز الصادر سنة 1993 تحت عنوان: (المستعربون: قصة نخبة أمريكية The Arabists: Romance of an American Elite") يوضح هذا الكتاب المدى الكبير الذى بلغته هذه الجهود. فمنذ ظهور هذا الكتاب اصبح الهجوم على المستعربين صناعة احترافية. وفى واقع الأمر فقد تم استبعادهم جميعا عند التخطيط للحرب على العراق. وحسبما ذكر احدهم فان معظم المستعربين عارضوا الحرب الوقائية ولكن إدارة بوش تمكنت من استبعادهم من اجل ضمان ان يتم التخطيط لهذه الحرب فى الخفاء

6

قد يجادل البعض بان الولايات المتحدة لم تخلق الإسلام ولا الأصوليين من معتنقيه، وهذا صحيح غير انه ينبغى علينا فى هذا الصدد ان نضع فى الاعتبار تحليلا اكثر تفصيلا لليمين المسيحى الامريكى.

فالمحافظون والمسيحيون الإنجيليون كانوا موجودين بأعداد كبيرة فى أمريكا منذ العصر الكولونيالى ولكن من ناحية أخرى فان ظهور اليمين المسيحى فى الولايات المتحدة يمكن إرجاعه إلى أواخر السبعينيات مع تشكيل تحالف الكنائس فى كاليفورنيا California Alliance of Churches على يد الأب تيموثى لا هايى وانشاء الأغلبية الأخلاقية Moral Majority على يد لا هايي وجيرى فولويل Jerry Falwells والدور الذى لعبه هذان الرجلان وغيرهما فى ظهور"المجلس المختص بالسياسة الوطنية"Council on National Policy" و" التحالف المسيحى" Christian alliance ومنظمات اخري مثل " إمبراطورية بات روبرتستون للاذاعة " Pat. Robertson's Broadcast ومؤسسة الدكتور جيمس روبسون – James Robson's Focus on Family من اجل تركيز الاهتمام على العائلة". ولكن حتى ذلك الحين كان المسيحيون المحافظون قوة سياسية ناشئة. غير انه بعد أن تم تنظيمهم بإحكام عبر العقود الثلاثة الأخيرة أصبحوا قوة قائمة بذاتها عارفة بإمكانياتها وحركة سياسية قوية وعلى درجة كبيرة من الوعى وكذلك كان الأمر بالنسبة لليمين الاسلامى فالاتجاهات الرجعية الموجودة فى الإسلام تعود إلى ثلاثة عشر قرنا مضت. فمنذ البدايات الأولىللإسلام دخلت الاتجاهات الظلامية واللاعقلانية والنصوصية فى منافسة مع الاتجاهات الأكثر استنارة وتقدمية واعتدالا. وفى الأزمنة الحديثة كان الرجعيون الاسلاميون يعوقون التحديث ويعارضون التعليم التقدمى والليبرالية وحقوق الإنسان. وحتى إنشاء الحركة الإسلامية الشمولية على يد جمال الدين الافغانى فى اواخر القرن التاسع عشر وتأسيس " الإخوان المسلمون" على يد حسن البنا سنة 1928 وانشاء الجماعة الإسلامية على يد أبى الأعلى المودودى فى باكستان سنة 1940 لم يكن لدى اليمين الإسلامي أمثال لاهاييس وفالويل وروبرتسون الذين ظهروا فى أمريكا، غير ان هؤلاء الإسلاميين انفي الذكر(الافغانى والبنا المودودى) عملوا على زيادة الحرب الثقافية فى الشرق الأوسط مثل نظرائهم من اليمينيين المسيحيين فى الولايات المتحدة ولنفس الأسباب.

وكما وجد اليمين المسيحى المساندة من أثرياء الجناح اليميني فى الولايات المتحدة فى تكساس والغرب الأوسط وجد اليمين الاسلامى مثل هذه المساندة المالية من جانب أثرياء البترول اى من جانب العائلة الملكية على رأس المملكة العربية السعودية ودول الخليج. وبالضبط كما شكل اليمين المسيحى حلفا واسعا مع اليمين الجمهورى – وجد اليمينيون الاسلاميون تفاهما مماثلا مع استراتيجيي السياسة الأمريكية اليمينيين وفي الواقع فان التعاون بين اليمين المسيحي واليمين الاسلامي ترعرع خلال فترة إدارة ريجان الذى عمل بشكل جاد من اجل انجاز التحالفات

بينهما. وبلغ العمى السياسى الذى أصاب بعض الأمريكيين جراء الحرب الباردة من الحدة إلى الدرجة التى حدت ببعض الناشطين من اليمين المسيحى والجماعات الصهيونية المتعصبة فى إسرائيل إلى حد تعضيد جهود الإسلاميين المتعصبين فى أفغانستان وكذلك حدث التلاقى بين المسيحيين الأصوليين والإسلاميين الأصوليين فى مناطق أخرى. فكل منهما يمتلك حسبما يعتقد الحقيقة المطلقة. وكل منهما لا يحتمل معارضة وجهة نظره. ويتوعدون المعارضين لهم وغير المؤيدين لآرائهم والمؤمنين بحرية الفكر يتوعدونهم بجهنم وسوء المصير، وكل منهم يؤمن بوحدة الدين والسياسة. ويصر الأمريكيون منهم على أن أمريكا " امة مسيحية" بينما يصر المسلمون على انه يجب أن يخضع المسلمون إما لحكم خليفة شامل القوة متدين وسياسي أو لنظام " الجمهورية الإسلامية " التي يحكمها نوع من الشريعة الإسلامية شديدة الأصولية وكل منهما يشجع خضوع تابعيهم وتعصبهم الأعمى. ومن ثم لم يكن عجيبا أن يسود الاعتقاد فى كل من الجانبين بان العالم يخوض صدام حضارات.

7

ان الحرب على الارهاب هى الطريق الخاطئ للتعامل مع التحدى المطروح منذ أمد من جانب الإسلام السياسى.

ويتمثل هذا التحدى فى تصورين احدهما تهديد السلم والأمن الامريكى من جانب القاعدة، والآخر أن ثمة مشكلة سياسية اكثر اتساعا يطرحها نمو الاسلام السياسى فى الشرق الأوسط وغرب آسيا.

فيما يتعلق بالقاعدة بالغت إدارة بوش عن قصد فى حجم ومدى التهديد الذى تمثله القاعدة. فهي ليست بالتنظيم شامل القوة وهى قد تستطيع أن تقتل بعض الأمريكيين، ولكنها لا تمتلك قط أسلحة الدمار الشامل وغالبا لن تستطيع ان تصل إليها. وهى لا تمتلك عددا كبيرا من الخلايا أو الأموال أو العملاء بالرغم مما أعلنه المدعى العام الامريكى على غير أساس بعد 11 سبتمبر بان القاعدة لديها خمسة آلاف ناشط فى أمريكا. ولم يثبت أن أحدا من مئات المسلمين الذين ألقى القبض عليهم أو اعتقلوا بعد 11 سبتمبر له علاقة إرهابية. وخلال ثلاثة أعوام ونصف بعد 11 سبتمبر لم تحدث فى الولايات المتحدة عملية عنف واحدة من جانب القاعدة أو غيرها من الجماعات الإرهابية (الإسلامية) ولم تحدث عملية اختطاف أو إلقاء قنابل أو حتى إطلاق نار. ولم يثبت قط ان هناك ارتباطا ما بين القاعدة والعراق ولا اى

دولة أخرى فى العالم الاسلامى لا فى سوريا ولا فى السعودية ولا فى إيران. وباختصار فان التهديد من جانب القاعدة هو مجرد محاولات. وان استخدام الحرب العسكرية التقليدية ليس هو السبيل الى مهاجمة القاعدة التي وان تكن مشكلة إلا أنها لا تستدعى سوى استخدام المخابرات وتطبيق القانون كما أن الحرب فى أفغانستان قد أخطأت هدفها وفشلت فى تحطيم قيادة القاعدة كما فشلت فى تحطيم طالبان التي ازدادت انتشارا وفشلت فى منح الاستقرار الدائم لهذه الأمة الممزقة، وخلقت حكومة ضعيفة مركزيا تقع تحت رحمة أمراء الحرب وعصابات طالبان السابقة. والأكثر سوءاً أن الحرب في العراق أتت بغير ما ضرورة ليس فى توجهها فحسب بل وفى كونها وجهت ضد امة لم يكن لها أية صلة إطلاقا بعصابة بن لادن وأصبح الأمر حسبما عبر احد المراقبين كما لو أن روزفلت هاجم المكسيك ردا على بيرل هاربور.

والواقع انه لا جدوى من استخدام القوة المسلحة بشكل مفرط ضد فاعل ما لا يشكل دولة كالقاعدة وهو بالضبط هزيمة للنفس وعلى حد ما تقول الأسطورة القديمة مقابل كل رأس تجتثها القذائف الموجهة بالليزر أو الهجمات التي توجهها قوات المارينز ضد معاقل الإسلاميين أو مواقع البحرية الإسرائيلية ضد حماس وحزب الله أو صواريخ كروز الأمريكية ضد المواقع المحصنة النائية "مقابل كل رأس تجتث تنبت ثلاثة رؤوس بديلة".

والواقع انه نظرا لان الحرب الأفغانية والعراقية تتطابق بدقة مع سياسة إدارة بوش الأبعد مدى الهادفة إلى بناء الإمبراطورية الأمريكية والحرب الاستباقية ولأنه سمح للولايات المتحدة ببناء مؤسسة احتكارية سياسية عسكرية واسعة تمتد من شرق إفريقيا وتتغلغل بعمق إلى محور آسيا الوسطى فقد تم المضي قدما فى شن هذين الحربين وهى مشكلة كان ينبغى التعامل معها كعملية جراحية تجرى باستخدام الكوماندوز والقوات الخاصة بمساندة دبلوماسية عنيفة وإقامة دعاوى قانونية دفاعا عن النفس واللجوء إلى الإجراءات القانونية، آلا انه جرى تضخيمها إلى حد كبير من قبل إدارة بوش.

ولم يزل فى الإمكان هزيمة القاعدة

غير أن المشكلة الأكبر هى تلك المتعلقة بنمو قوة الأصولية الإسلامية فى الشرق الأوسط واسيا وهى اكثر تعقيدا من ذلك بكثير.

طبيعي أن المشكلة الأولى تتعلق بالثانية. فما لم يوقف اليمين الاسلامى فقد تتمكن القاعدة من إعادة إحياء نفسها، أو، كما حدث فى العراق بعد الغزو الامريكى قد تنبثق عنها منظمات أخرى على نمط القاعدة نتيجة لإثارة الغضب والسخط والرفض ضد الأمريكان أو قد تتمكن إحدى الجماعات الإرهابية اليمينية الإسلامية الأخرى مثل حماس وحزب الله أن تتحول من جماعة ذات أهداف محلية إلى نوع اكثر خطورة له طموحات دولية. إن الجماعات التي تنزع إلى العنف أو تميل إلى الارهاب فى الشرق الأوسط تستمد الدعم المالى وشرعيتها الثيولوجية (العقائدية) وقدرتها على الحشد والتجنيد من المؤسسات الإسلامية الأكثر أصولية التي ظهرت خلال العقود الثلاثة الأخيرة فعليا فى كل البلاد الإسلامية. ومثلها مثل الغلاية على الموقد لا يظهر منها سوى القليل من البخار الذى ينساب بهدوء وانتظام إلى الهواء. إن القوة المرتبطة بالإسلام السياسى فى الشرق الأوسط تظل محتفظا بها فى حالة جيشان (قريبة من الغليان) ومن خلالها يتدفق تيار منتظم من الراديكاليين (الأصوليين) الجاهزين للتطرف الذين يجرى على وجه السرعة استيعابهم ضمن إحدى الجماعات الإسلامية المتطرفة. فماذا يمكن للولايات المتحدة أن تفعل لتهدئة الحرارة، لتخفيض درجة الحرارة السياسية الكامنة فى الحركة الإسلامية؟

أولا:- يجب على الولايات المتحدة أن تفعل ما بوسعها لإزالة المآسي التى تدفع المسلمين الغاضبين إلى البحث عن متنفس لهم فى المنظمات المماثلة للإخوان المسلمين. ليست الولايات المتحدة بطبيعة الحال هى السبب فى كل هذه المآسي غير أن تصرفات الولايات المتحدة لا تعمل على تهدئة هذا السخط أو الغضب ولكنها يمكن أن تحل قضية الصراع الإسرائيلي الفلسطيني بأسلوب يضمن العدل للفلسطينيين وإقامة دولتهم المستقلة بحيث تكون قادرة سياسيا واقتصاديا وان تربط ذلك بانسحاب المستوطنات الإسرائيلية غير الشرعية وان تعود إسرائيل إلى حدودها التى كانت عليها سنة 1967 وتقسيم القدس بشكل عادل وثابت، هذا الإجراء الذى يجب أن يكون له الأولوية على اى إجراء آخر، سوف يؤدى إلى إزالة الحجة التى يتمنطق بها اليمين الاسلامى فى المجال العلني.

ثانيا:- على الولايات المتحدة أن تكف عن محاولة فرض أفضلياتها على الشرق الأوسط. إن هذا يستدعى سحب القوات الأمريكية من أفغانستان والعراق وتفكيك قواعدها العسكرية فى الخليج الفارسى والتسهيلات العسكرية التى تتمتع بها فى المملكة العربية السعودية وتقليص وجودها البحرى والعسكرى وبعثاتها التدريبية العسكرية ومبيعاتها من السلاح بشكل كبير. إن كثيرا من الدبلوماسيين الأمريكيين الذين عملوا فى المنطقة يدركون أن التواجد الاستفزازي للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط قد أشعل الغضب والرفض الجماهيرى. ان الولايات المتحدة ليس لها أن تزعم بان لها حقوقا سواء فى الخليج الفارسى او الشرق الأوسط. وقيادات دول المنطقة فقط هى التى لها الحق فى تقرير المستقبل الاقتصادي والعلاقات السياسية، حتى لو اثر ذلك على مصالح الولايات المتحدة.

ثالثا:- يجب على الولايات المتحدة أن تمتنع عن محاولات فرض أفضلياتها على المنطقة، فمنذ عام 2001 أقدمت الولايات المتحدة على الإضرار بالمنطقة إضرارا لم يكن فى الحسبان نتيجة إصرارها على أن " الشرق الأوسط الكبير " أمر يتسق مع وجهة النظر الأمريكية فيما يتعلق بقضية الديمقراطية. يجب ان يتأكد المنظرون الراديكاليون فى إدارة بوش أن نداءه من اجل الديمقراطية فى العالم العربى وإيران لا ينظر إليها أساسا إلا كذريعة لمزيد من التدخل فى شئون المنطقة وحتى إذا اعتبرت هذه المسالة لها قيمتها من الناحية الشكلية فان هذه المبادرة تتجاهل حقيقة أن أمم الشرق الأوسط يجب إن تجد بنفسها ديمقراطيتها المناسبة لإمكانياتها، وفى الوقت المناسب لها. أما التوجه القهري نحو الإصلاح الديمقراطى فى المنطقة فهو بمثابة هزيمة للنفس وسبة موجهة إلى دول وشعوب الشرق الأوسط.وقد تكون بعض هذه الدول جاهزة للإصلاح والبعض الآخر قد لا يكون مهيئا له.

إن التغيرات الديمقراطية (المملاة) التي قد تؤدى إلى تمكين اليمين الاسلامى من السلطة وتؤدى إلى أن ينقض الإخوان المسلمون على السلطة فى القاهرة ودمشق والرياض والجزائر،لن تؤدى إلى تحقيق الأهداف التى تتطلع إليها الإدارة الأمريكية فسوف تؤدى،وأدت بالفعل الى وضع المزيد من المناطق فى يد الإسلاميين.

يجب أن تتبنى الولايات المتحدة سياسة إبعاد أيديها عن كل ما يتعلق بالديمقراطية فى العالم الاسلامى.

رابعا:ــ على الولايات المتحدة ألا تستجيب لنزعتها بتوجيه التهديــدات لأمــم الشرق الأوسط بشن الحرب عليها بما فيها دول مثل إيران والسودان باعتبار أنها لا تزال تخضع لسيطرة الحكم الاسلامى. إن الموجة الإسلامية قد لا تكون بلغت بعــد أوج صعودها. وهناك أمم أخرى قد يجرفها التيار الذى لم ينحسر بعد لأنه لا يزال يمثل قوة لديها قدرة دفع قد تستمر لعدة عقود. يجب علــى الولايــات المتحــدة ان تستوعب حقيقة أن التهديد باستخدام القوة والإملاءات ذات الصدى الإمبريالي تقوى الإسلاميين ولا تضعفهم.

إن الخلاص الحقيقي للشرق الأوسط يستدعى أن تعمل القوى العلمانيــة فــى المنطقة على رفع مستوى الجماهير التى ظفرت بها القــوى الإســلامية وتحــديث نظرتها، وهو مجهود سوف يستغرق عدة عقود ولكنه يجب أن يبدأ من الآن.لــيس هناك فى الإسلام ما يستدعى الانغماس المســتمر فــى معتقــدات القــرن الســابع (الميلادي) التى ترى أن القرآن يجب أن يتحكم فى عالم السياسة والعلم والثقافة.إنه يعنى تغيير الثقافة التى تمكن الملايين من المسلمين المضللين الذين يعتقــدون بــأن العودة إلى الأساسيات الأصولية هو الحل المناسب لمواجهة مشاكل وهموم القــرن الواحد والعشرين.

إن الأصولية سواء كانت إسلامية أو ظهرت فى شكل ما من أشــكال اليمــين المسيحي الأمريكي أو الحركة الإسرائيلية الموغلة فى التطرف هــى دائمــا قــوة رجعية.وفى العالم الإسلامي لا يكاد يلحظ أن هناك فصلا يعتد به بــين العلمــانيين والمتدينين فعشرات الملايين من المسلمين يستطيعون أن يفصلوا بــين معتقــداتهم الدينية التى يعتبرونها أمرا خاصا وآرائهم السياسية،بالضبط كمــا يفعــل ملايــين المسلمين والمسيحيين واليهود فى الولايات المتحدة.

إن العبء يقع على هؤلاء الناس من الأغلبية الصامتة الذين يجب علــيهم أن يأخذوا زمام المبادرة من الأصوليين. وعليهم أن يطلبوا المساندة من المجتمع المدنى فى الغرب ومن منظماته ومن الجامعات ومراكز الأبحاث العلمية ومؤسسات الفكــر وغيرها ويجب أن يجابوا إلى طلبهم.

ينبغى على شعوب الشرق الأوسط أن تأخذ على عاتقها ليس فقط مهــام بنــاء الأمة ولكن أيضا بناء المؤسسات الدينية.وإذا ما هدأت حدة الجــدل السياســى فــى الشرق الأوسط فإنه يمكن أن يلتقى سويا خريجو الدراسات الدينية مع نظرائهم من الفلاسفة وعلماء الاجتماع فى مناظرات كبرى ليفرضوا معا رؤية مشــتركة بشــأن التوجهات الإسلامية الحديثة التى تتواءم والقرن الواحد والعشرين، والتى لا يجــوز

أن تظل رهينة الرؤى الذاتية للملالى وآيات الله.ويمكن من ثم أن تحظى بالإجماع وان تجد طريقها إلى كل حارة وزقاق أيا كانت درجة انعزالها أو تصدعها بدءا من المدن الكبرى فى اسطنبول والقاهرة وبغداد وكراتشى وجاكرتا ومن ثم تنتشر إلى كل القرى والمساجد. إن هذا يعنى إصلاح النظام التعليمي وبيان مناهج التعليم فى العالم الإسلامي وتجنب التركيز على الجامعات الدينية وما يطلق عليه المدارس الدينية لصالح التعليم الحديث الأمر الذى يستدعى مزيدا من المنافذ الإعلامية الجديدة فى الأماكن التى يمكن أن تزدهر فيها مع الاستعانة بالبث الإذاعي والتليفزيوني باستخدام الأقمار الصناعية والإنترنت بما يضمن الوصول إلى الأماكن التى يتعذر الوصول إليها بالوسائل العادية.إن ذلك سوف يستغرق سنوات طويلة ولا يمكن أن يتحقق دون وضع حد للصراعات المسلحة التى تزلزل المنطقة وما لم تتحسن الأوضاع الاقتصادية وتتقدم باضطراد.

إن عملية بناء العقائد مثلها مثل بناء الأمم يمكن أن يستغرق وقتا.. وقتا طويلا جدا.

*

الفصل الأول

الإسلام الشمولي الامبريالي

في سنة 1885– منذ مائة عام – قبل أن يقدم مسئولو إدارة ريجان على مبادرتهم السرية تجاه آية الله الخميني في إيران وقبل أن تنفق الولايات المتحدة بلايين الدولارات لدعم الجهاد ضد السوفييت في افغانستان الذى تصدره المجاهدون الإسلاميون الأصوليون في ذلك الحين – التقى في لندن ناشط فارسي افغاني رحالة مع مسئولين يعملون في المخابرات ووزارة الخارجية البريطانية، ليجروا معا حوارا فكريا. وتساءل هذا الناشط ما إذا كانت بريطانيا مهتمة بتنظيم تحالف إسلامي شمولي يضم مصر وتركيا وفارس وأفغانستان ضد روسيا القيصرية [1] كان هذا عصر اللعبة الكبرى عصر الصراع الإمبريالي طويل الأمد بين روسيا وبريطانيا من أجل السيطرة على آسيا الوسطى، وكان الإنجليز أصحاب الهند قد بسطوا سيطرتهم على مصر سنة 1881، بينما كانت الإمبراطورية العثمانية التركية التي تضم إضافة إلى الأراضي الأخرى التي تعرف اليوم باسم العراق وسوريا ولبنان والأردن وإسرائيل والعربية السعودية ودويلات الخليج، كانت الإمبراطورية العثمانية في حالة تفسخ وكانت أجزاء منها على وشك أن تنتزع، وإن كان موعد تقسيم الممتلكات العثمانية التركية قد تأخر حتى قيام الحرب العالمية الأولى حيث كان أكبر اجتياح إمبريالي للأرض في التاريخ يجرى في أفريقيا وجنوب شرق آسيا.

لقد برع دهاة السياسة البريطانية في اللعب على الانتماءات القبلية والإثنية والدينية وتأليب الأقليات ضد بعضها البعض الآخر.ولم يتورع خبراؤهم عن استخدام فكرة الأحياء الإسلامي طالما كانت تخدم أهدافهم من اجل تحقيق حلم الإمبراطورية البريطانية العظمى. وبالرغم من أن روسيا وفرنسا كانت لديهما نفس الفكرة إلا أن قصب السبق كان من نصيب بريطانيا بفضل عشرات الملايين من رعاياها المسلمين في الشرق الأوسط وجنوب آسيا.

---

1 – س س آدمز الأسلام والحداثة في مصر (نيويورك ط 1933 ص 10).

كان الرجل الذى اقترح سنة 1885 فكرة أن تتولى بريطانيا قيادة هذا الحلف الإسلامي هو جمال الدين الأفغانى. ومنذ سنة 1870وحتى سنة 1890ظفر الأفغانى بدعم المملكة المتحدة، على الأقل وطبقا لما ورد فى أحد التقارير وطبقا لوثيقة سرية للمخابرات التابعة للحكومة الهندية عرض الأفغانى رسميا أن يتوجه إلى مصر كعميل للمخابرات البريطانية [2]

كان الأفغانى مؤسس فكرة الإسلام الشمولي هو الجد الأكبر لأسامة بن لادن ليس بالمعنى البيولوجي ولكن بالمعنى الأيديولوجي (الفكري)* بكل ما تحمله هذه الكلمة من دلالة. وإذا أردنا أن نضع إتجيلا (جينولوجيا) لنتتبع التسلسل الفكري الوراثي للجناح اليميني الإسلامي فإننا سنخرج منه بالقراءة التالية:

الأفغانى 1838_1897 فتلميذه الإمام محمد عبده (1849– 1905) وهو ناشط إسلامي شمولي يعتبر التابع الرئيسي للأفغاني وساعد على نشر رسالته ثم تابعه الشيخ محمد رشيد رضا (1865– 1935) وهو سوري الأصل أنتقل إلى مصر وأسس مجلة المنار للترويج لأفكار الإمام محمد عبده فيما يتعلق بالنظام الجمهوري الإسلامي ثم تابعه حسن البنا (1906– 1949) الذى درس التعاليم الإسلامية على يد الشيخ رشيد رضا وأسس جماعة الإخوان المسلمين فى مصر سنة 1928.وعن ألبنا تفرعت روافد عدة منها سعيد رمضان زوج ابنة حسن البنا الذى نظم جماعة الإخوان المسلمين على النطاق العالمي حيث اتخذ من سويسرا مركزا للقيادة، وأبو الأعلى المودودى مؤسس الجماعة الإسلامية فى باكستان وهى أول جماعة إسلامية سياسية تلهمها أفكار البنا.وأقام عدد من تلامذة البنا الآخرين فروعا لجماعة الإخوان المسلمين فى كل الدول الإسلامية وفى أوروبا والولايات المتحدة.وثمة رافد آخر من روافد البنا وهو سعودي قام بدور بارز فى الجهاد الإسلامي الذى نظمته أمريكا وهو أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة وأكثر أعضائها تطرفا.

خلال نصف قرن 1875–1925 دعمت الإمبراطورية البريطانية قواعد بناء اليمين الإسلامي.فالأفغاني أرسى البناء الفكري لحركة الإسلام الشمولي برعاية بريطانيا وبمساندة ا.ج.براون E.G. Brown المستشرق القيادي البريطاني. وقام الشيخ محمد عبده التابع الأساسي للأفغاني بمساعدة إيفيلين بارنج Evelyn Baring

2- Elie Kedourie, Afghani and Abduh: An Essay on religious Unbelief and Political Activism in Modern Islam (New York: The Humanities Press, 1966),p. 30

* ينظر مقدمة المترجم فيما يتعلق بالافغانى ، كذلك ينظر مقدمة المؤلف نفسه حيث يشير الى أن" الاتجاهات الرجعية الموجودة فى الاسلام تعود الي 13 قرنا مضت ، فمنذ البدايات الاولى للاسلام دخلت الاتجاهات الظلامية واللاعقلانية والنصوصية فى منافسة مع الاتجاهات الاكثر استنارة ..." المترجم

Lord Cromer المقرب من القنصل المصرى فى لندن بتأسيس الحركة السلفية، وهى حركة يمينية أصولية تمثل التيار المطالب بالعودة إلى الأصالة السلفية وهى ما تزال قائمة حتى اليوم. ومن أجل معرفة الدور الحقيقي الذى لعبه كل من الأفغانى ومحمد عبده فمن الضروري النظر إليهما باعتبارهما ثمرة تجارب لجهود بريطانية استمرت على مدى قرن لتنظيم حركة إسلامية شمولية موالية لبريطانيا.كان الأفغانى مقـامرا وحليفا مراوغا زلقا يسوق خدماته للقوى الإمبريالية الأخرى. وأخيرا فإن الصـيغة المتسمة بالغموض وشبه الحديثة التى وضعها الأفغانى للأصولية الإسلامية قد فشلت فى أن تصل إلى مستوى الحركة الجماهيرية، ولكن تلميذه الرئيسي الشـيخ محمـد عبده أستطاع أن يكون أكثر ارتباطا بحكام مصر البريطانيين وأن يضـع القواعـد الأساسية للإخوان المسلمين التى عمت اليمين الاسلامى خـلال القـرن العشـرين. وساند البريطانيون الشيخ محمد عبده حتى أثناء انشغالهم بمشروعين سابقين علـى الحرب العالمية الأولى لاستثمار الحماس الإسلامي لصالحهم. ففي شـبه الجزيـرة العربية ساعد البريطانيون عصبة من العرب الموغلين فى التعصب تقودها عائلـة ابن سعود على إنشاء أول دولة عربية إسلامية أصولية فى العربية السعودية. وفـى نفس الوقت شجعوا الهاشميين فى مكة وهم عائلة عربية أخرى تدعى بأنها السـليل الأصيل لنبي الإسلام محمد وزرعوا أثنين من أبنائها ملكين أحدهما فـى العـراق والآخر فى الأردن.

وكان من المفترض طبقا للقواعد التى تعتبر أن العائلة الهاشمية هـي راعيـة المدينتين العربيتين المقدستين مكة والمدينة، أن تكون هى الأحـق بقيـادة العـالم الإسلامي بأجمعه طبقا لفكرة تشكيل خلافة إسلامية مواليه لبريطانيا لتحـل محـل الخلافة الأيلة للسقوط فى تركيا، إلا ان هذا المخطط لم يتم تنفيذه واقعيا بشكل كامل وإنما حل محله مخطط موازى.

منذ عشرينيات القرن العشرين فصاعدا ظهرت الدولة السعودية التى امتزجت أصوليتها الوهابية بالسلفية وتنتظم الآن فى أخـوة إسـلامية، وأصـبحت الثـورة الإسلامية وشيكة.

كان الأفغانى على أى حال هو الذى بدأها جميعا، ومثله مثل سائر خلفائه وجد الأفغانى قضية مشتركة مع القوى الإمبريالية المتصارعة على النفوذ فـى أنحـاء المنطقة الواسعة الكائنة بين شرق إفريقيا والصين.

لسنوات عديدة بعد وفاته صوره عدد كبير،ولكن ليس كـل مـؤرخى حياتـه ومتابعيها، صوروه بوصفه مؤمنا وداعيه صـلبا للصـحوة الإسـلامية ومعاديـا

للإمبريالية ومناهضا هادرا ضد القوى الكبرى ومصلحا لبراليا (متحررا) يحاول أن يهذب إسلام العصور الوسطى بالعقلانية العلمية المستنيرة. وبينما كانت بعض العناصر من هذه الصفات لصيقة بمهنة الأفغاني إلا إنه فوق أي اعتبار آخر كان ساحرا سياسيا يستخدم العقيدة لصالح أهداف مؤقتة. وفى ذات الوقت كان حليفا، تابعا، وأداة في يد القوى الإمبريالية. وبالرغم من أنه لم يضيع أي فرصة ليقدم خدماته بالتتابع للبريطانيين ثم الفرنسيين فالروس وكان عميلا لثلاثتهم جميعا، فإن أتباعه وخاصة الشيخ محمد عبده ازدادوا تقربا من البريطانيين.

إن جمال الدين الأفغاني المولود سنة 1838م ولد فيما يبدو فى بلاد فارس، ولكنه اتخذ لنفسه لقب "الأفغانى" ليعطى الانطباع بأنه ولد فى أفغانستان لعله باتخاذه أصلا أفغانيا يتمكن من إخفاء هويته باعتباره فارسيا أو شيعيا حيث الشيعة هى الفرع الأصغر من الإسلام ومن ثم يمكن أن يحظى بقبول أكثر فى معظم البلاد الإسلامية السنية وكانت كذبته فيما يتعلق بمحل ميلاده هى المحاولة الأولى. وطبقا لما ذكره "إيلى قدوري" وهو أحد المستشرقين البريطانيين القياديين فإن تابعي الأفغانى (بمن فيهم محمد عبده ورشيد رضا) قد "مارسوا لعبة إجتزاء الحقيقة"[3] فطوال حياته كان الأفغانى مرائيا، وبالرغم من أنه كان بحق موضع تقدير لأنه طور الأساس النظري للحركة الإسلامية السياسية والاجتماعية الشمولية التى تحتوى العالم الإسلامي بكامله فإنه كان مفكرا هرطقيا وكان ماسونيا حرا، روحانيا وناشطا سياسيا وفوق كل اعتبار آخر، على نحو ما كتب قدوري يؤمن "بالفائدة الاجتماعية للدين "[4] كان الأفغانى ينظر إلى الدين بوصفه أداة. فى الظاهر كان الأفغانى يبدو تقيا يبنى خطة مفصلة لسياسة محكومة بعاملين؛ نصوص القرن السابع (الميلادي) للمجتمع الإسلامي البسيط فى مكة خلال عصر الرسول، غير أنه- فى كتاباته الموجهة للخاصة من الناس- كان أكثر وضوحا فيما يتعلق بمعتقداته: " إننا لا نجتث رأس العقيدة إلا بسيف العقيدة. ومن ثم فإذا قدر لك أن ترانا الآن فإنك لن ترى سوى الزاهدين العابدين الراكعين الساجدين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون."[5]

3- قدوري ص 6

4- المرجع السابق ص 13

5- مقتبس من قدوري ص 6

ويلاحظ قدوري أن هذا الخطاب يوضح بشكل مطلق أن أحد أهداف الأفغـانى التى يعرفها ويوافق عليها تلميذه محمد عبده هى سيادة العقيدة الإسلامية وأن أسلوب تحقيق هذه الغاية يقتضى الممارسة الكاذبة ولكن المظهرية للعقيدة [6]

وفى الحقيقة بالرغم من أن الأفغانى يدعو الجماهير إلى الأصولية الإسلامية، فإنه كان فى السر ملحدا ينتقد ليس فقط الإسلام ولكن كل العقائـد الأخـرى، فـى مخاطبته لكل مستمعيه من الجماعات الخاصة الضيقة الأخرى.

كتب الأفغانى يقول: "أن الأديان أيا كانت مسمياتها – تشبه كل منها الأخرى وليس ثمة أمكانية للتفاهم أو المصالحة بينها وبين الفلسفة– فالدين يفرض على كل إنسان الإيمان به ويفرض عقيدته. بينما الفلسفة تحرره منها كليا أو جزئيا – ويختتم الأفغانى كلامه قائلا:

"لكن العقل لا يريح الجماهير كما أن تعاليمه لا تدركها سوى القلة من النفوس المختارة"[7] ان ألمعية هذه الفقرة هى مكون أساسي من مكونات شخصية الأفغـانى المبهمة – فطوال حياته كان للأفغاني رسالة واحدة للجماهير ورسالة أخرى للنفوس المختارة: للجماهير الإسلام الشمولي، وللصفوة نوع خاص من الفلسفة الانتقائيـة – وكان يتمنطق بمعاداة الإمبريالية حيثما وجد ذلك متفقا وأهدافه، ولكنه كان وكـل هؤلاء الذين يشكلون حركته الداخلية ينشغلون فى تحالف تآمرى مع نفـس هـؤلاء الإمبرياليين.

ومع ذلك فإن الكثير من المؤرخين يأخذون من قصة الأفغانى وجهها المضئ، وجه الناشط الإسلامي الذى ساعد على إنشاء حركة من شأنها أن تستعيد للإسـلام ماضيه المجيد، ان تستعيد فطرته الاولى، الأيام الذهبية لحكم الرسـول فـى مكـة والمدينة.

ويعتبره آخرون أكثر معقولية محاربا جسورا ضد الامبريالية ومصلحا يحاول أن يجلب الاستنارة والعقلانية بإسلام يحد منه وتشوهه تقاليد ثقافية تحكم فيها رجال دين متحجرون. وللأسف فقد روج لهذه الرؤية عدد من قادة المستشـرقين الأنجلـو أمريكان، على سبيل المثال كتب هـ. جب H. A.R.Gibb صاحب المؤلف الكلاسيكي "الاتجاهات الحديثة فى الإسلام" Modern Trends in Islam سنة 1947 كتب يقول:

6- المرجع السابق

7- وجهات نظر الأفغانى عن الدين مقتبسة من قدوري ص 44

"أن الأفغاني كان يؤمن بدولة تحكمها الأصولية القرآنية السليمة" [8] ممزوجة بـالفهم العصري. بينما يذكر "ولفريد كانتول سميث" أن الأفغاني: هو المسلم الحقيقي المعبر عن عصره وفي مؤلفه ذائع الصيت (الإسلام في التاريخ المعاصر) Islam in Modern History يكتب سميث مبهورا بمعاداة الأفغاني المزعومة للإمبريالية قائلا: " كان الأفغاني يرى أن الغرب جدير بأن يناهض لأنه يهدد الإسلام والمجتمع، وكان يناشد مستمعيه من المسلمين بحماس أن يعملوا على تنمية العقلانية والتكنولوجيا كما يفعل الغرب حتى يصبحوا أقوياء....... ولاشك أن هذه المناشدة من جانب رجل بعيد عن تحمل المسؤولية إلى أخر يتحمل مسئولية ما يصدره من قرارات، كان ينفذ بطريقة تكاد تكون خالية من أية ضغوط أو حماس ديناميكي) [9].

كتب سميث مبديا إعجابه بالأفغاني قائلا:

"من الناحية الجغرافية شملت مهمته إيران والهند والعالم العربى وتركيا وكذلك أوربا الغربية – كان صوفيا وسنيا فى آن واحد – وكان داعية للمصالحة مع الشاه. واستطاع الجمع بين التعاليم الإسلامية التقليدية والألفة مع أوربا الغربية ومعرفة فكرها الحديث.... وكان ملهما للثوريين السياسيين والعلماء الأجلاء ودافع عن القضايا الوطنية المحلية والإسلامية الشمولية وأستطاع أن يحقق قدرا كبيرا من التطور اللاحق للشئون الإسلامية. وفى الواقع فإنه بفضل شخصيته ومهنته فليس هناك سوى القليل مما تحقق للإسلام فى القرن العشرين لم تغطه مسبقا شخصية الأفغانى [10].

كان سميث محقا فيما أضافه من أن الأفغانى " أول دعاة الإحياء الإسلامي الذين لاحظوا ظاهرة التناقضات التاريخية بين الإسلام والغرب " [11] وهو ما يجعل من الأفغانى صاحب نظرية تصادم الحضارات التى شاعت بعد قرن على يد برنارد لويس Bernard Lewis وصامويل هنتنجتون Samuel Huntington، وسواء كان الأفغانى ديناميكيا لا يمكن قهره حسبما قدر سميث أو مجرد إنتهازى فليس من شك فى الدور الذى لعبه كعراب للإخوان المسلمين والتنظيمات المشابهة فى اليمين

8- مقتبس من قدوري ص 4 وعلق قدوري على وجهة نظر جب ساخرا بقوله "مما لا شك فيه أن الأفغانى سوف يكون شاكراً إذ يرى أنه بعد مضى نصف قرن على وفاته – أن تكون إدعاءاته فيما يتعلق بالأصولية القرآنية السليمة لا تزال مقبولة بلا جدال

9- ولفرد كانتويل سميث الإسلام فى التاريخ الحديث نيويورك 1957 ص 54

10- سميث ص57،56

11- المرجع السابق ص55

الإسلامي. ومما لا شك فيه أن مناضلي الإخوان المسلمين المخلصين سوف يصدمون عندما يعلمون أن ملهمهم الأسبق جمال الدين الأفغانى كان ملحدا وكان من الماسونيين الأحرار* ومع ذلك فإن كتاب ريتشارد ميتشل Ritchard P. Mitchell عن " جمعية الإخوان المسلمين " يعتبر مرجعا حاسماً فيما يتعلق بهذا التنظيم. يلاحظ أن شجرة النسب الخاصة بمناضلي هذا التنظيم وإرهابييه الذى بلغ القمة فى مصر بعد الحرب العالمية الثانية تعود جذورها بشكل مباشر إلى الأفغانى.

لقد حدد الإخوان بوضوح وضع حركتهم على خط الحركة الإصلاحية التى وضعها ورعاها كل من جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده ورشيد رضا. وكتب ميتشل أن " الإخوان يحسون تجاه الأفغانى بحميمة خاصة ويشعر الكثير منهم أن الأفغانى هو – الأب الروحي لحركتهم – وكان حسن البنا يقارن به فى معظم الأحوال"[12]

الأفغانى وتابعوه

بدأت حياة الأفغانى العامة سنة 1869 حينما غادر أفغانستان، ولم يعرف عن حياته قبل ذلك سوى الشيء القليل. وقد أعلن الأفغانى أنه خاض معمعة العمل السياسي فى أفغانستان فى ستينيات القرن التاسع عشر. وحسبما ذكر أحد العلماء القياديين قام بذلك خلال الفترة التى كان فيها عميلا لروسيا [13]، غير أن تأثيره الذى أستمر بعد ذلك بدأ فقط منذ سنة 1869 حينما أخذ على عاتقه سلسلة من المهام التى استمرت لمدة ربع قرن من المعاناة. وكانت باختصار مهاما تصيب بالدوار. فقد توجه أولاً إلى الهند حيث رحبت سلطات الاحتلال البريطاني بالداعية الإسلامي واستقبلته باحترام واستضافته على متن سفينة حربية تملكها الحكومة مع تحمل كافة نفقات الرحلة حتى السويس. وبعد زيارته للقاهرة توجه إلى تركيا حيث تسببت معتقداته الدينية غير الأصولية فى غضب عارم فى أوساط المؤسسة الدينية مما دفع الحكومة التركية إلى طرده غير مأسوف عليه. ولدى عودته إلى القاهرة تبنى رياض باشا رئيس الوزراء المصرى هذه الزيارة فى مواجهة حركة رجعية عدائية

---

* ينظر احمد شفيق باشا " مذكراتى فى نصف قرن" ج 1 ص 108-110 - المترجم

12- جمعية الإخوان المسلمين لندن مطبعة جامعة أكسفورد سنة 1969 ريتشارد ميتشيل

13- Nikki Keddie - الأفغانى فى افغانستان 40 (1)، Middle Eastern Studies

تقودها الحركة الوطنية الناشئة فى مصر، مما دفع رياض باشا إلى تشجيع الأفغانى وحثه على الإقامة فى مصر وسمح له بالإقامة فى الجامع الأزهر العتيد بالقاهرة وهو يعتبر مركز التعليم الديني الإسلامي حيث منح الإقامة فضلا عن جعل حكومي شهري. وكانت هذه أول وظيفة رسمية يحصل عليها الأفغانى كداعية إسلامي - كانت أول ولكنها ليست آخر مرة يدرج فيها اسمه فى كشف عطايا إحدى القوى الإمبريالية أو إحدى البلاد التابعة لها. وأمضى الأفغانى ثماني سنوات فى معمعة السياسة المصرية وحتى عشية القصف المدفعي البريطاني لمدينة الإسكندرية والاحتلال البريطاني لمصر. وهكذا بدءاً من الترحيب الذى لقيه فى الهند على يد بريطانيا ثم نقله إلى مصر بواسطة الحكومة البريطانية إلى رعايته من قبل عملاء بريطانيا فى مصر، وضع الأفغانى بصبر حجر الأساس للإسلام الشمولي. غير أن تقلبات السياسة المصرية التابعة لم تكن رحيمة به باستمرار. فقد اكتسبت الحركة الوطنية فى مصر زخما (ما لبث أن سحق بواسطة البريطانيين) وتقلص تأثير الأفغانى. وفى سنة 1879 طرد من مصر بادئا رحلة أخذته إلى الهند فلندن فباريس (حيث مكث ثلاث سنوات) ثم روسيا (حيث قضى أربع سنوات) ثم ميونخ فإيران. فى إيران عينه الشاه وزيرا للحرب فرئيسا للوزراء. ولكن سرعان ما افترق الأفغانى والشاه، فقد أخذ الأفغانى يقوم بالتحريض ضد الملكية الفارسية سابقا بذلك ثورة آية الله الخميني.

فى سبعينيات القرن التاسع عشر لجأ الأفغانى إلى المسجد وأخذ ينظم رجال الدين لمساندته، حتى تم القبض عليه ورحل إلى تركيا. وفى سنة 1896م قام أتباعه باغتيال الشاه لينهوا بذلك خمسين عاما من حكمه. وتوفى الأفغانى سنة 1897م.

كانت نشاطات الأفغانى السرية هى التى تدفع به بعيدا. ففي سبعينيات القرن التاسع عشر أثناء وجوده فى مصر عندما كان يمتهن التدريس دأب الأفغانى على ارتياد المجتمعات الماسونية الأنجلو مصرية والفرنسية المصرية ولكنه كان يلتزم السرية بما فى ذلك انتماءه للصوفية. وعند طرده من مصر ذكر القنصل البريطاني فى مصر فى أحد التقارير المخابراتية أن الأفغانى طرد حديثا من جماعة " الماسونيين الأحرار" فى مصر ألمسماه" المحفل الاسكتلندي العام" General Scotch Lodgeالتى كان ينتسب إليها بسبب عدم إيمانه "بالكائن الأعظم ". وطبقا لما ذكره قدوري كان الأفغانى عضوا فى الجماعة العامة للماسونيين الاسكتلنديين الأحرار[14] التى كانت تنتظم حول الأسرار المدعاة للأهرامات المصرية وما يطلق عليه "

14- قدورى ص20-21

المهندس الأعظم "،وهى وجهة نظر الماسونيين الأحرار بشأن الإله وفـى حقيقـة الأمر فإن كثيرا من الموظفين البريطانيين والفرنسيين فى مصر فى القرن التاسـع عشر كانوا مفتونين وأسرى فكرة "سحر الشرق " والأهرامات والعقيـدة الماسـونية ونواح معينة من السرية التى تغلف فكرة الأخوة واستخدموا العديد من هذه الأشكال من الأخوة كقنوات متنافسة للقوى الإمبريالية.

وحدث فى أواخر سبعينيات القرن التاسع عشر أن التقى الأفغانى ذلك الرجل الذى سيغدو أهم تلاميذه وهو محمد عبده. وبوصفه شخصية راسخة من شخصيات الأزهر، جامع القاهرة التاريخي، جمع الأفغانى حوله مجموعة من المعاونين. ولـم يكن هناك من هو أكثر قربا منه شخصيا سوى محمد عبده. وقد ولد محمد عبده فى القاهرة سنة 1849م لعائلة تضم علماء مخلصين للإسلام. وحفظ القرآن فـى سـن العاشرة وكان قادرا على قراءته طبقا للقراءة المعروفة التى يقرؤه بها الكبار وبنفس طريقتهم الروحانية. كانت الطريقة الصوفية كتيار وسطى قديم فى الإسلام تنـاقش العديد من التيارات الوسطية الأخرى فى نظرتها إلى "وحدانية الله " وأفرزت الحركة "طرقا" أو"أخوانيات" أخرى تشكل بعضها كمجتمعات سرية مغلقة بينما تشكل البعض الآخر كحركات وراثية تاريخية تنتشر فوق مناطق جغرافية شاسعة. وافتتن محمـد عبده فى التو واللحظة بالأفغاني وارتبطا معا. وطبقا لقدورى الـذى أرخ للأفغـانى ومحمد عبده:"عندما التقى محمد عبده بالأفغاني. كان فى حوالي الثانية والعشـرين شابا متحمسا يمر بمرحلة حرجة من مراحل حياته الروحية الأمر الذى جعله قـابلا للتأثر. ولكن مما لا شك فيه أن الأفغانى كان يتمتع بشخصية قوية جذابة تمكنه مـن أن يكون له مثل هذا التأثير الفكري العجيب الذى امتد لسنوات طويلة بعـد ذلـك. وكانت الرابطة التى تجمع بينهما أشبه ما تكون بعقيدة خفية تـربط بـين الأسـتاذ وتلميذه بشكل سرى." [15]

عمل الرجلان معا لمدة ثمان سنوات 1871م/1879م ولم يقوما بعملية التنظيم فى مصر فحسب ولكن فى المنطقة بأسرها. وأنشآ مجموعات مختلفة مـن الأتبـاع ضم بعضها مجموعة من المسيحيين الذين يمارسون طقوسا سرية من سوريا جذبتهم إلى الأفغانى رسالته المنادية باستعادة الماضي، وأسسا جمعية الشـبيبة المصـرية السورية. وشيئا فشيئا تمكن من حشد حلقة من المريدين المخلصين حول الأزهـر. سنة 1878م قام رياض باشا رئيس الوزراء وحامى الأفغانى بتعديل فـى سياسـته واختار محمد عبده لوظيفة ممتازة كمدرس للتاريخ فى دار العلوم – وهى مدرسـة

15- المرجع السابق ص8

إسلامية أنشئت حديثا – وأستاذا للغة والأدب في منشأة أخرى. وبخروج رياض باشا من السلطة غادر الأفغاني ومحمد عبده مصر حيث أخذ الوطنيون في الجيش زمام المبادرة في القاهرة بقيادة البطل المصري الشهير أحمد عرابي وهو ضابط في الجيش برتبة قائمقام "عقيد "، وكان وزيرا للحربية عندما قام بثورة ضد الحكم البريطاني في مصر غير أن ثورة عرابي سحقت وأكمل البريطانيون احتلالهم لمصر ونفى عرابي لجزيرة سيشل " سيلان".كان محمد عبده يعارض المقاومة المسلحة لبريطانيا واقترح التوصل إلى حل وسط وأدان استخدام القوة وحاول التوصل إلى حل وسط بين الوطنيين المتطرفين في الجيش وخطط لندن الإمبريالية. يلخص رشيد رضا المؤرخ والمساعد الرئيسي لمحمد عبده، يلخص ذلك بقوله أنه(أي محمد عبده)" كان معارضا للثورة العسكرية بالرغم من أنه كان القوة الروحية الموحية للحركة الثقافية. كان يكره الثورة وكان معارضاً لقادتها"[16]

كان هذا نموذجا يحبب إستراتيجيي الإمبريالية الغربية في الجناح اليميني الإسلامي خلال العقود التالية. كانت معارضة الأفغاني ومحمد عبده للوطنية المصرية ومساندتهما للمفهوم الضبابي للدولة الإسلامية، نذيرا بما سيؤول إليه أمر الإخوان المسلمين في معارضتهم للرئيس جمال عبد الناصر في خمسينات القرن العشرين، وهو ما فعلته حماس (المقاومة التابعة للإخوان المسلمين) في فلسطين بالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية، فضلاً عن الأمثلة الأخرى حيث عارض الإسلاميون القضية الوطنية والحركات اليسارية خلال الحرب الباردة.

لم يحصر الافغاني ومحمد عبده نفسيهما فقط في التنظير الفكري للدراسات الإسلامية،فحينما طرد الافغاني بصفة نهائية من مصر، اتهم ومحمد عبده بتنظيم " جمعية اسلامية من (الشباب وقطاع الطرق)" وهو تعبير قصد به مجموعة من أعضاء المحفل الماسوني الذين يصعب السيطرة عليهم كان يقودهم الافغاني"[17]وكانوا بمثابة النذير للتنظيم شبه العسكري الذي شكله الإخوان فيما بعد في ثلاثينات القرن العشرين. ولدى مغادرة مصر عمّد الافغاني الشيخ محمد عبده ليكون الخلف المناسب له قائلا:" انني اترك فيكم الشيخ محمد عبده وكفى به عالما لمصر"[18]. نفي محمد عبده مؤقتا الى قريته في مصر، ومع ذلك فقد التحق بالأفغاني

16- أدمز ص54

17- المرجع السابق ص ص 30-31

18- آدمز ص 18

فى باريس ثم عاد الى مصر ظافرا بالمساندة الكاملة من جانب ممثلي صاحبة الجلالة مسئولي الإمبراطورية فى مصر.

لدى مغادرته مصر سنة 1879 توجه الافغانى الى العربية السعودية ثم الى الهند ليغادرها الى باريس ليلحق بمحمد عبده حيث تعاون الرجلان فى اكثر أعمالهما فعالية في باريس فقاما سنة 1880 بإنشاء سلسلة من الأعمال التى قدر لها ان تستمر حتى بعد وفاتهما. ففى سنة 1884 بدأ الرجلان ينشران مجلة أسبوعية أطلقا عليها " العروة الوثقى". وبرغم أنه لم يصدر منها إلا 18 عددا فقد كان لها تأثير كبير. وغير واضح بعد كيف كانت تمول وان كان قدوري يرى أنها كانت تدعم سرا من قبل الحكومة الفرنسية التى تحول إليها الافغانى بعد رفض عرضه السابق فى الهند[19] بالعمل لحساب بريطانيا. ويرى س.س.ادمز C.C.Adams الذى كتب سنة 1933 اشمل موسوعة لتاريخ حياة الافغانى، يرى ان "العروة الوثقى" كانت أداة لتنظيم سرى بنفس الاسم أسسه الافغانى من مسلمين فى الهند وشمال إفريقيا وسوريا يهدف الى "وحدة المسلمين وإيقاظهم وتعريفهم بالأخطار التى تواجههم ويقودهم الى طريق مواجهة هذه الأخطار"[20]

ونظم الافغانى كذلك جمعية اسلامية شمولية فى مكة تهدف الى إيجاد خليفة واحد يقود العالم الاسلامى كله، ومن غير الواضح هل كان الافغانى ومحمد عبده يقومان بذلك بمبادرة منهما فى ذلك الوقت أم – وهو الأرجح– بالتعاون مع لندن او باريس، إلا ان الحكومة الفرنسية على أية حال قامت بإيقاف مجلة العروة الوثقى.

توجه الافغانى ومحمد عبده الى لندن بزعم مناقشة الأزمة في السودان حيث اقترحا فكرة إقامة حلف اسلامى شامل مع بريطانيا العظمى. وقدم هذا الاقتراح فى غمرة تمرد قبلي ديني تقوده شخصية كاريزمية يدعى محمد احمد وهو شيخ سوداني ادعى انه المهدي المنتظر او المنقذ وقاد تمردا إسلاميا متشددا. ونشب صراع بين اتجاهين إسلاميين يقود المهدي احدهما وهو تمرد يتسم بالوحشية حيث كانت المشاعر الوطنية تتخفى جزئيا فى لغة دينية، والاتجاه الآخر وهو اتجاه افغانى موالى للبريطانيين، نزعته الإسلامية تري فى المهدي شخصا بدائيا فظا. فى سنة 1885 استطاعت قوات المهدي التى تطلق على نفسها " أنصار النبي " ان تلحق

19 – المرجع السابق ص 39 –يقول قدوري :"من الوارد طبقا لاى تقدير الافتراض بأنه إذا كان قد عرض تقديم خدماته على البريطانيين، ان يقدمها مرة اخرى الى الفرنسيين ". وعلى اى الأحوال فان فرنسا سمحت بالعروة الوثقي بينما حظرتها بريطانيا ومصر والهند.

20 –أدامز–ص ص9 و5

الهزيمة بالجنرال البريطاني الشهير شارلس غوردون وان تقتله وتحتل الخرطــوم. وحاول الافغاني ان يستعيد مصداقيته كداعية اسلامي شمولي بإبداء استعداده شفاهة ان يقدم خدماته للمهدي وفي نفس الوقت يستمر فــي جنـــي الثمـــار مـــن رعاتــه البريطانيين، معارضا من خلف الستار الثورة السودانية قائلا:" انني اخشي مثلي مثل سائر العقلاء ان يؤدي انتشار هذه النظرية (المهدية) وزيادة عــدد مؤيــديها الــى الإضرار ببريطانيا وبكل من له مصالح في مصر". ويكتب الافغــاني فــي مقــال منفصل بعنوان: "انجلترا على شواطئ البحر الأحمر" فيجادل بان المهدى اسـتطاع ان يحظى بتأييد "ذوى العقول البسيطة". ويقترح في مقال آخــر ان تقابــل ثــورة المهدى فقط بتحدي معارض يستخدم الإسلام في تنظيم مبادئه، ويكتب قائلا:" ان قوة الدعوة الإسلامية لا يمكن ان تقابل إلا بقرار اسلامي وليس من احد بقادر ان يناضل ضد هذا الدعي ويضعه في حجمه المناسب إلا رجالا مسلمين" [21].

بتعبير آخر فان الافغاني يدعو الى محاربة النار بالنار اي الإسلام بالإسلام". غير انه من الواضح ان البريطانيين لم يأخذوا باقتراحه هذا وقابلوه بالرفض، الامر الذي أغضبه، ولكن محمد عبده بقي على ولائه للبريطانيين. ومضيا كل في طريقه منعزلا عن الآخر، الافغاني ولى وجهه شطر روسيا بينما ارتحل محمد عبده الــى تونس في شمال إفريقيا. ومن هناك توجه محمد عبده" خفية الى عدد مــن البلــدان الأخرى عاملا على تقوية التنظيم الاجتماعي الذى سبق لهما إنشاؤه"[22]. على الاقل كانت رسالتهما الى الجماهير هى احدي رسائل الإسلام الشمولي في أنقى صوره:

" ان عقيدة الإسلام هى الميثاق الوحيد الذى يمكن ان يوحــد مســلمي جميــع البلدان وان يمحو كل آثار التمييز العرقي(الجنســي) او المواطنــة....ان الشــعوب الإسلامية كانت ذات يوم موحدة في إمبراطورية عظمى وكانت منجزاتها في التعليم والفلسفة وكافة العلوم وما زالت مفخرة لكل المسلمين. انه فرض عين علــى كــل المسلمين ان يساعدوا في استعادة نفوذ الإسلام والحكم الاسلامى لكل الــبلاد التــى كانت يوما ما اسلامية. ان العلاج الوحيد لكل هذه الأمم هو العــودة الــى أحكــام عقيدتهم وممارسة متطلباتها على النحو الذى كانت عليه في البدايــة أيــام الخلفــاء الأوائل....والقرآن هو السلطة العليا التى تعلوهم جميعا"[23]

---

21 -آدمز ص 9 ،

22 – قدوري ص 54

23 – المرجع السابق ص 58

هذا الكلام يبدو اليوم نموذجا للوعاء الاسلامى الذى يغترف منه ويؤخذ من مطبوعات الإخوان المسلمين او رسائل القاعدة، ولكنه فى ثمانينات القرن التاسع عشر كان يمثل فكرا جديدا- فكرا ثوريا. فلعدة قرون خلت لم يسمع المسلمون مثل هذا التحدي من اجل تجديد مجتمعاتهم على النمط الذي كان سائدا خلال حكم الخلفاء الأوائل.ان هذه الدعوة الى امتشاق الحسام التى نشرت فى العروة الوثقي من اجل ان يهب المسلمون لاستعادة الحكم الاسلامى " لكل الأراضى التى كانت يوما ما اسلامية " تقرأ كما لو أنها دعوة جهادية لاستعادة أجزاء من اسبانيا وأوربا الوسطى وكل البلاد التى وقعت تحت سيطرة المسيحية أو غيرها من الأديان". كانت هذه الرسالة تمثل تحديا من شأن ما تعد به ان يأخذ بالباب لورنس ومخابراته البريطانية المحتشدين فى المكتب العربى بالقاهرة خلال الحرب العالمية الاولى، حينما أخذت لندن باقتراح الافغانى ومحمد عبده بعد وفاتهما لحشد المسلمين من اجل خلافة اسلامية جديدة يمكن ان تقوض فى الحال أركان الامبرطورية التركية المتداعية وتهدد روسيا.

كان محمد عبده قد عاد لتوه متخفيا الى مصر بعد إحدى جولاته فى ثمانينات القرن التاسع عشر وشاهد البريطانيين يبعثرون الوطنيين المصريين. وفى أواخر ثمانينات القرن التاسع عشر القي محمد عبده بثقله، علنا الى جانب اللورد كرومر والإدارة البريطانية فى مصر. وفي سنة 1888 وبمساعدة كرومر عاد محمد عبده علنا الى مصر وحصل على أول وظيفة من الوظائف العديدة التى تولاها فى القاهرة. ومثله مثل الافغانى تحدث محمد عبده بهدوء عن الوظيفة الاجتماعية للدين.[24]

ويحلل قدورى مجموعة محاضرات محمد عبده في بيروت التى نشرت بوصفها " رسالة" ويختتم تحليلاته قائلا: " من الواضح ان.... الرجل الذى يبدو غامضا حاليا وقديسا فى الظاهر كان في السر مفكرا حرا مثل أستاذه".

عندما عاد محمد عبده الى القاهرة دخل فى شراكة مع اللورد كرومر ممثل الامبريالية البريطانية في مصر. كان كرومر الذى ولد باسم ايفلين بارنج Evelyn Baring سليلا لعائلة بارنج البالغة القوة في مجال الأعمال البنكية فى مدينة لندن، وكان يعمل فى سبعينات القرن التاسع عشر بوصفه المفوض البريطاني الأول في مكتب صندوق الدين المصري منسقا عاما لهذا الصندوق. وبعد ان سحقت بريطانيا

24- مقتبس من آدمز ص 59-60

الثورة العرابية عاد بارنج الى مصر سنة 1883 وكيلا لبريطانيا وقنصلا عاما لهـا وعمل حاكما فعليا لمصر حتى 1907. وأصبح كرومر ومحمد عبده أصدقاء وأهلا لثقة بعضهما البعض، المناضل الإسلامي من جانب والارستقراطي البريطاني احـد بناة الإمبراطورية من جانب آخر. وأصبح كرومر راعيا لمحمد عبـده وبمسـاعدة كرومر اختير محمد عبده ليترأس لجنة إعادة تنظيم الأزهر ويصبح رئيسا لتحرير" الجريدة الرسمية" وليقع عليه الاختيار فى المجلس التشريعي المصري حيث اصـبح العضو القيادي الذى يؤخذ رأيه فى كل قضية ويستمع إليه باحترام وتـولى رئاسـة اكثر لجانه أهمية"[25]

وأخيرا بعد سنتين من وفاة الافغانى عين محمد عبده مفتيا لمصر سنة1889. وبوصفه المفتى اصبح محمد عبده المفسر الأعظم للقانون الإسلامي (الشريعة) لكافة أنحاء البلاد وأصبحت فتاويه أو آراؤه القانونية التى تمس كل شيء يحـول إليـه، ملزمة ونهائية"[26]، وأعطاه ذلك أيضا سلطة شرعية هامة حيث ساعد فى الإشـراف على الأوقاف الدينية الغنية.

وبينما كان نفوذ محمد عبده فى مصر يزداد قوة كان الافغانى يقضـى بضـع سنوات فى روسيا حيث توجه الى هناك غاضبا بعد ان رفضـت لنـدن عرضـه المساعدة فى بناء تحالف اسلامى شامل. وطبقا لقدورى كان الافغانى – على الاقل لبعض الوقت– " زبونا ومن ثم عميلا لروسيا"[27]

وحسبما أشارت التقارير حاول ان يبيع لروسيا فكرة انه قادر على مسـاعدتها فى إشعال شرارة الثورة فى الهند، قلب الإمبراطورية البريطانية. و" طبقـا لأحـد تقارير المخابرات البريطانية سنة 1888 " استطاع الافغانى ان يؤثر علـى بعـض المسئولين الروس ويقنعهم بإمكان قيام هبة عامة في الهند حالما يعطـى الـروس الإشارة."[28].ولكن يبدو ان الروس لم يشتروا ما حاول الافغانى بيعه لهم وسرعان ما عاد الى لندن.

كانت اتصالات الافغانى فى لندن متنوعة، فقد انخرط فى عالم يضم خليطا من المفكرين الأحرار والماسون والروحـانيين والشخصـيات الغامضـة والصـوفيين

25- قدورى ص 14

26 - آدمز ص 83

27 - المرجع السابق ص 79

28 - اقتباس من قدورى ص 56

وآخرين منءأصحاب العقيدة التجريبية واللاهوتية كما يـزدان بالكتـاب والرحالـة والمستشرقين المبهورين بما يطلق عليه الشرق الأدنى. كانت أيام جمـوح وكانـت لندن في نهاية القرن التاسع عشر مثل إناء هائل يغلي بالنشاط العقائدي. كان العديد من المثقفين البريطانيين وعدد ليس بالقليل من الامبرياليين مأخوذين بنزعة العثـور على نوع ما من الكئوس المقدسة، نظرية عامة موحدة للعقائد الدينيـة. واكتسـبت عقيدة التوفيق بين الأديان إتباعا من النخبة جنبا الى جنب مع فكرة احتمال ظهـور عقيدة جديدة أو نظام جديد من العقيدة، نظام يسـتطيع ان يوحـد جميـع الثقافـات المتعددة للإمبراطورية.

وبدأت العقائد التجريبية التي تعود جذور بعضها الى أوائل القرن التاسع عشر، بدأت فى الازدهار. أما الافغانى الذي كانت نظرته الى الإسلام قد صقلتها التزاماته الأكثر عمقا بالعمل السري وإخوان الصفا والماسونيين الأحـرار ومـذهب الشـك الفلسفي فقد كان منفتحا عليها جميعا.

استأنف الافغانى فى لندن اتصالاته مع المستشرق البريطاني ادوارد جرانفيـل براون Edward Granville Brown وتعد من اكثر اتصالاته أهمية.

لربما كان براون،وهو أستاذ فى جامعة كامبردج هو الأب الروحي للاستشراق فى القرن العشرين سيما فى مجال الدراسات الفارسية والدينية وكان يتمتـع بنفـوذ كبير ليس فقط لدى الأكاديميين بل وكذلك لدى واضـعي السياسـة حتـى وفاتـه سنة1926. وكما سنري كان براون مدرسا وصديقا للسلطويين بمن فيهم اثنين مـن القياديين العاملين فى المخابرات البريطانية وهما هارى سان جون بردجر فيليبـي Harry St.John Bridger Philiby وت.ا.لورنس T.e.Lawrence ففي غمرة انشـغال بريطانيا بالحرب العالمية الاولى فى الشرق الأوسط، كان براون خلال الثمانينـات والتسعينات يقوم بإسفار واسعة فى العالم العربى وتركيا وإيـران وتخصـص فـي الحركات المتعلقة بالنظم الدينية مثل الصوفية وغيرها من العقائد البديلة الغامضـة التى أخذت تظهر فى الشرق الأوسط.

كان الميرزا محمد باقر هو المدرس الفارسي لبراون الذي كتـب عـن بـاقر قائلا:" لقد تعلم (وتعلم بشكل جيد) ستة لغات وكان حسب التسلسل: شيعيا، محمديا، درويشا، مسيحيا، ملحدا، يهوديا وانتهى به الأمر الى ابتداع نظام ديني خـاص بـه أطلق عليه اسم " المسيحية الإسلامية"[29]. وأصبح الرجلان وثيقي الصـلة، واخـذ

---

29 – مقتبس من قدورى ص 57

براون،ملهما بإعمال جوزيف جوبينو Joseph Gobineau المتخصص في عقائد أسيا الوسطى،ينقب فى حركات مثل البهائية وطور مفهوما لهذا لنظام الدينى يخلب اللب مدى الحياة.

مثلها مثل "المسيحية الإسلامية" التى ابتدعها ميرزا باقر، طور البهاء عقيـدة فريدة توفيقية مقرها الرئيسي فى إيران ولها مراكز أمامية فـي حيفـا وغيرهـا. ولسنوات طويلة كان ينظر الى هذه العقيدة فى الشرق الأوسط بارتياب حيث اتهمها القادة السياسيون والدينيون ذوو العقول التآمرية بـان لهـا علاقـات بالماسـونية وارتباطات بالمخابرات البريطانية

ولكن البهائيين كانوا صراحة بريطانيين الهوي،وبعد الحرب العالمية الاولـى منحت بريطانيا احد منشئيها، عبد البهاء لقب فارس ولربما اصبح بـراون الناشـر الرئيسى لمطبوعات البهائيين في الغرب. ومن الواضح انه كان يؤمن بان الحركـة البهائية سوف تلعب دورا تشكيليا فى مستقبل الدين فى الشرق الأوسط.

كان لكل من الافغانى ومحمد عبده صلات متعددة مع براون وميـرزا بـاقر والبهائيين. وطبقا لقدورى كان لمحمد عبده وباقر مناقشات حول فلسـفة الإلهيـات والقرآن فى باريس خلال فترة تواجد الافغانى وعبده من اجل نشر مجلـة العـروة الوثقى، وأرسل الافغانى المجلة الى قادة الحركة البهائية فى مقرهم الرئيسـى فـى الشرق الأوسط. أما الشخص الآخر الذى لعب دورا هاما فى زيادة اهتمام الافغـانى وامتداد نشاطه الى إيران – حيث سيغدو عاجلا رئيسا للوزراء فهو ملكام خان. كان ملكام خان سفيرا لفارس فى لندن لعدة سنوات وهو ابن مؤسس " الجمعية الفارسـية للماسون الأحرار". ومثلهم مثل الافغانى كان البهائيون وباقر وخان يعتقدون ان" دين الإنسانية" ذو الطبيعة الكونية سيغدو بعد إعادة تشكيله شرطا أوليا لازما لا بد مـن توافره من اجل ممارسة العمل السياسى فى الشرق الأوسط وخاصة فى فارس. ومع ذلك لم يتخل الافغانى إطلاقا عن مساندته للصياغة الأصولية للإسلام. وتحت تأثير خان شكل الافغانى " الجمعية العربية الماسونية "[30]. ويبدو ان الافغانى شبيه الحرباء كان يعتقد بإمكان الجمع بين صياغة اسلامية مبسطة صالحة " لبسطاء العقـول" اى الجماهير وصياغة أخرى تجمع بين الأعلى والأدنى، ديانة عالمية واحـدة توفيقيـة تعلوها جميعا.

30- E. G .Browne ,A Year Amongst the Persians(London .1950) ,pp 13-14

30- لبيان وافى عن العلاقة بين خان والافغانى ينظر قدورى ص ص 22-23

لكن مهمة الافغانى انتهت الى الفشل، جزئيا على الاقل.

بمساندة ملكام خان امضي الأفغاني معظم سني حياته الأخيرة فى فارس وزيرا للحرب فرئيسا للوزراء ولكن آراءه لم تنجح فى كسب أيا من الشاه أو النخبة الإيرانية. وإذ أزعجته نداءات الافغانى الى ملالى إيران لجأ الشاه الى العمل. أخيرا أقدم الشاه على انتهاك حرمة المسجد والقي القبض على جمال بالرغم من انه كان يرقد آنذاك على فراش المرض، ونقل الى الحدود التركية."[31]، ولكنه ظل يتردد مابين تركيا وأفغانستان وإيران خلال تسعينات القرن التاسع عشر " لافتا- كما يقول قدورى - أنظار إدارات الأمن والمخابرات."[32] وفى الختام الأخير من حياته أطلق البريطانيون سراحه مرة أخرى. " فى سنة 1895 كان الافغانى فى اسطنبول قبل وفاته بحوالى سنتين حيث وجد نفسه على القائمة السوداء للسلطان عبد الحميد مهددا بالنفي الى إيران حيث كان مطلوبا وضعه تحت التحفظ فقدم طلبا للسفير البريطانى لحماينه بوصفه من الرعايا الأفغان."[33] وأعطته القنصلية البريطانية تأشيرة تسمح له بمغادرة اراضى السلطان، وسرعان ما عاد الى تركيا حيث توفى داعية الإسلام الشمولى الرحالة بمرض السرطان سنة 1897.

يؤكد براون ان شهرة الافغانى ستظل قائمة لفترة طويلة بعد وفاته وقام بتمجيده فى عمله الكلاسيكى الصادر سمة 1910 بعنوان " الثورة الفارسية"

ولكن اللورد كرومر وهو دائما الامبريالي العملى كتب نعيا للأفغانى ومحمد عبده والرعيل من الإحيائيين الإسلاميين، يعد من ابلغ ما كتب فى هذا الصدد: " لقد شوهوهم كثيرا إذ اتهموهم بالهرطقة لأنهم مضوا اكثر من اللازم فى طريق المسلمين المحافظين ولكنهم لم يتأوربوا بما فيه الكفاية، الى المدى الذى يكتسبون فيه الحد الأدنى من طرائق الأوربة. لم يكونوا مسلمين جيدين بما فيه الكفاية، كذلك لم يكونوا أوروبيين جيدين بما يكفى.مثلهم مثل العلماء الذين يغلقون الكتب بمجرد فشل التجربة." وانهي اللورد كرومر كلامه قائلا: ان الإسلام الشمولى للافغانى وعبده يحتاج الى مراجعة جذرية، ذلك ان التحديث الكونى على النمط الماسونى لا يتفق تماما مع المطالبة بالعودة الى الإسلام النقي للقرن السابع ومن ثم فقد فشل فى كسب ولاء رجال الدين أو كسب ولاء المجددين. على أية حال فان أفكار الافغانى

31- آدمز ص 11

32 - قدورى ص 4

33 - المرجع السابق ص 5

التى حافظ عليها الصحفي رشيد رضا الذى أسس " المنار" وهى الجريدة التى قدمت أفكار الافغانى ومحمد عبده الى السلفية المصرية والإخوان المسلمين سوف تجد أرضا اكثر خصوبة. فى هذه الإثناء سيتحول البريطانيون الى صياغة أقل طموحا للإسلام الراديكالى (الاصولى) فى المرحلة التالية من مراحل السياسة الكولونيالية الاستعمارية فى الشرق الأوسط وهى: الوهابية السعودية العربية.

إخوان عبد الله فيلبى

منذ 1899 وحتى انجلاء غبار الحرب العالمية الاولى اختطت بريطانيا واحدة من اكثر لعبها الإمبراطورية المكشوفة. فقد كانت الإمبراطورية العثمانية – رجل أوربا المريض تقف عل أعتاب نهايتها فى أواخر القرن التاسع عشر، حيث أدى نمو الأساطيل البحرية والسكك الحديدية وأخيرا تطور تقنية الاحتراق الداخلى والسيارات الى خلق طلب نهم على البترول. وبالرغم من نمو حقول البترول فى تكساس ورومانيا وباكو بوصفها مراكز إنتاج البترول فى العالم، فقد بدأ يخيم على الاستراتيجيين الامبرياليين الشعور بان بلاد فارس والعراق والعربية لديها ثروة بترولية طائلة. ورأى الامبرياليون العتاة فى جنوب غرب آسيا رقعة شطرنج هائلة يقومون فيها بدور الحارس. وكان على مقامرى لندن ان يلعبوا من اجل كسب ولاء مسلمى العالم، ليس بالتقرب الى العالم الاسلامى من خلال الصفوة المستنيرة المثقفة الحديثة ولكن بالتقرب الى الجماهير التقليدية محدودة الأفق والى الأوتوقراطيين. وبينما كان البريطانيون يحاولون تجنب الصدام مع الفرنسيين فى الشرق الأوسط فقد وجدوا ان عليهم التعامل فى وقت متزامن مع ثلاث قوى أخرى: الروس الذين كان الأمر يهمهم ويضغطون بلا هوادة من الشمال، والألمان الذين أخذت قوتهم تزداد تحت حكم القيصر وكانوا يقومون ببناء روابطهم مع تركيا وفى ذات الوقت منشغلين بإقامة خط سكك حديدية يربط بين برلين وبغداد ثم تركيا التى كانت إمبراطوريتها أخذة فى الاضمحلال ولكن لم يزل لديها ورقة تحتفظ بها وهى الخلافة الإسلامية التى كانت لا تزال قائمة فى اسطنبول ويمكن لتركيا نظريا على الاقل ان تطالب المسلمين السنة الأصوليين فى كل مكان بالولاء للخلافة الإسلامية.

كانت بريطانيا تسيطر سيطرة تامة على الهند (بما فى ذلك ما يعرف اليوم باسم باكستان الإسلامية). وبفضل اللورد كرومر استطاع البريطانيون ان يطبقوا على مصر وقناة السويس باعتبارها شريان حياة بريطانيا الى الهند، وكان نفوذهم

مسيطرا كذلك فى افغانستان وإيران ولديهم تركة حقيقية تمتد من قبرص وتحيط بشرق إفريقيا وعدن، ويمكن استخدامها لجلب وسائل القوة اللازمة للتعامل في الخليج الفارسي. ومن اجل تحقيق طموحاتهم للسيطرة على العراق والعربية كانوا بحاجة الى قوة تستطيع ان تتحدى السيطرة التركية على هذه المناطق الشاسعة التى تغطيها الرمال.

كانت الخطوة الاولى اللازمة لاستكمال هذه المهمة هى تحقيق تحالف بين العرش البريطانى والملك الذى سيحكم مستقبلا العربية والحركة الوهابية الإسلامية- العتيدة. ولمعرفة كيف نطور التحالف البريطانى السعودى المرتقب ينبغى ان نعود خطوة الى الوراء، الى القرن الثامن عشر حيث تم توثيق الروابط بين آل سعود- العائلة المالكة مستقبلا- وآل شيخ العائلة الوهابية الإسلامية.

فى منتصف القرن الثامن عشر قام واعظ مسلم رحالة- النسخة العربية من إلمر جانترى Elmer Gantry* يذرع أقاصي شبه الجزيرة العربية والهلال الخصيب من مكة الى المدينة فواحات الحسا الى الشرق وحتى البصرة وبغداد ودمشق – كان هذا الواعظ هو محمد بن عبد الوهاب الذى ولد سنة 1703، ولم يكن من سكان المدن ولا يعنيه نوع التعليم الذى يقدم فى المراكز الثقافية والعالم العربي. وكان يقوم بنشر التعاليم الإسلامية عن النار والجحيم ويطالب المسلمين هادرا ان يتخلصوا من كل شيء سبق أن تعلموه منذ أيام الرسول قبل ألف عام. كانت حركة إحيائية بالمعنى التقليدى لها أتباعها المتحمسون يطوون الخيام التى يلقى بها المنظمون من أتباع عبد الوهاب. وكان اكثر المؤمنين من أتباع عبد الوهاب أهمية هو مؤسس السلالة السعودية، محمد بن سعود. كان واضحا أن ابن سعود ينظر الى نفسه باعتباره نسخة القرن الثامن عشر للنبى محمد، يغزو الاراضى من اجل الإسلام ويفرض عقيدته على المهزومين. ومن اجل فرض هذه الرسالة، رسالة عبد الوهاب وابن سعود وأتباعهم لم يتورعوا عن ذبح كل من لا يتفق معهم وهدم بيوتهم ومساجدهم وأضرحتهم. وسمى عبد الوهاب بـ "المعلم" اى الشيخ. وبدءا من هذه اللحظة فصاعدا الى الأجيال التالية من قبيلة عبد الوهاب، لقبوا ب "شيخ". ويتطور التحالف بين عائلتي آل سعود وآل شيخ[34] لتنجم عنه الدولة السعودية فى عشرينات القرن العشرين، وكان لها على كل خال نجاحاتها وعثراتها.

---

* إلمر جانترى : رواية للكاتب الأمريكى الساخر سنكلير لويس تصور قصة بائع جوال سكير يتحدث للجماهير بطلاقة، ويستخدم مهارته وحضور بديهته ومعرفته بالكتاب المقدس فى الترويج لبضاعته. المترجم

34- David Long , The Kingdom of Saudi Arabia,Florida 1977, p. 22

منذ بداية القرن العشرين أسس آل سعود الولايات واحدة اثر أخرى وكان يتم اجتياحها أحيانا من قبل القوى الأكثر دنيوية والأقل تعصبا كالعثمانيين وحلفائهم فى مصر او من قبل القبائل العربية المنافسة.

وطبقا للمعايير السائدة بشأن قيام الوهابيين فمن المعتاد ان يقال دائما بساحترام ان الوهابيين كانوا إصلاحيين او مجددين او أنهم وحدوا العربية حول فكر واحد هو فكر التوحيد. ويعتبر الوهابيون أن إطلاق اصطلاح الوهابيين عليهم أمر مسيء لهم الى حد ما ويفضلون استخدام تعبير الموحدين المقتبس من تعبير" ألآله الواحد" [35] وينظر الى عبد الوهاب عادة باعتباره مفكرا يقدر له عمله الفلسفي وتفسيره للقرآن باعتباره عملا مدويا.، ولكن الأمر ليس كذلك. يلاحظ حامد الجار مؤلف "الوهابية: مقالة نقدية" يلاحظ ان الصحراء العربية وما يطلق عليه فلسفة الآلهيات (الثيولوجيا) يجمع بينهما شيء مشترك[36] " فطبوغرافيا الصحراء، اى طبيعة الصحراء الجرداء المسطحة لها انعكاساتها الدائمة على تاريخها الفكرى"، ويضيف قائلا:" ان ما يمكن تسميته بكثير من التسامح النتاج العلمى لمحمد بن عبد الوهاب هو مجرد أعمال ساذجة وسطحية تتكون فى معظمها من أحاديث الرسول المنتقاة المعاد صياغتها ولا تحوى شيئا او ربما تحوى القليل من الشروح والتعليقات ". ويلاحظ الجار بسخرية انه حتى رعاة المذهب الوهابى انفسهم يربكهم "تهافت أعماله"[37]. أما انه كان مفكرا عظيما فهذا ما لم يكنه على الإطلاق.

غير ان عبد الوهاب كان أستاذا فى قذف المسلمين بالصواعق فى مجادلاته متهما إياهم بالتخلى عن الإسلام والارتداد والهرطقة وما هو أقبح.

بضم قواتهم الى جانب آل سعود استطاع الوهابيون ان يشكلوا جيشا عرمرما من الأتباع الذين قضوا قرونا عديدة يشيعون الفوضى عبر الاراضى العربية. لقد كانوا حسبما عبر كاتب بريطانى من كتاب القرن التاسع عشر، مشهورين بأنهم فى غزواتهم " يفضلون الذبح على التعذيب"[38]. ولم يفته الذبح إطلاقا.

فى القرن الثامن عشر بدأ التحالف السعودى الوهابى " حملة من القتل والسلب عبر العربية كلها " أولا فى وسط العربية ثم عسير فى جنوب العربية وأجزاء من

---

35 – كتاب الموحدين(بالعربية) ينظر لونج ص 23

36 – حامد الجار الوهابية، مقالة نقدية –N.Y Islamic Publications International, 2002, p.5

37- الجار ص ص 14–16.

38 – William Gifford Palgrave,Personal Narrative of a year's Journey through Central and eastern Arabia (1862-1863) ,London 1993,p. 184

اليمن وأخيرا فى الرياض والحجاز[39]. وفى سنة 1802 هاجموا مدينة كربلاء الشيعية المقدسة فيما يعرف الآن باسم العراق وقتلوا معظم سكانها وهدموا القبة أعلى قبر مؤسس المذهب الشيعي ونهبوا " الممتلكات والأسلحة والملابس والسجاجيد والذهب والفضة وكذلك نسخا ثمينة من القرآن"[40] [1]

وفى الحقيقة فان الوهابية توصم بأنها هادمة القباب [41]وهو نشاط لا يزال مستمرا حتى اليوم، ففى يوغسلافيا السابقة طالبت العربية السعودية بتغييرات جذرية فى المواقع الاسلامية. فحسبما كتب جون اسبوسيتو:" كانت وكالات المساعدة السعودية هى المسئولة عن هدم واعادة بناء الكثير من المساجد والمكتبات ومدارس تحفيظ القرآن والمدافن فى البوسنة وكوسوفو لأن تصميماتها وديكوراتها والزخارف علي جدرانها (الفريسكو) وشواهد القبور لا تتوافق مع مزاج العقيدة الوهابية التي تقضي بتحطيم الصور والتماثيل")[42]

وبينما كان مدمرو القباب يوسعون سلطتهم فى العربية،فأنهم فى النهاية أصبحوا على علاقات مع بريطانيا العظمى. لقد بدأت روابط بريطانيا بآل سعود فى أواسط القرن التاسع عشر عندما قام ضابط بريطاني برتبة عقيد بالاتصال ببيت آل سعود فى الرياض، تلك المدينة النائمة فى أحضان الصحراء التى سرعان ما ستغدو عاصمة للعربية. "بدأت اولى الاتصالات سنة 1865 وأخذت المساعدات البريطانية تتدفق الى خزائن العائلة السعودية وتزداد مع اقتراب الحرب العالمية الاولى على نحو ما يسجل الجار[43]

" فى سنة 1899 رسم اللورد كيرزون حاكم الهند حدود محمية الكويت وبدأت بشكل جدى علاقات لندن بآل سعود والوهابيين. وبذل آل سعود غاية ما وسعهم من اجل فرض إرادتهم فى العربية ووجهت لهم الدعوة لإقامة قاعدة لهم فى الكويت،وهى إمارة صغيرة غرب البصرة وكانت فى طريقها لتصبح قاعدة أمامية للسلطة والقيادة البريطانية الامبريالية[44]. بعد ثلاث سنوات فقط سيبذل آل سعود جهودا أخيرة ليضمنوا بسط سيطرتهم على شبه الجزيرة العربية بكاملها. وطبقا

39- الجار ص ص 20-22

40 – المرجع السابق ص ص 23-25

41 – المرجع السابق

42 جون اسبو سيتو – الحرب غير المقدسة ، الارهاب باسم الاسلام (نيويورك2002) ص 108

43 –الجار ص 38

44- for Oil,Money and Power,New York,1991, p.284 Daniel Yergin ,The Prize: The Epic Quest

لاحد المراجع "ارسل امير الكويت رسالة الى ابن سعود الذى كان يبلغ 20 عاما فى ذلك الحين يستحثه فيها على استعادة الرياض من آل الرشيد (المــوالين لتركيــا)[45]. وسقطت الرياض فى يد ابن سعود سنة 1902 وكانت هذه الفترة التى أســس ابــن سعود خلالها الإخوان الذين يخشى بأسهم [46]. جمع المحاربين من القبائــل البدويــة وأشعل حماسهم بالحمية الدينية المتطرفة والقي بهم فى المعركة. بمقدم 1912 كان عدد الإخوان قد وصل الى11000 احد عشر ألفا، وأصبح لدى ابن سعود كلا مــن وسط العربية نجد وفى الشرق حيث تقع الحسا تحت سيطرته.

فيما بين 1899ونشوب الحرب العالمية الاولى اصبح وجــود البتــرول فــى الشرق الأوسط حقيقة بعد ان كان مجرد شائعات. كانت اتفاقيات البترول الاولــى موقعة فى حقيقة الأمر من جانب واحد حيث فرضها رجال الإعمال الذين يعملــون فى هذا المجال بمساندة مدفعية البوارج التابعة للقوى الامبريالية علــى الــدويلات البحرية وقادة القبائل المغلوبين على أمرهم. فجأة ظهر الخلــيج الفارســي كموقــع استراتيجي. كانت بريطانيا تنظر الى العربية والخليج بوصفهما حلقة ضمن سلســلة تبدأ من السويس حتى الهند، مرسيا الإمبراطورية.ولكن شيئا فشيئا أخذ النقيض يبدو هو الأصدق: فالسويس والهند سوف يعتبران الأكثر أهمية بصفتهما قاعدتين تستطيع بريطانيا من خلالهما ان تحمى مصالحها البترولية المزدهرة غرب فارس والعــراق والخليج، وأصبح وليم شكسبير وهو موظف بريطانى كنى بهذا الاسم وكان يعمــل وكيلا سياسيا لبريطانيا فى الكويت، اصبح واحدا من موظفى الارتباط البريطــانيين مع آل سعود وقام بتلفيق أول معاهدة رسمية بين بريطانيا والعربية الســعودية تــم توقيعها سنة1915. بعد ان انهي مهمته توفى شكسبير فى معركة خاضها الى جانب ابن سعود خلال مواجهة جرت فى الصحراء ضد قبيلة آل رشيد خصم آل ســعود. ولكن المعاهدة التى وضعها أصبحت ملزمة لكل الأطراف –لندن والعربية–قبل عدة سنوات من ظهور العربية السعودية كدولة. وتعترف هذه المعاهدة بابن سعود حاكما مستقلا لنجد وتوابعها تحت الحماية البريطانية، مقابل ان يتعهد ابن سعود بالامتثــال للنصيحة البريطانية.[47]

باندلاع الحرب العالمية الاولى سنة 1914 وجدت بريطانيا فرصتها الذهبيــة لإخراج تركيا من العربية. مع اضمحلال الإمبراطورية العثمانية قام فريقــان مــن بريطانيا بمساندة اثنين من اللاعبين المتنافسين البارزين علــى امتــداد الصــحراء

45- المرجع السابق ص 285

46- ملاحظة عارضة للمؤلف

47- The House of Saud,New York 1981,pp 50-51. David Holden& Richard Johns

الجرداء عبر شبه الجزيرة العربية. كان الفريق الأول بقيادة هارى سان جون برجر فيلبيى وهو ناشط بريطانى مدرب جيدا على كيفية استخدام الدين لإغراض سياسية، ولم يكن مدربه سوى إ.ج.براون E.G.Browne وهو سليل عائلة بريطانية معروفة الى حد ما مرتبطة بعلاقات مع سيلان والهند.

كان فيلبيى خريجا لإحدى أهم مدارس بريطانيا بما فيها وستمنستر حيث كان خريج مدرسة الملكة وكلية ترينيتى وكامبردج وأصبح تلميذا لبراون [48].فى مطلع القرن العشرين كانت كمبردج بمثابة ارض التدريب لبناة الإمبراطورية، واحتك هناك بافضل والمع من فى بريطانيا(بل والعالم). كان فيلبيى الذى نشا فى أحضان الروابط بين الكنيسة والدولة فى بريطانيا وعلى علاقة وثيقة بالمؤسسة الإنجيلية، كان ملحدا ولكنه اظهر معرفة كبيرة بتأثير الدين فى السياسة ومع معرفته الوثيقة بالمؤسسة الإنجيلية اظهر فيلبى رغم انه ملحد إدراكا عميقا بتأثير الدين في السياسة ووصف المعتقدات الدينية قائلا:" من جميع المعتقدات فان أعظمها هو أقواها جميعا من حيث القدرة على مقاومة كل معارضة."[49]. فى كمبردج درس فيلبى الفلسفة واللغات الشرقية والقانون الهندى ثم التحق بالخدمة المدنية الهندية. ان فيلبى الذى سوف يمر بمرحلة تحول مرائية الى الإسلام منتحلا اسم عبد الله، حمل معه الى الهند الدروس التى تلقاها عن براون حيث عمل معه بصفة معاون تنفيذى، غادر الى العربية خلفا لشكسبير ملحقا لبريطانيا العظمى لدى ابن سعود. وبينما كان فريق فيلبى فى المكتب البريطانى بالهند يساند آل سعود، فان أصدقاءهم فى المكتب العربى بالقاهرة – وهو فرع المخابرات البريطانية راعى لورنس العرب الشهير كان يساند حسين شريف مكة رأس الأسرة الهاشمية وابنيه عبد الله وفيصل وكانوا حكاما للحجاز وهى المنطقة التى تقع فى الغرب من العربية وتشمل مكة والمدينة. كان آل سعود خلال ذلك قد بسطوا سيطرتهم على معظم العربية الوسطى– نجد– انطلاقا من الرياض (عاصمة السعودية الآن.) أخيرا يتمكن آل سعود بطبيعة الحال من إخضاع العربية وإطلاق اسم عائلتهم عليها. أما أبناء العائلة الهاشمية عبدالله وفيصل فسوف يتم تنصيبهم مثلهم مثل قطع الغيار ملكين لأمم أخرى،يرسم حدودها ونستون تشرشل فيكون عبد الله ملكا على الأردن وفيصل ملكا على العراق.

فى كلتى الحالتين سواء بالنسبة لآل سعود او الهاشميين كان البريطانيون يهدفون الى استخدام الإسلام لصالحهم. الهاشميون يفاخرون بأنهم ينتسبون مباشرة

---

48 – المرجع السابق ص ص 11–26

49 – Elizabeth Monroe, Philiby o0f Arabia, New York,1973, p.24

الى النبى محمد، وهو زعم سبقهم إليه بعض الأدعياء الذين كانوا يتطلعون الى الحكم فى القرن الماضى.

كان البريطانيون بطبيعة الحال يضعون في حسابهم إن يتطلع الهاشميون لان يكونوا الخلفاء الموالون لبريطانيا المستحقون لهذه الخلافة الجديدة بينما ناجزهم آل سعود بالمحاربين الوهابين الذين يشكلون قوة ضاربة قوية يتطلع البريطانيون إلى مساعدتهم في السيطرة على الشواطئ الغربية للخليج الفارسي. للوهلة الأولى في حوالي سنة 1916 كان يبدو إن الهاشميين لهم اليد الطولي نتيجة وضعهم على القمة في مكة والمدينة. وكان البريطانيون يعتقدون ان حسين وأولاده يمكنهم إن يجمعوا المسلمين من شمال إفريقيا وحتى الهند لصالح بريطانيا، فى نفس هذا الوقت كانت الإمبراطورية العثمانية تترنح على اتساع العالم الاسلامى. كان العثمانيون محاصرين من كل الاتجاهات وتولى البريطانيون القيادة محاولين أن يستخدموا الولاءات الإسلامية كقوة ضد الأتراك. مما لاشك فيه إن هذه السياسات قد تم إعدادها بواسطة فريق عمل الشرق الأوسط الموجود في لندن: اللورد كيرزون سليل الارستقراطية البريطانية وروبرت سيسل وهو الامبريالي الأعظم وسكرتير الخارجية البريطانية والحاكم السابق للهند وابن عمة ارثر، لورد بلفورد الذى ساند روتشيلد فى إعطاء وعد لليهود بمنحهم فلسطين ومارك سايكس وهو الرئيس المناوب لقسم الشرق الأوسط بالخارجية البريطانية وديفيد جورج هوجارث رئيس المكتب العربى ومؤلف " اختراق العربية" وهو اركيولوجى ومستشرق ومدير متحف اشموليان فى اكسفورد وتشرشل وارنولد توينبى وعدد آخر من القادة اللامعين فى زمن الامبريالية البريطانية الذين لحقوا بهم.

ملخصا هذه السياسة بقول لورنس:

> "إذا كان على السلطان التركى ان يختفى فان الخلافة يجب ان تؤول طبقا لموافقة عامة المسلمين الى عائلة الرسول التى يمثلها حاليا حسين شريف مكة. وتبدو أنشطة حسين مفيدة لنا لأنها تتفق وأهدافنا العاجلة: تحطيم الكتلة الإسلامية وتفكيك الإمبراطورية العثمانية، ولان الولايات التى سوف ينشئها لن تضر بنا كما كان الحال بالنسبة لتركيا. وإذا أمكن التعامل مع الولايات العربية بشكل صحيح فستبقى الولايات العربية أشبه ما تكون بالموزابيك السياسى، نسيج من المواد الأولية غير القابلة للتماسك ومع ذلك فهى على استعداد دائم للتعاون ضد القوى الخارجية."

كانت الفكرة تبدو بسيطة للغاية فالهاشميون سوف يقومون بثورة ضد الإمبراطورية العثمانية تتكامل مع الخيلاء والصور الرومانسية للعرب الذين يقودهم لورنس ويهاجمون عبر الرمال لتحرير أنفسهم من الحكم التركى. وسوف تحاول

بريطانيا من وراء ستار أن تلفق حلفا بين الهاشميين والصهاينة بهدف إقامة الدولة اليهودية الموالية لبريطانيا فى فلسطين. وبمساعدة العائلة الهاشمية التى كانت تحكم حينئذ سوريا ولبنان والعراق والأردن والحجاز على الساحل الغربى للعربية، فان توحيدها جميعا سيصبح أساسا لقاعدة بريطانية فى مكة وخلافة عربية تسيطر عليها بريطانيا، إما بالنسبة لمصر والسودان فانهما سيبقيان بطبيعة الحال فى المعسكر البريطانى أيضا.

فى هذة الاثناء كان فيلبى يعمل فى الجبهة الشرقية. وكان سير برسى كوكس Percy Cox الممثل السياسى فى مكتب الهند فى الخليج الفارسى مسئولا عن المجهودات البريطانية للمحافظة على مناطق البترول الغنية التى كانت تباشيرها قد بدأت فى الظهور. كان فيلبى الضابط الصغير فى ذلك الوقت يعمل تحت إمرة كوكس ومع المستكشفة الأسطورية والجاسوسة المتميزة جرترود بل Gertude Bell التى كانت على معرفة وثيقة باللكنة العربية القبلية والسلالية الخاصة بعائلات هذه المنطقة بالإضافة الى قدرتها وخبرتها اللغوية، كل هذا جعلها عضوا أساسيا فى هذا الفريق وابرق كوكس رسالة الى فيلبى يطالبه فيها بلقاء ابن سعود سنة 1916. وبينما كانت لندن تجند الملكيين ضد الأتراك فى غرب العربية كان فيلبى مكلفا بتحريض آل سعود ضد قبيلة احد أمراء الحرب الآخرين، قبيلة ال رشيد التى كان من سوء حظها انها تحالفت مع الأتراك فى المنطقة الغربية من العربية.

بدءا من 1917وضع ابن سعود على قائمة المخصصات وخصص له دخل شهرى مقداره 5000 خمسةآلاف جنيه استرلينى مقابل خدماته، وكان فليبى هو الشخص المكلف بتوصيل هذا المبلغ اليه.[50] ومن هنا فصاعدا سيكون فليبى هو المكلف بحمل الرسائل الى ابن سعود والالتقاء به فى العديد من المناسبات وفى عام 1919سوف يصحب فيصل ابن سعود البالغ من العمر 14 عاما فى ذلك الحين وهو نفس فيصل الذى سيغدو فيما بعد ملكا للعربية السعودية، فى رحلة الى لندن تتضمن زيارات خاصة الى كل من ا.ج براون الذي تحمل كافة النفقات وولفرد سكاون بلنت ولعله كان الداعية البريطاني الاساسى للإسلام الشمولي الموالى لبريطانيا.

ولربما كانت هذه هى التجربة الامبريالية البريطانية من اجل إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط وإقامة خلافة جديدة. وبطبيعة الحال ظلت بريطانيا هى اللاعب الذى فرض سطوته على المنطقة بفضل سيطرتها الامبريالية المطلقة. ولكن الصفقة العربية الصهيونية لم تعمل بشكل جيد حيث اتضح ان العراق مثير للمشاكل

---

50 - المرجع السابق ص 70

ومميت بالنسبة للقوات البريطانية. وبالإضافة أصر الفرنسيون على إخراج البريطانيين من سوريا ولبنان واستولى البلاشفة على روسيا وكشفوا بالتفصيل حقيقة الصفقة الانجلو فرنسية السرية مما إربك لندن الى حد كبير. وبالرغم من أن بريطانيا وضعت معظم أوراقها الى جانب الهاشميين إلا ان قوات ابن سعود اكتسحت العربية وهزمت كل من تصدى لها بما فى ذلك مملكة الحسين الصغيرة فى الحجاز.

كتبت جرترود بيل متحدثة عن العراق ولكن بشكل ينم عن كامل السياسة البريطانية عن الشرق الأوسط فقالت "لقد أحسسنا هنا بفشل ذريع"[51]

وحافظ فيليبى الذى كان لا يزال يعمل فى خدمة بريطانيا حافظ على اتصالاته بابن سعود. وفى الحقيقة كان يبدو وكأنه يعبد ابن سعود بفظاظته وقطاع الطرق التابعيين له من الإخوان (الوهابيين) حيث كتب يقول:

(العرب ديمقراطيون، وأعظم واقوي حاكم عربى اليوم هو الدليل على ذلك. ان ابن سعود ليس اكثر من مواطن مثل غيره من المواطنيين وان يكن زعيما لهم primus inter pares . ان قوته تكمن فى حقيقة انه استطاع خلال عشرين عاما ان يترجم بدقة طموحات وإرادة شعبه"[52]

بالرغم من ان فيلبى كان يفخر دائما بأنه داعية للديمقراطية والنظام الجمهورى العربى، إلا انه لم يظهر اى تردد فى مساندة عائلة آل سعود الوحشية[53]، مع ان عددا من عتاة الامبرطورية البريطانية بمن فيهم د.ج. هوجارت كانوا يعتبرون ال سعود وبوجه خاص مقاتليه الإخوان الوهابيين باعتبارهم الأكثر انحطاطا.

كتب مؤرخ فيلبى يقول " بالنسبة لرجال (مثل هوجارت) لهم خبرة بالإسلام فى الهند ومصر وسوريا وتركيا والحجاز فان ارتداد إخوان ابن سعود يعتبر عارا كما ان الوهابية عقيدة متعصبة لا تصلح لمعظم العالم الاسلامى "[54]

---

51 – اقتباس من مونرو ص 104

52 – اقتباس من مونرو ص 127

53 – مونرو، مرجع سابق ص 139 حيث يشير الى ان منتقدى فيلبى استهانوا بموقفه المفترض المتعاطف مع الجمهورية وسرعان ما اشاروا الى ان العقار(الدواء)الجمهورى المزعوم الذى يوصى به يتعارض مع ثنائه الفياض على الحكم المطلق لبطله ابن سعود

54 –المرجع السابق ص 139

فى سنة 1920 مع غزو العربية ترك ال سعود (ديمقراطيو فيلبى) وراءهم 400 الف قتيل وجريح وقاموا ب40 إلف عملية إعدام علنيه وأمروا طبقا لتفسيرهم للشريعة الإسلامية بإجراء 150 إلف عملية بتر.[55] أما سياسة الأرض المحروقة التى اتسمت بها معاركهم واستطاع الإخوان بواسطتها ان يبسطوا سيطرة آل سعود على العربية فقد أعطت بريطانيا سلسلة متصلة من الدويلات و المستعمرات تمتد من البحر الأبيض المتوسط حتى الهند..

على انه بينما كان يجرى بناء الدولة السعودية كان الإخوان الدمويون- على حد تعيير البعض فى لندن وبعض العرب- كانوا سلاحا ذا حدين. وحسبما وصفهم احد أصدقاء ابن سعود من اللبنانيين "هم الآن سيف في يد الامير وغدا خنجر فى ظهره " [56]

وقد ناشد حسين شريف مكة الذى كان يسانده البريطانيون، ناشد بريطانيا ان ترغم ابن سعود على حل الإخوان، وكتب رسالة وجهها الى القائم بإعمال بريطانيا فى سنة 1918 قائلا:" ان ما يهمنى اكثر من اى شيء آخر هو ان تقوم حكومة صاحبة الجلالة بإرغام ابن سعود على إلغاء وحل ما يطلق عليه الإخوان "الجمعية السياسة التى تلبس عباءة الدين"، ولكن البريطانيين رفضوا ذلك بكل برود.[57]

وحاول ابن سعود الزعم بان الإخوان قوة مستقلة ولكن البريطانيين كانوا طبعا يعرفون غير ذلك. وابرق مسئول بريطاني سنة1920 قائلا "أنه لا يريد إن يعلم احد انه هو نفسه وراء ذلك كله وانه كان يقود ويوجه الحركة لمصلحة أهدافه الخاصة" وعلى كل فقد حذر موظفون اقل خبرة:" انه من الغباء ان يظن احد ان الإخوان يلهمهم البلاشفة"[58].

من الناحية النظرية على الاقل لم يزل لابن سعود خيار إقامة دولة علمانية لا يكون للإسلام الاصولى دور أساسي فيها، غير ان ثمة قوة دفع كانت وراء تحركاته تتمثل فى تحالفه مع الوهابيين والإخوان وذلك ما أدركه المسئول البريطانى الداهية برسى كوكس:

" فى نهاية سنة 1915 او بداية سنة 1916 وجد ابن سعود ان حركة الإخوان أخذت تسيطر على الأمور فى نجد وان عليه ان يختار احد الأمرين:

---

55 - الجار ص 42

56 - مقتبس من جون حبيب فى مؤلفه "Ibn Saud Warriors of Islam, 1978"ص 14

57 - المرجع السابق ص20

58 - المرجع السابق ص ص 26-27

اما ان يكون حاكما مؤقتا ويسحق حركة الإخوان أو يكـون رئيسـا روحيـا للوهابية الجديدة.... ويضطر فى نهاية الأمر الى القبول بتعاليمها ويصبح رئيسا لها حتى لا يكتب نهايتة بنفسه"[59].

ان الحركة الإسلامية الأصولية التى ركبها ابن سعود للوصول الى السـلطة كانت ضرورية لنشأة العربية السعودية. لقد استخدم الإسلام ليكسر الولاءات القبلية وليحل محلها الانتماء الديني. وكما يقول جون. س.حبيب:

" فى مجتمع قبلي صحراوى حيث الأسرة هى الأمـن والهويـة و الشـرعية بالنسبة للإفراد، فان التخلى عن كل هذا ليس امرأ هينا.ان ذلك يؤكد إلى اى حد كان ابن سعود قادرا ان يحل مبدأ الإخوة فى الإسلام الذى تمثله الهجرة النبوية[60] محـل الحماية والأمن، والهوية التى تخلوا عنها حينما هجروا القبيلة "[61]

بعد ان انجلى غبار الحرب العالمية الاولى وبعـد العديـد مـن المـؤتمرات الامبريالية المختلفة التى حددت الحدود فى الشرق الأوسط كانـت الإمبراطوريـة العثمانية قد تحللت، وتحكمت بريطانيا بشكل محكم فى المنطقة. وسيطر ابن سعود على مجمل شبه الجزيرة العربية،وحسبما ذكر فيلبى بلغ إخوان ابـن سـعود فـى عشرينات القرن العشرين اكثر من خمسين ألفا. [62]. والى الغرب من الحجاز كـان الهاشميون لا يزالون فى الحكم ولكن زمنهم كان يولى بسرعة. ففى سـنة 1924 عبرت الحكومة التركية الجديدة بقيادة المجدد مصطفى كمال أتاتورك عن ازدرائها لتخلف الإسلام الرسمي وصدمت المسلمين المحافظين على اتساع العـالم بإلغـاء الخلافة تماما.

وحاول حسين شريف مكة ان يستثمر ما أقدم علية أتاتورك، ولعله تذكر خطة ن.ا لورنس الكبرى فأعلن نفسه خليفة المسلمين ولكن لسوء حظه لم يسـتمع اليـه احد. فقد تخلى البريطانيون أساسا عن حسين عندما اختاروا فى ذلـك الحـين ان يركبوا مع ابن سعود واسلامى متعصب آخر كان على وشك الظهور هـو الحـاج أمين الحسينى مفتى القدس. كتب مونرو يقول: " لدى عودة فيلبى من سوريا فـى هذه اللحظة من لحظات الشك لدى المسلمين، تضمنت مذكراته ان قوة حسـين فـى

---

59 – Percy Cox , cited in Dora Gold Hatred's Kingdom,Washington,2003. pp 44-45

60- المعنى المقصود من الهجرة هنا : ان يتخلى المسلم عن ارتباطاته البدوية والقبلية بعد ان يلجـأ الـى الأسلام

61- حبيب ص 32

62- المرجع السابق ص 76

العربية كانت محصورة فى ساحل الحجاز وأن ما عبر عنه بشأن الخلافة لم يكن بذي معنى إذا ما قورن بالضوء الساطع لنجم ابن سعود الصاعد فى سماء الصحراء العربية."[63] وسرعان ما اجتاحت جحافل ابن سعود الحجاز طاردة الهاشميين وموقعة الذبح بمئات من الرجال والنساء والأطفال لتوحد العربية تحت سيطرة الرياض.

هكذا بدأت الدولة العربية السعودية الحديثة وكان فيلبى لا يزال قريبا من ابن سعود وكان حاضرا لدى إنشائها.

بدأ ابن سعود فى التو واللحظة يجهز نفسه باعتباره ملك الإسلام غير المتوج. ولكن هذه العملية كانت تتم ببطء. وتم توقيع معاهدة رسمية بين ابن سعود وبريطانيا العظمى تعترف بموجبها باستقلال المملكة التام فى 20 مايو سنة 1927 "، وعلى نحو ما كتب برنارد لويس:" ان اعتراف المسلمين كان أكثر بطئا وأكثر ترددا" وأضاف:

"قامت بعثة الهند بزيارة جدة وطالبت بان يقوم الملك بتسليم الاراضى المقدسة لبعثة مختارة من قبل كل الدول الإسلامية، ولكن ابن سعود لم يرد على هذا الطلب وأعاد البعثة إلى الهند عن طريق البحر. وفى يونية من نفس السنة عقد مؤتمر اسلامى فى مكة دعا إليه حكام ورؤساء الدول الإسلامية المستقلة وممثلين عن المنظمات الإسلامية من البلاد التى لا يحكمها المسلمون، وحضر هذا المؤتمر 69 شخصا من كافة إنحاء العالم الاسلامى وخاطبهم ابن سعود موضحا انه الآن حاكم الحجاز....وتلقى حينذاك إجابات مختلفة من ضيوفه، بعضهم اعترض وبعضهم غادر المؤتمر بينما قبل الآخرون واعترفوا بالنظام الجديد.[64]

وأخيرا كان على ابن سعود ان يواجه الاخوان. فى اواخر عشرينات القرن العشرين كانت مهمتهم قد انتهت وكانوا قلقين واخذوا يبدون رفضا متزايدا لملكية ابن سعود ونشبت المشاحنات بينهم وبحلول سنة 1929 كان ابن سعود قد حل الإخوان وحول الباقى من قوات البدو الى القوات المسلحة السعودية. ولكنه لم يلفظ الوهابية بعد سحق الإخوان.

وفى الحقيقة فانه من اجل تقوية سلطته الدنيوية بشكل اكبر وسلطته الدينية بشكل اقل فى الحجاز انشأ الملك هيئة بوليسية دينية لتجبر الناس على أداء الفرائض الخمس الواجبة يوميا وان يلبسوا الملابس المناسبة وتطبيق التعليمات الأخرى للأصولية الوهابية. ومع بداية سنة 1930 انشأ ابن سعود كذلك هيئة الأمر

---

63 – مونرو ص 135

64 – Bernard Lewis.The Cresis of Islam, New York, 2003, pp. 125-126

بالمعروف والنهى عن المنكر التى كانت تتشكل من البـدو المتعصـبين الأميـين المتحمسين جدا من اجل إجبار الناس على تأدية فروض الصلاة المنصوص عليهـا بحذافيرها وغلق المحلات أثناء أوقات الصلاة بالإضافة إلى منع التدخين والعـادات الأخرى المنافية للأخلاق[65] ومازال هذا معمولا به حتى الآن.

أعطى ظهور الدولة العربية السعودية للبريطانيين موطئ قدم فى قلب العـالم الاسلامى فى مكة والمدينة. وقد بدا للبرجماتيين من الاستراتيجيين البريطـانيين الامبرياليين ان القوات المسلحة الأكثر عددا أهم من الاعتبارات الثيولوجية الروحية التى قدمها الافغانى ومحمد عبده وجمعياتهم السرية.

كان من الواضح ان تجربة لندن مع الافغانى ومحمد عبده لم تكن ناجحة بشكل كامل واتضح ان الافغانى بشكل خاص كان نموذجا للأداة الامبرياليـة المراوغـة، وبينما كانت وجهة نظره بخصوص التحالف الاسلامى الشمولى مع الغرب جذابـة للنخبة البريطانية فقد فشلت فى ان تأسر لب الجماهير وقوبلت بمعارضة صـارمة من جانب الحكام فى تركيا وفارس.

ان إنشاء الدولة السعودية بفضل المساندة البريطانية قد خلق قاعدة للإسلاميين يستطيعون ان يعملوا مستندين إليها لعقود قادمة.

بالنسبة لبريطانيا ثم الولايات المتحدة بعدها كانت المملكة العربيـة السـعودية تؤدى خدمات جليلة بوصفها قاعدة للطموحات الامبريالية خلال القرن العشـرين. ومع ذلك فان الوهابية مع كل ما تتمتع به من قوة لا تزال بعد عقيـدة فـى المقـام الأول وليست قوة سياسة. إنها قد تستطيع ان تنتصر فيما يتعلق بالتحالف الوثيق مع السعودية ويمكنها ان تساند السنة الى مدى بعيد وواسع، غير انه بالمعنى الحـديث فان الإسلام السياسى الحقيقى لم يظهر بعد. كان يفتقد القوة الإسلامية السياسية التى تستطيع ان تستخدم قوتها الذاتية ضد قوى القرن الجديدة الأكثر جاذبية من الناحيـة الإيديولوجية أى الشيوعية والوطنية، غير ان البذور التى بذرها الافغـانى ومحمـد عبده كانت على وشك الازدهار إذ أمدتها العربية السعودية الوهابيـة والمخـابرات البريطانية بالمال والرعاية اللازمة لنموها و أوشكت على الظهـور فـوق الأرض القوة الإسلامية التى بذر بذورها محمد عبده. فلأول مرة بزغ حـزب ذو جـذور اسلامية أصولية يبدأ نشاطه على شاطئ قناة السويس فـى الإسـماعيلية بمصـر، وليس بعيدا عن السعودية.

*

---

65 - حبيب ص 119

الفصل الثانى

إخـــوان بريطـــانيا

فى اعقاب الحرب العالمية الاولى جاهدت بريطانيا من اجل المحافظـــة علـــى امبراطوريتها... ودخلت فى صفقات كثيرة مع العديد من الشياطين. فمنذ عشرينات القرن العشرين حتى غزوها الفاشل للسويس سنة 1956 تضمنت هذة الصفقات تقديم الدعم لحركتين اسلاميتين فى مصر وفلسطين

فى مصر ظهر سنة 1928 مدرس مصرى يدعى حسن البنا قـــام بتاســيس جماعة الاخوان المسلمين وهى المنظمة التى سوف تغير مجرى التاريخ فى الشرق الاوسط خلال القرن العشرين.

وشقيقها الفلسطينى هو الحاج امين الحسينى المفتـــى الـــديماجوجى للقـــدس، وسيلعب كلا من البنا والحاج امين الحسينى دورهما فى تقدم الاسلاميين فى العقـــود التالية للحرب العالمية الاولى. ومثلهما مثل العائلة المالكة السعودية يدين كلا منهما ببدء نشاطة للمساندة البريطانية.

فجمعية الاخوان المسلمين التى اسسها البنا اقيمت بفضل منحة من شركة قناة السويس الانجليزية،وخلال ربع القرن التالى سيستخدمها الدبلوماسيون البريطـــانيون والمخابرات البريطانية ام آى 6 والملك فاروق الموالى للانجليز والمقيم فى القاهرة سيستخدمونها كمصد ضد الشيوعيين والوطنيين المصريين وفيما بعد ضد الـــرئيس جمال عبد الناصر فى نفس الوقت الذى كان فيه الحاج امين الحســـينى الموصـــوم بموالاته للنازية واثارة القلاقل الخبيثة ضد السامية قد بـــدأ تســـلقه للســـلطة فـــى عشرينيات القرن العشرين بفضل مساندة صريحة من سلطات الانتداب البريطـــاني المشرفة على فلسطين. ويعتبر البنا والحاج امين الحسينى مسئولين عـــن انتشـــار الاسلام السياسى فى العالم. وقد ربط كل من الرجلين النموذج الوهابى المتطـــرف فى اصوليته بالافكار المثالية للاسلام الشمولى لجمال الـــدين الافغـــانى. وبفضـــل التمويل السعودى خلقا هيئة علمية لنشر بذور اليمين الاسلامى (الاصولى) بما فـــى ذلك جناحه الارهابى.

كانت علاقة لندن بالاخوان المسلمين معقدة. فبالرغم من ان الانجليز ساعدوا التنظيم عند انشائة وبالرغم من ان التنظيم قد يكون لقى المساندة من جانب المخابرات البريطانية فى السنوات التالية، فان الاخوان المسلمين والاسلام السياسى كانوا قوة فى دنيا سياسية متحولة باستمرارفى مصر والشرق الاوسط الاكثر اتساعا. فقد استخدم الانجليز والملك جماعة البنا ولا سيما جناحها السرى شبة العسكرى وسفاحيه حيثما وجدوا ذلك مناسبا لهم ولكنهم ظلوا على حذر من التنظيم الذى كان يتحول احيانا ضدهم. وعندما نمت قوة الجماعة واعلنت ان عدد اعضائها فى مصر وحدها بلغ مائة الف ولها فروع فى القدس ودمشق وعمان اصبحت جماعة الاخوان المسلمين لاعبا هاما في مجال السياسة المصرية. ومن ثم فقد اجتذبت على مدى السنين اهتمام المخابرات الاجنبية بدءا من النازية الى السوفيتية KGB الى مكتب الخدمات الاستراتيجية التابع للمخابرات المركزية الامريكية.

وقد طغى تواجد الاخوان المسلمين على المسرح السياسى في نفس الوقت الذى بدأت فيه قوة بريطانيا فى منطقة الشرق الاوسط تعانى من عدم الاستقرار رغم أهميتها العالمية.

بعد انجلاء غبار الحرب العالمية الأولى سيطرت بريطانيا كقوة عظمى على المنطقة ولكن بصعوبة. ورفرف علم بريطانيا فى كل مكان من البحرالمتوسط الى الهند وظهر جيل جديد من الملوك واصحاب السلطان يحكم سلسلة من المستعمرات التى تخضع للسيطرة البريطانية او الدول الاقطاعية والدول الوراثية شبة المستقلة فى مصر والعراق والاردن وشبه الجزيرة العربية وفارس. وكانت كل هذة الممالك تخضع بدرجات متفاوتة لبريطانيا.ولكن مع ظهور محاولات بين الحين والاخرمن جانبها مطالبة لنفسها ببعض السلطة. كان الملوك يقعون بين شقى رحى، فمن ناحية اخذت تتشكل فى كل من هذة الدول حركات وطنية معادية للنظام الملكى ومن ناحية اخرى كان مكتب الخارجية البريطانية ومكتب المستعمرات يشرئبون باعناقهم. وامضى البريطانيون السنوات بين 1918 -1945 مثلهم مثل الكرات التى تتطاير فى الهواء يحاولون التوفيق بين الملوك وزعماء القبائل والطبقة الوسطى الصاعدة والجيش ورجال الدين فى كل من هذة الدول مع الحرص على المحافظة على النفوذ البريطانى، فى بعض الاحيان يصبح الملوك اكثر قوة ويتحالفون مع الجيش وفى هذه الحالة يحاول البريطانيون ان يفضوا هذا التحالف بتقديم المزايا الى روساء القبائل. واحيانا اخرى اذا بلغت القبائل او الجماعات الاثنية الاخرى درجة كبيرة من القوة تلجأ بريطانيا الى الجيش لسحقها.

وظهر اليمين الاسلامى خلال هذة الظروف من التوازن المختل مضيفا بـــذلك قوة توازن حيوية تستغلها بريطانيا فى المناورة ضد اعدائها الاساسيين: الـــوطنيين واليسار العلمانى.

الإسلاميون ضد الوطنيين

كان الاخوان المسلمون التنظيم الذى انشأه حسن البنا سنة 1928 هـــو ثمـــرة النمو المباشر لحركة الاسلام الشمولى التى اوجدها الافغانى ومحمد عبده، أما حلقة الوصل فهو رشيد رضا السورى الاصل الذى وصل الى مصر سنة 1897. حصل رشيد رضا على تعليمه الدينى فى طرابلس بلبنان التى يطلق عليها الان قلعة السنة.

وكان احد المتابعين المتحمسين لمجلة العروة الوثقى الاسبوعية التى اصدرها الافغانى ومحمد عبده وعندما وصل رشيد رضا الى القاهرة اخذ يبحث عن محمـــد عبده الذى ما لبث ان اصبح مفتيا للديار المصرية واصبح تابعه الرئيس. فى ســـنة 1898 اسس رشيد رضا مجلة المنار [66] وهى مجلة اسبوعية ذات ثمانى صـــفحات تعبر بصراحة عن تقاليد رابطة الاسلام الشمولى. وعلى خلاف الافغـــانى ومحمـــد عبده اللذين كانا يعملان من خلال الجمعيات السرية والجماعات التـــى تعمـــل فـــى الخفاء والحركة الماسونية، دعا رشيد رضا الى أنشاء (الربطة الاسلامية التى تعمل فى العلن ويوجد مركزها الرئيسى فى مكـــة وتمتـــد فروعهـــا الـــى كـــل الـــبلاد الاسلامية(2) [67].

ولكن رشيد رضا لم يحاول قط انشاء المؤسسة التى دعى الى انشائها وانمـــا بقيت هذة المهمة فى انتظار حسن البنا، وانشأ جمعية الدعوة والارشاد التى كانـــت بمثابة التنظيم التمهيدى للاخوان المسلمين.

وكان الشيخ محمد عبده يحظى فى ذلك الوقت برعاية اللورد كرومر الحـــاكم المطلق لمصر فى نهاية القرن التاسع عشر. ولكن ما كان بامكان رشيد رضـــا ان يتمم هذا العمل ما لم يكن قد حظى بالرضاء البريطانى.

---

66 – مجلة المنار

67 – يوجد بيان تفصيلى لعمل رشيد رضا فىمؤلف ادمز (الاسلام والحداثة فى مصـــر) (New York Russell and Russell1993) pp177- 204

طبقا لما اورده س.س ادامز C.C.Adams كانت جريدة المنار دائمة الهجوم على الحركة الوطنية المصرية الناشئة ذات الطبيعة العلمانية. ورد الوطنيون بمهاجمة رشيد رضا. ورحبت المنار كذلك بنمو السلطة السعودية:

"لقد انبثق نجم جديد من الامل مع صعود العائلة السعودية العربية ".

ان حكومة ابن سعود هى اكبر قوة اسلامية فى العالم اليوم منذ سقوط العثمانيين وتحول الحكومة التركية الى دولة لا دينية. وهى الدولة الوحيدة التى سوف تساعد السنة وتكشف البدع الضارة وكل ما يتنافى مع الدين [68]

وكان رشيد رضا يعتبر الوطنيين فى كل من مصر وتركيا (ملحدين وكفرة)[69]

اسست جمعية الدعوة والارشاد والمؤسسة التابعة لها مؤسسة الدعوة والارشاد فى القاهرة بتمويل اغنياء العرب في الهند وضمت يبن اعضائها طلبة من بلاد بعيدة مثل ماليزيا واندونسيا والهند واسيا الوسطى وشرق افريقيا. لقد شكلوا الموجة الثانية من الكوادر الدولية للحركة الاسلامية بعد الجمعيات السرية التى كانت ترتبط بالعروة الوثقى. وشكل عدد من الشيوخ المصريين المرموقين وعدد اخرمن القادة الدينيين ما اصبح يعرف باسم "جماعة المنار" التى تضم اتباعا لمحمد عبده من جماعة اخوان الصفا السرية.

فى مواجهة الحزب الوطنى الجديد ساعدوا على انشاء تنظيم سياسى اخر يطلق علية اسم حزب الشعب ضم بين اعضائة اتباعا لمحمد عبده ورشيد رضا. وكان حزب الشعب الذى عرف أنه أنشيء بمساعدة الاحتلال البريطاني ويؤيد صراحة احتلال مصر ويحظى برضاء اللورد كرومر الذى وصف اعضاءه بانهم مجموعة صغيرة ولكن نامية من المصريين الذين لم يسمع عنهم سوى القليل."

وفى تقريره السنوى لسنة 1906 قال اللورد كرومر ان الامل الرئيسى للوطنية المصرية بالمعنى الحقيقى والعملى للكلمة يعتمد فى رأيي على هؤلاء الذين ينتمون لهذا الحزب "[70].

وكان حسن البنا هو التابع الرئيسى لرشيد رضا.

من المستحيل المبالغة فى اهمية وشرعية حسن البنا. ان حرب القرن الواحد و العشرين ضد الارهاب هى حرب ضد خلفاء البنا واخوانه. ولقد ظهروا فى كل

---

68 – مقتبس من ادمز ص 185

69 – المرجع السابق ص 186

70 – المرجع السابق ص 222

مكان فى مكتب المدعى العام فى السودان، وميادين المعارك فى افغانستان، فى حماة بسوريا، على قمة الجامعات فى العربية السعودية،فى مصانع القنابل فى غزة، كوزراء فى الحكومة الاردنية، فى المراكز البنكية فى مشيخات الخليج وفى حكومة ما بعد صدام حسين فى العراق.

من اجل اخراج جماعة الاخوان المسلمين الى حيز الوجود ساعدت شركة قناة السويس البنا فى بناء مسجد الإسماعيلية الذى سوف يغدو مركزا لقيادة الاخوان المسلمين وقاعدة لعملياتهم وذلك طبقا لرواية ميتشيل "جمعية الاخوان المسلمين" [71]

ان حقيقة ان البنا انشا التنظيم فى مدينة الاسماعلية لهى فى حد ذاتها ذات مغزى. إن مدينة الإسماعيلية التى يبلغ عدد سكانها اليوم 200 الف نسمة وتقع فى الطرف الشمالى لقناة السويس أنشأها فرديناند دى ليسبس منشىء قناة السويس. بالنسبة لانجلترا تشكل القناة الطريق الذى لايمكن لبريطانيا الاستغناء عنه للوصول الى ممتلكاتها الثمينة فى الهند. فى سنة 1928 كانت المدينة النائمة على طرف القناة تسضيف ليس فقط مكاتب الشركة ولكن بالاضافة قاعدة عسكرية بريطانية اقيمت خلال الحرب العالمية الاولى. كذلك كانت فى العشرينات مركزا للمشاعر الموالية لبريطانيا فى مصر.

يقرر ميتشيل ان البنا كان على صلة وثيقة برشيد رضا [72] وكان والد البنا وهو رجل دين مؤثر واحد طلبة محمد عبده وكان حسن البنا نفسه فى شبابه قارئا شرها لجريدة المنار وقال عن رشيد رضا فيما بعد انه اكثر الناس فاعلية فى خدمة الدين الاسلامى فى مصر.[73]

كانت العلاقة بين الافغانى ومحمد عبده ورشيد رضا كما يرها البنا علاقة مباركة وطبقا لميشيل: " كان البنا يرى فى الافغانى داعية او مبلغا وفى رضا موثقا او مؤرخا. فالافغانى يحدد المشاكل ويحذر ومحمد عبده يعلم ويفكر(بمعنى اخر هو الشيخ الذى يلهم الاصلاح فى الازهر) ورضا يكتب ويوثق." [74]

---

71 – ريتشارد ميشيل ص 9 يلاحظ ان المرجع الذى يستخدمة ريتشارد ميشيل هو المذكرات الشخصية لحسن البنا Ritchard P. Mitchell,TheSociety of Mu8slim Brothers,London'1969, p.9

72 – المرجع السابق ص 5

73 – المرجع السابق ص 322

74 المرجع السابق ص 321

توقفت المنار عن الصدور اثر وفاة رشيد رضا سنة 1935 ولكن البنا اعاد اصدارها فى عام 1939 عرفانا بجميل معلمه[75]

كان برنامج الاخوان المسلمين السياسى الاول معقدا جدا، فقد اصر البنا على انه ينبغى على المسلم ان يعود الى الايام البسيطة الاولى التى كانت سائدة اثناء عصر النبى محمد وخلفائة الأوائل رافضا التفسيرات الحديثة للشريعة الاسلامية التى قدمها رجال الدين المحدثين والتى يرى انها تعكس المفهوم غير النقى المغرب للفكر الاسلامى الذى بدا يغزو عقول المسلمين سيما الشباب منهم.

كان القرآن حسبما يرى البنا فيه الكفاية. وفى مواجهة الوطنيين المصريين فى العشرينات الذين كانوا يطالبون بالاستقلال الوطنى وجلاء البريطانيين ودستور ديموقراطى" رفع الاخوان الشعار الذى لاتزال ترفعة الحركة الاسلامية حتى اليوم وهو "القران دستورنا"[76]

وفى الحقيقة كان القران والسنة كافيين لادارة المجتمع والشريعة الاسلامية قادرة على ان تحل محل القوانين الوضعية الماخوذة من القانون العلمانى.

غير ان مفهوم البنا للدولة الاسلأمية كان يمثل نظرة تتسم بقدر كبير من عدم النضوج. ومن المتوقع ان يقوم التابعون سيد قطب والباكستانى ابو الأعلى المودودى والخمينى..... الخ بتطويرها.

وطبقا لميشيل يقول البنا ان "هيكل الدولة الاسلامية يجب ان تحدده ثلاثة مبادىء:

1- القران اساسا للدستور

2- أن تعمل الدولة طبقا لمبادىء الشورى

3- أن الحاكم التنفيذى للدولة يجب ان يتقيد بتعاليم الاسلام وارادة الشعب.[77]

الإسلام، حسبما يرى البنا يحوى كل شىء فهو نظام محدد من الايمان، ويشير الى السلفية باعتبارها العودة الى اساسيات النقاء، والصوفية هى عالم من الروحانيات مثلها مثل الحركة الماسونية فى اطار الاسلام. ووصف البنا حركتة

---

75 - المرجع السابق ص 186

76- Gilles Kepel , The trail of Political Islam,Cambidge,2002, p.27

77 - ميتشيل ص 246

بأنها رسالة سلفية،.طريقة سنية، حقيقة صوفية،. تنظيم سياسى،. جماعة رياضية، نقابة ثقافية تعليمية، شركة اقتصادية وفكرة اجتماعية.[78]

فى سنة 1932 انتقل البنا الى القاهرة وأسس جماعة الإخوان المسلمين فى العاصمة المصرية. وخلال العشرين سنة التالية حتى ثورة 1952 عملت جماعة الاخوان المسلمبن كممثلة لليمين المصرى بالتحالف مع القصر ومع الجناح اليمينى لحزب الوفد وكبار الضباط المحافظين فى الجيش المصرى. وفى سنة 1933 عقد البنا المؤتمر الأول للتنظيم فى القاهرة ثم بعد ذلك نوادى الشباب والرياضية والاتحادات الرياضية المرتبطة بالاخوان المسلمين وبدات بتشكيل وحدات شبة عسكرية اطلق عليها اولا اسم الجوالة سنة 1936 ونظمت بوضوح على نفس الاسس التى نظمت عليها الحركات الفاشية فى اوربا وفيما بعد اطلق على الجوالة اسم الكتائب [79] وكان لها تواجد فريد فى مصر: منظما ومتوعدا، مطلق الولاء للبنا. وفى سنة 1937 فى حفل تتويج الملك فاروق عهد الى بلطجية الاخوان بتامين "النظام والامان" لحفل التتويج.[80]

كان حزب الوفد هو المنافس الرئيسى فى فترة ما بين الحربين للاخوان المسلمين، ونظم من بين قواعد الحركة الجماهيرية السياسية المناهضة للاحتلال البريطانى قبل الحرب العالمية الثانية وسمى بهذا الاسم (الوفد) تيمنا بالوفد الذى قاده سعد زغلول لحضور الموتمر الدولى الذى عقد بعد الحرب العالمية الاولى وقرر فيه الامبرياليون المنتصرون مستقبل المنطقة وانشاء دولا كاملة ألحقوها بعدد من مختلف العواصم الاوربية. كان الوفد يمثل تحالفا لقوى مختلفة فيه اليسار والوسط واليمين ودخل فى تحالفات مختلفة احيانا مع الملك واحيانا ضده ومع قوى سياسية اخرى على مر السنين. اما يسار الوفد فقد اختار التحالف مع اليسار الشيوعى بينما آثر يمين الوفد اقامة علاقات سرية مع الاخوان.

خلال العقود التالية لعب البنا لعبة مركبة ذات ابعاد ثلاثية فى السياسة المصرية، فقد اقام علاقات وثيقة مع النخبة التى تحيط بالملك فاروق حاصلا بذلك على دعم مالى وسياسى وموفرا للملك ادوات مخابراتية وفرق صدام ضد اليسار. وفى الاربعينيات كان للاخوان صلات داخلية وخارجية مع القصر وتدفق على

78- المرجع السيق ص 14

79- الكتائب نفس التعبير الذى استخدمة ال الجميل – امراء الحرب فى لبنان مثلهم فى ذلك مثل الكثير من الاسلامين الذى اعجبوا بهتلر

80 – ميتشيل ص ص 13- 16

العديد منهم كمية كبيرة من الاموال. وكان البريطانيون ايضا داخل هذه اللعبة – كما يقول جويل جوردون [81] Joel Gordon وهو خبير فى حركة الاخوان المسلمين "ايما شيء يقوم به القصر ذو علاقة بالانجليز" وطور البنا علاقات وثيقة مع اثنين من كبار المسئولين المصريين المتنفذين وهما رئيس الوزراء على ماهر وهو داعية متحمس للاسلام الشمولى والفريق عزيز المصرى قائد القوات المصرية واقام البنا من خلال قنوات معظمها سرية، صلات عديدة بالقصر وفى بعض الاحيان عن طريق الطبيب الخاص بالملك او من خلال مسئولين حكوميين عديدين او من خلال الجيش. وكان الملك يستشيره فى تعيين رؤساء الوزارات وتلقى على الاقل دعوة لحضور احد الاحتفالات الملكية.

يقول ميتشل "من الوضح ان جمعية الاخوان كانت اداة تستخدم ضد الوفد والشيوعيين "[82] كان الجناح اليمينى للوفد وبصفة اساسية ملاك الاراضى والرأسماليين يعتبرون الاخوان حلفاء لهم بينما كان التيار الاساسى للوفد يعتبر الاخوان قوة رجعية"[83]

الجهاز السري للإخوان المسلمين

خلال الحرب العالمية الثانية اقام الاخوان المسلمون بادىء ذى بدء جهاز مخابراتهم ووحدة سرية ارهابية اطلقوا عليها: "الجهاز السرى" "جمع جهاز مخابراتهم معلومات عن المنشئات العسكرية والسفارات الاجنبية والمكاتب الحكومية وغيرها"[84] حسبما اشار محلل سياسى فى الخمسينات " ان هذه الوحدة السرية هى التى اعطت جمعية الاخوان المسلمين سمتها الجديدة كمنظمة ارهابية. انشئت هذه المنظمة سنة 1942 وخلال السنوات الاثنى عشر التالية، وحتى تم سحقها بواسطة عبد الناصر ستتولى اغتيال عدد من القضاة وضباط الشرطة ومسئولين حكوميين وتقوم بحرق وسلب مؤسسات يهودية مصرية وهجمات على النقابات العمالية

81 - مناقشة مع المولف Joel Gordon يونيو 2004

82 – ميتشيل ص ص 40-42

83 – المرجع السابق ص 27

84- Zvi Kaplinsky, The Muslim Brotherhood, Middle Eastern Affairs, December 1954, p. 378

والشيوعيين، وخلال هذه الفترة عملت غالبا بالتنسيق مع الملك مستخدمة قوتها شبه المسلحة لمصلحته ضد أعدائه السياسيين. وحينما بدأت قبضة الملك تتراخى أبعد الإخوان أنفسهم عنه بينما انشأوا علاقات سرية مع الجيش وأجهزة المخابرات الاجنبية. ولكنهم كانوا دائما معادين لليسار. وطبقا لميتشيل عمل الجهاز السرى للاخوان بنفس الطريقة التى كانت تعمل بها مخابرات(مباحث) الحكومة المصرية. فى 1944 بدأ جهاز مخابرات الاخوان يخترق الحركة الشيوعية المصرية التى انتعشت خلال الحرب العالمية الثانية واعتبرها الاخوان احد اعدائهم الرئيسيين"[85]

مما لا شك فيه ان الاغلبية العظمى من عضوية الاخوان كانت موجهة بحماس من اجل انشاء دولة اسلامية يمينية. وكانوا يعارضون بقوة الامبريالية. ولكن قيادتهم كانت تمارس لعبة السياسة باعلى مستوياتها، فهى تتعاون مع الملك والاحزاب العلمانية والجيش والقوى الامبريالية. غير انه ليس معروفا بشكل مؤكد ما اذا كان قادتهم مؤمنين بحق وعازمين على ان يجعلوا الصفقات التى يبرمونها مع شياطين العالم الكبار مؤقتة ام كانوا سياسيين ماكرين او عملاء مباشرين للقوى الاجنبية. لكن لم يكن هناك سوى شك ضئيل فى أنه بينما كان بعض قادتهم مخلصين حقا فان بعضهم الآخر كان بوجهين وكان عميلا.

عاش الاخوان المسلمون فى نوع من المأزق السياسى، فجناحهم العلنى ونجومهم السياسيين – وبشكل خاص البنا نفسه- خادن الملوك والجنرالات بينما انشغل جناحهم السرى بالتجسس والاغتيالات. وطالما كان عنف الاخوان موجها نحو اعداء الملك والبريطانيين فقد كانو يمارسون ذلك دون خشية من عقاب، إلا أنهم حين يتخطون الخطوط الحمراء كما هو شانهم بين الحين والآخر، فان الحكومة كانت تشن عليهم الحملات او تحظر نشاطهم بشكل مؤقت. وفى أحيان أخرى قد يرى القصر او الجيش أن ثمة فائدة فى ذلك، ببساطة إذا بلغوا قدرا كبيرا من القسوة بحيث يتحملها النظام وقد يدعمها. وبالاضافة فقد كان لدى جمعية الاخوان المسلمين خلال وجودها ما يعوضها من المساندة المالية والمادية التى كانت تتلقاها من العائلة الملكية السعودية والمؤسسة الوهابية.

كان الاخوان المسلمون منظمين فى خلايا او اسر وهى جماعات تتكون من خمسة – سبعة اعضاء حصلوا على التدريب الفكرى والعسكرى لفترة طويلة وممتدة احيانافى الفروع المختلفة لحرب العصابات حتى يصبحوا "اخوانا عاملين". وكانوا

85 – ميتشيل ص 32

عندما يكتمل التدريب يتظاهرون – طبقا للتعليمات التى تلقوها– بأنهم تخلوا عن الاخوان والتحقوا بتنظيمات اخرى تعمل فى مجال العقيدة أو الرياضة."[86]

كان البريطانيون بحكم خبرتهم العريقة على مدى قرنين فى المجال السياسى الدينى والقبلى على دراية بقوة الحركة الاسلامية. اعترف احد ضباط المخابرات البريطانية وكان مرتبطا بالملك، بقوة حركة الاحياء الاسلامي بعد الحرب العالمية الثانية. كان يعمل فى المخابرات البريطانية ضابط اتصال اسمه ديفيد "آرشى" بويل، وهو ضابط مخابرات عريق، كان على اتصال برئيس الديوان الملكى احمد حسنين باشا. استشعر بويل "دمدمة الغليان الصادرة عن قوة الصحوة الاسلامية التى بدأت سنة 1946 كما كان الشأن سنة 1919 وكيف كانت تؤثر على بلدان الشرق الاوسط بكاملها، الا انها كانت هذه المرة مضاعفة نتيجة السباق على البترول"[87] وكانت السفارة البريطانية وفيما بعد السفارة الامريكية فى القاهرة على اتصال منتظم بجماعة البنا من الاخوان المسلمين.

بعد الحرب العالمية الثانية شن نظام الملك فاروق المتداعى حملة ضد اليسار وكانت حملة قمع مكثفة موجهة ضد الشيوعيين. كانت الحرب الباردة قد بدأت. وعلنا قام اسماعيل صدقى باشا الذى عين رئيسا للحكومة بمساندة البنا وتمويل الاخوان وأعد لهم المعسكرات لتدريب قواتهم الصدامية.وأيد الاخوان المسلمون الحملة الساحقة ضد اليسار وعضدوها بحماس.

: فى هذه الحملة ناهض الاخوان المسلمون بمرارة الشيوعيين والتحقوا بها بحماس وأوردت صحفهم أنباء الحملة فى عمودها اليومى المعنون:المعركة ضد الشيوعيين". وامدت مخابراتهم الحكومة بمعلومات ثمينة فى الحملات المتتابعة التى قامت بها ضد الشيوعيين الحقيقيين والمشتبه بهم سيما فى دوائر العمال والجامعة"[88]. وبالاضافة نظم الاخوان نقابات يمينية وخربوا الاضرابات وناهضوا بمرارة الوطنيين الوفديين (عادة ما يكونون على اتصال بالوفديين اليمينيين). وينهى ميتشيل كلامه قائلا:" فى اللحظة الراهنة فان القصر ورؤساء الحكومة المحافظين والاخوان المسلمين لهم عدو مشترك هو: الشيوعية والوفد."[89]

---

86 – كابلنسكى ص 378

87– Stephen Dorril, M16 , New York 2000,p.538

88 – ميتشيل ص 39

89 – المرجع السابق ص 40

فى الاربعينات كان انور السادات رئيس جمهورية مصر فيمابعد عضوا اساسيا فى جماعة الاخوان المسلمين، وكان على صلة وثيقة اثناء الحرب العالمية الثانية بحركة فضفاضة مشكلة من صغار الضباط شكلت رسميا سنة 1949 بفضل عبد الناصر تحت مسمى تنظيم الضباط الاحرار المصريين فى مطلع الحرب الفلسطينية واستولت على السلطة من الملك فاروق سنة 1952.وضمت حركة الضباط الاحرار اعضاء ذوى ايديولوجيات متباينة من الشيوعيين والوطنيين اليساريين والوفديين واعضاء من الاخوان المسلمين، يوحدهم جميعا الاعتقاد بان الملك فاروق رجل فاسد لا رجاء منه وأنه عميل. كانت المعاملة المذلة التى تلقاها الملك اثناء الحرب العالمية الثانية على يد السفير البريطانى سير مايلز لامبسون الذى حسبما قيل لهم اطلق على فاروق لفظ "ولد"[90] فى مواجهته قد اشعلتهم غضبا وتعاهدوا فيما بينهم واحدا اثر آخر على الارتباط معا بعد سنوات الحرب.

كان السادات عضوا يمينيا فى حركة الضباط الاحرارالناصرية، وكان حلقة الوصل بين الضباط العسكريين غير المتجانسين والبنا. خلال الحرب كان السادات على علاقة متكافئة مع مؤسس حركة الاخوان. فى سيرته الذاتية " البحث عن الذات" قدم السادات بيانا مفصلا عن علاقته بالبنا.[91] ، فهويشيد بحرارة بالبنا قائلا:" كان فهمه للعقيدة عميقا وكان عرضه لها مؤثرا. كان فى الحقيقة كفؤا من كافة الوجوه ليكون قائدا دينيا. وبالاضافة كان مصريا حقا، خفيف الروح، مرحا، رقيقا وحمولا. ادهشنى بدقة تنظيم الاخوان المسلمين وبالاحترام البالغ حد التقديس الذى يحظى به القائد الاعلى للجماعة."[92]. فى سنة 1945 حاول السادات ان يرتب لقاءا بين البنا والملك فاروق عن طريق يوسف رشاد وهو احد المتصلين بالسادات وطبيب الملك الخاص ولكن هذا اللقاء لم يتم، غير انه فى خلال مناقشة بين السادات والبنا اتفقا على التعاون معا من اجل انشاء الضباط الاحرار. وبدأ البنا يجند ضباطا لهذا الغرض."[93]

---

90 – سعيد ابو ريش Said Aburish , Nasser: The Last Arab,New York, 2004,p.18

91 – انور السادات I n Search of Identity, New York 1977 – يجب اخذ كلامه هنا بشئ من الحذر لانه كتب منتصف السبعينات وكان مشغولا فى ذلك الحين بعمل تحالف سياسي مع الاخوان المسلمين العائدين علما بلان الكتاب اغفل تفاصيل مهمة.

92 – السادات ص 22

93 – المرجع السابق

ما اذا كان البنا يجند اعضاء للضباط الاحرار ام لاختراق هذا التنظيم فهو امر غير واضح. فالاخوان المسلمون كانوا اكثر من حركة، كانواعقيدة، كانوا حزبا للتجديد، كانوا عملية مخابراتية، كانوا وحدة شبه عسكرية وكان تنظيما عالميا يبنى لنفسه فروعا فى الكثير من دول الشرق الاوسط. ما هو واضح انه خلال الاربعينات كان البريطانيون والنازى والسوفييت قد اخترقوا تنظيم الاخوان المسلمين تماما.

فى الثلاثينات التمس كثير من القوميين العرب ذوى الاتجاه اليمينى والكثير من المسلمين اليمينيين بمن فيهم الاخوان المسلمون، التمسوا فى المخابرات النازية الالمانية النجدة والمساندة واقاموا علاقات معها. طبقا لمايلز كوبلند Miles Copeland وهو أحد اساطين العاملين فى المخابرات المركزية الامريكية وامضى سنوات عديدة فى مصر خلال الحرب العالمية الثانية " كان تنظيم البنا في الحقيقة وحدة مخابراتية ألمانية"[94]. مما لا شك فيه ان كوبلند بالغ فى قوله هذا ربما عن عمد برغم ان هناك العديد من الاسلاميين كانت لهم روابط بالنازية فى ثلاثينات واربعينات القرن العشرين. وبعد الحرب العالمية الثانية هاجر العديد من الاسلاميين الذين كانو مرتبطين بالنازى مرة اخرى الى بريطانيا ثم الى الدوائر الانجلوامريكية، احيانا مقابل اغراءات مالية سخية.

في الخمسينات عندما القى ناصر القبض على زعماء الاخوان، اكتشفت اجهزة مخابراته الى اى حد كانت علاقات التنظيم معقدة. يعلق كوبلند قائلا:" تم استنطاق منظمي هذه الجماعة الذين القى القبض عليهم ووجدوا الى اى حد كان التنظيم مخترقا اختراقا تاما من القمة من قبل المخابرات البريطانية والامريكية والفرنسية والسوفييتية، وان ايا من هذه المخابرات كان يستطيع ان يستخدمه او أن ينسفه من الداخل حسبما يلائم اغراضه."[95] وحينما اتضح أكثر فأكثر لكل من لندن وواشنطن ان الملك فاروق لن يمكنه الاستمرار، كان البحث يجرى عن نظام بديل.كانت الخيارات المطروحة هى اولا اتحاد الوفد والشيوعيين والثانى هو التحالف السرى بين الاخوان وضباط الجيش. ولكن لا البريطانيين ولا الامريكان كانوا يرغبون فى الخيار الوفدى الشيوعى. كان يبدو أن البريطانيين مصممون على تدعيم النظام الملكى بينما يفضل الامريكان دعم الضباط الاحرار الناصريين.وكان للاخوان علاقات مزدوجة مع كل من النظام الملكى والضباط الاحرار، وقاموا بلعبة مزدوجة.

---

94 – مايلز كوبلند المرجع السابق ص 184

95- المرجع السابق

كان حزب الوفد نفسه موزعا بين أجنحة مختلفة ويعانى من الفســاد. ولكــن جزءا هاما من الوفد كان يسعى إلى التحالف مع اليسار والشيوعيين الامر الذى كان مصدر قلق للقصر والبريطانيين والاخوان المسلمين. وبذل الاخوان جهدهم من اجل افساد اى امكانية لقيام محور وفدى شيوعى، ورد الوفد على الاخوان واصفا ايــاهم بعصابة البنا الذين يتلقون الاموال من البريطانيين واسماعيل صدقى رئيس الوزراء الموالى لبريطانيا. واتهم الشيوعيون والوفديون الاخوان بــانهم ادوات الامبرياليــة، واتهم الوفد كتائب الاخوان بانهم يسيرون على نهج الارهاب الفاشى وطالب بحــل الوحدات شبه العسكرية للاخوان وضرب العديد من الامثلة على العمليات التى قــام بها بلطجية الاخوان لتخريب الاضرابات[96]. كان الاخوان قد اكتسبوا مزيدا من القوة نتيجة لتحول غير متوقع جرى سنة 1948 بسبب انفجار الحرب فى فلسطين.

البنا والمفتى

ادت الحرب العربية اليهودية الى زيادة قوة الاخوان المسلمين بدرجة كبيــرة. وكانت لحظة كارثية بالنسبة للشرق الاوسط حيث ظهرت امة يهوديةجديدة اقامــت نفسها على جزء من ارض فلسطين التى كانت تحتلهــا بريطانيــا.كانــت الحــرب وهزيمة الجيوش العربية من قبل الوحدات شبه العسكرية اليهوديــة وانشــاء دولــة اسرائيل ككيان دائم، كل ذلك غير من الديناميكية السياسية فــى الشــرق الاوســط ووضع الاسلام السياسى فى هذه المنطقة فى وضع شائك بطرق متعددة، فمن ناحية شكل الاخوان وحداتهم شبه العسكرية خلال الحرب نفسها وحصلت هذه الوحــدات على الدعم الرسمى من جانب الدول العربية. ومثلهم مثل المجاهدين الافغان خــلال الثمانينات تشكلت وحدات من المتطوعين الاسلاميين الذين صقلتهم المعارك، ومــن ناحية ثانية فان خسارة الانظمة العربية قد نالت من سمعتها بما فى ذلــك الانظمــة الملكية، وخلقت فراغا مهيئا لتشغله قوى سياسية جديدة مثل الاخــوان المســلمين، وانتهز الاسلاميون الناشئون الفرصة المتاحة باكملها لشن دعايتهم التى تــدورحول فقدان فلسطين. ومن ناحية ثالثة تمكن الاسلاميون من حشد رصيد سياســي كبيــر بالتحذير من الخطر اليهودى على القدس والاماكن الاســلامية المقدســة الاخــري واستخدموا ذلك التحذير كنداء مدوى تحتشد الجماهير حوله. وشحذت هذه الحــرب كذلك الروابط التى تربط الاخوان بمفتى القدس، وهو احد الناشــطين الاســلاميين

96 – ميتشيل ص 47 وغيرها

الذين يتمتعون بالرعاية البريطانية والمتآمر الذى يدعمه النازى، الحاج امين الحسينى مفتى القدس. وتمتد علاقتهم لأكثر من عقد، فقد التقى الحاج امين الحسينى حسبما توضح الوثائق لأول مرة مع الاخوان المسلمين سنة1935 حين التقى عبد الرحمن البنا شقيق حسن البنا الذى سبق ان ساعد البنا فى تأسيس الجماعة ورأس جهازها السري[97]. ومثله مثل البنا لعب الحاج أمين دورا بالغ الأهمية في تأسيس حركة القرن العشرين السياسية الإسلامية الأصولية.

لقد استفز إنشاء إسرائيل بطبيعة الحال ليس الإسلاميين فحسب ولكنه غذّى القوميين العرب من أمثال ناصر الذين أرادوا أن يخلصوا العالم العربى من تآلفه مع الملوك الفاسدين. كانت اسرائيل فى نظر الوطنيين رمزا للضعف العربى والتبعية شبه الاستعمارية التى يرعاها الملوك التابعين فى مصر والاردن والعراق والعربية السعودية. غير أن البنا والإخوان تحدوا هذه النظرة وزعموا أن القوميين العرب هم المخطئون وانه لا يرجى اى نفع من القومية العلمانية أو بناء الدولة الوطنية. وبكل تأكيد البناء على النمط الغربى، وان الطريق الوحيد لاسترجاع المجد السابق للعالم الاسلامى هو العودة الى الاسلام الاصولى الذى يحملون لواءه. كانت ثمة معركة متعددة الأبعاد فى طور النمو لتقرر مستقبل الشرق الاوسط. وكان الاسلاميون مجرد طرف واحد ضمن القوي المتنافسة العديدة التى تتنافس فى مواجهة بعضها البعض. كان هناك الوطنيون واليسار (بما فى ذلك الاحزاب الشيوعية العربية النامية) والمثقفون العلمانيون والطبقة العاملة فى المدن وكان هناك التجار والاغنياء ورجال الاعمال العاملين فى مجال التجارة الخارجية وتجار الداخل، وكان هناك المثقفون التقليديون وزعماء القبائل وملاك الاراضى الارستقراطيون واخيرا كان هناك الملوك وجيوشهم. كان الاسلاميون البرجوازيون الناشئون يمثلون فرس الرهان، فهم معارضون بشدة للوطنيين واليسار ويحتفظون بروابطهم مع النخب التقليدية ويحظون بتاييد الكثير من التجار ولهم كذلك تحالفاتهم السرية مع ضباط الجيش وانصار الملك. وبالنسبة للبريطانيين والامريكان وامثالهم الذين جاءوا متاخرين، كان من الصعب معرفة الى أى جانب يراهنون.

لقد عقدت الحرب الفلسطينية حسابات الانجليز والامريكان فى اواخر الاربعينات. كان كل من اليسار واليمين يلوم الغرب بسبب موقفه من الغزو الاسرائيلى.

---

97 – ميتشيل ص 55.

حقق الاخوان المسلمون نموا مضطردا فى اواخر الاربعينات، وساهم سعيد رمضان زوج بنت البنا فى تنظيم الكثيرين فى فلسطين والاردن. وبذريعة تسليح انفسهم للحرب ضد الصهيونية جمع الاخوان المسلمون وخزنوا عتادا من الاسلحة التى امدهم بها سرا اعضاء الجهاز السري الذين كان لهم علاقات مع الجيش المصري. وتذرع تحالف البنا والحاج امين الحسينى بذريعة الحرب الصليبية فى فلسطين مما ساعد الاخوان على مد نفوذهم الى سوريا والاردن ولبنان وفلسطين.

ان الزعم بان الحاج امين الحسينى كان له مهمة محددة هو قول مبتور، فنظرته العالمية الجنونية كانت تتركز حول كراهيته الشرسة لليهود ودعمه العلنى لهتلر مما جعله محط ازدراء المؤرخين. ولكنه كان منذ البداية صنيعة بريطانية وكان له لمدى عقود تأثير سحرى على بعض البريطانيين الذين يعملون في اجهزة المخابرات بمن فيهم فريا ستارك Freya Stark وهو عامل اسطورى فى المخابرات البريطانية اطلق على الحاج امين الحسينى صفات تكاد تكون تقديسية حيث يقول:" هناك جلس المفتى متدثرا كله برداء فضفاض ناصع البياض. كان رجلا فى الاربعينات يرتدى عمامة تبدو كالهالة. كانت عيناه ذواتا اللون الازرق الفاتح تتألقان ببهاء نجم يتساقط لتوه من السماء"[98]

باختصاريمكن القول ان مهمة الحاج امين الحسينى بدأت بداية متواضعة، فهو سليل لعائلة فلسطينية عربية هامة. درس فى الازهر – جامعة مصر الاسلامية، ولكنه لم يكن مجتهدا ففشل فى اتمام دراسته وبعد الحرب العالمية الاولى التحق بوظيفة مترجم فى وكالة رويتر للانباء فى القدس. وتدريجيا اخذ يشغل نفسه بالسياسة الفلسطينية ولكنه أبدى ميلا للعنف وللنظريات المتطرفة المعادية لليهود التى تتحدث عن مؤامراتهم بمافيها بروتوكولات كبار الصهاينة. وقبض عليه لدوره فى الاضرابات المناهضة لليهود، ولكن سير هربرت صمويل المفوض البريطاني الأعلى فى فلسطين– وهو يهودى– اصدر سنة 1920 بشكل دراماتيكى عفوا خاصا عنه كما وضع الترتيبات اللازمة لصعوده المميز الى السلطة[99]

ومع ان مؤهلاته كداعية اسلامى كانت لا تذكر فان سير رونالد ستورز Ronald Storrs حاكم القدس عزز الانتخابات التى جرت لصالحه وعينه مفتيا للقدس.

---

98 – Joseph B. Schechtman, The Mufti and the Feuhrer, New York ,1965 p.287

99 – المرجع السابق ص 21

طبقا للقاموس السياسي للشرق الاوسط للقرن العشرين، فان المفتى هو:

" موظف سنى مسلم يصدر الفتاوي فى المسائل المطلوبة. فى معظم البلاد الاسلامية يتم اختيار المفتى بواسطة الحكومة. والمفتى له وضعية خاصة محترمة وتاثير روحى واجتماعى كبير ولكنه لايقوم بعمل تنفيذى وليس له انتماء سياسى. واستثناءا من ذلك كان مفتى القدس الحاج امين الحسينى (الذى عين فى الخدمة سنة 1921 وطرد منها سنة 1937) واستغل وظيفته فى تدعيم قيادته السياسية"[100]

بعد سنة انشأ هربرت صمويل المجلس الاسلامى الاعلى الذي اعلن مسئوليته عن الاوقاف الدينية الغنية وسمى الحاج امين الحسينى رئيسا لها. هاتان الوظيفتان اعطتا ذلك الديماجوجى المسلم الجوال نفوذا سياسيا هائلا "[101].

وبالتوازى مع جمعية الاخوان المسلمين عقد الحاج امين الحسينى سنة 1931 مؤتمرا اسلاميا فى القدس وشد الرحال الى الهند فايران فافغانستان والى بلاد اسلامية اخري لجمع المال وتلقى الدعم. وقد حظى بنذرغير يسير من دعم بريطانيا وحمايتها حتى حينما كان يميل الى التحالف السياسى مع المانيا، فحينما القى القبض عليه ضمن ستين مناضلا فى فلسطين خلال تمرد ضد البريطانيين سنة 1936، اطلق سراحه وهو الذى كان له دوره فى هذا التمرد[102].

وعلى كل فان ميوله النازية قد دفعت به الى الهرب اولا الى لبنان ثم العراق فايران واخيرا الى برلين بعد ان عبر لهتلر عن تعاونه وولائه فى كل المجالات"[103].فى المانيا اشرف الحاج امين على مفاتيح الاذاعة الدعائية الموجهة الى الشرق الاوسط كما ادارشبكة التجسس ونظم الوحدات الاسلامية لقوات العاصفة النازية المشكلة من ابناء البوسنة اساسا.

مع انهيار الرايخ الثالث غادر المفتى المانيا بهدوء متوجها- عبر سويسرا- الى فرنسا ليستقر فيها، ورفض الحلفاء القاء القبض عليه او اعتقاله واعلن البريطانيون بشكل خاص انهم لا يريدون تسليمه، واصدر السكرتير المساعد للخارجية البريطانية تصريحا جاء فيه:" ان المفتى ليس مجرم حرب"[104]. فى سنة

100- Political Dictionary of the Middle East in the Twentieth Century,Jerusalem ,1971 p.260

101 - Schechtman, مرجع سابق ص ص 23-24

102 - مرجع سابق ص 45.

103 - مرجع سابق ص 106.

104 - مرجع سابق ص 172

1946 وصل الحاج امين الحسيني ظافرا الى مصر حيث تم الترحيب به بوصفه ضيفا على الملك.وكتب مراسل النيويورك تايمز فى اغسطس سنة 1946 قائلا:" ان بيت المفتى قد اصبح مزارا للاسلام السياسي واصبحت فيللا عايدة بالقرب من محطة رشدي باشا هى خط سير السيارات التى تعبر الاسكندرية متجهة الى ضاحية الرمل." واشار تقرير لجريدة النيويورك تايمز الصادرة فى اغسطس 1946 الى: " تواجد عسكرى مصري بين كل 8 -10 ياردات حول الحديقة والى وجود حراسة خاصة للمفتى فى الداخل."[105]. ويشير تقرير اخر الى ان النشاط السياسي للمفتى ممول بسخاء من قبل الملك عبد العزيز آل سعود ملك العربية السعودية والملك فاروق ملك مصر.[106]

من الواضح ان بريطانيا لم تقدم الى المفتى اى احتجاج لأنها سرعان ما ستستخدمه فى الدعاية لها حيث انشات المخابرات البريطانية لها في القاهرة " وكالةالانباء العربية" ومحطة" اذاعة الشرق الادنى" وكان اول مدير لها هو الفريد مارسك Alfred Marseck قائد الفيلق البوسنى وهو مسلم ورع كان قد خدم فى الشرق الاوسط قبل الحرب وكرس افضل سنى حياته لخدمة المصالح العربية حتى انه تحول الى الاسلام."[107]ربما استاجرت المخابرات البريطانية إم آى 6 الحاج امين الحسيني نظرا لخبرته السابقة فى اذاعة النازى. وكان الرجل الذي يشرف على اذاعة الشرق الادنى من خلال مؤسسة الشرق الادنى التابعة للمخابرات البريطانية هو سير كيناهان كورنواليسKinahan Cornwallis وهو ارستقراطى مصرفي بريطانى كان يراس المكتب العربى وهو المكتب الرئيس للمخابرات البريطانية فى القاهرة خلال الحرب العالمية الاولي بالاضافة الى قاعدةالعمليات التى كان يديرها ت. ا.لورنس [108].

فى سنة 1946 شكل المفتى والاخوان المسلمون معا تنظيما شبه عسكرى فى فلسطين اطلق عليه "المنقذون" ويضم قرابة 10 عشرة آلاف رجل تحت السلاح[109]. ولكن السلطات البريطانية اما ان تكون قد غضت الطرف عن"المنقذين" او تجاهلتهم.

105- دوريل ص 237

106 - Joseph Alsop ,Crafty Fanatic Organizes Troubles in Palestine, Boston Evening Globe,December17, 1947

107- دوريل ص 237

108 - المرجع السابق ص 540,

109 - Andrew Roth, The Mufti's New Army, The Nation, November 16 ,1946.

خلال ذلك انشأ البنا والمفتى علاقة عمل فيما بينهما. وتم وضع احدى الوحدات العسكرية التابعة للاخوان المسلمين فى غزة تحت قيادة مساعد سودانى للمفتى[110]. فى القاهرة ساند البنا الحاج امين بوصفه رئيس الحكومة الفلسطينية الجديدة وربما كانت عودته الظافرة الى غزة سنة 1947 واعلانه قيام الدولة الفلسطينية وتعيين نفسه رئيسا لجمهوريتها.[111] ربما كانت هذه النقطة هى ذروة المهام التى اضطلع بها المفتى.

ولكن مع الهزيمة العربية على يد القوات اليهودية لم يعد هناك ثمة اثر لدولةالحاج امين المزعومة، ومع ذلك يمر الحاج امين من هذه المحنة وينجح ويعود للمعركة فى الخمسينات.

ولكن البنا كان يقترب من نهاية حياته الملتهبة. كان نظام الملك فاروق يقف على رجل واحدة والحلقة السياسية الشريرة تضيق حوله. زلزلت ازمة الحرب الفلسطينية سنة 1948 نظام الملك فاروق وجعلت من الصعب عل اية قوة سياسية ان تقف الى جانبه وبالاضافة غشت البلاد ازمة اقتصادية صحبتها تمردات ومظاهرات واضرابات وعنف متنامى. وانهارعرس الوفاق بين الاخوان والقصر واخذ كل من الوطنيين والاسلاميين يحاول التميز السياسي عن طريق القاء مسئولية الهزيمة على نظام الملك فاروق العاجز.

واخيرا فى ديسمبر1948 اصدرت الحكومة قرارا بحظر جماعة الاخوان المسلمين، وبعد اربعة اسابيع قام احد قتلة الاخوان باغتيال رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى باشا، بعد ذلك بشهرين،سنة 1949 جاءت نهاية البنا المفاجئة حيث تم اغتياله واطلق عليه النار فى الشارع خارج المقر الرئيس لجمعية الشبان المسلمين فى القاهرة، على الأرجح بواسطة احد ضباط الامن المصريين.[112]

كانت وفاة البنا علامة فارقة للمرحلة الاولى للاخوان المسلمين وبداية مرحلةجديدة. بعد وفاة البنا بدا الصراع بين الاجنحة المختلفة داخل الاخوان من اجل السيطرة على الجماعة،واخذت الجماعة تتذبذب مابين العمل لسري والعلنى اولا ثم واجهتها مشكلة فرض الحظر عليها بعد المعاناة التى كابدتها. تولى القيادة خلفا للبنا

---

110 Scgechtman , p. 223.

111- المرجع السابق ص 234

112 - لم يقبض على احد اطلاقا بسبب اغتيال البنا . وحسبما يرى معظم المؤرخين فقد تم اغتياله بواسطة احد ضباط الامن بناءا علي اوامر صادرة من الحكومة المصرية.

المستشار حسن اسماعيل الهضيبي وهو قاض مصري كان اخوه يشغل منصب رئيس التشريفات الملكية وتم اختياره بناءا على الاعدادات التى قام بها ملاك الاراضى الاغنياء فى الصعيد (بعد 50 سنة سيتولى ابنه منصب المرشد العام للجماعة)، وسيتولى كل فريق من الاخوان المسلمين اقامة اتصالات مع كيانات السياسة المصرية بمختلف اجزائها مع الاحتفاظ بالخطوط مفتوحة مع القصر والقيام باختراق الجيش والشرطة واقامة اتصالات سرية مع العناصر البرجوازية داخل حركة الضباط الاحرار التى ستستولى على السلطة.

ومع الانقسامات داخل الاخوان بعد وفاة البناء كان واضحا انها سوف تستمر بعد وفاته. وبفضل سعيد رمضان اخذ الاخوان يمدون فروعهم ونفوذهم على اتساع العالم. اما فى مصر فقد استمروا كقوة تتمتع بامكانيات وينتمى لها اعضاء يقدرون بمئات الالوف. وساعدت الاموال التى تدفقت عليهم من السعودية على المحافظة على الحركة حينما تحركت ضدها الحكومات العربية الاخري سيما فى مصر. وبفضل الحرب الباردة ستجذب الحركة اهتمام الحصار العالمى ضد الشيوعية. ان تكوينها الذي يضم نخبة من السياسيين المحليين وعملهاالسري الجهادى الميال للعنف كان البداية لما نسميه اليوم ب"الاسلام السياسي". فالاسلاميون فى باكستان وافغانستان وايران والسودان الذين تسنموا السلطة منذ اواخر سبعينات القرن العشرين كانوا نتيجة مباشرة للعمل الذي ارسي اساسياته البنا ورمضان وأمثالهم.

من بين حطام الحرب العالميةالثانية تقوم الولايات المتحدة باولى خطواتها المترددة فى الشرق الاوسط، فالمنطقة الشاسعة الممتدة من اليونان الى تركيا ثم باكستان والهند كان مقدرا لها ان تصبح القاعدة الخلفية الرئيسة فى الحرب الباردة. اما العامل الذى فصل الشرق الاوسط عن المناطق الاخرى من مناطق الصراع بين الشرق والغرب فكان قربه من الاتحاد السوفييتى بالاضافة الى ان ثلثى الاحتياطى العالمى من البترول يتركز فى المساحة المحدودة التى تحيط بالخليج الفارسي.

ان الاستراتيجيين الذين اقاموا احلاف الناتو (الاطلسي) وبغداد وجنوب شرق آسيا ربطوا بين الاهمية الفائقة لتامين الخليج وسرعة إرسال القوات والقيادة المركزية الامريكية.

ومن سوء الحظ ان هؤلاء الاستراتيجيين خلطوا بين التهديد المزعوم للاتحاد السوفييتى وصعود القوة الذاتية للقومية العربية التى تري ان بترول المنطقة هو

جزء من استقلالها الوطنى، ومن اجل هزيمةالوطنيين وبناء رابط بين الدول الحليفة فى مواجهة الاتحاد السوفييتى، سوف تتوصـــل الولايـــات المتحـــدة الـــى اليمـــين الاسلامى. وكان الاخوان المسلمون يترقبون الفرصة.

*

الفصل الثالث

الإسلام والحرب الباردة

يتذكر هيرمان ايليتس انه "التقى وحسن البنا للمرة الأولى فى العربية السعودية "وكان في ذلك الحين يعمل في جدة كدبلوماسي. ويقول انه يعرف البنا بشكل جيد ويضيف إن البنا كان يأتى إلى السعودية في الحقيقة من اجل المال، وانه قابله حينذاك في منزل وزير المالية وهو رجل تقي جدا اسمه الشيخ محمد سرور (صبحان) وهو رجل اسود اللون من السودان وكان رقيقا ثم اعتق، كان سرور يتولى معظم المسائل المالية الرئيسية مع الإخوان المسلمين [113]

وحدث عام 1948 قبل أشهر قليلة من اغتيال البنا في القاهرة أن رأى ايليتس البنا في منزل سرور. وكما يتذكر " كان البنا دائم التردد على السعودية باعتبارها المصدر الرئيس للتمويل". ومنذ إنشائها قبل عشرين عاما أصبح الإخوان قوة، وقد تكون قوة يخشى منها في مصر فلها ذراعها السري شبه المسلح الذي يرعى الإرهاب ويخترق الجيش المصري والمخابرات المصرية ويخشى منها المعارضون". ويتابع ايليتس القول بأنه"وجد (البنا) صدوقا جدا جدا ولم يجد لديه أي تردد في مقابلة الغربيين"، حسبما يقول الدبلوماسي السابق الذي سيصبح فيما بعد احد القيادات الأمريكية في مجال السياسة العربية وعمل سفيرا للولايات المتحدة في مصر والعربية السعودية.

ولكن ايلتس لم يناقش مع البنا تحركاته غير إن سياسيي الولايات المتحدة في مصر في الأربعينات فعلوا ذلك بشكل روتيني. يقول ايليتس: "اننى اعلم إن بعض زملائي في السفارة الأمريكية بالقاهرة كان لديهم لقاءات منتظمة مع حسن البنا في ذلك الوقت ووجدوه متعاطفا وحرصنا على أن نكون على اتصال معهم على الأخص لتلقى تقارير منهم لأنه كان يبدو أن الإخوان المسلمين في ذلك الوقت كان لديهم إمكانيات سياسية هامة ولذلك كان مهما استمرار الاتصال بهم، ولا أظن انه

---

113 – مقابلة أجراها المؤلف فى ابريل 2004 مع هيرمان ايليتس احد ابرز القادة الأمريكان المستعربين وسفير الولايات المتحدة الأمريكية السابق فى مصر كما خدم فى وظائف عديدة فى الخليج الفارسي وشبهالجزيرة العربيةفى بداية خدمته.

كان لدينا اى تخوف منهم بالرغم من اهتمامنا بحادث اغتيال رئيس وزراء مصر السابق (النقراشي باشا) على يد جهازهم السري. كنا نهتم بمسالة استقرار مصر في المقام الأول وكان تقديرنا انه بالرغم من أن هذه الاغتيالات تعد أمرا مقلقا إلا أنها لا تنبئ بحالة خطيرة من عدم الاستقرار السياسي.".

لم يكن أمرا مثيرا للدهشة إن دبلوماسيي الولايات المتحدة في مصر والسعودية خلال الأربعينيات يحافظون على صلاتهم المنتظمة بالإخوان المسلمين بالرغم من طبيعتهم الميالة للعنف وتكوينهم الفاشي. كان نظام الملك فاروق في مصر يترنح ولم يكن واضحا ما الذي سيخلفه. وطبقا لما يقول سعيد أبو ريش " كانت القوة المتنامية للإخوان المسلمين التي بلغت في ذلك الحين مليونا ونصف من الأعضاء كانت تمثل التهديد الوحيد المحتمل للمؤسسة الحاكمة"[114]. غير أن كثيرا من ممثلي الولايات المتحدة السابقين في المنطقة كانت تجتذبهم نظرتهم المعادية للشيوعية. كان الإخوان المسلمون، والمجتمع الأكثر شمولا لليمين الأسلامى والبني التحتية للإسلام التقليدي في المنطقة، كانت جميعها في مركز الاهتمام في الجدل الدائر في واشنطن: هل يشكل الإسلام قلعة منيعة ضد الشيوعية التي لا تعترف بالله؟ أم هل الإسلام المنظم بنظرته المتخلفة كقوة منظمة شديدة المحافظة تدفعها كراهيتها الكامنة للغرب لان تكون أكثر استجابة لسياسة الحرب الطبقية التي يرفع لواءها اليسار ؟

هل يمكن للولايات المتحدة إن تساعد على صياغة مؤسسات يمكن إن تشكل خلفية لتحالف يجمعها مع علمانيي المنطقة المجددين ؟

كانت الولايات المتحدة قد بدأت تتلمس طريقها فى الشرق الأوسط. فالقليل من الموظفين الأمريكيين هم الذين لديهم خبرة في المنطقة. أما الجامعات الأمريكية فقد كانت فقيرة في دراساتها المتعلقة بالشرق الأوسط. وبالرغم من دورها القيادي في كسب الحرب العالمية الثانية لم يكن للعسكرية الأمريكية حضور يعتد به سواء في شمال إفريقيا أو في الخليج الفارسي. ولم تكن المخابرات الأمريكية المركزية الناشئة التي كانت تستوعب خريجي (رابطة ايفىIvy League وعمليا أيما شخص يمكنه أن يتحدث العربية) لم تكن لديها في أحسن الأحوال الخبرة الكافية. فمنذ تأسيسها سنة 1947 حتى أواخر خمسينات القرن العشرين على الأقل كانت المخابرات المركزية الأمريكية تأخذ مكانتها خلف المخابرات البريطانية. وطبقا لما ذكره مايلزكوبلند Miles Copeland وهو احد ضباط المخابرات المركزية الأمريكية الذين خدموا

114- سعيد ابو ريش: ناصر: العربى الاخير(نيويورك ط 2004) ص 30 – بعض التقديرات تصل بحجم العضوية الى عدة مئات من الالوف.

خلال هذه السنوات في المنطقة: "كان موقفنا هو موقف من يقول دعنا ننتظر حتى نعرف ما الذي يجب إن نفعله"[115].

كان الشرق الأوسط بمثابة حظيرة بريطانية. والبريطانيون كانوا على وعي كامل بهذه الحظيرة. كانت مصر والعراق وإيران بالرغم من كونهـا دولا مستقلة اسميا إلا أنها كانت فعليا تحت السيادة المطلقة لبريطانيا، أما فلسطين والأردن فقد كانتا تابعتين من الناحية الفعلية، بينما كانت المناطق التي تشكل الكويت ومشيخات الخليج الأخرى مستعمرات بريطانية وكذلك كانت الهند وباكستان. وبالرغم من أن سيطرة بريطانيا على المنطقة وبترولها كانت تتآكل، كان الدور الأمريكي بعد الحرب العالمية الثانية يتنامى بسرعة وبدأ ذلك بالعربية السعودية، ذلك البلد الذي سيغدو نقطة البدء والمرسى للتواجد الأمريكي بالمنطقة. ولكن سياسة هذا البلد في دعم وتمويل الإخوان المسلمين كان من شأنه أن يورط الولايات المتحدة حتى النهاية مع الإسلام الأصولي. كانت روابط الولايات المتحدة مع العربية السعودية والشرق الأوسط تحفزها الرغبة في البترول ومنطق الحرب الباردة الاحتوائي، غير أن افتقار الولايات المتحدة للخبرة في المنطقة وجهلها المطبق تقريبا بثقافة المنطقة بما في ذلك الإسلام دفع بالسياسة الأمريكية بالمنطقة إلى التصرف بأسلوب طائش.

طبقا للتواريخ التقليدية. يعود مقدم الولايات المتحدة للمنطقة حسبما هو متعارف علية إلى سنة 1945 حيث التقى الرئيس الأمريكي السابق فرنكلين روزفلت بالملك عبد العزيز آل سعود في طريق عودته إلى واشنطن من يالتا في فبراير من ذلك العام. وكانت هذه هي المقابلة الأولى بين رئيس امريكي وملك سعودي ممهدة بذلك لعلاقات بين البلدين استمرت لمدى نصف قرن.

لكن ثمة حدثين خطيرين سبقا لقاء روزفلت بابن سعود، جاء الحدث الأول مع توقيع الاتفاق البترولى عام 1933 ذلك الاتفاق الذي سوف يتطور ليصبح اتفاقا بتروليا عالميا مع قوة بترولية عظمى هي شركة البترول العربية الأمريكية (ارامكو). كان الوسيط في عقد هذه الصفقة الكبرى هو هارى سانت جون بردجر Harry St. John Bridger(عبد الله) فيلبى وهو الدبلوماسي البريطاني الذي ساعد ابن سعود وإخوانه الوهابيين على تسنم السلطة خلال وبعد الحرب العالمية الأولى. في أواخر العشرينات كان فيلبى الذي أصبح يعمل لحسابه الخاص قد ترك وظيفته الحكومية ليعمل في مجال الأعمال لحسابه الخاص وحرص فيلبى أن يبعد نفسه علنا

115 – مايليزكوبلند ص 162

على الأقل عن السياسة البريطانية نظرا لارتباطه المتنامي مع آل سعود. وارضاءا لأصدقائه وزوجته وعائلته تحول إلى الإسلام وسمى نفسه عبد الله. كان تحوله إلى الإسلام في حقيقة الأمر مجرد مزحة أو خدعة. وكتب في مذكراته مازحا : " كم كان لطيفا ن أكون مسلما وان يصبح في أمكاني الجمع بين أربع زوجات. "[116]

ولما كان معروفا عنة الإلحاد منذ أن كان في كمبردج فمن الواضح أن عبدا لله فيلبى كان يبغى الإسلام ليس كعقيدة ولكن بحثا عن المصلحة وهذا بالضبط ما أبلغه إلى احد أصدقائه [117]

ومع ذلك فقد انغمس في الإسلام وحج إلى مكة وجمع بين عدة زوجات وتزوج أمة أهداها له ابن سعود. وعلى كل فقد كانت هوايته الحقيقية هي جمع المال، وكان يقال في جدة إن فيلبى يجب ألا يسمى عبد الله بل يجب إن يسمى (عبد القرش)- عبد نصف البنس [118] وأصبح هذا الذي ولد من جديد كرجل أعمال الممثل الرسمي لشركة فورد Ford العربية السعودية بالرغم من انه قال انه يكره منظر وصوت السيارات[119](7)

وأخيرا أصبح ممثل شركة ستاندارد اويل اوف كاليفورنيا Standard Oil of Calefornia. ومستغلا صداقته للملك أنهي فيلبى صفقة دخول الشركة فيما أصبح يعرف باسم إلدورادو Eldora do وهى صفقة توصل للحصول عليها بعد تخفيض بلغت قيمته 50 إلف جنيه استرلينى (250الف دولار) وإيجار سنوي خمسة ألاف جنيه استرلينى ذهبا فقط، على أن تستمر الاتفاقية لمدة ستين عاما وان تغطى 380 ألف ميلا مربعا اى نصف مساحة تكساس[120] وهكذا فرط الملك في أغنى ثروات بلاده مقابل اقل القليل. وشاركت الولايات المتحدة في هذه الصفقة ممثلة بشركة ستاندارد اويل اوف كاليفورنيا التي سرعان ما لحقت بها شركات تكساكو واكسون ثم موبيل، شركاء ارامكو الأربعة.[121]

116- اليزابيث مونرو " فيلبى فى العربية." ص 162

117- المرجع السابق ص 164

118 - المرجع السابق ص 168

119 - المرجع السابق ص 111

120 - دانيل يرجن – مرجع سابق ص 291

121 - شركة ستاندارد اويل اوف كاليفورنيا(سوكال) كانت فى الأصل جزءا من احتكار روكفلر ستاندارد اويل . وستندمج شركة تكساس اويل أو تكساكو مع سوكالويعاد تسميتها شيفرون ثم شيفرون تكساكو. وهناك مجمعين آخرين لروكفلر هما ستاندارد اويل اوف نيو جرسى (اسو ،اكسون- فيما بعد) وستندرد اويل اوف نيويورك(سوكونى، موبيل فيما بعد)ستندمج لتكون اكسون موبيل Exxon Mobil

كان تصريح روزفلت سنة 1943 بان السعودية سوف تكون من الآن فصاعدا تحت مظلة الولايات المتحدة الأمريكية الدفاعية هوالتطور الخطير الثاني الأكثر حسما حيث أعلن: " اننى أرى هنا أن حماية العربية السعودية هو أمر حيوي فيما يتعلق بحماية الولايات المتحدة الأمريكية."[122]

كان لاحتضان روزفلت للعربية السعودية أهداف متعددة، هناك الهدف الواضح المتعلق بأهمية بترولها كمورد حيوي للولايات المتحدة. وكان الهدف الاستراتيجي هو التأكيد بان التهديد السوفييتي لأمن الخليج (بالرغم من انه كان مستبعدا)هو أمر "يعنينا". أما الهدف التكتيكي فقد كان المقصود به حلفاء أمريكا وخاصة بريطانيا. فبالرغم من أن الوجود البريطاني في المنطقة كان امرا قائما بما في ذلك غرب إيران والعراق، حيث كان هناك تنافس مرير يصل إلى درجة الحدة أحيانا، وكذلك مع فرنسا وايطاليا إلى حد ما حول بترول الشرق الأوسط إلا إن كلا منها كان يتنافس في الحرص على الحفاظ على مصالح شركائه.

قبل أربع سنوات من لقائه مع الملك على ظهر السفينة كان روزفلت حريصا على أن يترك لبريطانيا حق التصرف في الشأن السعودي طالما أنها كانت الدولة المعروف بأنها الأكثر قوة في المنطقة والأكثر خبرة حتى انه طالب احد مساعديه " أن يخبر البريطانيين بان روزفلت يطلب منهم أن يتولوا رعاية ملك العربية السعودية حيث أن مجالها يقع بعيدا عنا"[123]

غيران شركتي ستندرد أويل أوف كاليفورنيا وتكساس أويل كومبانى اللتين سرعان ما ستندمجان معا في شركة واحدة يطلق عليها شركة ارامكو لم يكن لديهما مثل هذه الثقة إذ قاما بإقناع هارولد أيكس Harold Ickes سكرتير الشئون الخارجية وهو الساعد الأيمن للرئيس روزفلت ثم بعد ذلك إقناع روزفلت نفسه أن الولايات المتحدة ينبغي أن تواجه بريطانيا التي قد تحاول- كما زعما - عرقلة جهود الولايات المتحدة في السعودية [124]

وفى غمرة الحرب العالمية الثانية عقد الحليفان على وجه السرعة صفقة لتقسيم بترول المنطقة على نحو ما قال للورد هاليفاكس سفير بريطانيا لدى الولايات المتحدة " بترول الخليج لكم ونحن نقتسم معا بترول العراق والكويت. أما بترول السعودية فهو لنا [125]

122- الامر التنفيذى رقم 8926 – مقتبس من "بيت آل سعود" ل ديفيد هولدن و ريتشارد جونز – ط 1981 ص 123 .

123 – يرجين – ص 394

124- المرجع السابق ص 397

125 – المرجع السابق ص 401

وفيما يتعلق بونستون تشرشل فقد أخطره روزفلت تلغرافيا بالاتي "أرجو أن تقبلوا تأكيداتي بأننا لا نتطلع إلى حقول بترولكم في العراق وإيران" فرد عليه تشرشل الذي ربما إليه وحده يرجع الفضل في بناء إمبراطورية بريطانيا البترولية في الشرق الأوسط، رد عليه قائلا على سبيل المجاملة " اننى أطمئنك وأؤكد لك بما لا يدع مجالا للشك انه ليست لدينا أية نية لمناجزتكم فيما يتعلق بمصالحكم أو ممتلكاتكم في العربية السعودية.[126](كان كل من الرجلين بطبيعة الحال كاذبا فالبريطانيون طالما تطلعوا إلى بترول السعودية وسرعان ما ستقوم الولايات المتحدة بشق طريقها بالقوة للحصول على امتياز توقيع اتفاقيات البترول في إيران والسعودية) .

يشكل لقاء روزفلت وابن سعود معلما بارزا من معالم اكتمال الشراكة الأمريكية السعودية . ومن اجل انتقال الملك السعودي الذي لم يكن قد غادر الجزيرة العربية قط. دبرت الولايات المتحدة نقله على ظهر الغواصة الأمريكية مورفي Murphy USS بالكامل مع عائلته ومتعلقاتهم وخدمه وغنمه المعدة للذبح وأقام للعاهل الصحراوي خيمة على ظهرالسفينة لينام فيها. وقد وصف اليوت روزفلت نجل الرئيس مقابلته لابن سعود على متن السفينة كوينسي Quincy قائلا:"استطاعت شقيقتي أنا Anna بحكمتها أن تحصل في هذا اليوم على موافقة الوالد على القيام برحلة إلى القاهرة، مراعاة لعادات المسلمين في فصل النساء عن بقية إفراد العائلة....وأنهى الوالد حديثة بالتعهد لابن سعود بأنه لن يسمح باى تحركات أمريكية معادية للشعب العربي... ودهش ابن سعود الذي كان يتطلع إلى المقعد المتحرك الذي كان يجلس علية أبى، دهش حينما رأى أبى يقدم له في الحال هذا المقعد المتحرك "[127]. والحقيقة إن الكرسي كان زائدا عن الحاجة ولكنه كان ضيقا بالنسبة لحجم الملك الممتلئ. ولكن هذا كان كافيا ليعلن الملك نفسه توأما لروزفلت. وكان بمثابة رمز للبداية الرسمية للتحالف الأمريكي السعودي. وقد دهش س. ل. سولزبرجر المحرر في نيويورك تايمز من فكرة أن تضع الولايات المتحدة يدها على البترول في العربية السعودية وحدها فكتب في النيويورك تايمز قائلا:" إن المخزون الهائل للبترول في العربية السعودية وحدها يجعل لهذا البلد من الأهمية للدبلوماسية االامريكية ماليس لاى بلد أخر "[128] ومن الواضح أيضا أن روزفلت كان معنيا بالبترول أكثر بكثير مما هو معنى بالإسلام. إن تصريح روزفلت عام 1943 بان الولايات المتحدة سوف تحمى بترول السعودية قد أكده كل الرؤساء الأمريكيين بعد (روزفلت) وخاصة نظرية إيزنهاور عام 1957 ونظرية كارتر عام 1980.

---

126 - المرجع السابق

127 - اليوت روزفلت "حسبما رأي" نيويورك 1946-ص 244 "Eliott Rosevelt, "As He Saw It

128- مقتبس من يرجين ص ص 401-405

في عام 1944 أرسلت الولايات المتحدة بعثتها العسكرية الأولى إلى السعودية، وفى عام 1945 وقع البلدان اتفاقية للتعاون العسكري أنشئت بمقتضاها القاعدة العسكرية الجوية الكبرى في الظهران على الخليج الفارسي،وهى القاعدة التي قدمت التسهيلات العسكرية حتى عام 1960. وعقب هذه الاتفاقية وقعت عام 1949 بسرعة اتفاقية تقدم بمقتضاها الولايات المتحدة فريق استكشاف يغطى شبة الجزيرة العربية وتوصيات بان تتولى الولايات المتحدة إعداد جيش قوامة 43 ألف رجل وقوة جوية، كذلك اتفاقية عام 1951 بان توفد الولايات المتحدة بعثة عسكرية دائمة إلى السعودية. [129]

لم تكن علاقات الولايات المتحدة بالسعودية منذ بدايتها خالية من المعنى حيث كانت تتضمن إنتاج كميات متزايدة بسرعة من البترول وترتيبات للدفاع المشترك المتبادل وإيفاد أعداد كبيرة من الأمريكان من تكساس وأوكلاهوما ولويزيانا *إلى المملكة العربية السعودية. وبدأت الولايات المتحدة بمشاركة بريطانيا بوصفها منافسا وشريكا صغيرا بإحاطة العربية السعودية بتحالفات عسكرية. وفى سنة 1951 قدمت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا اقتراحا بإنشاء قيادة شرق أوسطية تضم كلا من الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة وفرنسا وتركيا وإسرائيل والأردن. وبدءوا يقتربون من مصر ولكنهم اجلوا الفكرة عندما أعلن الملك المصري تحت تأثير وضغوط القوى الوطنية ونظرا لاستيائه من قيام الدولة الإسرائيلية الجديدة فأعلن رفضه للفكرة بلطف. بعد ذلك اخذ البريطانيون الريادة ووقعوا اتفاقية مع تركيا والعراق وإيران وباكستان وأطلقوا على هذا الاتفاق حلف بغداد ولكن الولايات المتحدة التي كانت تقيم روابطها الخاصة مع هذه البلدان كانت في نفس الوقت عازمة على إزاحة بريطانيا من منطقة الخليج الغنية بالبترول لذلك لم تشارك في حلف بغداد حتى إن معلقا ضليعا لاحظ ذلك فيما كتبه للهيئة الاستشارية للعلاقات الخارجية حيث لاحظ بشيء من الخبث أن البريطانيين كونوا الحلف "من اجل إنقاذ مركز بريطانيا في العراق وإنقاذ نفوذها المتداعي في أنحاء الشرق الأوسط "[130]

وما لبث حلف بغداد إن تداعى حينما تعرضت بغداد- مركز الحلف للثورة سنة 1958 وسقط ملكها الذي كانت بريطانيا هي التي نصبته، ونفذ فيه حكم الإعدام بواسطة التحالف بين الوطنيين في الجيش والحزب الشيوعي العراقي ولم تقم للحلف بعد ذلك قائمة، وحل محله بعد ذلك منظمة الحلف المركزي التي تربط بين الولايات

---

129 - ديفيد لونج" المملكة العربية السعودية" فلوريدا ط1997 ص 116

130- يعتبر مؤلف جون س. كامبل " الدفاع عن الشرق الاوسط من1945-1958 " هو المرجع الوحيد الافضل فيما يتعلق بمسائل الامن القومى الامريكى فى الشرق الاوسط . ط1960 نيويورك

المتحدة والمملكة المتحدة وتركيا وإيران وباكستان التي كانت عضوا في منظمة حلف جنوب شرق آسيا و ترتبط كذلك بالغرب.

لقد ارتكزت التحالفات الانجلوامريكية في الشرق الأوسط على المحاور التقليدية للنفوذ الاجنبى:القوة العسكرية والقوة الاقتصادية والدبلوماسية. ومع ذلك فمع تطور الحرب الباردة، بدأ يبزغ عامل جديد ليدعم التواجد الامريكى البريطاني وهو قوة الإسلام السياسي الدينية والثقافية، وخاصة الدور البارز الذي تؤديه السعودية بوصفها "فاتيكان" المسلمين اى مركزهم الديني. وعندما برزت العربية السعودية بوصفها القوة الموالية لأمريكا والمناهضة لمصر ولناصر وللقومية بدأ يظهر عدد من منظمي الإخوان المسلمين بوصفهم مبعوثين لليمين الاسلامى عبر المنطقة وربما كان أكثرهم أهمية هو سعيد رمضان.

كان رمضان هومفتاح الإيديولوجية (المنظر) الاخوانى وعمل بمثابة السفير غير الرسمي للعربية السعودية فيما يتعلق بالفكر الاسلامى. وبينما كان الإخوان المسلمون يجاهدون من اجل المحافظة على وجودهم في مصر حيث كانت خلافاتهم تتصاعد مع النظام الجديد الذي يقوده ناصر، لم تكتف السعودية بتمويل الإخوان بل ومنحتهم أرضها كملاذ آمن. كانت سلسلة الملوك السعوديين مشغولة بخطر الشيوعية ووجدوا في الإخوان المسلمين وغيرهم من قيادات اليمين الاسلامى طرف الرمح في يد الحركة المعادية للشيوعية. ربما لا يقل أهمية آن العربية السعودية كانت ترى في ناصر تهديدا مريعا لها ما دام يحكم مصر الفقيرة ويتطلع إلى بترول السعودية. وهكذا تجمعت الأسباب لدى كل من أعداء الشيوعية والقومية العربية مما دفعها إلى تشجيع نمو حركة الإخوان المسلمين في مصر وفى ربوع المنطقة.

سعيد رمضان في البيت الأبيض

في أواخر صيف 1953 قام البيت الأبيض بدور خشبة المسرح للقاء الذي جري – دون ملاحظة تذكر– بين الرئيس الامريكى دوايت إيزنهاور وشاب مثير للمتاعب ذي ملامح شرق أوسطية. في الصورة التذكارية ذات اللونين الأبيض والأسود التي التقطت بهذه المناسبة[131] يبدو إيزنهاور في صورة الجد الأصلع، وكان

131 – عثر على الصورة التذكارية المشار اليه فى الملف الخاص باجراءات تنظيم الكونفرنس الذى عقد فى سبتمبر 1953 فى جامعة برنستون ووشنطن العاصمة.

يبلغ من العمر آنذاك ثلاثة وستين عاما يقف منتصب القامة في رداء رمادي ويستند بذراعيه وقبضتيه كما لو كان يبرز عضلاته، والى يساره وقف شاب مصـــري ذو بشرة سمراء يرتدى رداء اسود، لحيته مشذبة بعناية وشعره ممشط جيـــدا ويمســك بيديه حزمة من الأوراق يضعها خلف ظهره وينظر باهتمام إلى الرئيس وكان يبلغ من العمر 27 عاما ولكنه يمتلك من الخبرة ما يقدر بأكثر من عقد من الزمان فـــي قلب الحركة الإسلامية المليئة بالعنف والتعصب السياسي والى جواره يقف بعــض الذين يرتدون الملابس الغربية وآخرون يرتدون الجلابيب والشيلان وأغطية الرأس الإسلامية وهم أعضاء وفد رجال الدين والملالى والنشطين مـــن الهنـــد وســـوريا واليمن. كان الزائر في هذا اليوم من أيام سبتمبر هـــو ســـعيد رمضـــان الجهـــادي والممثل الرسمي للإخوان المسلمين ومنظرهم. كان لهذا الشاب طموح شبه ملكي في دوائر الإخوان المسلمين منذ إن تزوج وفاء ابنة حسن البنا زعيم الإخوان المسلمين. وبدا سعيد رمضان وهو يقف إلى جانب إيزنهاور، بدا في هيئـــة الرجـــل الوقـــور المسالم. ولكن الإخوان المسلمين كانوا معروفين منذ أواخر أربعينات القرن العشرين كتنظيم للمتعصبين والإرهابيين، وقام القتلة من المنتسبين إليه باغتيـــال عـــدد مـــن الشخصيات الرسمية المصريين من بينهم احد رؤساء الوزارات. وقبيل هذا اللقـــاء بين إيزنهاور ورمضان أعلن إن تنظيم الإخوان هو تنظيم غير شرعي من قبل نظام الملك فاروق المنهار، غير انه لم يختف. وخلال الخمسين سنة التالية كان الإخـــوان يعودون إلى النشاط مرارا، يبنون بهدوء قوتهم ونفوذهم وينشـــرون إيـــديولوجيتهم (أفكارهم) ويبنون فروعا في الأردن وسوريا والكويت وغيرهـــا. وأصـــبح ســـعيد رمضان هو المنظم الدولي للإخوان المسلمين حتى وفاته سنة1995. وبالرغم مـــن أن رمضان كان في حقيقة الأمر ساخطا وميالا إلى العنف ومصمما علـــى إعـــادة صياغة الشرق الأوسط طبقا للعقيدة الأصولية الإسلامية، فانه لم يكن ينظـــر اليـــه باعتبار انه يمثل تهديدا. في واقع الأمر وبالاستناد إلى التقيـــيم الســـري للولايـــات المتحدة في مصر، كان ينظر إلى رمضان باعتباره حليفا محتملا. وكان ذلـــك فـــي ذروة المكارثية والحرب الباردة حيث كان الإخوان المسلمون يعـــادون الشـــيوعية بمرارة. وبالإضافة كان حلفاء سعيد رمضان في الإخـــوان المســـلمين والجماعـــة الإسلامية في باكستان [132] والتنظيمات المماثلة في إنحاء المنطقة يناهضـــون بحـــدة الماركسية والناشطين اليساريين في الجامعات والنقابات وكذلك القـــوميين العـــرب

---

132 - جماعة اسلامى —اى الجماعة الإسلامية الباكستانية التي أنشاها أبو الأعلى المودودى علـــى نســـق وبمساعدة جماعة الإخوان المسامين فى مصر

(الاشتراكيين العرب) وحزب البعث والعلمانيين من كل نوع. وضمن هذه القائمة يندرج المزعجون الذين ظهروا مؤخرا من أمثال الرئيس المصري جمال عبد الناصر الذي كان يعتبر مشكوكا في ولائه للجانب الامريكى خلال الحرب الباردة وحتى سنة 1953 اى بعد مضى سنة واحدة من نجاح حركته(حركة الضباط الأحرار) في إسقاط حكم الملكية الفاسد المكروه.

ولد سعيد رمضان سنة 1926 في شبين الكوم وهى قرية تقع شمال القاهرة في دلتا النيل[133]. في شبابه، وكان في العشرين التقى حسن البنا والتحق فورا بحركته. وبعد إن تخرج من الجامعة سنة 1946اصبح رمضان السكرتير الشخصي لحسن البنا وساعده الأيمن. وبعد سنة عين رمضان محررا في مجلة الشهاب الأسبوعية المعبرة عن الإخوان.

وبالإضافة إلى ما قدم من مساعدات لزعيم الإخوان في مجال العمل التنظيمي، أصبح زوج بنت حسن البنا السفير المتجول للإخوان المسلمين واستطاع أن يجمع شبكة واسعة من لعلاقات الدولية التي لم تكن لدى حسن البنا القابع في صومعته في مصر. في سنة 1945 سافر رمضان إلى القدس التي كانت تحت الانتداب البريطاني في ذلك الوقت، بينما كانت تتجمع في الأفق نذر الحرب بين العرب واليهود. وخلال السنوات التالية يمضي رمضان جزءا كبيرا من وقته متنقلا بين القدس وعمان ودمشق وبيروت ليقيم فروعا للجماعة. وفى 26 اكتوبرسنة 1945 يفتتح رمضان أول مكتب للإخوان المسلمين في القدس[134] ليؤسس بذلك المنظمة التي خلال ثمانينات القرن العشرين عرفت باسم حركة المقاومة الإسلامية(حماس). خلال 1947 أصبح للإخوان 25 فرعا في فلسطين تضم مابين 12-20 ألفا من الأعضاء.[135] في 1948 ساعد رمضان في إنشاء القوة الإسلامية الرمزية التي خاضت المعركة ضد القوات اليهودية التي أسست إسرائيل في ذلك التاريخ.

أواخر الأربعينات قام رمضان بأولى زياراته العديدة إلى باكستان وقام بدور هام في الاجتماعات الأولى للمؤتمر الاسلامى الدولي الذي عقد في كراتشي في

---

133 - للاطلاع على هذه التفاصيل وغيرها المتعلقة بحياة سعيد رمضان (1926- 1995)ودوره يمكن الرجوع إلى الموقع www. Cige.org /historique. Htm التابع للمركز الاسلامى فى جنيف على شبكة المعلومات- الانترنت

134- زياد ابو عمرو ، "الاصولية الاسلامية فى الضفة الغربية وغزة -انديانا ط 1994 ص ص 1-5

135 - Alain Gresh and Dominique Vidal ,"The New A-Z of the Middle East", London 2004, p. 107

1949 و1951 حيث توج سكرتيرا عاما لهذه المنظمة.[136] (دمغ هذا المؤتمر من قبل اليسار الباكستاني باعتبار انه منظم من قبل الامبريالية الانجلوامريكية)[137].

كانت باكستان قد حصلت على استقلالها عن بريطانيا العظمى منذ عام، وبصفتها أول دولة إسلامية أضبحت جاذبة للإيديولوجيات الإسلامية والتنظيمية والعلماء المسلمين. وكان ابوالأعلى المودودى وهو شاب إسلامي الهوى قد أسس في باكستان تنظيما إسلاميا على نمط جمعية الإخوان المسلمين في مصر اسماه "جماعة إسلامي" اى الجماعة الإسلامية وبدأ يحول هذا التنظيم إلى حزب سياسي. خلال العقد التالي ستغدو باكستان بمثابة الوطن الثاني لسعيد رمضان. منحته الدولة الناشئة جانبا من برامجها الإذاعية. وتمتع بعلاقات طيبة مع الحكومة الباكستانية الموالية للغرب بما في ذلك رئيس الوزراء لياقات على خان الذي كتب مقدمة إحدى مؤلفات رمضان.[138]

كانت إقامة رمضان في باكستان اختيارية تماما حيث حظر نشاط الإخوان المسلمين في مصر واغتيل حسن البنا. وعاد رمضان إلى مصر سنة1950حيث كان الإخوان المسلمون قد استأنفوا واحدة من عوداتهم العديدة، ولكنه سوف يقضى فترات طويلة من الإقامة في باكستان حيث يعمل بارتباط وثيق مع المودودى وجماعة اسلامى. كذلك عمل رمضان مع العصبة الإسلامية الباكستانية وسوف يقوم بمساندة باكستان الرسمية بالعديد من الرحلات والمحاضرات في أنحاء العالم العربي. في ذلك الوقت انقسمت باكستان بين إسلاميين أصوليين وإسلاميين معتدلين ووطنيين علمانيين ويسار، بينما كان يجري استقطابها إلى جانب التحالف العسكري الغربي. وخلال العديد من السنوات التي قضاها في كراتشي قام رمضان بمساعدة المودودى في تنظيم كتائب الطلاب الإسلاميين المتعصبين مفتولي العضلات الذين خاضوا المعارك ضد اليسار الباكستاني خاصة في الجامعات،[139]على نمط الكتائب الفاشية الموالية لموسولينى، وكان هذا احد المشروعات التي يطمح إلى القيام بها. فبالرغم من أنها نظمت تحت إشراف الجماعة الإسلامية إلا أنها كانت متأثرة إلى حد كبير بنفوذ جمعية الإخوان المسلمين في مصر، على حد قول احد الخبراء (والى

---

136 – المرجع السابق

137– ريتشارد ميتشيل "جمعية الاخوان المسلمين" –لندن 1969 ص 270

138 – المرجع السابق

139 – جماعة الطلبة الاسلاميين هى الجناح الطلابى من جماعة اسلامى اى الجماعة الإسلامية الباكستانية للمزيد من التفاصيل ينظر "طلائع الثورة الإسلامية " لسيد والى نصر ص 64–كاليفورنيا 1994

رضا نصر): "في خلال الفترة من 1952 – 1955 ساعد رمضان قادة جماعة اسلامى فى إقامة هيكل إداري وتصميم إستراتيجية تنظيمية لها.ولعل ما هو أكثر دلالة على تأثير جماعة الإخوان المسلمين المصرية على جماعة اسلامى الباكستانية هي" دائرة الدراسات" وجميع الفصول الدراسية المسائية التي كان كل منها وسيلة لاجتذاب الأعضاء الجدد وإقامة علاقات تنظيمية فيما بينهم." اصطدم بلطجية" جماعة اسلامى " مرات عديدة باليسار الطلابي في حرم الجامعة وكما يلاحظ نصر" إن الصدام المنظم قد أدى إلى المزيد من الصدامات وسيما في كراتشي ومولتان وأصبح الصدام ضد الطلاب اليساريين هو نداء الكتائب الذي يميز طرفيها في العمل. وأصبحت هذه الكتائب IJT(Islamic JihadTulba) اى الطلبة الجامعيين الإسلاميين الجهاديين هي الفصيل العسكري الذي يحارب أعداء الإسلام –العلمانيين واليساريين، الموجودين داخل الحكومة وخارجها."[140]

خلال رحلاته إلى باكستان عمل رمضان صراحة مع الأصوليين العرب سيما مع الفلسطينيين والأردنيين الذين أقاموا مايطلق عليه " حزب التحرير الاسلامى"[141] (الذي انتشر فيما بعد كالسرطان ونقل مركزه الرئيس إلى ألمانيا وليتمدد في أقاليم آسيا الوسطى الإسلامية، وكان يتلقى دعما متزايدا من العربية السعودية. وخلال التسعينات أصبح قوة عنف ضاربة متحالفا مع الحركة الإسلامية في أوزبكستان والقاعدة. خلال وجوده في الأردن سنة 1950 ساعد رمضان أيضا في تأسيس الفرع الاردنى للإخوان المسلمين، وكان رئيس الإخوان المسلمين في الأردن هو أبو قرة وهو تاجر اردنى ثري يرتبط بالملك عبدا لله وبالأسرة الملكية الهاشمية بروابط وثيقة. طبقا لماريون بولبى Marion Boulbyأرسل البنا رمضان إلى عمان بهدف عاجل هو إخراج الإخوان المسلمين في الأردن إلى العلنية " ومنح الملك الإخوان المسلمين العلنية بوصفهم جمعية خيرية أملا في إن يضمن تأييدهم ضد المعارضة العلمانية، اى ضد اليسار. ومثلما حدث في باكستان أصبح الإخوان المسلمون أداة لقمع اليسار والقوميين العرب. واتفق رمضان وقرة انه خلال القرن الحالي (العشرين) سوف تكون مصر وسائر العالم الأسلامي معرضة لهجمات الإيديولوجيات الشيوعية والقومية التي ترفض هيمنة الشريعة الإسلامية على المجتمع.[142]

---

140 – المرجع السابق ص 65

141 – وهو معروف هناك بنفس هذا الإسم العربي.

142 – Marion Boulby ,The Muslim Brotherhood and the Kings of Jordan, Atlanta, 1999, pp.37-43

لم يكن تواجد رمضان في ذلك اليوم من 1953 في المكتب البيضاوي (البيت الأبيض) بمحض الصدفة، فقد كان رمضان موجودا في الولايات المتحدة بشكل رسمي من اجل المشاركة في ملتقى الثقافة الإسلامية في جامعة برنستون بالإضافة إلى القيام برحلة مجانية إلى واشنطون. وشاركت مكتبة الكونجرس مع لقاء برنستون في وضع برنامج الأيام التسعة. كان هذا هو حدث أغسطس الذي أصبح مناسبة حافلة بمظاهر الأبهة والفخامة وعقد تحت الظلال الوارفة الخضراء لصالة برنستون في غرفة الكلية ذات السقف المرتفع. ومن ضمن المتحدثين الذين حضروا هذا اللقاء عدد من المستشرقين المرموقين في ذلك الحين من أمثال فيليب هيتي PhilipK.Hitti و ت.كيلر يونجT.Cuyler Young وبايلي ويندرBaylyWinder من برنستون وولفرد كونتول سميث Wilfred Cantwell Smith من جامعة ماكجيل McGillوريتشارد نلسون فريي Richard Nelson Fryeمن جامعة هارفارد وكارلتون كونCarleton Coonمن جامعة بنسلفانيا وكينيث كراج Kenneth Cragg محرر جريدة "العالم الاسلامى"The Muslim World من قبل مؤسسة هرتفورد. Hartford Seminary Foundation وأدار الاجتماع دكتور بايارد دودجBayard Dodge الرئيس السابق ذائع الصيت للجامعة الأمريكية في بيروت.

طبقا للسجلات الرسمية تم عقد المؤتمر استثمارا لزيارة عدد من الشخصيات الشرق أوسطية المرموقة ولكن الواقع أن المشاركين في المؤتمر لم يعبروا المحيط الاطلسي في طريقهم إلى هذا الاجتماع الطارئ. فالمؤتمر نظم من قبل حكومة الولايات المتحدة وهي التي مولته واختارت المشاركين فيه الذين رأت انه من المفيد مشاركتهم أو الاستفادة من مشاركتهم وأرسلتهم إلى نيوجرسي. ولربما كان هيتي عميد المستشرقين الذين زاروا القاهرة والبحرين وبغداد وبيروت ونيودلهي وغيرها من المدن لاستكشاف من يمكنه الحضور. أما الدعم المالي فقد تم توفيره من جانب الخطوط الجوية الأمريكية بما فيها TWA&PANAM وكذلك من شركة ارامكو الاحتكارية التي تملكها الحكومة الأمريكية في المملكة السعودية. ومثله مثل كثير من المشاركين كان رمضان منظرا صلب المراس ولكنه لم يكن من العلماء. كان يتردد على الملتقى كضيف يتمتع بالإعاشة الكاملة، ولم يكن سرا أن الولايات المتحدة هي التي تتحمل كافة النفقات وتحملت هيئة الاستعلامات الدولية – التابعة للمخابرات الأمريكية – بكافة تكاليف الكونفرنس بما في ذلك تكاليف انتقال الذين حضروا من الشرق الأوسط. كانت هيئة الاستعلامات الدولية المنشأة حديثا سنة 1952 وتم دمجها سنة 1953 في المخابرات المركزية المرتبطة بوكالة

الاستعلامات الأمريكية، وكان يقع ضمن مسئولياتها متابعة برامج "التبادل الثقافي" مثل ملتقى برنستون. ومن الواضح أن الهدف الأساسي من هذا الملتقى هو هدف سياسي..وثمة وثيقة غير مصنفة لهيئة الاستعلامات الدولية المشار إليها بعنوان"معلومات سرية" تقول: " ظاهريا يبدو الملتقى كنوع من التدريب على المعرفة الخالصة وهذا في الحقيقة هو الانطباع المرغوب،" وتمضي الوثيقة قائلة " غير انه كان مخططا بقصد تجميع الأشخاص الذين يتمتعون بتأثير كبير في تشكيل الأفكار الإسلامية في مجالات مثل التعليم والعلوم والقانون والفلسفة ومن ثم وبما لا يمكن تفاديه في السياسة." وكان هدفه كاسحا. " من بين كل النتائج المختلفة المتوقعة من هذا الملتقى هي الحوافز والاتجاهات التي يمكن إعطاؤها للحركة الإحيائية داخل الإسلام ذاته."[143]

في ذلك الوقت كان جيفرسون كافرى وهو سياسي امريكي مخضرم، وكان محاميا في لويزيانا كان يقترب من نهاية خدمته التي استمرت أربعة عقود تقريبا في خدمة السياسة الأمريكية حيث كان يشغل هذا المنصب منذ عام 1949 وامضي ست سنوات في العاصمة المترهلة الواقعة على النيل.في يوليو 1953 أرسل برقية (مصنفة) يقترح فيها دعوة رمضان إلى لقاء برنستون السري. وتوضح هذه البرقية إلى اى مدى استطاعت المخابرات المركزية إن تجمع معلومات عن الإخوان المسلمين وقيادتهم وقدرتهم وأنشطتهم. وتقدم برقية كافري تأريخا مختصرا لرمضان وبيانا موجزا عن الإخوان المسلمين. غير انه بالتمعن في قراءته بالكامل يتضح انه يتغافل بشكل تام ضلوعهم في عمليات عنف أو إرهاب ولم يوضح في اى جزء من أجزائه شيئا عن وعودهم بإنشاء دولة إسلامية تحت ظلال القرآن. ولما كان كافري دبلوماسيا ضليعا ولم يكن ساذجا فانه يبدو واضحا من تقريره انه (وربما المخابرات المركزيةالامريكية) كان حريصا على تجاهل اى عنف مرتبط بالإخوان المسلمين وانه كان يهدف إلى تجنيد رمضان إما كحليف أو كعميل:

" يعد سعيد رمضان من بين أكثر الضليعين من الإخوان في الثقافة الإسلامية. وهو خريج كلية الحقوق من جامعة فؤاد الأول بالقاهرة سنة 1945، ولم يمارس العمل سوى في قضايا محدودة وتفرغ معظم الوقت لدراسة الإسلام. ورغم صغر سنه- إذ انه ولد سنة 1926- فانه كان يتمتع بخبرة عريقة.

ويشغل رمضان حاليا منصب رئيس تحرير مجلة" المسلم" وهى مجلة شهرية في عامها الثاني وتنشر مقالات عن الشريعة(القانون الإسلامى) والثقافة الإسلامية،

143- مؤتمر حول الحضارة الإسلامية – إدارة الاستعلامات الدولية مذكرة إلى سكرتير الدولة للشئون الخارجية جون فوستر دلاس .وشنطن العاصمة أرشيف الأمن القومي 30 ابريل 1953

يحررها علماء دين من مختلف إنحاء العالم الأسلامي ويبلغ توزيعها عشــرة آلاف نسخة ويتوزع المشاركون فيها فيما بين تونس واندونيسيا. وبوصفه سكرتيرا عامــا للمؤتمر الاسلامي العالمي فانه يتنقل مرات عديدة عبر الدول الإسلامية، وكان قـد عاد لتوه من مؤتمر عقد في باكستان. وعندما كان في مصر كان يقدم برامج إذاعية أسبوعية عن الثقافة الإسلامية وتفسير القرآن.

في سنة 1940 بدأ رمضان دراساته في الإسلام تحت رعايــة حســن البنــا المرشد العام السابق للإخوان المسلمين وأصبح محررا لمجلة الشهاب التي أصدرها البنا سنة1947 وهي مجلة شهرية تنشر مقالات عن القــانون الاســلامي والثقافــة الإسلامية ولكنها توقفت بعد صدور خمسة أعداد تحت ضغط الملك السابق فاروق. بعد مضي فترة وجيزة تم حظر جماعة الإخوان المسلمين وقبض على ما يزيد عن 2000 ألفي عضو،فترك رمضان مصر إلى باكستان في الوقت المناســب متفاديــا احتمال اعتقاله وعاش هناك لمدة عام تمكن خلاله من تقــديم برنــامجين إذاعيــين أسبوعيا كانا موجهين إلى الدول العربية بما فيها مصر. في أواخر 1949 طلبــت الجماعة الإسلامي في باكستان من سعيد رمضان أن يلقى سلسلة من المحاضــرات عن الثقافة الإسلامية في إنحاء كثيرة من الشرق الأوسط. وبدءا من السودان اجري العديد من الأحاديث في الجامعات بدءا بمصر وانتهاءا بتركيا."[144]

قام عميل امريكي آخر لم يذكر اسمه – كان يتحدث بلسان محمد بــاقي مــن جامعة الأزهر الإسلامية العريقة التي يمتد عمرها عبر قرون وتعتبر مركز العلــوم الحديثة – قام بالاتصال بكافري. وصف باقي الذي سافر أيضا إلــى برنســتون – وصف رمضان بقوله" انه عضو معروف في الإخوان المسلمين" واقتــرح دعوتــه لحضور ملتقى برنستون، مضيفا بان جمعية الإخوان المسلمين مستعدة للمساهمة في تحمل النفقات"[145] وأنهى كافري برقيته قائلا:"إن السفارة تعتقد أن حصيلة رمضان الدينية كافية لجعله كفؤا لحضور ملتقى الثقافة الإســلامية، وان وضــعه بالنســبة للإخوان يجعل من المهم إن تدرس بعناية مسألة الاستجابة إلى طلب دعوتــه إلــى المؤتمر تجنبا للآثار المحتملة للإساءة إلى هذه الشخصية الهامة."[146]

خلال العقود الأربع التالية سوف يتحول رمضان إلى ما يشبه المحور بوصفه عنصرا أساسيا في كل مظهر من مظاهر (الراديكالية) الأصولية الإسلامية بدءا من

144 – جيفرسون كافري–وثائق الخارجية الأمريكية – أرشيف الأمن القومي 27 يوليــو 1953–ملتقــى الثقافة الإسلامية وسعيد رمضان –برقيات الخارجية الأمريكية .

145 – المرجع السابق .

146 – المرجع السابق

العمليات الإرهابية التي قام بها الإخوان المسلمون في مصر في خمسينات وستينات القرن العشرين وحتى صعود آية الله الخميني في إيران في السبعينات إلى الحرب الأهلية في الجزائر في التسعينات. صحيح انه لا يوجد دليل مادي يثبت انه جند من قبل المخابرات المركزية الأمريكية غير انه من الواضح أن دعوته إلى ملتقى برنستون يدمغه بوصفه هدفا محتملا لذلك. وبالإضافة فانه سوف يصبح حليفا رئيسيا للعائلة الملكية السعودية من اجل تجميع كتلة إسلامية من الدول والحركات المناهضة لانتشار الشيوعية وللتوسع السوفييتي على طول حدوده الجنوبية. وطبقا للوثائق غير المصنفة في الأرشيف السويسري التي أشار إليها سيلفان بينسون Sylvain bessonفي جريدة الزمان Le Temps في جنيف فان السلطات السويسرية التي استضافت المركز الاسلامى الذي أنشأه رمضان في الستينات في جنيف، كانت تنظر إليه نظرة ايجابية بسبب آرائه المعادية للشيوعية، ويضيف:"أن سعيد رمضان هو من بين أشياء عديدة أخرى، عميل للمخابرات البريطانية والأمريكية، وأكثر من ذلك فانني اعتقد أنه طبقا لمخطط مخابراتي – أدى خدمات للشرطة السويسرية الفدرالية، وتورد الزمان Le Temps بان ملف رمضان يتضمن وثائق عديدة تشير إلى علاقاته " بعدد معين من أجهزة المخابرات السرية الغربية."[147]

الإسلام: قلعة ضد الشيوعية

هل كان رمضان والإخوان المسلمون والإسلاميون اليمينيون حلفاء نافعين في الحرب الباردة ضد الشيوعية ؟ هل كان الإسلام نفسه قلعة ضد الإيديولوجية الإلحادية الأجنبية؟ بمعنى ما فان الإجابة تكون بالنفي. فالشيوعية والقومية يمكن أن يكسبا بل وكسبا بالفعل تأييد جماهير المسلمين. وعلى سبيل المثال نجد انه في العراق استطاع الحزب الشيوعي العراقي اكبر الأحزاب الشيوعية العربية إن يكسب تأييد ملايين الشيعة العراقيين خلال فترة الحرب الثانية وبنهاية الخمسينات بلغ الحزب من القوة إلى الدرجة التي مكنته من تنظيم مظاهرة في بغداد شارك فيها أكثر من مليون شخص. وفى مصر الناصرية حيث كانت إذاعة صوت العرب التي حملت نداءات القومية إلى سوريا والأردن ولبنان والعراق والسعودية وجذبت أعدادا

147- Sylvain Besson, " When the Swiss Protected Radical Islam in the Name of Reasons of State," Le Temps, October 26,2004.

هائلة من المؤيدين في الخمسينات والستينات وكان ناصر أكثر القادة العرب شـعبية على الإطلاق. وبالضبط كما فعل المسيحيون في أوربا الذين التحقـوا بـالأحزاب الشيوعية بالجملة، كذلك كان الأمر في العالم الاسـلامى حيـث هـب المسـلمون الساخطون على نوعية الحياة التي يعيشونها أو الذين يعارضون الامبريالية الانجلو أمريكية في الشرق الأوسط، انضموا إلى الشيوعية أو بشكل اكبـر إلـى القوميـة العربية. غير انه بالرغم من أن المسلمين قد انجذبوا إلى الإيديولوجيات اليسـارية، فان بعض المستشرقين وبعض واضعي السياسة الأمريكية أحسوا بأنه ما يزال هناك أسباب تدعوهم للاعتقاد بان الإسلام السياسي يمكن أن يستخدم بإشـكال واضـحة العداء ضد الشيوعية. كان الإسلام المنظم في الشرق الأوسط يأخذ بطبيعـة الحـال إشكالا عدة. فاولا وقبل كل شئ كان هناك المسلمون التقليديون الذين يقودهم رجال الدين والذين ينتظمون حول المساجد، وكانت هناك الأوقاف والمحـاكم الإسـلامية ومؤسسات أخرى كان لمعظمها تأثيره الاجتماعي الكبير ولكنها لم تكـن سياسـية بشكل واضح. وثانيا كانت هناك دولة الإسلام مثل تلك القائمة في العربية السعودية منذ تأسيسها سنة 1920 أو باكستان منذ الاستقلال (وبصفة خاصة منذ سنة1970) حيث نظمت الأمة بكاملها طبقا للهوية الدينية والشـريعة الإسـلامية، وكـان مـن الصعب أحيانا رؤية الخط الفاصل بين الإسلام والدولة. وأخيرا كان هناك اليمـين الجديد الذي ظهر في العالم الاسلامى بما في ذلك الإخوان المسلمون وعدد آخر من المنظمات السياسية العلنية أو الأحزاب السياسية التي تؤمن بالجمهورية الإسـلامية. بالنسبة للغربيين الذين يبحثون عن قوى إيديولوجية في الشرق الأوسـط يمكـن أن توفر عناصر مثقفة تتوازن مع النداء الراديكالي للشيوعية فان كل شكل مـن هـذه الإشكال الثلاثة يبدو بين حين وآخر جذابا، غير انه في الحقيقة كانت توجد علاقـة وثيقة فيما بينها.

في الولايات المتحدة كان ثمة تحذير بان " النخبة العربية " اى القادة والمثقفين والسياسيين والصحفيين وأمثالهم ينجذبون أكثر فأكثر ناحية الأحـزاب والحركـات اليسارية. وبين الجماهير كان هناك مزيد من الإحجام عن هجر القرآن لصالح تعاليم ماركس (في كتاب رأس المال) سيما في أوساط الفلاحين غير المتعلمـين والقبائـل البدوية والتجار الرأسماليين وقيادات السوق الرأسمالية مما يجعلهم ابعد ما يكونـون عن الماركسية والاشتراكية العربية. ومن ثم فقد كان السؤال هو: اى نوع من الأطر الإيديولوجية يكون في إمكانه جذب ملايين العرب والمسلمين من جانب ويسـتقطب قطاعا هاما من النخب العربية من جانب آخر؟ و الجواب قدمه الإسلاميون الجـدد

الذين يقودهم المثقفون والناشطون السياسيون من أمثال البنا ورمضان والمودودى الذين يبدو أنهم كانوا جاهزين لإصدار الأوامر. وحقق الإخوان المسلمون بعض النجاح في الحرم الجامعي واستطاعوا إن يجذبوا الطلبة سيما في كليات الهندسة والعلوم والطب والإدارة والأعمال. هل تستطيع مثل هذه الحركة خاصة مع مساندة العائلة الملكية السعودية أن تواجه الكتلة الماركسية – الوطنية؟ وهل يمكن للدعاية التي تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية التي تركز على قيمها الدينية الخاصة في مواجهة القيم السوفييتية الإلحادية إن تجتذب كتل المسلمين إلى جانب المعسكر الامريكي – أو على الأقل بعيدا عن موسكو؟ كان يبدو إن ذلك امرأ يستحق المحاولة.

كان برنارد لويس الذي اخترع تعبير تصادم الحضارات هو واحد من هؤلاء الذين كانوا يرون أن الأمر يستحق المحاولة. فلمدة خمسة عقود كان لويس الذي يشغل حاليا منصب أستاذ متفرغ (بعد سن المعاش) في جامعة برنستون كان بلا منازع المنظر الوحيد الأكثر تأثيرا في مجال العقائد الإسلامية، إلا انه خلال هذه الفترة كلها كان يبدو الأكثر تناقضا إما لأنه أيد أكثر المواقف انحيازا لوجهات نظر المحافظين ثم بعد ذلك إلى جانب "المحافظين الجدد" وكذلك بسبب انحيازه القوى لإسرائيل.؟ ففي سنة 1953 كتب البروفيسور لويس مقالا عن "الشيوعية والإسلام"، وهذا مثال هام يدل على اتجاهات تفكيره في معركة الإيديولوجيات في ذلك الحين، فقد أعلن بوضوح إن شعوب العالم الاسلامى تجد في البحث من اجل إيجاد علاقة تربط بين الحكومات الشمولية وانه إذا كانت أهداف الغرب متعارضة مع انتشار الشيوعية فلن يكون الأمر بهذه الدرجة من السوء. وكتب:" إذا كانت الشعوب الإسلامية مضطرة إلى الاختيار بشكل مباشر بين التخلي عن تقاليدها لصالح اى من الشيوعية أو البرلمانية فإننا نكون بذلك قد حققنا فشلا كبيرا." ومضى إلى القول انه : " من حسن حظ كل من الإسلام والعالم الغربي أن الاختيار لا يقتصر على اى من هذين البديلين البسيطين لأنه لا تزال هناك إمكانية إن تسترد الشعوب الإسلامية ربما بشكل معدل تقاليدها السابقة في تطوير شكل ما من إشكال الحكومة الذي رغم الشمولية بل وربما حتى برغم الاتوقراطية يكون بعيدا كل البعد عن الإرهاب المخادع للنموذج الاوربى من الدكتاتورية."[148]

---

148 –Bernard Lewis, "Communism and Islam," in The Middle East in - Transition,ed.Walter Laqueur (New York,1958) pp.311-324

بعد التسليم بوجود تشابه -لحسن الحظ- بين الأنظمة الشمولية الإسلامية يمضى لويس ليقول انه من الصحيح أن الإسلام سوف يثبت بوضوح انه ليس أرضا خصبة للأفكار الشيوعية " فالشيوعية ليست ولا يمكن أن تكون دينا، بينما الإسلام بالنسبة للجماهير الغفيرة من المؤمنين به لا يزال وسيظل جوهر المقاومة الإسلامية للأفكار الشيوعية، وبالرغم من الاعتقاد بان الحرية اضعف من إن تحافظ عليهم إلا أن إيمانهم بالرب ربما لا يزال قويا بما فيه الكفاية. إن الشعوب الإسلامية لا تزال شعوبا عميقة الإيمان بأعمق وابسط معنى لهذه الكلمة. إن الإسلام كعقيدة ليس أسطورة ولكنه قوة دافعة مؤثرة على حياة وأفكار المؤمنين به، والمسلمون الأتقياء – ومعظم المسلمين كذلك – لن يتحملوا طويلا الإلحاد ولا اى انتهاك للمبادئ الأخلاقية لعقيدتهم التقليدية....إن الثورة الحالية للمسلمين ضد اللاأخلاقية والانتهازية لقادتهم وبعض قادة الغرب قد تؤدى مؤقتا إلى تفضيل الشيوعيين بمظهرهم الذي يدل على إخلاصهم غير الاناني لمثلهم ولكن ذلك سوف يعمل ضد الشيوعية حينما يدرك المسلمون الحقائق الكامنة وراء الدعاية، ولنرجو ألا يستمر ذلك طويلا.

في ملتقى برنستون الذي عقد في نفس السنة التي كتب فيها لويس مقاله، كان احد رجال الدين الباكستانيين، مظهر الدين صديقي الذي كان يعمل في المؤسسة الثقافية في لاهور يضع خطا فاصلا، فبوصفه موظفا حكوميا سابقا وكاتبا تخصص في الكتابة عن الشخصيات وتلقى تعليمه في جامعة مدراس بالهند وهو مؤلف " الإسلام والشيوعية، الماركسية والإسلام، المادية التاريخية والإسلام". في خطابه في ملتقى برنستون أوضح صديقي أن الشيوعية لا يمكن مقاومتها إذا استندت معارضتها فقط إلى العقيدة التي تقوم على أساسيات الإسلام. وهاجم صديقي ليس فقط شمولية المسلم ولكنه شن بالإضافة حملة مريرة ضد انعزالية العالم الاسلامى وأشباه العلماء وإنصاف المثقفين الذين يدعون سرا أو علنا للإلغاء التدريجي للدين" والذين يدعون إن الدين هو، مجموعة من الأساطير والجمود ونظريات ما وراء الطبيعة التي تدعو إلى الغض من شأن العقلانية" إن الانعزاليين وليس الشيوعيين هم الخطر الأكبر على استقرار باكستان وبالتبعية على استقرار الشرق الأوسط الأكبر من حيث المساحة. يقول صديقى:

" إن الإلحاد الشيوعي لديه قوة الإلهام التي لا تمتلكها العقلانية الخالصة، فهو عقيدة وعلم وهو رسالة اجتماعية بقدر ما هو نظام ميتافيزيقى.؟ انه هو البديل الوحيد للعقيدة الدينية التي يحاول سدنة العلم والتكنولوجيا في باكستان أن يقللوا من شأنها.

إن المحتوى الاجتماعي الاقتصادي للإسلام هو ما يجعل منــه حــاجزا دون الشيوعية. إن جماهير المسلمين تستبشر بالفكر الاسلامى لأنــه يعــدهم بالمســاواة الاجتماعية والاقتصادية وحرية التعبير. وإذا حدثت اى محاولة لإنكــار المحتــوى الاجتماعي الاقتصادي لتعاليم الإسلام فانه يصبح من المؤكد إن تجتــاح الشــيوعية الفراغ الناشئ لأنه كما سبق الإشارة فان الشيوعية تقدم كلا من الرضــاء العــاطفي والوعد بالأمان الاقتصادي والاجتماعي الذي يعد به الإسلام....إن الاختيار الماثــل في العالم الاسلامى ليس هو الاختيار بين الشيوعية والديمقراطية العلمانية بل بــين الشيوعية والإسلام الليبرالي.... إن الخطر الأكبر على الاستقرار في باكستان ليس مصدره رجال الدين الرجعيين ولا الشيوعيين الذين لا يمكنهم تقــديم شــئ أفضــل للمســلمين، بــل هــؤلاء الــذين لــيس لــديهم اى معرفــة بالحقــائق العميقــة للإسلام....ويحاولون خلق فراغ روحي في حياتنا مما يفتح الباب لمرور الشيوعية بسلام."[149]

رسالة مماثلة وجهها كنيث كراج محرر " عالم الإسلام" في ورقتــه" التــأثير الثقافي للشيوعية على الإسلام المعاصر" التي وزعت في الملتقى ونشرت بعد ذلــك بعدة شهور في جريدة الشرق الأوسط"[150] ،قدم كراج مداخلة مليئة بالمغالطات حول الإحياء الاسلامى حيث كتب:"إننا في خضم مقاومتنا الدينية للشيوعية نعى إن العالم الاسلامى يجب أن يطور رد فعله العقلاني على التحدي الشــيوعي، ســواء علــى المستويات الروحية والميتافيزيقية والأخلاقية من اجــل هزيمــة "فلســفة الحشــر والنشر"(نظرية الآخرة) الماركسية التي تتطلع إلى إقامة جنة شيوعية على الأرض" واقترح كراج ترياقا مضادا لهذه الماركسية المخادعة:"فيما يتعلق بالإســلام، كمــا أوضح عدد لا يحصى من الكتاب المحدثين فان المجتمــع المثــالي هــو المجتمــع الاسلامى الصادق وقد يطلق عليه البعض الدولة الإسلامية الحقيقية" ويختــتم قولــه بنظرة متفائلة:" قد لا يحدث ذلك نتيجة الحاجة العامة لإعطــاء إجابــة ذات قيمــة للشيوعية، فالعقيدتان الإسلام والمسيحية لديهما الفرصة لإقامة علاقات مثمرة فيمــا بينهما" ويستشهد كراج بتعليق من ملتقى برنستون بمناسبة مشاركة القوات التركيــة في الحرب الكورية لينتهي إلى القول:" الآن وأخيرا وبعد 1300 سنة من الصــراع

---

149 – ملتقى حول الثقافة الإسلامية ص ص 86-89

150 – Kenneth Cragg " The Intellectual Impact of Communism upon Contemporary Islam,"Middle East Journal 8(2) (Spring 1954), pp.127-

غير المجدي يحارب جنبا إلى جنب رجال ينتمون إلى الديانتين التوحيـديتين ضـد المادية التي لا اله لها."

إلا انه في 1950 كانت فكرة أن يشارك الإسلام الغرب المسيحي فـي جهـاد اسلامي صليبي ضد المادية التي لا رب لها "كانت بلا شك وجهة نظر الأقلية، فمن جهة اعتقد كثير من الاستراتيجيين المتعصبين الذين يمكن أن يطلق عليهم اليـوم " واقعيين " كانوا يشعرون إن المسلمين اضعف من أن يعتمد عليهم وثمة قطب آخـر من المعارضة تأتي من جانب هؤلاء الذين يعتقدون أن الإسلام لا يمكنه أبدا أن يقدم العون لقضية معاداة الشيوعية لأنه هو نفسه معادى بقوة للغرب.

ويتذكر هيرمان ايليتس الفكرة التي كانت تقول إن الإسلام حليف في المعركة ضد موسكو بوصفها فكرة مبالغ فيها فيقول:"كانت هناك وجهة نظـر تقـول بـان الإسلام والشيوعية هما ببساطة شيئان متناقضان". ويضيف ايليتس الذي بدأ خدمتـه في إيران والعربية السعودية في الأربعينات، يضيف قائلا:" قليل مـن النـاس فـي الحكومة من يفكر كثيرا في الإسلام....كان يوجد هؤلاء الذين يقولون:" من المفيـد إبعاد الشيوعيين ولكن أحدا لم يأخذ ذلك بشكل جدي. كانت فكرة حكومة الولايـات المتحدة بشكل عام وكذلك في العالم الأكاديمي " إن الإسلام قد أصبح عاملا سياسـيا مضمحلا والشريعة الإسلامية يتم توظيفها لأهداف شخصـية. وأتـذكر جيـدا أن الخبراء الاقتصاديين الأمريكيين الذين وفدوا إلى البلاد التي كنت اعمل فيها يحملون وجهة النظر التي تقول بأنه كلما أسرعت بالتخلص من الإسلام كلما أصبح التقـدم أكثر اطرادا لأنهم كانوا يرون في الإسلام عائقا يحول دون التقدم الاقتصادي."

ظل جون س. كامبل يتولى لعدة عقود مسئولية رئاسة العلاقـات الخارجيـة الإستراتيجية للشرق الأوسط وكان يقود قوة عمل تشكلت سنة 1954 وتتكون مـن أساطين مؤسسة السياسة الخارجية الأمريكية. بالنسبة لكامبل قد يكون الإسلام أو قد لا يكون عائقا للنمو الاقتصادي ولكنه فيما يبدو ليس عائقا أمام الاتحاد السوفييتي:

" من المؤكد انه لا يمكن الاعتماد على الإسلام ليكون مثل هـذا العـائق. إن النظرية التي تقول إن الشيوعية والنفوذ السوفييتي لا يمكن لهمـا اختـراق العـالم الاسلامي بسبب المادية والإلحاد لم توجد بعد، فالدين ليس له مكان مميز في مجتمع الشرق الأوسط. انه يستطيع إن يؤثر على كل من المواقف الشعبية والرسمية ولكنه لا يستطيع بذاته آن يشكل حصانة ضد فيروس سياسي كالفاشية أو الشـيوعية. إن النظرية الشيوعية لها خصائص معينة تعادل الجمود الأسلامي. والوعد الذي تقدمـه بتوفير حياة مادية أفضل ليست متناقضة معه. والاهم من ذلـك إن تـأثير العـالم الحديث على الإسلام نجم عنه اتجاهان رئيسيان قد ينحوان نحو فتح البـاب أمـام

النفوذ الشيوعي: أولهما عدم قدرة النظريات والمؤسسات التقليدية على المحافظة على ولاء قادة الفكر والأجيال الجديدة الذين يعكفون على البحث عن طريق للخروج من التخلف المادي وثانيهما التمرد على الغرب الذي يمارس ضغوطا من شأنها تكريس الإسلام وفى نفس الوقت خلق الشعور بالتميز لأية نظريات أو قوى سياسية معادية للغرب....إن الحركة الوطنية المعادية للغرب سواء فى البلاد العربية أو إيران تتمازج معها بقوة المشاعر الدينية بل وحتى التطرف الديني.

ويرى كامبل أن النزعة الموروثة المعادية للغرب الكامنة فى الإسلام السياسي ينبغي أن يكون لها الأسبقية على أية فكرة ترى أنها مفيدة بالنسبة للإستراتيجية الأمريكية [151]

بالرغم من هذه التحذيرات تعاملت الولايات المتحدة بلا تروى مع الإسلاميين خلال الفترة من 1945- 1957.وحتى فى وقت مبكر منذ 1945 حينما بدأ المخططون الانجليز والأمريكان يفكرون فى كيفية إقامة الأحلاف وأنظمة الدفاع ضد الاتحاد السوفييتي عبر حدوده الجنوبية الشاسعة كانوا يضعون الإسلاميين فى اعتبارهم. فالجامعة العربية التي اوحت بريطانيا بفكرتها على سبيل المثال كانت تعتبر ضعيفة لأنها لم تكن تشمل تركيا وإيران وباكستان ومن ثم اقترح تحويلها من جامعة عربية إلى جامعة للدول الإسلامية بحيث تضم على الأقل بعض دول الحزام الشمالي [152]. ولكن هذه الفكرة أجهضت وركزت السياسات التالية بشكل اقل على الإسلام وبشكل أكثر على القوة الانجلوامريكية. ومع ذلك فخلال عهد ترومان وإيزنهاور بذلت الولايات المتحدة سلسلة من الجهود لتعبئة الإسلام السياسي فى الحرب الباردة واستخدام الإسلام كسلاح ضد النفوذ السوفييتي، وكان بعضها جادا وبعضها الأخر سيئ الإعداد بل ومضللا بشكل صارخ. وإذا أخذنا على سبيل المثال برنامج "الخنزير الأحمر" وهو جزء من خطوات التقرب الامريكى من

151- Campbell, p. 299. ولكن بعد ربع قرن يعدل كامبل وجهة نظره شيئا ما فقد كتب فى ربيع 1984 مقالا فى جريدة" الشئون العربية الأمريكية"(العدد 8 ص 80) يقول فيه" يبدو إن الخمينى يتمتع بإذلال الاتحاد السوفييت الملحد برغم التهديد الماثل . فقد تم جلد السوفييت بظهور الإسلام كقوة سياسية نامية وقوية فى الشرق الأوسط ....إن النظام فى إيران قد ساند الثورة الإسلامية المضادة فى أفغانستان . إن الاحداث المدوية لإثبات الوجود الاسلامى لن تكون عديمة التأثير على المسلمين فى آسيا الوسطى السوفييتية " خلال ربع القرن الذي انصرم بين وجهة نظر كامبل سالفة الذكر وإحداث الثورة الإيرانية حدثت تغيرات كثيرة.

152 -. س. أ. موريسون " القومية العربية والاسلام" جريدة الشرق الاوسط (ابريل 1948)ص ص 147- 59

الإسلام السياسي في الخمسينات، كان محاولة لكسب نقاط دعائية لصالح الولايات المتحدة، بتأكيده على أنها امة مؤمنة بينما الاتحاد السوفييتي ضد الدين، ففي سنة 1951 أعلنت هيئة الاستعلامات الأمريكية في بغداد بفخار شن حملتها الدعائية الهادفة إلى كسب قلوب وعقول العراقيين المسلمين " بعقد مقارنة بين وضع الدين في الولايات المتحدة ووضعه في دولة "شيوعية"، صمم إعلان (بوستر) ضخم يظهر " الدولة الشيوعية كثور ضخم يهاجم رجلا يمثل الدين وإعلان آخر يحكى قصة الخنزير الأحمر الشره وكيف انتهى نهاية سيئة. ولم تفت المشاهدين أن الخنزير الأحمر كان يرتدى النجمة الحمراء بينما وضع على مؤخرته المنجل والمطرقة...ولاحظ آخرون مدى ملاءمة أن يرمز إلى الشيوعية بالخنزير نظرا للكراهية التي يحملها له المسلمون. وإمكانية تطوير سلسلة من الرسوم الكاريكاتيرية التي تستخدم الخنزير الأحمر كشخصية محورية في الإعلان"[153]

1 . قام ادوارد س. كروكر المسئول بالخارجية الأمريكية الذي صمم الحملة المشار إليها قام بتضمين برقيته 32 رسما لحملة الخنزير الأحمر. وساهمت المخابرات المركزية الأمريكية أيضا بطريقتها الخلاقة شبه المتعالية بحيث تكون على اتصال بالحركة الإسلامية.وقد أشير إلى بعضها في"لعبة الأمم" مؤلف مايلز كوبلند ضابط العمليات بالمخابرات المركزية الأمريكية الذي عمل خلال الخمسينات كضابط اتصال بعبد الناصر وامضى سنوات عديدة متورطا في عمليات غسيل مخ السياسة العربية. وقد اعتزل كوبلند العمل في وقت مبكر ولكنه حافظ على علاقاته الوثيقة مع العشرات من العاملين الحاليين والسابقين بها سيما مع كل من كيرميت وآرشى روزفلت أحفاد تيدى روزفلت. وكجنوبي يجيد ركوب الخيل استخدم كوبلند مهارته كرجل يجيد كل الإعمال ليتخذ سمت الرجل الذي يدرك كل شئ عن العالم العربي. وقد أشار إلى انه في حوالي نفس الوقت الذي حدثت فيه حملة الخنزير الأحمر جاءت المخابرات المركزية بمشروع "بيلى جراهام المسلم". في سنة 1951 انتدب سكرتير الدولة للشئون الخارجية دين اتشيسون انتدب كيرميت روزفلت من المخابرات المركزية حديثة النشأة حينذاك ليترأس هيئة سرية من الخبراء بعضهم من الإدارة وآخرين من وزارة الدفاع وبعضهم الآخر جئ بهم من بين رجال الإعمال ومن الجامعات ليعملوا كمستشارين (لم يأت احد من المخابرات

153 – من أرشيف الأمن القومي الامريكى – المواد المستخدمة فى الاعلانات ضد الشيوعية – 10 مارس 1951– بغداد

المركزية الأمريكية سوى كيرميت روزفلت نفسه)- وحسبما قال كوبلند كانت مهمتهم أن يدرسوا العالم العربي ". وعند اجتماعهم قدم مشروع مصمم بهدف استثمار المشاعر الدينية الإسلامية. " قدم احدهم فكرة إنشاء شخصية بيلي جراهام (المسلم) من اجل استثارة الحماس الديني في حركة واسعة ضد الشيوعية، وذهب إلى حد اختيار رجل دين عراقي ثاقب النظرات يجوب البلدان العربية "ولم يتم الكشف عن شخصية هذا العراقي، ولكن كوبلند اعتبر الأمر بمثابة تجربة تعليمية. "لم تسفر التجربة عن أية أضرار ولكن المحاولة أفادت اللجنة كثيرا فيما يتعلق بتحديد ماهية الخطأ في تفاصيل الخطة، وهو درس أجيد استخدامه فيما بعد حينما قام مستشارو الملك فيصل بوضع مشروع مماثل بحيث يقوم الملك فيصل نفسه بدور " الرجل المقدس"[154]

ثمة مشروع آخر اقل طموحا من مشاريع المخابرات المركزية الأمريكية يتضمن دعاية مناوئة لنفوذ الاتحاد السوفييتي فى مصر حيث نقبت المخابرات المركزية بعض مخلفات ما قبل الحرب العالمية الأولى المعادية للإسلام وتحمل عناوين مثل " محمد لم يكن له وجود إطلاقا" و" النتائج السيئة لصوم رمضان" و" ضد الحجاب" حيث أعادت المخابرات المركزية الأمريكية نشرها بعد أن نسبتها للسفارة السوفييتية في القاهرة.[155] وجربت المخابرات المركزية كذلك استخدام مصر كمركز للوصول إلى الناشطين الإسلاميين في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. ولم يكن محرك العملية أحدا غير أنور السادات. فمنذ الحرب العالمية الثانية كان السادات قريبا من الإخوان المسلمين ويعمل كهمزة وصل بين التنظيم وحركة الضباط الأحرار التي كان يرأسها ناصر خلال الفترة من الأربعينات حتى البدايات الأولى للخمسينات. تقدم السادات لعبد الناصر بفكرة إنشاء مؤتمر اسلامى. وحينما وافق ناصر على الفكرة تم اختيار السادات رئيسا للمؤتمر. ووفقا لما ذكر مايلزكوبلند " أرسل عدد من المتدينين كملحقين بالبعثات الدبلوماسية المختلفة في الخارج وعهد إليهم بمهمة متابعة الفرص التي يمكن استغلالها لاستثمار المصالح الدينية وصولا إلى اتحاد ديني تكتيكي على الأقل.... في بادئ الأمر أظهرت الولايات المتحدة تشجيعا محدودا للبرنامج."[156] فيما بعد حينما وصلت العلاقات بين عبدا لناصر والولايات المتحدة إلى نقطة الافتراق، سحبت المخابرات المركزية الأمريكية تأييدها للفكرة.

154- كوبلاند ص 58

155 - المرجع السابق ص 184

156 - الرجع السابق ص ص 185- 86

وبمزيد من الجدية بدأت الولايات المتحدة تستكشف مع السعودية إمكانات تشكيل كتلة إسلامية. كان عدد من موظفي ودبلوماسيي الولايات المتحدة قد توصلوا إلى هذه الإمكانية في الأربعينات، ولكن الوقت كان مبكرا لإقامة تحالف امريكي سعودي في ذلك الحين ليقوم على أسس متينة على نحو ما حدث فيما بعد. على أية حال فان استثمار الإسلام كحاجز ضد الشيوعية والأفكار الماركسية والقومية العربية الراديكالية، هذه الفكرة شغلت أذهان الكثير من الأكاديميين وواضعي السياسة ومسئولي العلاقات الخارجية الأمريكية.

في سنة 1951 قام وليام أدى قنصل الولايات المتحدة العام في الظهران بالمملكة العربية السعودية، بكتابة تقرير مفصل عن المناقشات التي أجراها مع مختلف القادة المسلمين بمن فيهم ملك السعودية ومفتى القدس والقادة الإسلاميين في مصر واحد موظفي الجامعة العربية مقترحا القيام بعمل استراتيجي لإقامة جبهة ضد الشيوعية تضم الغرب المسيحي الديمقراطي والعالم الاسلامى معا في جبهة أخلاقية ضد الشيوعية. ووفقا لما ذكره ادى تحدث المفتى الحاج أمين الحسيني الفلسطيني ذو العلاقة الوثيقة مع بريطانيا والذي كان نصيرا للنازي خلال الثلاثينات والأربعينات " تحدث عن روسيا بأشد ما تكون الكراهية وأصر على إننا كنا مشاركين في الحرب الأخيرة على الجانب الخطأ وانه كان يتعين علينا أن نتحالف مع ألمانيا ضد روسيا. وتحدث بحرارة عن التعاون الذي يمكن أن يقدمه المسلمون للارتقاء بالعمل الدعائي المشترك مع المسيحيين لإزالة هذا الخطر!! وفيما يتعلق بالعربية السعودية أوضح ادى مدى القوة التي تتمتع بها الحركة الوهابية الأصولية:

" في حديثي هذا الأسبوع مع ملك العربية السعودية عبد العزيز آل سعود ناقش الملك نفس هذه النقطة مناقشة مستفيضة وأكد أن كلا من المسيحية والإسلام مهددين من قبل الشيوعية عدوهما المشترك....المسلمون في الشرق والمسيحيون في الغرب يجب إن يتحالفوا معا لحل هذه المشكلة لحماية عقيدتهم التاريخية... وبصفته رئيس الحركة الوهابية النقية فانه يعتبر بلا ادني شك أفضل ممثل للمسلمين وأكثرهم نفوذا في العالم اليوم وأكثرهم استعدادا للعمل من اجل استعادة نقاء هذه العقيدة وممارسة الفروض الإسلامية "[157]. أرسل أدى نسخا من هذا الخطاب إلى ثلاث موظفين في ارامكو (الكونسورسيوم الذي يضم اكسون وموبيل وتكساكو وشيفرون) والى البريجادير جنرال روبرت ماكليورRobert A.McClure مدير ادارة الصحة النفسية في وزارة الدفاع.

157- وليم أ. ادى رسالة إلى دوروثى ثومبسون 7 يونيو 1951-أرشيف الأمن القومي

لم يكن ادى مجرد موظف قنصلي بسيط. فخلال الحرب العالمية الثانية كان يعمل في مكتب الخدمات الإستراتيجية التابع للمخابرات وحصل على خبرة استخدام الإسلام السياسي لمصلحة الولايات المتحدة. " ولد في سوريا لأبوين يعملان في البعثة التبشيرية ويتكلم العربية بطلاقة. كان رجل دين معروف وبطل حرب فقد احدى ساقيه في الحرب الأولى. وبمقدرة عملية كبيرة قاد ادى بعض العمليات العسكرية في شمال أفريقيا في الأجزاء التي كان الألمان قد احتلوها. ونظم عدة شبكات من جامعي المعلومات لتقوم إلى جانب جمع المعلومات بنشر الدعاية وتنظيم حركات المقاومة ". وكانت المقاومة تضم جمعية إسلامية سرية يقودها متعاونون يعرفون فقط بما أطلق عليهم من أسماء مستعارة" مثل "سترنجس" و"تاسلس" وكان سترنجس هذا قائد مجموعة قوية من الإخوان المسلمين في شمال المغرب"[158]

بعد مرور عام ظهر سنة 1952 تقرير دبلوماسي غير موقع بعنوان " حديث مع الأمير سعود "مؤشر عليه" سرى: معلومات سرية" يقول إن شركة ارامكو كانت تمول مطبعة ومحطة إذاعة في الرياض مقابل مواد دعائية ذات طبيعة دينية. وأعلن الاميرسعود الذى مالبث إن اصبح ملكا، أعلن إن العربية السعودية كانت " القائد في الأمة العربية نظرا لوجود الأماكن المقدسة داخل المملكة". ولكن سعود كان لديه – حسبما يضيف الدبلوماسي الامريكي – نقطة أخرى لأضافتها:

"في يوم ما ستعطى هذه القيادة شكلا واضحا. وقال إن لديه خططا لا يحب إن يطرحها للمناقشة بالتفصيل الآن مما يهدد بإثارة ثائرة الحركة الإسلامية الشمولية وأنها يمكن أن تفعل الشئ الكثير لصالح البلاد الإسلامية بحيث تجعلها تعمل معا كوحدة واحدة، ولكنه كرر القول انه ليس على استعداد الآن لمناقشة هذه الفكرة بالتفصيل....أخبرته أن المعلومات التي يذكرها عن الوحدة الإسلامية مثيرة للاهتمام وأننا سوف نكون سعداء جدا بمعرفة المزيد عنها عندما يتم صياغة هذه الخطط.... اخبرته إننا سوف نرحب بهذه الحركة تحت قيادته لأننا نثق بأنها ستكون حركة صديقة."[159]

بينما كان لبعض المشتغلين بالعمل الدبلوماسي شكوكه، كانت الجهود تتوالى من اجل تشجيع فيصل على السير في هذا الاتجاه وان ينظر إليها

---

158 – Patrick O' Donnell , Operatives, Spies, and Saboteurs(New York: 2004) pp. 31-32

159 – محادثة مع الامير سعود 10 مارس 1952 ارشيف الامن القومي .

نظرة جدية بدءا من الإدراك الحقيقي للبعد السياسي أو الثقافي للعالم الاسلامى. يقول ديفيد لونج وهو ضابط مخابرات سابق كان يعمل في الخارجية الأمريكية ومتخصص في شئون العربية السعودية والخليج انه بعد مضى فترة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية كانت الولايات المتحدة تعمل على غير هدى." لم تكن تعرف اى شئ" حسب قوله" نعم كنا نستعد لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. وكنا أحيانا نستخدم الإسلام كنقطة يتجمع حولها كل الشأن السياسي الحالي" ويستطرد لونج قائلا " غير إن سياسة الولايات المتحدة كانت تفتقد القدرة على فهم السوابق التاريخية " يقول معلقا على الأسلاف القدامى:" إن إيديولوجيتهم كانت قديمة. ولكننا لم نسمع أبدا عن اى شيء، عن اى منهم عندما قفزنا إلى ما وراء هذه إل 1300 سنة الأسطورية: ببساطة لأننا كنا اكبر اللاعبين". يضيف لونج بان بعض الأمريكيين كان لديهم تآلف فطرى مع الشرق الأوسط والثقافة الإسلامية " كان يقال عادة ان أطفال شركات البترول الأمريكية والبعثات التبشيرية يعرفون القليل، ولكنني تحدثت معهم على مدى سنوات. كانوا يعيشون عالمهم الخاص الصغير، وكان ما يعرفونه في الحقيقة محدودا للغاية،كنا نريد البترول وكنا نريد محاربة الشيوعية، غير انه لم يكن يعنينا أن نعرف كل هذا اللغط عن الإسلام. كنا مهندسي طريق، طريق يقع وراء المنحنى الذي سبق إن تخطاه البريطانيون والفرنسيون بعد كل هذا الوقت الذي أمضوه هناك". وعندما سئل ما إذا كانت الولايات المتحدة قد ساندت الإسلام السياسي كبديل عن الشيوعية فى ذلك الحين أجاب لونج " لقد شجعناه ولكننا لم نصنعه.". ويضيف لونج:" كانت الصفقة هي: إذا تعرض السعوديون للهجوم فنحن نتولى حمايتهم، وهم سوف يزودوننا بالبترول."

وفيما يتعلق بناصر راجع فيصل الصفقة وعارض الوحدة العربية وقرر أنهم اشتراكيون وإنهم ضد الإسلام، ومن ثم فبينما كنا نحن والإسرائيليون نعتبر ناصر شيطانا كان فيصل يناهضه. كان يخشى أن يتحول الشباب المسلم إلى الاشتراكية ويتخلى عن الإسلام.نحن لم نفهم ذلك، لم نكن ندرك دوافع فيصل.وحاولنا إقامة تحالف بين تونس والسعودية،مغفلين أن بورقيبة كان علمانيا. كنا نقول له" ها انتم جميعا معتدلون " ولكن بورقيبة كان في نظر فيصل مرتدا.

كنا نسير فى نفس الاتجاه ولكننا لم ندرك ذلك.وحاولنا أن ننحو نحوا مختلفا، هو منحى سياسة القوة. ولكن بالنسبة للسعودية كانت المسالة مبنية

على فكرة أنهم هم المدافعون عن العقيدة وعن الأماكن الإسلامية المقدسة ولكننا كنا نرى الأمر فى إطار سياسة القوة."[160]

كما أشار لونج تعثر " المهندسون" الأمريكان فى نوع من التحالف مع الأصولية الإسلامية دون أن يدركوا ماذا يحدث بالفعل. عدد محدود جدا من الدبلوماسيين والعلماء الأمريكان هم الذين درسوا العلاقة بين الإسلام والسياسة، وهؤلاء كان يجرى التشويش عليهم باستمرار. فى سنة 1951 عقدت مؤسسة الشرق الأوسط مؤتمرا لمدة يومين حول "الإسلام فى العالم الحديث" حيث تحدث فيليب ايرلاند وهو من كبار موظفي الإدارة الأمريكية وكان يعمل ملحقا إداريا فى بغداد والقي خطابا عن العلاقة بين الإسلام والديمقراطية والشيوعية متسائلا " ما إذا كانت الاتجاهات الحالية سوف تنقل الإسلام إلى معسكر الشيوعية أو إلى الديمقراطية، وبعد أن ابدي ملاحظة مؤداها آن الشيوعية (فى الواقع كان يعنى: القومية) تحقق مكاسب فى سوريا والعراق والأردن وايرلندا، لاحظ ايرلند انه:

" فى العربية السعودية واليمن وحضرموت أثبتت الطبيعة السمحة والجادة للإسلام حقا وعمليا ونظريا انه قلعة فى وجه الشيوعية."[161]

لم يعر ايرلند الجانب النظري من الإسلام جزءا كبيرا من اهتمامه معربا عن أمله بان يستطيع المسلمون بطريقة ما أن يؤالفوا بين الإسلام والنظريات السياسية الحديثة. ولكن القيادات الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية كانت تخشى انه بتحديث الإسلام سوف يهجر المسلمون عقيدتهم إلى العلمانية وان مثل هذا الاتجاه سوف يفتح الباب إمام انتشار الأفكار الماركسية فى الشرق الأوسط. أما بايارد دودج العميد السابق للجامعة الأمريكية فى بيروت(1923-1948) وكان يحظى بنفوذ كبير فقد ذكر فى نفس لقاء "جماعة مؤسسة الشرق الأوسط":

" إن القومية ذات الطابع المادي تصبح الآن عاملا قويا فى الفكر والمجتمع الاسلامى. وهذا يعمل بشكل مباشر ضد الأفكار القديمة المتعلقة بالإسلام الشمولي أو الخلافة الإسلامية بوصفها نظاما عظيما للإخوة الإسلامية المنظمة. وقد أخذت القومية إلى حد كبير مكانة الجانب العقائدي من حركة الإسلام الشمولي. وغنى عن البيان أن المسلمين الشبان غير المعنيين بالإسلام بوصفه نظاما عظيما، هم الذين

160 - ديفيد لونج - مقابلة مع المؤلف - ابريل 2004

161 - مؤسسة الشرق الأوسط " الإسلام فى العالم الجديد." 9- 10 مارس 1952 ص 72

على وجه الخصوص يحتمل إلى حد كبير أن يصبحوا شيوعيين....إن رد فعل المسلمين من الجيل الصاعد كان لسوء الحظ سيئا إلى حد بعيد حيث نبذ الكثيرون منهم عقيدتهم وأخلاقهم وولاءهم للدين وأصبحوا يعيشون عيشة تهتك، يعاقرون الخمور ويقامرون ويسرون عن أنفسهم فى الكباريهات وبيوت الدعارة.

وإذا ما غض من شأن الإسلام وجاءت المادية والراديكالية مع الأفكار الشيوعية وربما اخترقتها، فان العواقب ستكون بكل تأكيد وخيمة على العالم."[162]

الولاء للعقيدة ؟ ممارسة حياة تهتك...فى بيوت الدعارة؟

هذا هو دودج وارث بعثات التبشير البروتستانتية بجذورها الضاربة فى الشرق الأوسط منذ القرن التاسع عشر... هذه التعبيرات أقرب إلى أصوات الذين يحاولون إحياء آيات الإنجيل منها إلى أصوات محللي السياسة الخارجية. وفى الحقيقة فان دودج فى خطابه يثنى على الإخوان المسلمين وعلى الذين يحاولون إحياء العقيدة فى تركيا المناهضين لأتاتورك والى هؤلاء الفرس تحت حكم رضا بهلوى الذين يعتقدون انه يجب العودة القهقرى لمزيد من التدين إذا أرادوا إن يهزموا الشيوعية [163] لقد عبر دودج هنا تعبيرا دقيقا عن هؤلاء الذين يبحثون عن إقامة تحالف مسيحي اسلامى يتمناه الكثيرون من صانعي السياسة الأمريكية بغض النظر عن كونه مسألة غير عملية. ولكن الأكثر سوءا هو بالتحديد ما لا يحتاجه الشرق الأوسط لأنه يناضل من اجل التحديث ولأن قادته العلمانيين بكل مكان فى المنطقة فيما عدا العربية السعودية يريدون أن يقللوا أو يقضوا على دور الإسلاميين الأصوليين ورجال الدين الوهابيين والإخوان المسلمين. إن ما يخشاه دودج وكثيرون غيره هو الشيوعية وليس الرأسمالية على النمط الغربي التي سوف تكتسب قلوب وعقول العرب والأتراك والفرس والهنود الذين تحرروا من أغلال العقيدة الدينية. إن كثيرا من الدبلوماسيين الأمريكيين الذين يهمهم بنفس الدرجة بكل تأكيد نمو المصالح الأمريكية فيما وراء البحار وهزيمة الشيوعية يتبنون وجهة النظر القائلة بأنه يتعين على الولايات المتحدة إن تركز اهتمامها على التطور الاقتصادي فى الشرق الأوسط وان تسهل عملية انتقال المنطقة من الأصولية الدينية المتخلفة إلى الأفكار الحديثة والغربية لتنظيم المجتمع التي قد لا تفيد بالضرورة الاتحاد السوفييتي. ويعتقد الكثيرون انه لا يجوز للإسلام أن يكون شيئا آخر سوى نظام من العقيدة الشخصية وليس نظاما سياسيا أو اجتماعيا.

---

162 – المرجع السابق ص ص 15– 18

163 – المرجع السابق ص ص 13– 14

ولكن بعد انقضاء خمسينات القرن العشرين بدأت أصواتهم تخبو وبدأ تأثيرهم ينحسر أكثر فأكثر. إن "عدم انحياز" ناصر أو "حياده الايجابي " قد اخذ يبدو في نظر إخوان دلاس ومنظري الحرب الباردة كحصان طروادة. وكذلك حدث فيما يتعلق بوطنية مصدق رئيس الوزراء الأيراني. وفي كلتا الحالتين، حينما تحركت أدارة أيزنهاور لمواجهة هذين النظامين، فأنها قد استخدمت واحدا من اخطر الأسلحة في ترسانتها، وهو الأصولية الإسلامية.

*

الفصل الرابع

الحرب ضد ناصر ومصدق

في بداية خمسينات القرن العشرين ظهر زعيمان في اثنتين من أقــوي بلــدان الشرق الأوسط -- مصر وإيران. في مصر قام تنظيم الضباط الأحرار بقيادة ناصر بخلع الملك وهدد بإشعال الثورة في المملكة العربية السعودية قلب إمدادات الطاقــة العالمية. قي إيران تحدي رئيس الوزراء المنتخب ديمقراطياً ذو الميول الاشــتراكية وهو محمد مصدق، تحدى سلطات شاه إيران الحاكم واضطره الى الهرب وأكد حق بلاده فى تأميم صناعة البترول و الاستيلاء عليها من الشركة البريطانيــة "أنجلــو بيرسيان أويل كمباني "Britain's Anglo Persian Oil Company" .

فى كلتي الحالتين بادرت بريطانيا والولايات المتحــدة ومخابراتهمــا بشــن عملياتهما للإطاحة بمصدق ولكنهما منيتا بالفشل بالنسبة لعبد الناصر. واســتخدمت المخابرات البريطانية أم آى 6 والمخابرات المركزية الامريكية، اســتخدمتا اليمــين الاسلامى كمخلب قط.

فى مصر تم استخدام الإخوان المسلمين وفى إيران جندت مجموعة من آيــات الله بمن فيهم منظر الجماعة أيــة الله كاشــانى(الأب الروحــي) لآيــة الله روح الله الخمينى.

ولربما كانت اكبر خسارتين متلازمتين أو فرصتين أفلتتا من الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط خلال النصف الأخير من القرن العشرين هي فشــل الولايــات المتحدة فى استيعاب كل من جمال عبد الناصر ومحمد مصدق حينما ظهــرا فــى خمسينات هذا القرن كقيادتين تعبران عن مطامح شعبيهما. وادي هذا الفشــل الــى تنامي الشعور بالرفض والمرارة والغضب فى الشرق الأوسط مما أدى الى تــأجيج هذه المشاعر وتغذيتها ضد الأمركة واستمرارها حتى يومنا هذا، بل لعلها ما تــزال مصدرا لإمداد القاعدة بالمزيد من المجندين لصفوفها. وتزداد هذه الأمــور تعقيــدا نتيجة خطا أخر فادح يتمثل فى قرار الولايات المتحدة بتأييــد العربيــة الســعودية بوصفها القطب المناوئ للقومية العربية والقومية الفارسية وكذلك إصرارها علــى ان تربط نفسها بشبكة عالمية واسعة من الاسلاميين الذين ترعاهم السعودية. ان هذا

القرار كان له نتائجه التى أدت الى صعود (ثيوقراطية) الحكم الديني لأيه الله الخمينى وتدمير افغانستان والإرهاب الدولي الذى يباشره اسامه بن لادن.

الاخوان المسلمون ضد عبد الناصر

فى سنة 1954 حينما فرض عبد الناصر سيطرته علي منافسيه وحتي وفاته سنة 1970، ظفر عبد الناصر بتأييد غير مسبوق بل واسطوري في انحاء العالم العربي أو علي حد قول الكاتب الفرنسي المشهور (أندريه مالرو) Andre' Marlauxعن عبد الناصر " انه سوف يدخل التاريخ ممثلا لمصر مثلما حدث لنابليون بالنسبة لفرنسا."164

أو كما قال ويليام بولك william R.Polk الذي كان يعمل في هيئة الأمن القومي في ستينات القرن العشرين " انه (أي عبد الناصر) هو جون كنيدي العرب."165" لقد شيع جنازته 5 خمسة ملايين شخص غير عشرات الملايين من العرب الذين بكوه شخصياً في السر "هؤلاء الذين بكوه في المقاهي والبيوت علي إنفراد وفي جماعات هادئين أو صارخين. وفي صلواتهم وفي سياراتهم في كالفورنيا النائية والذين قابلوا وفاته بجمود الخرس "166. ومرة بعد أخري خلال خمسينات وستينات القرن العشرين كانت الولايات المتحدة تقبض يدها عن إمداد ناصر بالسلاح وأسوأ من هذا، وإن يكن من خلف ستار كانت تخطط لإسقاطه عن طريق المخابرات المركزية الأمريكية.

يذكر إد كين Ed Kane وهو ضابط عمليات سابق في المخابرات المركزية الأمريكية كان يعمل في القاهرة في أواخر الخمسينات وأواخر الستينات كانت الوكالة منخرطة في عملية سرية، عملية في غاية الإنحطاط – ويمكن أن أضيف– بالإعتماد علي أفراد من النظام السابق الذين لم يكونوا في الواقع يملكون أية قوة، كنا نحاول أن نجد عناصر يمكنها إسقاطه، معظمها عناصر مرتبطه بالنظام القديم مثل ملاك الارض ورجال الصناعة وأعداء ناصر القدامى – كان مشروعا لايرجي منه."167".

164- مقتبس من مؤلف سعيد ك. ابو ريش " ناصر اخر العرب" (نيويورك – ط 2004) ص 314

165- المرجع السابق

166- المرجع السابق ص 315

167 - Ed Kane مقابلة مع المؤلف مايو 2004

كان عبد الناصر منذ نصف قرن مضي رمزاً للثورة العربية والإعتداد بالنفس والإستقلال. جاء إستيلاء الضباط الاحرار علي السلطة في مصر خلال عصر كان فيه العالم العربي من المغرب إلي العراق سجين عصر سياسي يتسم بالجمود – فالمغرب وتونس والجزائر كانت مستعمرات فرنسية أما الكويت وقطر والبحرين والإمارات العربية المتحدة وعمان واليمن فكانت مستعمرات بريطانية بينما كان العراق والاردن والعربية السعودية أنظمة ملكية يحكمها ملوك نصبتهم لندن. وكانت مصر، تحت حكم الملك فاروق الآيل للسقوط هي المركز السياسي والإقتصادي للعالم العربي. و بإستيلائه علي السلطة في مصر، أوقد ناصر الشعلة السياسية الطبقية في العالم العربي وأصبح مصدر إلهام للعديد ممن ساروا علي نهجه فيما بعد – أحزابا سياسية تتطلع للتحرير وثوريين في الجيش. ومنذ 1954 فصاعداً من خلال انصاره والذين يعضددونه سياسيا والصوت المدوي لإذاعة صوت العرب في القاهرة وبفضل شخصيته الكاريزمية قاد ناصر الحركة التحريرية في الشرق الأوسط العربي. وفي الفترة منذ 1956 – 1958 اهتزت لبنان والاردن والعراق تحت تأثير الإنتفاضات فسقط ملك العراق وإتحدت سوريا مع مصر في الجمهورية العربية المتحدة بقيادة ناصر التى برغم حياتها القصيرة إلا أنها كانت تجربة تسترعي الاهتمام فيما يتعلق بتوحيد العالم العربي. وحصلت الثورة الجزائرية علي دعم مادي ومعنوي من مصر قبل أن تحصل علي إستقلالها سنة 1962، أي نفس السنة التي حدثت فيها الثورة اليمنية التي كان ناصر مصدر إلهامها، وهي الثورة التي فجرت حرباً مضادة ادت بالسعودية الى الدخول فى حرب بالوكالة ضد مصر. وحتي وقت متأخر من سنة 1969 أي قبل وفاة ناصر بعام أطيح بملك ليبيا وبالنظام اليميني في السودان الذي قضي عليه ضباط موالون لناصر.

خلال فترة الحرب الباردة الشيطانية سواء كانت لصالحنا أو ضدنا كان ناصر محط لعنة وسباب لندن وواشنطن وتل أبيب. وفي كافة أنحاء العالم من جواتيمالا إلي الكونجو إلي اندونيسيا وحتي إيران كانت المخابرات المركزية الامريكية تعمل للتخلص من عدد من القيادات لا لأنها شيوعية ولكن بسبب ان السياسة الاستقلالية التي أتبعتها جعلت منها عناصر غير جديرة بالثقة من وجهة نظر الغرب في خضم الحرب بين القوي العظمي، ولم يكن ناصر مستثني من ذلك.

وبخلاف القادة الاخرين في امريكا اللاتينية وافريقيا، كان ناصر بنظرته الثورية مهدداً للإستراتيجية الامريكية لما بعد الحرب العالمية الثانية: حقول البترول

الشاسعة في العربية السعودية. لم تكن مصر مجرد منافس عسكري للسعودية ولم تكن مصر مجرد دولة إشتبكت مع الرياض في حرب في اليمن تبادل فيها الطرفان إطلاق النار _وليس فقط لا ن ناصر ألهم العرب في العربية السعودية بالمثل الجمهورية بل لان الزعيم المصري استطاع ان يكسب الى جانبه بعض اعضاء الاسرة الملكية في السعودية الذين شكلوا بقيادة الامير طلال ما اطلق عليه " الامراء الأحرار" الموالون لمصر والذين يطالبون باقامة نظام جمهورى فى العربية السعودية.

وحينما اقامت الولايات المتحدة شبكة من حلفائها فى الشرق الاوسط بالاعتماد اكثر فاكثر على دول غير عربية مثل تركيا وإيران وإسرائيل نشبت من ثم حرب باردة تقع مصر فى احد طرفيها والسعودية فى الطرف الآخر.

وبدا الامر كما لو ان المعركة داخل العالم العربى تضم الدول العربية التى يساندها السوفيت ضد حلفاء الولايات المتحدة، ولكن الحقيقة أن الاتحاد السوفيتي لم يكن لديه حلفاء حقيقيون ولكن لديه عدد محدود من الاصدقاء فى المنطقة كما ان العوامل الديناميكية التى كان لها دور بين 1954 و1970 كانت بين وجهات نظر متنافسة حول مستقبل الشرق الاوسط. فمن جانب كانت هناك افكار ناصر العلمانية التحديثية: عالم عربى مكون من دول عربية مستقلة اى جمهوريات عربية وفى الجانب الاخر كانت هناك مصفوفة الدول الملكية شبه الاقطاعية ومواردها الطبيعية تقع تحت سيطرة الغرب، وحيث تتواجد العائلات الملكية واحتياطيهم من الاخوان المسلمين واليمين الاسلامى.

بالمصادفة رفض عدد من خبراء الشئون العربية الامريكان رفضوا استراتيجية عزل ناصر. بل أن البعض منهم رأي فيه منقذاً للعالم العربي. يقول كين Kane انه "خلال الفترة من 1952 الي 1954 لقي ناصر في بداية الأمر تأييداً قوياً من جانب الوكالة والسفارة."[168] وطبقاً لأقتباس من مايلزكوبلند في مؤلفه " لعبة الامم " فإن "المخابرات المركزية الامريكية وصلت إلي حد تشجيع الضباط الاحرار في ثورتهم بعد أن فشل كيرميت روزفلت في محاولة دفع الملك فاروق إلي تحديث مصر. يقول كيرميت روزفلت وهو الرجل الاسطوري الذي سيتعاون مع وكالة المخابرات المركزية الامريكية سنة 1953 لاعادة شاه إيران إلي عرشه والذي زار مصر سرا سنة 1952:

---

168 - المرجع السابق

" كانت مهمتي علي وجه الخصوص أن أحاول أولاً تنظيم " ثورة سلمية " في مصر حيث يتولي الملك فاروق بنفسه الاشراف علي النظام القديم واستبداله بالنظام الجديد ومن ثم إحباط الخطوات الثورية التي كان عملاء المخابرات المركزية الامريكية قد تمكنوا من كشفها قبل الثورة بسنتين"[169] غير أنه طبقاً لما ذكره كوبلاند" كان فاروق من ضيق الأفق"[170] والفساد بحيث لم يستجب لهذه النصيحة مفضلاً ان ينشغل عنها بارتداء نظارات شمسية يتفادى بها الضوء الاحمر متجنباً القيام بمسؤلياته تجاه مصر.

وهكذا وافق كيرميت روزفلت علي لقاء الضباط الذين توسمت المخابرات المركزية انهم القادة المحتملين للجماعة العسكرية التي عرف انها تتآمر للقيام بإنقلاب، وقد قام بذلك في مارس 1952 اي قبل انقلاب ناصر بأربعة اشهر. وقد تمت ثلاث لقاءات حضر الثالث منها احد الضباط الاكثر ثقة لدي عبد الناصر"171.

وعاد روزفلت الي واشنطن ليقنع حكومة الولايات المتحدة بأن تتقبل خلع فاروق.

ليس هناك مايحول دون قبول رواية كوبلند، فأوراق الارشيف غير المبوبة لا تقدم اي مساعدة في هذا الصدد. ولم يتقدم أحد اخر بعد ليصادق علي تأكيدات كوبلند بهذا الصدد. الا أن الولايات المتحدة أقامت من تلقاء نفسها علاقات جيدة عموماً مع الحكومة المصرية الجديدة. ويقرر جويل جوردن Joel Gordon في كتابه الرائع. "حركة ناصر المباركة " إن الوثائق غير المبوبة تتضمن اتهامات جوهرية بوجود علاقات وثيقة بين السفارة الامريكية في القاهرة والنظام الجديد." ومن ناحية أخري كان البريطانيون رغم تسليمهم بقيادة الولايات المتحدة واتباعهم خطواتها إلا أنهم كانوا يئزون غضباً من واشنطن خشية أن يمثل اعتلاء ناصر السلطة تهديداً لقناة السويس وقواعدها وممراتها "172 الي الهند غير أن هناك توابع أخري أكثر خطورة فقد كان ناصر يمثل تهديداً لأنظمة الحكم الملكي في السعودية والعراق والمشيخات التابعة لبريطانيا في الخليج ومن ثم فقد ناهض البريطانيون ثم الامريكان ناصر ليس لأنه كان شيوعيا وليس بسبب أنه كان متأثرا بالنفوذ الشيوعى، فالحقيقة أن ناصر كان يقمع اليسار المصري والاحزاب الشيوعية بشدة. وبالاضافة فإن

169- مايلز كوبلاند لعبة الأمم (نيويورك 1969) ص62

170 المرجع السابق ص 63

171 - المرجع السابق ص 65

172 - جويل جوردون "حركة ناصر المباركة"(ط1992 نيويورك) ص.158

الشيوعيين المصرين كانوا يفتقدون التنظيم الجيد وكانوا منقسمين وكانوا يتمتعون بتأيد المثقفين اساساً ولم يكن لديهم ثمة فرصة للإستيلاء على السلطة الا بوصفهم اقلية فى حكومة وطنية يقودها الوفد.

ولكن الذى لم يكن محتملا بالنسبة لبريطانيا وواشنطن (وكذلك فرنسا حتى سنة 1956) هو رفض ناصر للسيطرة الأجنبية وهو ما كان من شانه تأليب القوى الكبرى ضد بعضها البعض وبعث الولاء له بين العرب خارج مصر بمن فيهم هؤلاء الذين يحتلون قمة العرش البترولي.

كان ما يقلق لندن وواشنطن بشكل خاص هو احتمال ان ينجح ناصر فى توحيد مصر والسعودية منشئا بذلك قوة عربية كبرى. ومن احد سخريات القدر فى العالم العربى ان مصر وسوريا ولبنان وفلسطين وهى مراكز الثقافة التاريخية والحركات السياسية العربية لم تكن دولا بترولية. ومن ناحية أخرى وباستثناء العراق وإيران غير العربية كانت كل من الدول العربية فى السعودية والكويت والإمارات العربية والبحرين وقطر تتمتع بكثافة سكنية هشة وليس لديها فعالية ثقافية (باستثناء ثيولوجية (حكم ديني) اسلامية سلفية بالغة التشدد) ويحكمها زمر استلابية بيروقراطية لا شرعية لها وتعتمد فى وجودها على الحماية العسكرية الأجنبية. ويدرك معظم العرب ان كلا من الملكيات القائمة والحدود المصطنعة لهذه الدول قد وضع خطوطها الامبرياليون ليقيموا فى عشرينات القرن العشرين أسيجة حول أبار البترول. ومن الناحية الاستراتيجية فلسوف يكسب العرب الكثير إذا ما تم التزاوج بين الثقافة والقوة البشرية فى حضر الدول العربية (بما فى ذلك العراق) مع الثروة البترولية فى الممالك الصحراوية. فى القلب من هذه الفكرة تقع مصر بسكانها الذين يبلغون عشرات الملايين والعربية السعودية بثروتها البترولية التى تبلغ 200 مائتي بليون برميل. ان الأهمية البالغة التى ينطوي عليها تعبير الوحدة العربية الشاملة هي ان هذه الوحدة بين مصر والرياض ستخلق مركزا عربيا جاذبا يتمتع بنفوذ دولي واسع.

بعد مبادرتها بمغازلة عبد الناصر عادت الولايات المتحدة بقيادة جون فوستردلاس سكرتير الدولة للشئون الخارجية وشقيقه ألان دلاس مدير المخابرات المركزية الامريكية لتقف الى جانب بريطانيا ضد القومية العربية.

واخذ أنتوني إيدن وزير الخارجية البريطانية الذى كان يناصب عبد الناصر العداء بقوة طوال الوقت – اخذ يدرس مسالة تدبير انقلاب فى القاهرة تحت إشراف بريطانيا فى بواكير سنة 1953. كانت القوة السياسية الوحيدة التى يمكن ان تتحدى

عبد الناصر -باستثناء الجيش- هي الإخوان المسلمون ومن يتبعها من آلاف الأعضاء فضلا عن المتعاطفين معها من ضباط الجيش بمن فيهم اللواء محمد نجيب الذى كان لوقت طويل عضوا فى الإخوان المسلمين واحد الاعضاء المحافظين فى حركة الضباط الاحرار التى يقودها عبد الناصر.

فى سنة 1952 بعد انقلاب الضباط الذى اسقط الملك فاروق، سمي نجيب ريئسا للجمهورية ورئيسا لوزراء مصر وعبد الناصر نائبا للرئيس، غير ان عبد الناصر كان من وراء الستارهو القوة الحقيقية.

وقد ادرك وليم ليكلاند William Lakeland المسؤل السياسى بالسفارة البريطانية، ادرك تقريبا فى التو ان نجيب لم يكن سوى واجهة لعبد الناصر "حسبما كتب مايلزكوبلند " بينما كانت الجماهير فى مصر والعالم الخارجي تحيي نجيب، كانت السفارة عن طريق ليكلاند قد بدات فى التعامل مع ناصر بوصفه الرجل الذى يصدر حقا القرار173 . ولكن نجيب وان كان اقل قوة من ناصر فقد كانت له علاقات مع حسن الهضيبى خليفة حسن البنا فى قيادة الاخوان المسلمين. واخيرا نشبت معركة اختبار قوة بين عبد الناصر ونجيب. ولسوف تتطور المعركة ويتمكن نجيب بمعاونة بريطانيا من الوصول الى الاخوان المسلمين كحليف رئيسى.

كانت صلة عبد الناصر الشخصية المبكرة بالاخوان المسلمين خادعة وفاترة174. ولدى استيلاء تنظيم الضباط الاحرار علي السلطة 1952 كانوا بالغي الحرص علي الا يعادوا الاخوان المسلمين حيث كان عدد من أعضاء الحركة أعضاء في الاخوان، كما ان معظمهم بمن فيهم ناصر كان لهم إتصالات مكثفة مع تنظيم الاخوان تعود الى اربعينات القرن العشرين. في البداية واجهت المجموعة العسكرية تحالفات العديد من المتنافسين بما في ذلك الوفد واليسار والملكيين والفاشست اى حزب مصر الفتاة والاخوان المسلمين. كان ناصر يشرف بنفسه علي العلاقات الحساسة بين العسكر والاخوان المسلمين، وقرر بادئ ذي بدئ أن يتعاون اويحيد الجماعة وألا يجابهها. وحينما أصدر النظام الجديد قراراً بحظر النشاط الحزبي في مصر سنة 1953 استثني الاخوان المسلمين. ولكن الفرصة علي اية حال كانت ضئيلة في لقاء الاخوان وعبد الناصر وجها لوجه. فالاخوان المسلمون يريدون مجتمعاً اسلامياً بينما كان ناصر يريد مجتمعا علمانياً. وربما الاكثر أهمية

173 – كوبلند. ص74

174 – توجد معلومات اكثر تفصيلا عن هذه الفترة فى مؤلف جوزدون " حركة ناصر المباركة" ص ص 98-106 و 175-190

أن ناصر كان يريد الاصلاح بما في ذلك الاصلاح الزراعي وإحداث تغييرات في التعليم وهو الامر الذي كانوا يعارضونه بشدة وشراسة. في حديث له مع جيفرسو ن كافري – وهو نفس كافري الذي أوصي بأن يدعي سعيد رمضان الاخواني إلي ملتقي برنستون والبيت الابيض سنة 1953 – صرح الهضيبي زعيم الاخوان المسلمين أنه "سيكون سعيداً جداً إذا تم القضاء علي العديد من الضباط الاحرار"175

في نفس الوقت تقريباً عقد تريفور ايفانس Trefore Evans وهو أحد الدبلوماسيين البريطانيين (المستشار الشرقي) للغات بالسفارة البريطانية في القاهرة عقد علي الاقل اجتماعاً مع حسن اسماعيل الهضيمي المرشد العام للأخوان المسلمين وهو الاجتماع الذي اعتبره ناصر بعد ان شن حملته علي التنظيم خيانة وطنية.والواقع أن كلاً من الدبلوماسيين البريطانيين والامريكيين أقاموا علاقات مستمرة مع الجماعة. حدثت المواجهة المؤجلة مع الاخوان المسلمين سنة 1954 وتوافقت مع تصاعد المواجهة البريطانية مع الزعيم المصري خلال المفاوضات المصرية البريطانية حول نقل ملكية قنال السويس وقواعدها الي مصر. وبينما كان الجناح اليساري والاحرار من السياسيين البريطانيين يميلون الي ابرام صفقة مع ناصر كان اليمين البريطاني بقيادة الامبرياليين البريطانيين الذين لم يتغيروا مثل ونستون تشرشل كانوا خرسا تقريباً فيما يتعلق بالنهضة المصرية. منذ 1952 فصاعداً كان انتوني ايدن رئيس الوزراء البريطاني يطالب برأس ناصر. اننا ندين ل "ستيفن دوريل Stephen Dorril بقصة الجهاد التي تبناها ايدن تجاه عبد الناصر والتي بلغت قمتها سنة 1956. "كانت المخابرات البريطانية تبحث خطة لاغتيال الرئيس عبد الناصر طبقاً لما ذكره دوريل الذي يضيف أن محمد حسنين هيكل المستشار الصحفي للرئيس عبد الناصر نشر فى كتابه (قطع ذ يل الاسد) صورة برقية صادرة من رجل المخابرات المركزية الامريكية جيمس ايشيلبرجر James Eichelberger في لندن الي الان دلاس مدير المخابرات المركزية الامريكية يورد فيها مناقشاته مع جورج يونج رجل المخابرات البريطانية يقول فيها انه كان يتكلم بلا موارية عن اغتيال ناصر بدلا من استخدام تعبيرات أكثر تهذيباً مثل (تصفيه) وذكر ان رجاله كانوا علي اتصال مع العناصر المناسبة في مصر وسائر الدول العربية". ومثله مثل كوبلند كان ايشلبرجر واحدا ضمن هذا الجانب من المخابرات المركزية الامريكية المتعاطف مع ناصرالذى بدا وجوده يتضاعل، ومثله مثل كوبلند

175 - جوردون ص 103

قام ايشيلبرجر بابلاغ عبد الناصر بما ذكره يونج 176[176]. بعد مضى شهر هدر ايدن قائلا: ما هذا الهراء حول عزل ناصر او تحييده حسبما يقولون ؟ اننى اريد تدميره الا تفقهون ؟ اننى اريده مقتولا... ولا أبالى ذرة إذا عمت الفوضى أو الكارثة فـى مصر."[177]

فى خلال الشهور الاولى من سنة 1954 بدا ان الكارثة على وشـك البـدء، حينما بدا الإخوان المسلمون وناصر الحرب.بدا ذلك فى يناير حينما هاجم بلطجيـة الإخوان المسلمين الطلبة الوطنيين المؤيدين لناصر فى جامعة القاهرة.كتـب أنـور السادات عضو الإخوان المسلمين السابق الذى القي بثقله الى جانب ناصـر ضـمن تنظيمه السابق كتب مقالا يهاجم فيه الجماعات التى تتاجر بالدين. بعد يومين اصدر عبد الناصر مرسوما بحظر الجماعة الإرهابية واتهم الإخوان بأنهم مخلـب قـط للبريطانيين. كان المرسوم الصادر بحظر تنظيم الإخوان يقول:

"ان الثورة لن تسمح أبدا للفساد الرجعى ان يعود باسـم الـدين."[178] وتظهـر الوثائق غير المبوبة ان المخابرات البريطانية كانت ترسل التقارير المتعلقة بنشـاط الإخوان المسلمين وتورد الملاحظات الخاصة بالإشاعات عـن الصـدامات بـين الإخوان والبوليس فى الدلتا والاجتماعات السرية التى تعقد فى الإسماعيلية."[179]

وطبقا لما ذكره روبرت باير Robert Baerوهو اخصائى سابق فى المخابرات المركزية الامريكية متخصص فى العمليات السرية وكان قد صادق كذلك على خطة استخدام الإخوان المسلمين ضد ناصر. فى مؤلفه " النوم مع الشيطان " يصف باير الخطوط العريضة للجهود السرية فى اعلي مستويات الولايات المتحدة:

"فى القاع من كل هذا يوجد هذا السر الصغير القذر فى واشنطن. فالولايـات المتحدة تعتبر الإخوان حليفا فى حالة نوم وسـلاحا سـريا ضـد (مـاذا غيـر ؟) الشيوعية. ان هذا العمل السري بدا فى خمسينات القرن العشرين على يد الأخـوين دلاس: ألان فى المخابرات المركزية الامريكية وجون فوستردلاس فـى الخارجيـة الامريكية حينما وافقا على ان تقوم العربية السعودية بتمويل الاخوان ضد ناصـر. كانت الولايات المتحدة تعتبر ناصر – الى المدى الذى تصـل اليـه مصـالحها – شيوعيا. فقد امم الصناعات الكبيرة بما فى ذلك قناه السويس. وادى منطق الحـرب الباردة الى نتيجة واضحة:

176– ستيفن دوريل ، ام 16 (نيويورك –ط 2000) ص 610

177 - المرجع السابق ص 613

178 – جوردون ص 105

179 – المرجع السابق ص 106

اذا وافق الرب على ان يحارب معنا فهذا جيد واذا قرر الـرب ان الاغتيـال السياسى مسموح به فهذا حسن ايضا طالما ان ذلك لن يتحدث عنه احد فـى رفقـة ملتزمة.

ومثله فى ذلك مثل اى عمل سرى فعال حقا فانك لن تجده فى اى كتـاب ولا يمكن العثور عليه فى محررات المخابرات المركزية الامريكية، ولا فى اىمفكرة او ملاحظة مقدمة الى الكونجرس ولا شيئ عن تمويله من الخزانة العامة ولـو بملـيم واحد. باختصار لا يوجد سجل بشانه. كل ما كان على البيت الابيض ان يفعله هـو اعطاء اشارة [180] – او ايماءة للدول التى تفتح ابوابها للاخوان المسلمين مثل العربية السعودية والاردن." بينما كانت كل من بريطانيا والولايات المتحدة تلعـب بالنـار وتجند القتلة من بين صفوف الاخوان المسلمين ضد ناصر، كان هناك ايضا مايثبت ان الاخوان المسلمين يتعاونون مع جماعة اسلامية تستخدم العنف والاغتيـال فـى إيران،ويطلق عليهم" فدائيو اسلام" وأحد مؤسسيها واحد من ايـات الله الإيـرانيين عمل مع المخابرات المركزية الامريكية لإسقاط مصدق. وقد لاحظ برنارد لـويس Bernard Lewis وهو ضابط سابق فى المخـابرات المركزيـة الامريكيـة واحـد المستشرقين القياديين، لاحظ ان قرار الإخوان بالعمل كمعارضة مباشرة ضد عبـد الناصر كان مرتبطا جزئيا باتصال الجماعة بفدائيي إسلام. كما يرى لـويس انهـا كانت مرتبطة كذلك بزيارة الى القاهرة قام بها أحد قادة "فدائيي إسلام" الذى أطلـق زناد التمرد الذى قام به الإخوان المسلمون ضد عبد الناصر:

"نفس المزيج بين المثالية والعنف بين التقوى والارهاب، يمكن ملاحظته فـى التنظيم الايرانى المعروف باسم "فدائيى إسلام" وهو يستعير تعبيرا ذا مغزى سـبق ان استخدمته بعثات القرون الوسطى التبشيرية المعروفـة باسـم Old Men of the Mountain. وبالرغم من كونهم شيعة الا انهم يتبنون فكرا اسلاميا شموليا ممـاثلا لفكر الاخوان المسلمين فى مصر ويرتبطون معا بعلاقات معينة. ففى مارس سـنة 1951 اطلق احد اعضائهم النار على رئيس الوزراء الايرانى الجنـرال رازمـارا وارداه قتيلا وكانت زيارة نواب صفوى زعيم فدائى اسلام الى مصر سـنة 1954 هى التى اطلقت اول صدام حاد وعلنى بين الاخوان ونظام (ناصر) العسكرى.[181]

180- Robert Baer, Sleeping With the Devil (New York, 2003) , p.99

181- Bernard Lewis. The middle east and the west (New York. 1964) .pp 112-13

يكشف الاتصال بين الاخوان وفدائيي اسلام في يناير سنة 1954 الى اى حد كان الإسلاميون الأصوليون منذ خمسينات القرن العشرين دوليون حقا. لقد تغلغلوا عبر الحدود الوطنية للعالم العربي وربطوا بين العرب المتطرفين ونظرائهم في باكستان وربطوا المجاهدين السنة بالمجاهدين الشيعة في ايران وغيرها، وحتي بعد مرور نصف قرن ليس واضحاً هل المخابرات المركزية الامريكية كانت تدرك الآفاق العالمية لهذه القوى التى تتعامل معها ومدى قوتها. هل كانت تدرك ان اليمين الاسلامي في مصر والعربية السعودية وايران وغيرها يعمل مستظلا " بأخوة عالمية " مبهمة- ام هل كانت تعتقد انها يمكن ان تلتقط او تختار متى وأين تقدم الدعم الى اليمين الاسلامي علي اساس كل حالة بذاتها ؟

الحقيقة انه بحلول خمسينات القرن العشرين انشأ الاسلاميون هيكلاً عابراً للأمم يبدو وجوده قادراً علي خداع المخابرات المركزية الامريكية لعقود. غير ان الدبلوماسية الامريكية وعادة المخابرات المركزية الامريكية كانت تفضل ان ترى النشطاء الاسلاميين فقط في ضوء علاقاتها بالبلد الذي يقيمون فيه.

خلال سنة 1954 ازدادت توترا العلاقات بين ناصر والاخوان المسلمين. وبالرغم من انهم الآن يعتبرون تنظيماً محظوراً فإن الاخوان المسلمين مازالوا يحتفظون بحضور قوي في انحاء البلاد. لقد تحرك ناصر اولاً ضد نجيب وخلال معركة طويلة في فبراير ومارس تمكن ناصر من تحجيم نجيب وإزاحته جانباً وإستطاع ان يحيد الاخوان المسلمين خلال هذه العملية. وفي ابريل قدم للمحاكمة أول قيادي للإخوان المسلمين من بين العديدين منهم. وبدا واضحاً ان المواجهة مع تنظيم الإخوان لايمكن تجنبها. بدأ البوليس المصري يراقب أعمال التنظيم وينظم الحملات حتي ضد مساجدهم ويفرض القيود علي خطب الائمة الراديكاليين والسلفيين. وفي سبتمبر نزعت الحكومة المصرية الجنسية عن 5 خمسة من قيادات الاخوان المسلمين بينما كانوا في مهمات في سوريا. وكان منهم سعيد رمضان مفكرهم الرئيسي. وكان الخمسة ينظمون مؤتمراً في دمشق حشدوا فيه عددا من الاخوان المسلمين من العراق والاردن والسودان لإدانة ناصر بينما أختفت قيادات الاخوان بمن فيهم الهضيبي.

وأخيراً في 26 أكتوبر أطلق أحد أعضاء جماعة الاخوان المسلمين ثماني طلقات علي ناصر: كانت الحقائق التي تحيط بمحاولة الاغتيال ضبابية الي حد ما. ولكن طبقاً لمعظم الروايات كانت الطلقات موجهة إلي الهدف مباشرة بواسطة احد أعضاء جماعة الإخوان الذي القي القبض عليه فوراً. هل كانت هناك مؤامرة أوسع

نطاقاً ؟ هل دفع البريطانيون الإخوان إلي قتل عبد الناصر أم لعلهم أوحوا إليهم بقتله ؟ من المؤكد ان الفكرة طبقاً للسجلات لم تكن بعيدة عن إيدن في منتصف خمسينات القرن العشرين. في خلال الإحداث التي كانت بمثابة النذر للمحاولات التي جرت لقتل فيدل كاسترو بواسطة المخابرات المركزية التابعة لكنيدي، دبر البريطانيون خططاً لا تحصي بهدف قتل الزعيم المصري، وكان بعضها صريحاً لا مواربة فيه. لقد سربوا أموالا إلي مصر لرشوة طبيب عبد الناصر من أجل تسميمه. ودبروا مؤامرة لدس السم المميت في بعض أنواع الشيكولاتة المحببة للمصريين المهداة إليهم. وركبوا نوعاً من الشيكولاتة علي غرار ما يحدث في أفلام جيمس بوند " علبة سجائر معدلة تقذفه بقذائف مسمومة " وحاولوا "دس أقراص مسمومة في قهوة عبد الناصر"[182].

(يقول كوبلند الذي عرف الخطة الأخيرة، أنه كان يتبادل النكات بشأنها مع عبد الناصر ويمزح قائلاً " ادر رأسك ياجمال ودعني أري ما إذا كان بإمكاني أن أدس السم في قهوتك "[183]).

غير أن كل هذه المحاولات البريطانية الخادعة لم تكن فكاهية وتعطي مصداقية للنظرية التي تقول بأن البريطانيين قد يكونون إستخدموا قتلة الإخوان المسلمين المحترفين أيضاً.

كان رد الفعل ضد الإخوان المسلمين سريعاً ومميتاً. قبض علي أكثر من ألف منهم. وحكم علي عدد كبير منهم بالسجن لمدد طويلة ونفذ حكم الإعدام في ستة منهم وصودرت أموال التنظيم واستولت الهيئات الحكومية علي المقرات ومراكز الخدمة الاجتماعية. أما نجيب فقد تضاءلت مصداقيته في الجيش وتبعثر حلفاؤه من الإخوان وتم عزله نهائياً من السلطة في نوفمبر، الأمر الذي حدا بسلزبرجر C.L Sulzbergerالي تشبيه نجيب بـ (كيرنسكي- رئيس وزراء روسيا القيصرية الذي عزلته الثورة البلشفية) وأطلق عليه كيرنسكي ذو الطربوش[184].

ومن أجل تضييق الخناق علي العناصر القيادية اللامعة من الإخوان المسلمين لجأ ناصر إلي اللعب بورقة سرية مستخدماً أسلوب المناورة وتعني الإمساك بالخصم بطريقة معينة بحيث تصبح قوته نفسها عبئاً عليه، واستخدم عصبة من

---

182 -Richard Mitchell, The Society Of the Muslim Brothers(London , 1969) pp. 141-142

183- دوريل ص ص 633 – 634

184 - مقتبس من جوردون ، ص 186 حسبما جاء فى نيويورك تايمس – عدد 17 نوفمبر 1954

قدامى النازيين الذين كانوا قد لجئوا إلي مصر بعد الحرب العالمية الثانية وافلتوا من محاكمات نومبرج.- وكان عدد كبير من اليمينيين الإسلاميين ونشطاء الإخوان المسلمين بمن فيهم الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين الذي كان قد استقر في القاهرة وكان لديه روابط وثيقة مع النازي والمخابرات الألمانية - حينما لجأ هؤلاء الألمان إلي مصر في أربعينات القرن العشرين كانوا موضع ترحيب خاص. وقامت المخابرات المركزية الامريكية والمخابرات البريطانية وقتئذ بتجنيد عدد منهم في الحرب الباردة ضد السوفيت. وبالتعاون مع رينهارد جهلن Reinhard Gehle

Reinhard GEhlen رئيس المخابرات الألمانية السابق قامت المخابرات المركزية الامريكية والجيش الأمريكي بإنشاء منظمة جهلن التي تضم جواسيس النازي السابقين الذين سبق ان استخدمهم جيمس كرتشفيلد من المخابرات المركزية الامريكية كقلب لجهاز مخابرات ألمانيا الغربية. مما لاشك فيه أن بعضهم دخل مصر بمعرفة المخابرات المركزية الامريكية والبريطانية - والبعض الاخر ببساطة هاجروا إلي مصر علي أمل أن يجدوا فيها ملاذاً لهم ويكونوا محل ترحيب فيها. كان فرانز بينش Franz Buensch هو احد هؤلاء النازيين الذين وصلت بهم نهاية المطاف الى مصر. وقد تمكن ناصر من استخدامه ليتصيد من خلاله متآمرى الإخوان المسلمين. وطبقا لما ذكره مايلزكوبلند اقترح بنتش خطة غير مالوفة باستخدام افراد النازى السابقين لتنظيم جهاز سرى عالمى للاخوان المسلمين بالتعاون مع الاخوان المسلمين انفسهم. وقد جذبت هذه اللعبة اهتمام ناصر فى ذلك الحين كما يقول كوبلند واستخدمها رئيس جهازه الامنى لتضيق الخناق على اعضاء الاخوان المسلمين ومحاصرتهم. وطور بينش خطته التى سرعان ما لقيت الاهتمام من جانب المصريين، وهى خطة تقضى بجمع عملاء النازى السابقين من الاماكن التى يختفون فيها فى كافة انحاء العالم (الارجنتين-البرازيل-ايرلندا-اسبانيا...الخ) واعطائهم اسماء اسلاميه والحاقهم بالرصيد السرى للجماعة التى قامت مصر باعدادها خلال الحرب العالميه الثانية. وتم بناء جهاز مخابرات يضم افضل العناصر الموهوبة فى المانيا ومصر ووضعها تحت تصرف جمال عبد الناصر من اجل حربه العالمية ضد الشيوعية والامبريالية.

قدمت هذه الخطة الى سعد عفره المدير العام للمخابرات المصرية المسؤله أنئذ عن ادارة ومتابعة الالمان. (يعبر اسلوب سعد عن عبقرية تميز واحدا من ابرع العقول المصرية.) ابدى سعد اهتماما كبيرا بالخطة ولكنه اصر على ضرورة سماع المزيد عن هذه الارصده "الخفية "، وبدا بينش الذى كان لا يزال حتى ذلك الحين

يبدى تعجبه من اللامبالاة التى يبديها المصريون تجاه هذا الموضوع، بدا يشعر انه اصبح اخيرا محل اهتمام وتقدير وانه ربما يكون على شفا شئ ذى اهمية كبيـرة. وبتشجيع من سعد اظهر كل ما يتذكر من معلومات حول هذا الموضوع ثـم اخـذ يحفز الاخرين من اعضاء الجماعة الالمانية على تذكر كل ما لديهم. وكانت النتيجة كافيه لشنق نصف الاخوان المسلميين بالاضافة الى جعل ضباط الامن المصـريين مشغولين لمدة سنتين حتى يدركوا مدى نفوذ الجماعة ليس فقط فى مصر ولكن فـى انحاء العالم العربى ايضا[185].

فى سنة 1954 وقعت مصر مع المملكة المتحدة اتفاقية حول قنـاة السـويس والقواعد العسكرية البريطانية، ولكنها لم تعمر طويلا. ففـى سـنة 1956 دبـرت بريطانيا العظمى وفرنسا واسرائيل مؤامرة تهدف الى اسقاط ناصر وبسط سيطرتهم على قناه السويس، ووضعوا الإخوان المسلمين ضمن هذه المؤامرة. وحينما تكاثفت الغيوم في سماء العلاقات البريطانية المصريه سنه 1956 كان تنظيم الاخـوان قـد تفكك الى حد كبير. واودع اعضاؤه السجون و المعتقلات او أجبروا على الاختفاء و لكن ذلك لم يمنع بريطانيا من اللجوء الى حلفائها القدامى.

ان قصة السويس قد حكيت مرات عديدة ! كيف التمس ناصر المساعدات من امريكا لبناء السد العالى و كيف رفض طلبه بشكل مهين _ كيـف تقـدم الاتحـاد السوفيتى للمساعدة و بيع الاسلحة التشيكية. كيف وقف البريطانيون حجر عثرة في المفاوضات من اجل تسليم القناة. و كيف قامت بريطانيـا و فرنسـا بالتـآمر مـع اسرائيل لشن الحرب. كانت كراهية ايدن لعبد الناصر قد وصلت بـه الـى حافـة الهاوية. غير ان ما لم يعرفه أحد إلا القليل هو انه عندما بـدات حقيقـة المـؤامرة تتكشف عقدت بريطانيا مؤتمرا مع الاخوان المسلمين فى جينيف. وطبقا لما ذكـره دوريل قام اثنان من العملاء البريطانين هما كولونيل نيل مـاكلين Neil McLeanو جوليان امرى Jullien Amery بمساعدة المخابرات البريطانية على تنظيم معارضـة ضد ناصر فى جنوب فرنسا وسويسرا. لقد ذهبوا ايضا الى حد اقامة علاقات فـى جينيف حيث كان نورمـان داربيشـاير Norman Darbyshire يتـرأس مكتـب المخابرات وكان معه عدد من اعضاء جماعة الاخوان المسلمين ولا يعرف احد شئ عن هذه التحركات الا المخابرات البريطانية ، وظلوا محافظين على هـذه السـرية ايضا فيما يتعلق بسائر جماعة السويس (التى كانت تخطط للقيام بعملية عسـكرية). وقدم امرى الى سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية حينـذاك العديـد مـن

185 - كوبلند ص 183

الاسماء "[186] ولا يعرف الشئ الكثير عن حقيقة اتصالات المخابرات البريطانية بالاخوان المسلمين فى اوربا خلال هذه الفترة. ولكنها تتفاوت مابين تنظيم الجهود من اجل الاغتيالات السرية الى تجميع حكومة سرية فى المنفى للحلول محل ناصر بعد حرب السويس.

وتبدوالمؤامرة الانجلوفرنسية التى كشف عنها سنة 1956 بمثابة خطة إمبريالية تمت صياغتها فى القرن التاسع عشر. فقد قامت لندن وباريس باعداد الترتيبات اللازمة لاسرائيل لشن حرب غير معلنة ضد مصر. وطبقا للمؤامرة سوف تنتظر كل من بريطانيا وفرنسا لفترة ما قد تستمر بضعة ايام ثم تتدخلان عسكريا لفرض معاهدة على كل من مصر واسرائيل بحيث تكونان قد استولتا خلال هذه العملية على قناه السويس. وكانتا تاملان ان يسقط ناصر – او ربما يتم الاطاحة به. اما الاخوان المسلمون– فبالرغم مما آلوا إليه من ضعف فقد كان عليهم ان يكمنوا بحيث يكونون على اهبة الاستعداد.

وأخيرا– وخوفا من ان ينتهز الاتحاد السوفيتى الفرصة ليجنى ثمارا غير متوقعة –قام الرئيس ايزنهاور باستثمار العدوان الانجلو فرنسى الاسرائيلى بالتعاون مع بعض الدول الاخرى ليجنى ثمار المؤامرة. وبدا لفترة ان الولايات المتحدة لديها الفرصة لتبنى من جديد علاقة ايجابية مع ناصر. غير ان هذه الفرصة سرعان ما ضاعت وعاد الأخوان دلاس الى نفس الاسلوب السابق فى مواجهة ناصر والقوميه العربية.

ولكن كان هناك جانب من الادارة وضباط المخابرات المركزية الامريكيه الذين استاءوا من رد فعل الادارة المعادى لوضع ناصر. واحدهم كوبلند الذى كان احد المعجبين الصريحين بناصر. كتب كوبلند بمزيج من الثناء والسخرية: "انه (ناصر) احد القادة الوطنين ولكن بطريقته الخاصة – وهو من اشجعهم وانظفهم وابعدهم عن الفساد واكثرهم بعدا عن النظريات وهو بطريقته الخاصة اكثرهم انسانية "[187] غير انه بعد بانقضاء عقد الخمسينات اصبح كوبلند من الاقليه، ونجح ابطال الحرب الباردة فى تحويل ناصر الى شيطان يتجسد فى صورة انسان. كان مستشارو الادارة المختصون بالشئون العربية " لطيفين بالنسبة لناصر كما يقول كوبلند غير ان هذا الاتجاه كان اكثر من مرفوض من قبل المعارضة فى اوساط رجال الاعمال" خاصة شركات البترول الامريكية والبنوك الكبيرة. وحينما تحول

---

186 – دوريل ص 629

187 – كوبلند ص 282

التيار ضد وجهة نظر كوبلند فيما يتعلق بعبد الناصر، تم استبعاده. وعلى حد الوصف الساخر لاحد زملائه فى المخابرات وكان فى زيارة لمصر حين قال له: " اعتقد اننا وضعناكم يا محبى ناصر على قائمة الانتظار (اى تحت الطلب) ". ويلاحظ كوبلند بأسى أن المسئول عن المخابرات المركزية الامريكية فى القاهرة ابرق لواشنطن مطالبا اياها بان تحث اسرائيل على ان تتاكد بان " امكانيات الاخوان المسلمين جديرة بالثناء ويمكن الاعتماد عليها للاطاحة بناصر."[188]

يقول جون فول John Voll وهو خبير ضليع فى الشؤن الاسلاميه من المحقق ان مساندة المخابرات المركزية الامريكيه للاخوان المسلمين خلال الحرب الباردة كان امرا سليما. " كانت ادارة مخابراتية جيدة " على نحو ما يقول فول " لقد كانوا البديل الوحيد لناصر، فالحزب الشيوعى فى مصر كان يفتقد المبادأة. ومن وجهة النظر المخابراتية والتخطيط السياسى كنا سنغدو اغبياء اذا لم تكن لدينا اى علاقات معهم."[189]

اما اذا استعدنا الماضى فانه من الصعب ان نفكر فى شئ اخر اكثر غباوة. فالولايات المتحدة لم تكن بحاجة الى بديل لعبد الناصر. كان من الافضل لو احتوته وساعدته فى كسر شوكة اليمين الاسلامى. ولكن بدلا من ذلك جعلت سياستها اكثر خشونة تجاه ناصر وشاركت العائله المالكة السعودية وحلفاءها الاسلامبين الاصوليين فى تكثيف الجهود من اجل استخدام الاسلام الشمولى كحجر الزاوية للنفوذ الامريكي فى الشرق الاوسط. واكثر من ذلك ان الصرامة الايديولوجية للنخب التى تضع السياسة الخارجية الامريكية لم تكن مقصورة على مصر. فبينما كانت الولايات المتحدة تحاول الغض من شأن ناصر توجهت نحو وطنى اخر فى منطقة اخرى هو رئيس الوزراء الايرانى محمد مصدق. وهو ما سوف يؤدى الى اخطر العمليات السريه التى قامت بها المخابرات المركزية الامريكيه فى سنة 1953 اى تدبير انقلاب 1953 فى ايران. وكما هو الحال فى مصر يلعب الجناح اليمينى الاسلامى الدور البارز.

---

188 – المرجع السابق ص 184.

189 – جون جول فى حديث مع المؤلف

من سخريات القدر فيما يتعلق بكل من ناصر ومصدق ان كلا الرجلين لم يحوزا إلا على تأييد متواضع من جانب الولايات المتحدة اثناء تسنمهما السلطة. واستمر موقفها كذلك حتى حسمت مقتضيات الحرب البارده الموقف ليصبح ضدهما بشكل حاسم. في البداية ايدت الولايات المتحدة القوى الوطنية بقيادة مصدق، جزيئا بسبب اعتقادها المبكر بان وطنيي العالم الثالث اللبراليين قد يكونون قادرين على تمدين دولهم في نفس الوقت الذي يمكن فيه استبقاءهم في معسكر الغرب. غير ان ادارة ايزنهاور لم تستسغ ذلك. كان منطقها اما ان تكون معنا اي ان يقبل قادة العالم الثالث اقامة القواعد العسكرية والانضمام الى الاحلاف الغربية والقبول بتنازلات اقتصادية لدى تطبيق انظمة السوق الحرة – واما ان تكون ضدنا (اذا لم تقبل ذلك). وفي ظل عالم اقل استقطابا قد يكون مصدق مثله مثل ناصر قادرا على ان يصل الى تفاهم طويل الامد مع واشنطن.

وكما حدث في مصر حيث تم تعبئة الاخوان المسلمين ضد ناصر استخدمت قوى الاسلام السياسي الاصولي بدهاء ضد مصدق. نفس القيادة الاسلامية اليمينية التي يقودها رجال الدين التي اسقطت الشاه سنة 1979 – هي هي التي كانت قد مولتها المخابرات المركزية الامريكية لمساندته سنة 1953.

كان مصدق وهو محامي ايراني تلقى تعليمه في باريس وسويسرا شخصا معقدا يمثل تركيبة السياسة الايرانية التي استمرت عقودا قبل سنة 1953. عمل في البرلمان الايراني في ظل اسرة الشاه السابق سنة 1915 ووزيرا للخارجية سنة 1924. ولكن ارتباطاته السابقة مع الملوك الايرانيين السابقين جعلته على خلاف مع رضا بهلوي وابنه محمد رضا بهلوي. وفي سنة 1944 انتخب في البرلمان ثانية بوصفه داعية قويا لتاميم صناعة البترول في ايران التي كانت وقتئذ تحت قبضة ما يعرف اليوم باسم شركة البترول البريطانية، واصبح مصدق رئيسا للجنة البرلمانية لشئون البترول وأنشأ حركة ائتلاف سياسي تحت مسمى الجبهه الوطنية، وبعد اغتيال الجنرال علي رازمارا سنة 1951 رأى الشاه انه مضطر الى اختيار مصدق خلفا لرازمارا كرئيس للوزراء. ولكن مصدق مضى قدما نحو تاميم شركة البترول البريطانية الفارسية وكان ذلك يمثل لطمة كارثية بالنسبة لانجلترا – كانت هذه الشركة التي اصبحت بعد ذلك الشركة الانجليزية للبترول ثم شركة البترول البريطانية كانت عروس الاستثمارات البريطانية الامبريالية وبدات اعمالها خلال الحرب العالمية الاولى بوصفها المشروع الرئيسي لونستون تشرشل الذي كان يرى

ان بترول الخليج الفارسى هو مصدر الطاقة للاسطول البريطانى على اتساع العالم. وسرعان ما اصبح مصدق رجلا كريها فى لندن واصطدم بعنف مع الشـاه الـذى كانت دوافعه الوطنية تابعة لرغبته فى الاحتفاظ بالعرش والمحافظة على علاقـات جيدة مع لندن وواشنطن. فى البدايه شارك كثير من ايات الله فى الجبهـة الوطنيـة ولكنهم تخلوا عنها وشاركوا المخابرات المركزية الامريكية حملتها ضد مصدق مما ادى الى حدوث انقلاب عسكرى فى اغسطس سنة 1953، واعيد الشاه الذى كان قد فر هاربا من البلاد، اعيد الى عرش الطاووس وألغى تاميم صناعة البتـرول. فـى مجرى هذه العمليه تمكنت الولايات المتحدة من فرض شراكتها واعطيت حصة فى الكونسورسيوم الجديد – 40% قسمت بين الخمس الكبار من شركاتها بينما انكمشت حصة الشركة البريطانية. ان قصة هذا الانقلاب الذى تم بالمشاركة بين المخابرات المركزية الامريكية والمخابرات البريطاني ام آى 6 قد حكيت عدة مرات ولكنها لم تسجل ابدا. ايا ما كان الامر هل حقيقة ان جهازى المخابرات كانـا يعمـلان معـا بألتعاون مع رجال الدين الايرانيين من اجل اضعاف وفى النهاية اسقاط مصـدق ؟ فى حقيقة الامر ان دوراً هاما فى هذه العمليه قام به غوغاء الشارع الذين اشترتهم ودفعت لهم المخابرات المركزية الامريكية وقد تم جمعهم بواسطة مثيرى الشـغب المرتبطين بعلماء الدين الذين نادوا باسقاط مصدق وعودة الشاه. وكـان الشـخص المركزي فى هذه الحملة الهادفة الى اسقاط مصدق هو آيه الله ابو القاسـم كاشـاني الممثل الرئيسى للاخوان المسلمين فى ايران ومعلم آيه الله روح الله الخمينى وسلفه بوصفه الشخصية الاسلامية القيادية فى ايـران – وطبقـا للمسـؤلين الريئسـيين الايرانيين، كان الخمينى فى ذلك الحين هو احد الملالـي المغمـورين وكـان فـى منتصف العمر وواحدا من اتباع كاشاني وقام بدور فى المظاهرات التى نظمهتـا المخابرات المركزية الامريكية المؤيدة للشاه ضد مصـدق[190]. ولعـل مـن اكبـر سخريات القدر ان نفس هذا الخمينى هو الذى قاد مرة اخـرى الرعـاع المتـدينين ليطالبوا هذه المرة بخلع الشاه و إقامة جمهورية إيران الإسلامية.

كان ايه الله ابو القاسم كاشانى(1882–1962) هو الاب الروحى للخمينى – كان محنكا سياسيا بدأ حياته السياسية فى عشرينات القرن العشـرين بالعمـل فـى البرلمان الايرانى. ومعروف عن رجال الدين فى ايران انهم لا يوقفهم شئ اذا تعلق الامر بحماية مكانتهم. ومعنى ذلك ان هيئة العلماء فرضـت سـنة 1920 الفيتـو الخاص بها لتوقف انشاء جمهورية اسلامية. لقد اعجـب رضـا بهلـوى الرجـل العسكرى القوى الذى فرض سيرته على ايران فى اوائل العشرينات اعجب بكمـال اتاتورك القائد العلمانى التركى واراد ان يعلن ايران جمهورية على النمط التركـى،

190 – مقابلة مع مسؤلين ايرانيين سابقين

ولكن الملالى بمن فيهم كاشانى خشوا ان انشاء جمهورية علمانية سوف ينال من قوتهم بشكل مميت ومن ثم فقد طالبوا بالنظام الملكى. كتبت الاميرة اشرف بهلوى شقيقة الشاه التوام فى مذكراتها عن مقاومة الملالى للنظام المجمهورى: " كان ابى يفضل جمهورية مثل تلك الموجودة فى تركيا واقترح هذه الفكرة على قادة الملالى الشيعة. ولكن رجال الدين الذين كانوا يساندون النظام الاقطاعى والملكية وكل انواع الثقافة التى تحافظ على الوضع الحالى، رفضوا هذه الفكرة التى عرضها عليهم فى الاجتماع الذى تم فى مدينة قم، وقالوا لوالدى انهم سوف يعارضون اى خطة لاقامة الجمهورية[191].

ولما كان الشاه على غير استعداد فى ذلك الوقت لتحدى المؤسسة الدينية القوية فقد تخلى عن هذه الفكرة واعلن نفسه ملكا. كان الكاشانى الصغير واحدا من صانعى الملوك.

على مدى السنوات العشرين التالية سيكون لدى كاشانى عدوان: الشيوعيون والشاه. ومثلهم مثل الاسلاميين فى كل مكان كان العلماء الدينيون الايرانيون يخافون الشيوعيين وحزبهم توده ويخشونهم. واستخدموا عضلاتهم الدينية ضد اليسار. غير ان الخطرالحقيقى لسلطة الملالى فى ايران كان باتى من جانب الشاه الذى كان يحتقرهم جدا بوصفهم جامدين يحملون عقول القرون الوسطى ويعارضون جهوده من اجل تجديد البلاد. منذ ثلاثينات القرن العشرين وسائرا على نهج اتا تورك جاهد الشاه بقوة ضد هيئة علماء الدين ووضع المحاكم المختلفة التى تطبق الشريعة تحت سلطة الدولة وامم بعض اوقاف العلماء مقللا بذلك من قوتهم الماليه ومنع الجلابية الاسلامية ووضع قيودا على اجراءات الزواج والطلاق ودخل فى معارك مع الاسلاميين من اجل تحرير المراة وامر بان تكون الاماكن العامة مفتوحة امام النساء وحرم لبس النقاب والشادور المسئ للمرأه. وفى سنة 1939 حظر الشاه الممارسات الشيعية البشعة التى يمارسها الناس بضرب انفسهم.[192] ولقيت هذه الاجراءات من قبولا حسنا من جانب المجددين الايرانيين غير ان علماء الدين تفجروا غضبا وشعر كاشانى انه مستبعد بصفة مستديمة من قبل الشاه فبدأ بهدوء يبنى قوته السياسة.

وكما اقدم الاخوان المسلمون فى مصر فى اربعينات القرن العشرين على القيام بعمليات ارهابية كذلك حدث فى ايران حيث اقدم كاشانى وانصاره على اعمال

191- الاميرة أشرف بهلوي : وجوه في المرآه – مذكرات من المنفي – ص ص 8 :9

192- للاطلاع علي المزيد من التفاصيل بشأن الاجراءات التي اتخذها الشاه ينظر مؤلف ديليب هيرد "الحروب المقدسة" نيويورك 1989 ص 153.

ارهابية ضد الشاه. ففى سنة 1945 ساعد كاشانى فى انشاء الفرع الايرانى غير الشرعى للاخوان المسلمين " فدائيى اسلام " بقيادة احد الملالى الاصوليين وهو نواب صفوى. وحدثت موجة من الهجمات الارهابية قامت بها الحركة التى انشاها كاشانى منها محاولة اغتيال الشاه التى قام بها احد الاسلاميين الذين يعملون سرا وينتمى الى مجموعة تسمى " علم الاسلام ". وفى سنة 1950 قام احد المنتمين الى فدائى اسلام باغتيال عبد الحسين هاجر وزير العدل. وفى سنة 1951 قام اخر باغتيال رئيس الوزراء الجنرال على رازمارا فى نفس الوقت الذى كانت فيه ايران تستانف مفاوضاتها مع لندن فيما يتعلق بحقوقها فى ثروتها البترولية. يقول الشاه فى مذكراته " ان رازمارا كان يضع الاتفاق الذى توصل اليه فى مفاوضاته مع شركة البترول الانجلو ايرانية فى جيبه حين تم اغتياله " [193].

وقد ساور الشك معظم المثقفين الايرانيين بمن فيهم الشاه ان يكون البريطانيون على علاقة برجال الدين والحركة الاسلامية هذا اذا لم يكونوا على اتصال مباشر بعمليات الارهاب ذاتها.

كان البريطانيون يريدون المحافظة على امبراطويتهم وخير طريقة لذلك هى التفريق والحكم (فرق تسد). يقول فريد ون هوفيدا الذى كان سفيرا لايران فى الامم التحدة حتى ثورة 1979 وهو شقيق امير عباس هوفيدا رئيس وزراء ايران فى سبعينات القرن العشرين واعدمه نظام خومينى – يقول " كان البريطانيون يلعبون على الجميع – كانوا يتعاملون مع الاخوان المسلمين فى مصر و الملالى فى ايران ولكنهم فى نفس الوقت كانوا يتعاملون مع الجيش ومع العائلات المالكة " ويقول ان البريطانيين راوا فى الاسلامية اداة اخرى يستطيعون من خلالها ان يبسطوا سيطرتهم. " كان لديهم صفقات مع الملالى يبحثون عن اكثرهم اهمية ويساعدونهم – وكان الملالى اذكياء، كانوا يعلمون ان البريطانيين هم اهم قوة فى العالم، وكان الامر ايضا امر اموال. فالبريطانيون سوف يجلبون حقائب مملوءة بالنقود ويعطونها لهؤلاء الناس. وعلى سبيل المثال فان التجار والاغنياء الموجودين فى البازار سيكون لدى كل منهم ايه الله الذى يموله، وكان هذا هو نفس ما يفعله البريطانيون[194]. " تكتب الأميرة اشرف فى مذكراتها حول العلاقات غير المقدسة بين البريطانيين ورجال الدين فى ايران:

193- فريدون هوفيدا- مقابلة مع المؤلف، مايو 2004.

194- فريدون هوفيدا- مقابلة مع المؤلف، مايو 2004.

"معظم رجال الدين شكلوا احلافا مع ممثلى القوى الاجنبية الذين غالبا ما كانوا بريطانيين. وثمة مزحة فى ايران تقول " اذا ازلت شعر ذقن رجل الدين لرايت كلمات" صنع فى انجلترا" مطبوعة على الناحية الاخرى. لقد مارس هؤلاء الملالى تاثيرا هائلا على عقول الجماهير. فى بعض الاحيان كان يبدو كما لو ان صوت الاله يتحدث بنبرة انجليزية او روسية. كان من الصعب على الفلاح ان يتبين اين تنتهى العقيدة واين تبدا السياسة "[195]. تضيف اشرف انه بعد الحرب العالمية الثانية صنعت لندن الاسلام اليمينى باعتباره جزءا من استراتيجيتها فى الحرب الباردة فى المنطقة، " فبتشجيع من البريطانيين الذين كانوا يرون الملالى قوة فعالة مضادة للشيوعية، كانت عناصر اليمين الدينى المتطرف تطفو من جديد على السطح بعد سنوات الكبت [196]. ويذكر الشاه نفسه فى مذكراته التى كتبها قبيل وفاته مباشرة فى المنفى، ان الرجل الذى قتل وزير العدل سنة 1950 فخر اراى كان له روابط مع كل من " فدائيى اسلام " والبريطانيين:" كان اراى متورطا مع جماعة دينية شديدة التطرف تتشكل من اكثر المتدينين تخلفا وتعصبا " واضاف انه قد يكون لديه علاقات غير مباشرة مع السفارة البريطانية فى طهران: " كان للبريطانيين ايضا اصابعهم فى الكعكات الغريبة. كان للبريطانيين صلات مع معظم رجال الدين الرجعيين"[197].

فى خمسينات القرن العشرين كان نصيب بريطانيا مهددا. فقد كانت بريطانيا منذ الحرب العالمية الاولى تتمتع بحقوق مطلقة فى البترول الايرانى ومن ثم فقد كان مما يدعو الى الدهشة، ان تنظر الولايات التحدة الى مصدق بادئ الامر نظرة ايجابية. ولكن مصدق كان يحاول ان يعيد التفاوض حول الاتفاقية الايرانية البريطانية وتغيير شروطها لصالح ايران. فبدا البريطانيون يقعقعون اسلحتهم ويهددون. وكانت واشنطن مختلفة مع لندن حول بترول الشرق الاوسط والمساعدات المقدمة ومبيعات الاسلحة الى حكومة مصدق. وفى سنة 1951 قام مصدق بزيارة الى واشنطن. "ارسل الرئيس ترومان مذكرة الى بريطانيا مناشدا اياها عدم مهاجمة ايران. "[198] على نحو ماكتب مؤرخ مشهور. ولكن حينما رفض مصدق عرضا امريكيا بالسماح لشركات البترول الامريكية بدخول ايران غيرت الولايات المتحدة

---

195 - (الاميرة) اشرف بهلوى، ص 6

196 - المرجع السابق ص 47

197 - محمد رضا بهلوى ص 59

198 - Shah: Building a Client State in Iran ,(Ithaca, N.Y,1991), p.58 SMark J. Gasiorowsky, US Foreign Policy and the

مسارها وادارت ظهرها لمصدق. وعلى حين غرة اخـذت المخـابرات المركزيـة الامريكية والمخابرات البريطانية اللتين كانتا على خلاف منذ وقت قريب، اخذنا فى التعاون معا لوضع خطة لاسقاط مصدق.

ويأتى كاشانى. فى سنة 1952 كان كاشانى فى وضع الحليف لمصـدق فـى الجبهة الوطنية، التحالف الوطنى الذى حكم ايران فى ظل الشاه. ولكن حينما بـدات الولايات المتحدة تتحرك ضد مصدق لفظه الكاشانى وتحرك فى الاتجاه المضـاد.. كان كاشانى يحتفظ بعلاقات سرية مع الارهابيين الاسلاميين الذين يعملـون سـرا، ولكنه علنا، امام الجمهور كان يباعد نفسه عن" فدائيى اسلام " وامثـالهم. وكانـت الولايات المتحدة تدرك جيدا مدى قوة كاشـانى. تلاحـظ المخـابرات المركزيـة الامريكية فى تقريرها المحرر فى اكتوبر سنة 1952 المعنون "توقعات اسـتمرار نظام مصدق" فى ايران:

" منذ ان تسنم مصدق السلطة فى 6 يوليو سنة 1952 كانت هنـاك تقـارير متتالية عن المؤامرات التى تحاك للاطاحة به. فكاشـانى وضـباط اليمـين كـانوا يذكرون باستمرار باعتبارهم القيادة... وكانت ثمة صدامات متوقـع حـدوثها فـى الشوارع بين القوى التى تساند مصدق وتلك التى تساند كاشانى. ان هذه الصراعات ستكون مريرة ومدمرة "[199]، ويختتم التقرير بالاشارة الى انه من بين القـوى التـى يمكن حشدها لصالح كاشانى كان رعاع البازار والفرق التى نظمها ابنه "ومنظمـة فدائيى اسلام" التابعة للمسلمين المتطرفين. ومع ان هذا التقريـر كتبـه المحللـون التابعون للمخابرات المركزية، الا ان وحدات العمليات السرية التابعـة للمخـابرات الامريكية كانت تعمل فعلا مع كاشانى من اجل حشد قواته ولتثير بالتحديـد هـذه " الصدامات فى الشوارع ". جاء فى مذكرات الادارة الامريكية سنة 1952 ان احـد رجال كاشانى نقل عنه توقع استخدام القوة قائلا " انها قد تكون ضرورية لمعاقبـة الشيوعيين بدنيا " [200]. خلال الفترة 1952- 1953 تقربت المخـابرات الامريكيـة والانجليزية الى كاشانى وعدد اخر من كبار القادة من رجـال الـدين الايـرانيين عارضة عليهم الاموال واغراءات اخرى للتخلى عن مصدق ومساندة الشاه:

---

199 – المخابرات المركزية الامريكية " احتمالات استمرار نظام مصدق فى ايـران " 14 اكتـوبر سـنة 1952 ص 2.

200 – U.S. Sate Department, " c.c. Finch conversation with Dr.Sepahbodi."December10, 1952.

" شجعت المساعدات الماليه المقدمة الى القادة الدينيين من اجل خط اكثر تشددا على التخلى عن مصدق. " طبقا لدوريل[201]، تصدر البريطانيون القيادة مستخدمين شبكة مخابراتهم الواسعة فى ايران بما فى ذلك موارد شركة البترول الانجلو ايرانية التى احتفظت بجهازها السرى الخاص ومكتب استعلاماتها المركزية. كان البريطانيون بطبيعة الحال متحمسين فيما يتعلق بالعمليات السرية ضد مصدق قبل ان تظهر الولايات المتحدة على المسرح بزمن طويل. ولكن الامريكيين كما اشار التقرير كان لديهم قناة الاتصال الرئيسية التى تصلهم بكاشانى. وقد لعبت آن لامبتون Ann Lambton، وهى استاذ فى مدرسة اكسفورد للدراسات الشرقية والافريقية وضابط سابق فى المخابرات لعبت من وراء الستار دورا فى عملية الغض من دور مصدق، واشارت فى تقريرها الذى كتبته حينذاك ان كاشانى حصل على قدر كبير من المال من جهة ما "كما ذكرت ان هذه الاموال ربما كانت قادمة من المخابرات المركزية الامريكية. " [202]

فى الفترة من 1946 – 1963 كان جون ولر John Wallerوهو عميل سرى محترف التحق بمكتب الخدمات الاستراتيجية خلال الحرب العالمية الثانية ثم خدم بعد ذلك فى المخابرات المركزية الامريكية حتى السبعينات من القرن العشرين وامضى معظم سنوات الحرب الثانية فى القاهرة وطهران واعطى وهو شاب مسؤلية قيادية. يقول وولر" هاهنا كنت رئيسا لمكتب مناهضة الجاسوسية فى منظمة الشرق الاوسط وانا فى التاسعة عشر " سنة 1946 وكان بالكاد فى العشرينات من عمره افتتح اولى محطات المخابرات المركزية الامريكية فى ايران ما بعد الحرب حيث جند الجواسيس الالمان السابقين ليساعدوا الولايات المتحدة فى الحرب الباردة وليعملوا مع شيوخ القبائل مثل قبيلة كاشكاى وبختيارى والأكراد.

يقول وولر وهو فى الثمانينات من عمره الآن " لقد كنا نحن الذين نعمل مباشرة فى هذا المجال نحب مصدق " للحقيقة فاننى زوجت ابنة اخيه من ضابط فى المخابرات المركزية الامريكية." ولكن سرعان ما بدأ الامريكان يأخذون جانب البريطانيين الذين يمقتون مصدق، وكان لدينا التزاماتنا ازاء حليفنا القديم بريطانيا. وكان البترول هو بيت القصيد." وطبقا لوولر كان الملالى والبازار هم من اكبر

201 – دوريل ص 566

202 - يمدنا مؤلف دوريل بتفاصيل كثيرة عن العملية الانجلو الامريكية سنة 1953 بما فى ذلك مساندتهم للاسلاميين . ونجد تفاصيل اكثر فى مؤلف جسيبروفسكى "Gasiorowski" المشار اليه سابقا.

الدعامات المسئولة عن كبح مصدق وكان البازار والملالى هم الاكثر قربا منا، وكان الملالى يسيطرون على الجماهير سيما الطبقات الدنيا"[203]

من بين كل الزعماء الدينيين كان كاشانى كما يقول وولر،هو الأكثر أهمية ضمن آيات الله الذين اقام وولر معهم بصفته، رئيس المخابرات المركزية الامريكية فى هذا الموقع، علاقات وثيقة خلال السنوات السبع التى قضاها فى ايران، " قمت بعمل صورة بورتريه بالباستيل للملا كاشانى. جلس امامى لوهلة وانا انهيها من الصور الفوتوغرافية". يذكر وولر ذلك مبتسما ويؤكد ان الكاشانى لم يصبح ابدا عميلا كاملا للمخابرات المركزية" ويضيف " انك لا تستطيع ان تجعل من اية الله عميلا لك" ولكنه يضيف ان للولايات المتحدة وبريطانيا عملاء عديدين وهامين فى التحالف المناهض لمصدق." ومنهم من كان صريحا جدا فى كل من البازار والملالى." يقول وولر:

" من الواضح ان هيئة رجال الدين كانت مهمة.... ذكر لى كاشانى لماذا تخلى عن التحالف مع مصدق، ذلك ان حزب تودة كان مصرحا به من جانب مصدق. لقد كانوا على اتفاق مع الروس. والمتدينون لا يحبون الشيوعية. كان الكاشانى هو الرجل الاعلى بارادة ربه، وهذا ما اعطاه قوة سياسية على نحو ما هو حادث بالنسبة لليمين المسيحى هنا. كان بمثابة اية الله خمينى تلك الايام. كان لديه سلطة على المساجد وكان لديه سلطة على جماهير الفقراء الذين يشكلون غالبية الشعب فى الاجزاء الجنوبية من المدينة، وبالاضافة كان الملالى اقرب الى البازار (التجار) منذ زمن لا يمكن تحديده.

هل قامت المخابرات المركزية الامريكية بتمويل كاشانى بشكل ماشر؟ الاجابة حسبما يقول وولر هى نعم. كان المال لكاشانى وللذى يختاره، اموال لتمويل قنوات الانصال بالجماهير فى جنوب طهران من منشورات وخلافه." ويضيف وولر بنبرة ساخرة: حتى أيات الله هم،لا تؤاخذنى، فاسدون. ويضيف، مختارا كلماته بعناية " انا اعتقد انه كان حقيقة متدينا، ولكن –اغفر لى صراحتى- ان يكون الانسان متدينا لا يعنى الابتعاد عن حقائق السياسة او التجارة او الجنس."

بمساعدة كاشانى وجدت المخابرات الامريكية والبريطانية انه اصبح من الاسهل لها ان تسيطر على اضرابات ومظاهرات الشارع ضد مصدق وضد الشيوعية. كانت سيطرة كاشانى على الجماهير فى ازقة طهران وفى المساجد

203- جون وولر فى حديث مع المؤلف . فبراير 2004

كبيرة. وكان الانقلاب العسكرى الذى اطاح بمصدق مضاعفا بفضل المظاهرات التى مولتها المخابرات الامريكية باستخدام الجماهير الموالية لكاشانى التى نظمها رجال الدين وعصابات البلطجة الماجورة.

عاد وولر الى وشنطن ليتابع الانقلاب من المركز الرئيسى للادارة هناك. وفى طهران كان كيرميت روزفلت، رجل المخابرات الاسطورى يدير العملية على ارض الواقع. كان هناك شقيقان ايرانيان (اخوان بوسكو) تحت ادارة المخابرات المركزية الامريكية. وهناك ثلاثة اخوة ايرانيين اخرين (الرشيدين) تحت ادارة المخابرات البريطانية يتعاونون مع شعبان جعفرى وهو رياضى ايرانى مشهور واداري للعمل مع كاشانى فى تجميع الغوغاء. أحدعملائنا كان يطلق عليه" الرجل المجرد من العقل"، حسبما يذكر وولر: كان بطلا رياضيا ومشعوذا، كان يعمل معنا ويستطيع ان يجمع الغوغاء بسرعة وقد دفعنا له مقابل ذلك.

كتب دوريل ان المخابرات الامريكية والبريطانية اقامتا من خلال (اخوة رشيدين) علاقات مع رجال الدين المحافظين مثل اية الله بورجودى وبهبهانى اللذان كانا يخشيان ان تؤدى الخطوات التقدمية التى يقدم عليها مصدق فى اتجاه اليسار الى تعرض الامن القومى للخطر" واعلن الملالي القادمين من الجبهة الوطنية مثل كاشانى ومكى ان الوزارات مليئة بالملحدين التابعين للكرملين"[204].وحسبما يذكر وولرفى ذلك الوقت ان الاسلام لم يكن قد قام بشكل منتظم بعد، غير ان الشيوعية والاسلام لا يمكن ابدا ان يتوافقا."[205]

اوائل الخمسينات كان جزء هام من عمل المخابرات المركزية الامريكية في ايران يتضمن العمل من اجل استثمار الشعور الدينى فى ايران ضد الاتحاد السوفييتى. وجاء ذلك خلال الوقت الذى كانت الولايات المتحدة تجرب فيه مع الاسلاميين فى مصر حملة مضادة للشيوعية فى مصر وباكستان واماكن اخرى. فى ايران كان تركيز المخابرات المركزية على حزب تودة الشيوعى بالرغم من انه لم يكن يمثل ابدا اي خطر حقيقى جاد. ولم يكن مصدق شيوعيا وتولى السلطة جزئيا بمساعدة الولايات المتحدة، ولكنه بمجرد ان وضع علي قائمة اعداء وشنطن بذلت الولايات المتحدة ما وسعها من جهد من اجل تشويهه عن طريق تصويره بانه خاضع للشيوعية. كانت الدعاية ضده منظمة من قبل ضابطين يعملان فى

204- دوريل ص 585

205 - حديث وولر مع المؤلف

المخابرات المركزية سوف نعرض لهما فيما بعد هما دونالد ويلبر Donald Wilber وريتشارد كوتام Richard Cottam.

احيانا كانت الدعاية شديدة الوطأة :

كانت الخطوة التالية هي استعادة ارصدة الحرب النفسية "من اجل بذل الجهود الحثيثة لتشويه اليسار كلية. ارسل آية الله بهبهاني الذي تلقي الاموال من الامريكان، ارسل خطابات تحمل شعار حزب تودة وتحتوى على تهديدات رهيبة مكتوبة بالحبر الاحمر بشنق كل الملالي على اعمدة الانارة في المدن الايرانية المختلفة.[206]، وطبقا لماذكره دوريل استخدمت المخابرات المركزية الامريكية صحفيين مثل كنيث لاف Kennith Love ودون شويند Don Schwind من الاسوشييتد برس كوكلاء لتوزيع هذه المواد الدعائية[207]. ولم تكتف المخابرات لمركزية باستخدام امثال بهبهانى من آيات الله لنشر التهديدات المزيفة المزعوم صدورها من حزب تودة بشنق الملالي ولكنها بالاضافة دفعت عملاءها من المحرضين لاستنفار المجتمع الايرانى المؤمن. وقامت المخابرات المركزية الامريكية والبريطانية بدفع الاموال للغوغاء ومثيري الشغب ليسيروا فى مظاهرات عنيفة بزعم انهم اعضاء في حزب تودة يجوبون الشوارع ويهاجمون مؤسسات الشيعة الايرانيين.

تدفق الرعاع فى الشوارع....كان الجانب الرئيسى من المؤامرة هو تصوير هؤلاء الرعاع باعتبارهم مؤيدين لحزب تودة من اجل توفير الحجة المناسبة للانقلاب واستعادة الشاه للسلطة. استأجر عملاء المخابرات البريطانية جمهورا مزيفا يمثل جمهور حزب توده ويتكون من خليط غير عادى من الايرانيين الشموليين واعضاء حزب تودة مقابل 50 الف دولار وزعها عليهم ضابط فى المخابرات المركزية. ويلاحظ ريتشارد كوتام ان العملاء الذين يعملون لحساب بريطانيا انتهزوا الفرصة وارسلوا الناس الذين كانوا تحت سيطرتنا الى الشوارع ليتصرفوا كما لو كانوا من حزب تودة. كانوا اكثر من مجرد محرضين كانوا بمثابة قوات صدام يتصرفون بزعم انهم اعضاء فى حزب تودة فيلقون الاحجار فى المساجد وعلى الملالى. " كان الغرض على نحو ما ذكر كاتب اخر هو ارهاب معظم الايرانيين وجعلهم يعتقدون ان انتصار مصدق يعنى انتصارا لحزب تودة

---

206 – دوريل ص 592

207 – المرجع السابق

والاتحاد السوفييتي ومعاداة الدين"[208] بعد أن استعاد الشاه العرش بدات الجهود من اجل اعادة الجنى الى القمقم من جديد. ولكن قوة الاسلام السياسى الذى تعرض للقمع فى ايران منذ العشرينات أعيد إحياؤها من جديد بفضل المخابرات الامريكية والبريطانية ولم يكن من السهل اعادتها الى حالة السكون من جديد. وبتعبير اكثر دقة فان القوى التى اسقطت الشاه سنة 1979 كانت هى نفسها التى كان قد تم اطلاقها من قبل من اجل اعادته الى السلطة سنة 1953.

فى الخمسينات كان الشاه وجهازه السرى السافاك يحاول بكل قوة ان يبقى الاسلاميين محجمين وان يبتاع الفاسدين منهم وان يحافظ على حيادية الملالى المعتدلين بمن فيهم الخمينى:

"خلال حكم الشاه كانت الحكومة تدفع للملالى ايضا" حسبما يقول فريدون هوفيدا سفير ايران السابق فى الامم المتحدة، وكان اخوه رئيسا لوزراء الشاه لسنوات عديدة "،" بعض هذه الاموال جاء من اخى والبعض الآخر جاء من السافاك" و"كان للسافاك رجالها الخاصين بها فى الهيئة الدينية"[209]. ومع ذلك فقد فضل الشاه ان يتخلص من كابوس الاسلام السياسى باعتباره ارثا من الماضى. ومن هنا حينما بدات الحركة ضد الشاه اواسط السبعينات لم يستطع الشاه ومعظم مساعديه المتملقين ان يدرك حقيقتها او اهميتها". بعد سنة 1953 بدأ كاشانى يختفى عن الانظار، ولكن تابعيه قدموا مجموعة من المتطرفين اشد قسوة- كانت قد بدات للتو صعودها الى السلطة- ليمثلوا الاسلام السياسي.

كان عقدى الاربعينات والخمسينات هى سنوات التكوين للخمينى. كانت آراؤه السياسية متدفقة بالرغم من ان كتاباته خلال الحرب الثانية كانت تعكس كراهيته "للدكتاتورية السوداء" لرضا شاه بهلوى الذى نحى عن العرش سنة 1941 "[210] كان الخمينى ميالا بالغريزة لرفض المؤسسة الدينية الشيعية الموالية للنظام فى طهران فانجذب ناحية كاشانى ونواب صفوى وفدائيى اسلام. وبدأ يعدل آراءه الراديكالية. كان وضع الخمينى السياسي خلال هذه الفترة فى مكان ما بين المؤسسة الدينية وفدائيى اسلام حسب تقدير باقر موان Baker Moin مؤرخ الخمينى. كان يؤيد آية الله بوروجردى المحافظ المعتدل ولكنه (الخمينى) "كان يعارض العلمانية معارضة

---

208 – المرجع السابق ص ص 592- 593

209 – مقابلة المؤلف مع هوفيدا

210- المعلومات المتعلقة بالحياة السياسية المبكرة للخمينى مأخوذة من المؤلف المشهور لباقر موان عن آيةالله الخمينى "حياة آية الله"(نيويورك-ط 1999)

جذرية ويؤيد بقوة أحكام الشريعة وله ميول عملية. بكلمات اخري فانه استوعب افكار فدائيي اسلام، ربما اثناء مناقشاته مع نواب صفوى الذى كان، حسبما ذكرت ارملته زائرا دائما لبيت الخميني."[211]

بدأ كاشانى يتصرف بوصفه معلم الخمينى فى هذه المسألة.

وكمؤشر آخر يدل على الافكار السياسية للخمينى فى ذلك الوقت، اعجابه الشديد بآية الله ابو القاسم الكاشانى (1852- 1992) الذى كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بفدائيى اسلام....كان الخمينى دائم التردد علي بيت كاشانى وكان معجبا بشجاعته وقدرته على الاحتمال ويشاركه فى الكثير من آرائه مثل معاداة الاستعمار، عالمية الإسلام وأهمية الفاعلية السياسية والشعبية."[212]

خلال انقلاب 1953 كان الخمينى متورطا مع منظمة فدائيى اسلام الارهابية، وحتى بعدما قرر كاشانى ان يحتفظ بمسافة ما بعيدا عنها الا انهما ظلا قريبين من بعضهما البعض. وأخذ الخمينى بنصيحة كاشانى بالانفصال عن مصدق وتأييد عودة الشاه. ولكنه استمر محتفظا بعلاقاته بفدائيى اسلام وتدخل ليحول دون اعدام نواب صفوى فى منتصف الخمسينات ولكن دون جدوى. غير انه بمكره استفاد كثيرا من خبراته سنة 1953. ادرك الخمينى ان كاشانى وفدائيى اسلام كانا سياسيين اكثر مما ينبغى وفقدوا كل صلاتهم الهامة مع مؤسسة العلماء فى مدينة قم المقدسة. ومن جانب اخر كان بورجردى رغم اعجاب الخمينى به لثقافته الدينية كان بعيدا أكثر مما ينبغى عن السياسة....وبعد عودته الى قم امضى الخمينى سنوات عمره العشر التالية محاولا ان يوحد بين السياسة وعناصر الدين فى الحركة الشعبية الاسلامية. وسوف يظهر ظهورا مدويا فيما بعد على المسرح السياسى خلال الفترة 1963 – 1964 راكبا موجة التحدى للشاه. فى هذه الاثناء تنسى الولايات المتحدة كل شيئ عن الاسلام فى ايران. الشاه اعيد الى العرش فى امان، الولايات المتحدة غنمت قضمة معتبرة من الصناعة البترولية فى ايران لصالح الشركات الامريكية. وانشغلت الولايات المتحدة فى مساعدة الشاه على بناء جيشه وقواته البوليسية وجهاز مخابراته المخيف – السافاك- وبالرغم من مساعدة بعض الملالى له فى اسقاط مصدق الا ان الشاه الامبراطورى لم يكن فى مزاج يسمح له بان يقبل مشاطرة اى احد سواه من اللبراليين او رجال الاعمال او رجال الدين فى السلطة، ومن ثم فقد اخذ الاسلاميون يرغون ويزبدون دون ان يلاحظهم احد.

211- باقر موان ص 60

212 – المرجع السابق ص ص 63- 64

الآن تتجه قصة الاسلام السياسى وتحالفه مع الولايــات المتحــدة وانتشــاره بسرعة الى ناحية العالم العربى. ان عبد الناصر المنتصر بعد حرب السويس ســنة 1956 والذى لم يقبل الخضوع كان يقدم مثالا يــزداد تحــديا لايــديولوجيى ادارة ايزنهاور انصار الحرب الباردة،

ثم سحق الاخوان المسلمين فى مصر واضطروا الى الهرب ولجاوا الى دول اخرى. ومن اجل إيقاف ناصر ومساندة الاتجاهات المعادية للشــيوعية والمعاديــة للقومية العربية فى انحاء العالم العربى ولت الولايات المتحدة وجهها شطر العربيــة السعودية.

*

الفصل الخامس

ملك كـــل المسلمـــين

" إن عبقريتكم أيها الأمريكان هي أنكم لا تقومون بتحركات غبية واضحة ولكن تحركات غبية معقدة تجعلنـــا نتســـاءل متعجبين ما إذا كان محتملا أن هناك شيئا مـــالا ندركـــه. "
جمال عبد الناصر" سنه 1957

(عن مايلزكوبلند من مؤلفه " لعبة الأمم " نيويورك سنه 1969 ص 216).

كان دوايت ايزنهاور قائدا عسكريا ماهرا ورئيسا متواضعا ولكنه كان يفتقـــر إلى دراسة الإسلام.

بعد انجلاء غبار معركة السويس سنه 1956، وبعد أن تدخل إيزنهاور لإجبار إسرائيل على الانسحاب من سيناء، ومن اجل تفكيك المؤامرة الانجلوفرنسية ضـــد جمال عبد الناصر فى مصر،أصبح لدى الولايات المتحدة الفرصة لتصحيح علاقتها بجمال عبد الناصر والقومية العربية – ولكنه بدلا من ذلك اتجه إلى بناء تحالف مع السعودية جاعلا القاعدة الرجعية للأصولية الإسلامية حليفا رئيسا للولايات المتحـــدة فى العالم العربي. وحتى وفاة عبد الناصر المفاجئة التى أتت فى غير وقتهـــا ســـنه 1970، ستغدو المملكة العربية السعودية قلعة للنفوذ الامريكى.

ومثله مثل سلفه فرنكلين روزفلت الذي سبق أن أعلن أن بترول السعودية هو الحصة الإستراتيجية للولايات المتحدة، أعلن ايزنهاور أن علاقات الصـــداقة مـــع العربية السعودية هي امرمنطقى بالنظر لأهمية الثروة البترولية لهذه الدولة. ولكنـــه وسع هذه العلاقة لتشمل تحالفا شاملا مع ذلك النوع من الإسلام الظلامى الذي تتبناه السعودية، راسما بذلك معالم الطريق الذي قدر له أن يستمر خلال عهـــود إدارات كنيدى وجونسون ونيكسون. وأصبحت نظرية ابزنهـــاور أســـاس سياســـة الإدارة الامريكية فى الشرق الأوسط. ومرددا صدى صوت روزفلت أعلـــن ابزنهـــاور أن هدف أمريكا الامبريالي هو إدماج الشرق الأوسط فى مجال نفوذها الدائم.

"إن الفراغ القائم فى الشرق الأوسط يجب أن تملأه الولايات المتحدة قبل أن تقدم روسيا على ذلك"[213].هكذا أعلن إيزنهاور في الرسالة التي وجهها إلى الكونجرس فى يناير سنه 1957. ووعد الرئيس بأن تقوم الولايات المتحدة بتقديم المساعدة العسكرية والمالية لاى دولة من دول الشرق الأوسط "تطلب هذه المساعدة ضد اى عدوان صريح من اى دولة تخضع للشيوعية الدولية ".[214] ومن اجل دعم هذه النظرية دعا ابزنهاور الملك سعود لأن يقوم بزيارة رسمية إلى واشنطن. ومؤكدا على أهمية السعودية بادر هو شخصيا باستقبال الملك لدى وصوله إلى المطار معبرا عن شكره الدائم على تبنى الملك لنظرية إيزنهاور.

كان الأمر بالنسبة لايزنهاور ذا مغزى حيث كان يرى فى السعودية جائزة ثمينة، ذلك أن ربع الاحتياطي العالمي من البترول يكمن تحت رمالها، بل لعله رأى فى السعودية ماهو اكثر من ثروة بترولية جديرة بالحماية، فدورها كمركز عالمي للإسلام أوحى إلى واشنطن أن الإسلام والإسلامية يمكن أن تستثمر كسلاح ضد الاتحاد السوفيتي وضد القوميين اليساريين من أمثال عبد الناصر.

كان كل من إيزنهاور وألان دلاس رئيس المخابرات المركزية الأمريكية وشقيقة جون فوستر دلاس سكرتير الدولة للشئون الخارجية يحاولون بناء تحالف إسلامي شمولي بالتعاون مع الحركة السعودية الوهابية، وسرا قام ألن دلاس المسئول عن المخابرات المركزية الأمريكية بتشجيع السعودية سرا على إعادة بناء الإخوان المسلمين فى مواجهة ناصر. كان إيزنهاور يخشى أن يحاول الاتحاد السوفيتي استخدام الرئيس ناصر لإقامة " اتحاد اسلامى هائل يترأسه ناصر".

يذكر إيزنهاور فيما يتذكره انه " لاختبار اى تحرك فى هذا الاتجاه كنا نريد أن نستكشف إمكانية وضع الملك سعود كثقل معادل لناصر. كان اختيار إيزنهاور للملك للقيام بذلك اختيارا منطقيا إذ كان على الأقل معاديا أصيلا للشيوعية، ولكونه بفضل القاعدة الدينية التى يستند إليها فإنه يتمتع بمركز مرموق لدى كل الدول العربية"[215].

213- مقتبس من فرد هوليداي- "العربية بدون سلاطين"-ص 216

214- David Holden and Richard Johnes, "The House Saud ,New York 1981, p.193

215- دوايت ايزنهاور "سنوات البيت الأبيض" -الجزء الثاني "فرض السلام" ط1965 ص ص 115-116

كانت فكرة غير صائبة.

أولا- لان مخاوف إيزنهاور بأن الاتحاد السوفيتي على وشك الحصول على مكاسب ضخمة فى الشرق الأوسط كانت مبالغا فيها إلى حد كبير، كما وان الإحساس بأن الاتحاد السوفيتي قد يحاول استيعاب الإسلام كان خارجا تماما عن السياق. صحيح أن موسكو كانت تحاول أن تتجاوز الدول المعادية للشيوعية فى منطقة الحزام الامنى الغربي مثل تركيا وإيران وباكستان ولكنها كانت تحاول ذلك من خلال تأثيرها فى العالم العربي خاصة بناء روابط مع ناصر، وبعد سنة 1958 كانت تأمل أن تقوم الحكومة الثورية فى العراق بتشكيل تحالف عربي شامل مع مصر. غير انه لا الحكومة المصرية ولا الحكومة العراقية كانت موالية للشيوعية.ولم يظهر قط اى تحالف مصري عراقي[216]. وبالاضافه فعلى الرغم من أن الاتحاد السوفيتي كان ينظر بايجابيه إلى اتحاد عربي شامل إلا أنه كان يؤكد على الهوية الوطنية، كان واضحا انه يخشى صعود الإسلام السياسي داخل حدوده فى آسيا الوسطى، ولم يكن لديه اى نية لفرض الإسلام الشمولي فى الشرق الأوسط. غير أن أيا من هذه العوامل لم تكن لتثنى إيزنهاور عن المضي قدما فى تحالفه المشئوم مع الرياض. وبالإضافة فأن الانطباع بإمكان قيام تحالف امريكى سعودي يعتمد على الإسلام، يتجاهل حقيقة إن الملك سعود لم يكن يتمتع بهذا القدر من الاعتبار لدى المسلمين.يقول جيمس اكينز James Akinsوهو دبلوماسي امريكى عريق سبق أن عمل سفيرا للولايات المتحدة فى السعودية فى ستينيات القرن(العشرين)[217]:"كان سعود ضعيفا وغبيا وبالإضافة فإنه كان فاسدا ومحاطا بحاشية من شرقي البحر الأبيض المتوسط كان فى حقيقة الأمر شخصا جاهلا لا أمل فيه ولم يكن لديه سوى إدراك ضبابي ضئيل بما يجرى فى العالم الحديث، وعلى مدى واسع كان ينظر إليه باعتباره فاسقا مدمنا للجنس، سكيرا وباحثا عن اللذات، فى كل كان مكان يقوم على خدمته خمارون وقوادون فى عشر قصور مسرفة الترف ولديه اكثر من مائة[218] من الأولاد من سلسلة لا نهاية لها من الزوجات والمحظيات ولكنه أيضا، كان يعتبر بشكل عام أبا لبلاده.باختصار كان سعود اقل من أن يكون عمادا لإمبراطورية شرق أوسطية خاصة إذا كانت هناك

---

216 - ملكولم ه .كير " الحرب الباردة، جمال عبد الناصرومنافسوه 1958-1970 (لندن مطبعة جامعة أكسفورد 1971

217 - جيمس أكينز مقابلة مع المؤلف يونيو 2004

218 - هولدن وجونز ص 177

رغبة فى نيل رضاء المحافظين فى العالم العربي.ومع ذلك فبوصفة ملكا للسعودية التى تشمل أراضيها مكة والمدينة، أقدس المدن الإسلامية، كان سعود يمثل فعلا على النطاق العالمي راعي المدينتين المقدستين فى الإسلام. ومع نضوج الحرب الباردة أصبح دور العربية السعودية كمركز الإسلام على نطاق العالم يزداد تأثيرا اكثر فأكثر على تفكير استراتيجيي الولايات المتحدة. وحاول سعود بدهاء، كما قد يدعى البعض أن يصور نفسه ملكا لكل المسلمين، وكان هذا كافيا بالنسه لايزنهاور إذ كتب يقول:" العربية السعودية هي البلد الذي يضم الأماكن المقدسة لمسلمي العالم". وخرج من ذلك بمنطق يقول بان:" الملك يمكن أن يصاغ كقائد ديني."[219]. طبقا لما يقوله ناثان سيتينو Nathan Citino كان المجهود اللازم لإعداد الملك سعود بحيث يكون زعيما للإسلام جزءا من استراتيجيه مشتركة مع بريطانيا يطلق عليها "أوميجا"Omega. كان ايزنهاور يصر على أن "مجهوداتنا يجب أن توجه نحو فصل السعودية عن المصريين"[220]. ومما شجع ايزنهاور وإخوان دلاس بشكل اكبر هو أن الملك سعود طلب من رجال الدين الوهابيين فتوى دينية تحظر على المسلمين قبول المساعدات من الكتلة السوفيتية.

كانت الجهود من اجل تجميع خيوط استرتيجية إسلامية تجرى مبكرا منذ سنة 1957. فبعد قمة سعود- ايزنهاور مضت الإدارة فى استثمار الإسلام كقلعة ضد الشيوعية وكجزء من هذه السياسة أخذت تبحث عن الفرص المتاحة للتغلب على الفوارق الاجتماعية التى ابتلى بها الشرق الأوسط."

وفى هذا الصدد كتب سيتينو الذي قام بدراسة للعلاقات السعودية العربية خلال حكم ايزنهاور:" فى أواخر يناير أقام أعضاء مجلس الأمن القومي لجنة عمل خاصة بالمنظمات الإسلامية التى تجمعها قائمة المنظمات الإسلامية فى الشرق الأوسط وشمال إفريقيا العاملة فى المجالات الاجتماعية والثقافية والدينية كإخوان الصفا الذين يمكن إن تستهدفهم بدعايتها وكالة الاستعلامات الأمريكية."[221]

ولم يكن رجال المخابرات الأمريكية المتخصصون فى ذلك الوقت سوى دونالد ولبر الذي يشغل منصب خبير الشئون الإسلامية Donald Wilbar\ وهو الرجل الذي

219- Nathan Citino ,From Arab Nationalism to OPEC;Eisenhour,King Saud and the making of US Relations,2002 , p.95

220- المرجع السابق

*- الحرف الاخير من الابجدية اليونانية وقصد بها النهاية

221 - المرجع السابق ص 126

نظم انقلاب سنة 1953 في إيران. كان ولبر يعلم الكثير عن الإسلام حسبما يقول جون وولر الذي كان ضابطا في المخابرات المركزية الأمريكية وتنبأ بالانقلاب عندما كان يعمل في مقر رئاسة المخابرات المركزية الأمريكية [222] في واشنطن، لكنه في مذكراته " مغامرات في الشرق الأوسط " يصف ولبر عمله بشأن الإسلام في ذلك الوقت بشئ من التواضع قائلا:

" كان شغلي الشاغل طوال الوقت هو الإسلام ومسلمي الشرق الأوسط. ونظرا للافتقار إلى وجود شخص اكثر كفاءة فقد أصبحت خبير الوكالة المتخصص في الإسلام. وفي ربيع 957 كنت العضو المشارك الذي يمثل وكالة المخابرات المركزية في ورشة العمل المشكلة لدراسة الإسلام وشاركت في وضع مؤلف بهذا الخصوص. وفي مجال الدراسة وفي رئاسة المركز راجعت عددا من الملفات وجمعت ما تم نشره بالإضافة إلى المعلومات الخاصة بهذه الرحلة ووضعت عدة مؤلفات مثل:" الإسلام في إيران" و "الإسلام في باكستان"و "الإسلام في أفغانستان"....الخ.وكانت هذه المؤلفات الأكثر استخداما من اى مواد منشورة أخرى. كان المقصود منها أن تستخدم كخطوط يسترشد بها في العمل مع الجماعات الإسلامية.".[223] وأوضح ولبر كذلك في أبحاثه الميدانية إلى اى مدى يمكن للسكان المسلمين في أسيا الوسطى داخل الاتحاد السوفيتي أن يجندوا للعمل ضد الاتحاد السوفيتي. وقام بتنسيق الجهود الدعائية في أواخر الخمسينات " لكشف موقف الاتحاد السوفيتي تجاه الإسلام."[224] و قد حاول إيزنهاور أن يستعين أيضا بثمرة جهود المتخصصين في الإسلام من غير التابعين للمخابرات المركزية الأمريكية بمن فيهم الأكاديميين و مستشرقين قياديين ساهموا في ملتقى برنستون الذي حضره أيضا سعيد رمضان القيادي البارز في الإخوان المسلمين ونالوا الثناء على ما قدموا من خبرات. كتب سيتينو يقول :

> " تولت الإدارة الأمريكية في عهد إيزنهاور رعاية مؤتمر عقد في واشنطن وحضره مؤرخون بارزون من الشرق الأوسط من بينهم مؤرخ بارز في تاريخ الدولة العثمانية، وأصبح فيما بعد أستاذا في جامعة شيكاغو وهو البروفيسور خليل انالسيك Halil Inalcik.

---

222 -جون وولر – مقابلة مع المؤلف فبراير 2004

223- دونالد ويلبر "مغامرات في الشرق الأوسط"

224 – المرجع السابق

حضر هذا المؤتمر أيضا بشكل روتيني العاملون بمجلس الأمن القومي وجمعوا أوراق البحث العلمية الخاصة بالشرق الأوسط المعاصر. وثمة مثال واحد ذى دلالة خاصة، ذلك أن فروع البحث المتعلقة بالحرب الباردة قد تم استبعادها من أوراق مجلس الأمن القومي في مكتبة ابزنهاور حيث يوضح برنارد لويس كيف أن الصوفيين النقشبنديين الذين يعيشون فى منطقة القوقاز بالاتحاد السوفيتي قد يستخدمون كطابور خامس داخل الإمبراطورية السوفيتية."[225]

أدار المناقشات مع سكرتير الدولة للشئون الخارجية جون فوستر دلاس، اثنان من المستشارين المقربين من الملك سعود هما يوسف ياسين ومحمد سرور صبحان [226]. ياسين سوري الأصل من اللاذقية الواقعة على ساحل البحر الأبيض وكان رجلا ماكرا وعلى اتصال وثيق بحاشية الملك. جاء إلى السعودية بناء على توصيات الجناح اليميني من الساسة السوريين وهو يمثل مصالح الملك سعود المالية فى دمشق، واستخدم الأموال السعودية واتصالاته السورية فى التآمر من اجل التخريب وإثارة القلاقل فى هذا البلد. وبدءا من الفترة 1956– 1957 شنت المخابرات المركزية الأمريكية كذلك عملية سرية بهدف إسقاط الحكومة السورية.[227] وفى سنة 1958 تورط ياسين فى مؤامرة سعودية لاغتيال الرئيس المصري عبد الناصر الذي كان فى طريقة إلى دمشق بالطائرة. وقد فضح المؤامرة رئيس المخابرات السورية الذي كشف إن السعودية، عرضت عليه رشوة مقدارها 1,9مليون جنيه استرليني ليساعد فى تنفيذها. ولم تكن هذه هي المؤامرة السعودية الأولى ضد القادة العرب الوطنيين.

وما هو اكثر إثارة فى قصتنا هو دور محمد سرور صبحان. كان سرور قنا محررا. وأثناء عمله وزيرا منتدبا لوزارة المالية أواخر الأربعينات كان مسندا إليه مسؤولية تمويل الإخوان المسلمين فى مصر. وفى خمسينات القرن العشرين أصبح سرور وزيرا للمالية وواحدا من اقرب مستشاري الملك. وفى الستينات أسندت إليه وظيفة رفيعة وهى الإشراف على جهود المملكة فى كافة أنحاء العالم من اجل

---

225 – سيتينو ص 96

226 – هولدن وجونز ص 194

227 – العمل الذى قامت به المخابرات المركزية أمريكية ضد سوريا ، فضلا عن انه أذيع بشكل واسع فقد أكد لي حدوثه كثير ممن عملوا فى المخابرات المركزية سابق وتورطوا فى القيام به ومنهم راي كلوز

الارتقاء بشئون الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية الراديكالية (الأصولية) الأخرى، من إفريقيا إلى اندونيسيا.

ليس معروفا على الإطلاق إلى اى حد ناقش سرور دالاس في وضع الإخوان المسلمين ولكن بوصفها الداعم الرئيسي للتحالف مع العربية السعودية ثم بوصفها السند المالي الرئيسي للإخوان المسلمين فإن الولايات المتحدة تكون فى حقيقة الأمر قد أدخلت الإخوان المسلمين كأحد اللاعبين فى الحرب الباردة. وردا على سؤال ما إذا كان قرار الولايات المتحدة بدعم الكتلة الإسلامية العربية السعودية ضد ناصر أجاب احد رؤساء المخابرات المركزية السابقين والذي سبق له الخدمة فى الشرق الأوسط، اختصر الكلام قائلا من هم الأقطاب الآخرون؟ الملك حسين؟ إن الذي نراه هو الحرب الباردة. كانت الحرب الباردة هي المحدد الواضح فى ذلك الوقت. لقد كنا نرى ناصر بوصفه اشتراكيا ضد الغرب و ضد حلف بغداد و كنا نبحث عن اى غطاء. كنا نرى جهود السعودية من اجل أسلمة المنطقة وكنا نراها قوية و فعالة ومحتملة النجاح. كنا نحب هذا، كان لدينا حليف ضد الشيوعية."

كان من نتائج جهود إيزنهاور فى الخمسينات من اجل بناء السعودية كقلعة ضد الشيوعية، صعود عائلة بن لادن. فمن اجل تقوية نفوذ السعودية بوصفها راعية المقدسات الإسلامية فى مكة و المدينة، خصص ابزنهاور نصف مليون دولار للعربية السعودية لدراسة إنشاء الطرق لنقل الحجاج إلى مكة كجزء من الجهد البترولي لإعداد مكة لتكون مركزا للثقافة الإسلامية. واستأجر الملك سعود الشيخ محمد بن لادن لإعادة بناء المسجد الكبير فى مكة. وعن طريق هذا العقد بدأ بن لادن يراكم ثروته الهائلة.

السعودية ملاذا للإخوان المسلمين

فى البداية كانت السعودية تمول الإخوان المسلمين بالأموال فقط. بعد عام 1954اصبحت البلاد نفسها قاعدة أساسية لعملياتهم. وحينما حطم ناصر الاخوان المسلمين فى مصر، أمدتهم السعودية بملاذ هام لتنظيمهم و تقاطر عدد كبير من أعضائهم إلى المملكة الصحراوية. حدثت هذه الهجرة حينما أشاحت الولايات المتحدة بوجهها عن ناصر وولته شطر السعودية. واستقرالاخوان فى جدة حيث عملوا فى مجالات الاستثمار (البرنس) كرجال إعمال وكذلك فى الرياض ومكة

والمدينة حيث عملوا على تأصيل الحركة الوهابية. وخلال النصف الثاني من القرن العشرين أصبحت السعودية هي الملاذ الأخير للإخوان المسلمين، تتولى إسعافهم ومدهم بالمعونة بالإضافة إلى تمويلهم بغير حدود. يقول ديفيد لونج الذي كان يعمل فى مكتب التخابر والأبحاث التابع للإدارة الأمريكية: "كان احد اغبي ما أقدم عليه فيصل هو دعوته للإخوان للقدوم إلى السعودية."[228] ولكن يبدو إن ذلك كان من مقتضيات السلامة. فى ذلك الوقت. كان يبدو أن كل إنسان مشغول بمحاربة الشيوعية. كنا نحن كذلك – وكذلك كان فيصل."[229] فى ذلك الحين كان فيصل هو ولى العهد الذي سيؤول إليه العرش. و لكنه لن يصير ملكا إلا سنة 1960 حين أزيح الملك سعود فى احد انقلابات القصر.كان ينظر إلي فيصل باعتباره أوسع افقاً و اكثر استنارة و اكثر دهاء من الملك سعود الفاسق.و كان الإخوان المسلمون باعتبارهم تنظيما سياسيا عالي المستوى معنيين بإقامة دولة خلافة إسلامية عالمية (على اتساع العالم). كانوا حلفاء للسعودية و لكنهم فى نفس الوقت يمثلون خطرا عليها و حسبما يقول جون فول John Voll وهواستاذ فى جامعة جورجتاون ''لم يكن السعوديون راضين كثيرا عن الإخوان المسلمين، ولكن إذا كنت أنت والسعوديون تخشون ناصر خشية الموت فالإخوان المسلمون هم إذن اللعبة الوحيدة المتاحة "،علي حد قول جون فول John VOll الأستاذ بجامعة جورجتاون[230]''فى سياستها الخارجية استثمرت السعودية الإخوان المسلمين ضد مصر و سوريا و العراق و أقامت لهم قوة فى السودان وشجعتهم فى أفغانستان و باكستان حيث تحالفت مع جماعة (ابوالاعلى المودودى) الإسلامية- بل ولعبت لعبة مساندتها فى وسط أسيا السوفيتية، ولكن داخليا لم تحتمل العائلة المالكة تصرفات الإخوان المسلمين.كان السعوديون ضجرين من الإخوان المسلمين..لقد شجعوهم فى مصر و السودان و غير ذلك و لكنهم كانوا يعارضون بصلابة نشاطهم داخل العربية السعودية."حسبما يقول راى كلوزRay Close الذى كان يعمل مسئولا عن فرع المخابرات المركزية الأمريكية فى السعودية خلال الفترة من 1970-1977 [231].

أن السعوديين – كما تعلم – يعارضون اى أحزاب سياسية حسبما يقول هيرمان ايليتس احد اكثر الأمريكيين خبرة فى الشئون العربية و شغل منصب سفير

228- ضابط عمليات سابق بالمخابرات المركزية فى مقابلة مع المؤلف -يوليو 2004

229 - ديفيد لونج فى حديث مع المؤلف-ابريل 2004

230- جون فول فى حديث مع المؤلف

231- راي كلوز – فى ديث ع المؤلف ابريل 2004

الولايات المتحدة فى السعودية. والنظام السعودي لديه خبرة منذ عشرينات القـــرن مع الإخوان ليس بالضبط الإخوان المسلمون بل رجال القبائل (الاخوان الوهابيون) الذين أضحوا متطرفين. وألان فان ما فعله الإخوان المسلمون فى مصر و ســـوريا كان شيئا متوافقا بشكل عام مع فكر السعوديين بشأن أهمية الإسلام بوصفه مناقضا للوطنية وباعتباره عامل التوحيد، ومع ذلك فقد كانوا غير متحمســـين لان يكـــون لديهم إخوان مسلمون أو اى قوة سياسية أخرى تنظم نفسها داخل الســـعودية. لـــم يكونوا على استعداد للسماح باى نشاط سياسي بما فى ذلك الإخوان المسلمين.[232] و فى الحقيقة فانه فى سنة 1946عندما حاول حسن البنا أن يفتـــتح فرعـــا للإخـــوان المسلمين فى مكة رفضت السلطات السعودية ذلك صراحة[233].

وبرغم أن السعوديين اتخذوا إجراءات مشددة للحيلولة دون إن يصبح الإخوان قوة داخل السعودية، فقد عمل الإخوان المسلمون هناك بشكل شبه سرى. كثير منهم اشتغلوا كرجال إعمال وأسسوا البنوك الإسلامية والاحتكارات التى جعلـــت مـــنهم أثرياء. وأصبح بعضهم الآخر ذا نفوذ واسع فى أجهزة الإعلام. يتذكر كلوز رئيس فرع المخابرات المركزية الأمريكية السابق فى السعودية أن ريتشارد ميتشيل مؤلف كتاب "جمعية الإخوان المسلمين" قدمه لشخصية هامة: "وكان ذلك من خلال ديـــك ميتشل، أن قابلت الرجل الوحيد الذى اعرفه من أعضاء الإخوان (وهو محمد صلاح الدين) الذى كان محررا بجريدة المدينة، وهو من مواليد السودان وامضـــي بعـــض الوقت فى مصر ويعرف جميع الإخوان، وقد تحمل السعوديون وجوده على مضض ما دام يكتب المقالات ضد الشيوعية". ولكن لم يزل هناك آخرون يولون وجوههم وجهة أكاديمية ويخترقون شبكة الجامعات الإسلامية فى السعودية.و يعملون كجمعية سرية،.يحتفظون بسرية عضويتهم وبوجود مســـتتر فـــى كثيـــر مـــن المؤسســـات السعودية.

كان النظام الجامعي فى السعودية هو النظام الذى وجد فيه الإخوان المسلمون ملاذهم الأكثر أمنا. و لكن العربية السعودية لم يكن لديها فى اى وقت مثـــل هـــذا النظام من التعليم العالي الذى نعرفه، وإنما كان لديهم نظام موضوع بهدف تخريج رجال الدين وغرس القيم الوهابية لدى الشباب.

---

232 – هيرمان ايليتس فى حديث مع المؤلف ابريل 2004

233 – رينهاردت شولتز – التاريخ الحديث للعالم الاسلامي– نيويورك ط 2000– ص 127.

انشأ السعوديون اثنين من المؤسسات التعليمية: جامعة المدينة الإسلامية سنة 1961و جامعة عبد العزيز سنة 1967اللتين أصبحتا أهم المراكز الثقافية لليمين الاسلامى. وبدأت جامعة المدينة الإسلامية مع المودودى، وهو ناشط اسلامى باكستاني يحظى بثقة السعودية. وقد أراد المودودى أن يحولها لجامعة أصولية بديلا عن جامعة الأزهر القديمة الموجودة فى القاهرة منذ ألف عام وتعتبر المستودع الاساسى للتقاليد الإسلامية[234]. واستطاع الإخوان المسلمون و حلفاؤهم الوهابيون أن يقنعوا العائلة الملكية السعودية أن الأزهر أصبح اكثر قربا لناصر، ومن ثم فقد هبوا لتمويل الجامعة الإسلامية فى المدينة، والتحق بها العشرات من الجامعيين المصريين المنتمين إلى الإخوان المسلمين أو المتعاطفين معهم و حصلوا على وظائف فى الجامعة. كان عميد هذه الجامعة الشيخ عبد العزيز بن باز وكان ضريرا منذ الصغر وكان وهابيا متعصبا ويتزيا بزى الإسلام السياسي المتشدد وظل لعدة عقود يقاوم التحديث ويرد على مخالفيه فى الرأي بالعنف والإرهاب. فى سنة 1966 أصر بن باز أن نظرية كوبرنيك عن الكرة الأرضية انماهى هرطقة وأن الشمس تدور حول الأرض، وان الأرض منبسطة، وايما شخص لا يوفق على هذا فهو مذنب" يكذب على الله والقرآن والرسول"[235]. وأغضبت كلماته الملك فيصل، غير انه عينه سنة 1974 رئيسا للجنة البحوث الدينية، الأحكام الإسلامية الشرعية ولجنةالامر بالمعروف والنهى عن المنكر[236].

كانت جامعة المدينة الإسلامية تحت إدارة مفتى السعودية الكبير محمد إبراهيم آل شيخ و هو زعيم قبيلة آل شيخ الوهابية و كان 85%من طلابها غير سعوديين وفدوا من كافة بلاد العالم الإسلامي. و من خلال هذه الجامعة و شقيقاتها من الجامعات الأخرى فى العربية السعودية استطاع الإخوان المسلمون أن ينشروا إيديولوجيتهم[237] فى كل مكان. وبالإضافة فقد حصل عشرات الألوف من الشباب السعودي على التعليم العالي من خلال نظام التعليم السعودي. واتسع نظام التعليم الجامعي السعودي اتساعا هائلا (تضاعف حسب الدالة الأسية) من 3625 طالبا سنة 1956 إلى اكثر من 113 إلف سنة 1986. نصف الجامعات السعودية الست كان التعليم فيها دينيا بطبيعته. وطبقا لإحدى الدراسات كان حوالي ثلث الطلبة

---

234 – دور جولد– "مملكة الكراهية" واشنطن– ط 2003

235 – هولدن وجونز ص 262

236 – جولد ص 110

237– جيلز كيبيل "الجهاد" كمبردج – ط 2002 ص 51

السعوديين متخصصين فى الدراسات الإسلامية أما إل 70 % الأخرى فـان ثلـث المقررات كانت دينية بطبيعتها[238]. يقول جون اكينز John Akins الذى عمل سفيرا للولايات المتحدة فى السعودية فى أوائل سبعينات القرن العشرين انه كان قلقا بسبب هذا التركيز على الدين غير أن العائلة المالكة طلبت منه ألا يتدخل فى هذا الأمـر قالوا لي إن هذا ليس من شأنك. و لم يعد أمامنا ما يمكن عمله فى هذا الشأن." غير أن اكينز عبر عن قلقه لبعض السعوديين التقدميين لان نظام التعليم السعودي لم يكن يدرب إداريين و مديرين و علماء ومهندسين". "تحدثت معهم حول تدريب عدد اكبر من الأطباء والكيمائيين والمهندسين وعدد اقل من رجال الدين غير أنهم اخطرونـى أن هذا ليس من اختصاصي وانني أخوض فى أمور ليس لي أن أخوض فيها. كنت أرى أنها درجة عالية من الغباوة، إنها كارثة مطلقة تدريب كل هـؤلاء الملالـى. حثني عدد من الأمراء أن أتحدث فى هذا الشأن مع المراجع العليا" ولكن بلا فائـدة. كانت وزارة التعليم السعودية تحت سيطرة آل شيخ وكانت قبضتها على هذا الجانب من الحكومة لا تتزعزع ".

كانت العلاقة بين آل سعود وآل شيخ والإخوان المسلمين علاقة معقدة. فبعض إفراد الأسرة المالكة كانوا أتقياء وأصوليون وكانوا يرون أن الوهابية هي الطريـق الصحيحة إلى الإسلام. والبعض الآخر بطبيعة الحال كالملك سعود والملـك فهـد ومئات آخرين من الأمراء السعوديين الأقل درجة، ممن يجرون وراء ملذاتهم كانوا متحررين وعلاقتهم بالإيديولوجية الوهابية على أحسن الفروض هشـة، وكـان آل شيخ وهم عادة دمويون واضحون قد بدؤوا يتزاوجون مع آل سعود.منشئين بـذلك روابط دفعت بأجزاء من كل من القبيلتين فى اتجاه مختلف: ملكي وديني. (والـدة الملك فيصل على سبيل المثال من عائلة آل شيخ، معطية بذلك فيصل نفحـة مـن التقوى يصعب على أبناء عبد العزيز الآخرين أن يدّعوها. وحسبما يـذكر ايليـتس كانت هناك (حرب دائمة بين العائلة المالكة والعائلة الدينية).

"مع مرور الوقت يمكن أن يجد المرء أيضا أن من بين آل شيخ من يتركهـا ولا يذهب إلى القيادة الدينية ولكن إلى الجيش واشياءاخري من هذا القبيل.وهكذا فان الطبيعة الدينية لآل شيخ أخذت تضمحل كثيرا إلى درجة أن الملك فيصل قام سـنة 1971 بعد وفاة المفتى بإلغاء الوظيفة لفترة وانشأ وزارة العدل، الأمر الـذى كـان البعض يراه بمثابة إضعاف لهذه العلاقة التى استمرت طوال قرنين من الزمان تربط بين آل سعود والقيادة الدينية. استمرت وزارة العدل لكن الملك أعاد بعد ذلك تأسيس

238 – المرجع السابق ص 78

دار الإفتاء وسمى احد أعضاء أسرة آل شيخ رئيسا لها. كان العلماء ورجال الدين أقوياء وكانت عائلة آل شيخ قادرة على السيطرة عليهم ولكن بعد أن ضعف نفوذ العائلة بسبب تناقص عدد الذين يلتحقون منهم بهيئة العلماء بينما يزداد عدد الشباب من آل سعود ويصبح عدد كبير منهم علماء، أخذت العلاقة بين عائلة آل سعود وعائلة آل شيخ تتخلخل بعض الشيء. وهكذا نصل إلى الوضع الراهن حيث أصبح عدد كبير من الشباب الخاضعين لكبارهم وللعلماء وللعائلة المالكة السعودية يبحثون بأنفسهم عن طريقهم الخاص، بالأحرى بشكل جهادي.[239] عندما بدأت التوترات تظهر بين آل سعود وال شيخ بدأ آل شيخ يستعرضون آثار التواجد المستدام للإخوان المسلمين. ففي حين كان آل شيخ مؤسسة تقوم أساسا على العقيدة اكثر منها على السياسة وفوق كل شيء هي الأكثر استقرارا (سيما بالنسبة للعرش السعودي)، كان أعضاء الإخوان المسلمين عادة متهورين ولكن على مستوى سياسي عال، وأحيانا كانوا ذوى عقلية ثورية. بعد سنه1954 حيث اخذ الإخوان يستقرون اكثر فأكثر فى السعودية كان من الطبيعي أن يصبح آل شيخ اكثر جرأة. وإذا كان لآل شيخ مصالح تختلف عن مصالح آل سعود فان الإخوان المسلمين، كانوا بالمثل وربما بشكل اقوي. وطبقا لمارثا كسلر و هي محلل سابق لشؤون الشرق الأوسط فى المخابرات المركزية الأمريكية و درست الإخوان المسلمين و مدى إخلاص المؤسسة الوهابية فى العربية السعودية للعائلة المالكة فإنها ذهبت إلى ما هو ابعد من ذلك. و كان هذا صحيحا بدرجة اكبر بالنسبة لأعضاء الإخوان المسلمين فى المملكة: "كان الإخوان المسلمون بالسعودية ابعد(من آل شيخ)فيما يتعلق بدرجة الشعور بالولاء تجاه آل سعود" وتضيف انه ليس واضحا ما إذا كانوا يريدون الإطاحة بالنظام، ولكن فى داخل الإخوان المسلمين كانت هناك دائما مجادلات بين هؤلاء الذين يريدون الإطاحة بما يرون انه نظام فاسد وهؤلاء الذين يريدون أن يقضوا الوقت فى تنظيم وتطوير قاعدة لهم فى المجتمع.[240]

أخذت العلاقة الهشة بين العائلة السعودية ومؤسستها الوهابية والإخوان المسلمين بل والجماعات الأخرى الأكثر راديكالية – الجماعات الإسلامية الإرهابية _ تستمر فى التطور، فالتوازن قد يختل اعتمادا على القوة النسبية. فصراعات القوة داخل العائلة الملكية والسياسات المحلية تزيد هذا التوازن تعقيدا بفضل الدور الذى تلعبه الصدقات الإسلامية التي عادة ما تكون مرتبطة بواحد أو اكثر من الأمراء

239- ايليتس – حديث

240 – مارثا كيسلر فىحديثمع المؤلف ابريل2004

السعوديين الذين بقصد أو بدون قصد كانوا مصدر التمويل للجماعات الإرهابية. وازداد الموقف تعقيدا نتيجة أن الأمراء كأفراد كانوا يتصرفون مستقلين عن الملك والحكومة وغيرهم من أعضاء الأسرة المالكة.

يقول راى كلوز:" أن العائلة المالكة ليست متوحدة باى معنى فهناك دائما من يعطى المال للأخر وهناك الكثير من المؤسسات الحرة التى تشتغل بسياسة العائلة الملكية "

وعندما اكتسب الإخوان المسلمون نفوذا داخل العربية السعودية عمل الملك سعود وبعده الملك فيصل بمهارة على دمج التنظيم فى إطار السياسة الخارجية الرسمية للمملكة. فى ستينيات القرن العشرين حدث حدثان كانا بمثابة العلامة المميزة لهذا المشروع الكبير، أولهما تأسيس رابطة العالم الاسلامى سنه1962 والأخر تأسيس منظمة المؤتمر الاسلامى العالمي سنه 1969. وبقيادة فيصل عملت المملكة العربية السعودية بقوة من اجل إنشاء " الكتلة الإسلامية " بمساندة الولايات المتحدة الأمريكية التي سرعان ما نجحت فى فرض الكسوف على شمس مصر بزعامة عبد الناصر.

كتلة الملك فيصل الإسلامية

إن ما ساعد ايزنهاور على تحريكه فى خمسينيات القرن العشرين استمر فى الحركة خلال العقد التالي.

فالملك فيصل (1964 – 1975) كان ملكا مجددا بالمقارنة مع الملك سعود (1953 – 1964) ولدية رؤية واضحة فيما يتعلق بالسياسة السعودية الخارجية. يقول شارل فريمان Charles Freeman وهو سياسي امريكى كان يعمل فى إدارة العلاقات الخارجية وعمل سفيرا للولايات المتحدة فى السعودية:"اتخذ فيصل قرارا حاسما مدروسا بان الإسلام نقيض للناصرية."[241]. واستقبلت واشنطن هذا التطور بحرارة بالرغم من أن بعض الدبلوماسيين الأمريكان العلمانيين وبعض ضباط المخابرات كانوا يبدون اعتراضهم بين حين وآخر.وهكذا رسا التحالف الامريكى السعودي على ارض ثابتة. كذلك كان الأمر بالنسبة للعربية السعودية التى تقوم سياستها الخارجية على قاعدة إسلامية ولم تكن تقلق سوى القليلين.

241– شارلس فريمان –حديثمع المؤلف –ابريل 2004

كان تأسيس رابطة العالم الاسلامى سنة 1962 مؤشرا على البداية الرسمية لظهور اليمين الاسلامى الراديكالي.

تأسست رابطة العالم الاسلامى فى مكة سنة 1962، وكانت بمثابة تحديد لهوية اليمين الاسلامى.لقد أصبح للحركة لأول مرة جهاز مركزي عصبي اكثر تنظيما من منظمة الإخوان المسلمين السرية.ومنحتها قدرة السعودية غير المحدودة على التمويل مرونة هائلة. من الأعضاء المؤسسين للمنظمة وقادتها كان هناك كل الذين يفترض وجودهم من قادة الإحياء الاسلامى بمن فيهم: [242] سعيد رمضان زوج ابنة حسن البنا مؤسس الإخوان المسلمين و هو المنظم الرئيسي للجماعة على النطاق العالمي. وكان قد امضي عدة سنوات فى سوريا و الأردن و باكستان و غيرها قبل أن يفتتح مركز جنيف الاسلامى سنة1961بمساعدة السعودية، وكذلك أبو الأعلى المودودى مؤسس "جماعة اسلامى" وهى الجماعة اليمينية الإسلامية الراديكالية (الأصولية) فى باكستان. وهو بمفرده اكثر شخصياتها أهمية فهو مؤسس نظرية الجمهورية الإسلامية و لعب دورا مركزيا فى ضرب المعارضة اليسارية العلمانية، وهو الذى دفع بباكستان تجاه معسكر اليمين الإسلامي المتشدد تحت رئاسة ضياء الحق الدكتاتور الذى سيطر على السلطة سنة1977. من المؤسسين للرابطة أيضا الحاج أمين الحسيني مفتى فلسطين الموالى للنازية الذى كان عميلا للمخابرات البريطانية منذ العشرينات و الذى أصبح بعد الحرب العالمية الثانية معارضا لناصر و يتولى الدعاية ضده بتمويل من السعودية. ومنهم أيضا محمد صديق المجددى من أفغانستان الذى كان على علاقة بالمخابرات المركزية الأمريكية فى ذلك البلد البائس فى الستينات و الذى سوف يشكل ورثته عصب الجهاد الافغانى ضد السوفيت بمساندة المخابرات المركزية الأمريكية و العربية السعودية و مصر وباكستان خلال الفترة من 1979–1989.ثم محمد بن إبراهيم آل شيخ الذى اختارته الحكومة السعودية ليكون مفتيا للعربية السعودية و يرأس الحركة الوهابية و له مصالح هائلة داخل العائلة السعودية.

كذلك عبد الرحمن الإيريانى –المجاهد الإسلامى الاصولى الذى سوف يسيطر سنة1967 على السلطة فى اليمن (الشمالي) ويقود هذه الجمهورية التى كانت ناصرية إلى المعسكر السعودي بعد حرب أهلية طويلة.باختصار شارك فى المنظمة 24من قياديي العالم الإسلامي[243].

---

242 – للاطلاع على القائمة الكاملة للمؤسسين- Schulze– ص 172.

243 – شولتز ص 173

يقول جون اسبوسيتو John Esposito الأستاذ بجامعة جورجتاون: فى ستينات القرن العشرين تطورت الرؤية الوهابية لتصبح رؤية عالمية ردا على التهديد الذى تمثله الوطنية والاشتراكية. كانت العربية السعودية وملكيات أخرى مهددة بشكل خاص من قبل الناصرية. وبشكل عام من قبل الحكومات العربية الاشتراكية الراديكالية. وبادرت السعودية إلى تبنى سياسة إسلامية شمولية ضدعلمانية واشتراكية" ناصرالشمولية التي ترتبط بالشيوعية الإلحادية. ووثقت السعودية كذلك علاقتها بالإخوان المسلمين و"جماعة اسلامى" ومع وجود فوارق هامة بينهما إلا إنهما يشتركان معا فى كراهية فطرية لأعدائهم المشتركين الناصرية والعلمانية والشيوعية.[244] وأرسلت منظمة العالم الاسلامى بعثات و مطبوعات دعائية و حصة من التبرعات المالية للمباني المخصصة للمساجد الوهابية و المؤسسات الإسلامية." خصصت المنظمة تبرعات مالية سخية ودعتهم لزيارة العربية السعودية وأعطتهم توصيات (تزكية)، الأمر الذى سيساعد مستقبلا على إمدادهم بأموال كثيرة من متبرع خاص كريم من احد أعضاء العائلة المالكة السعودية، قد يكون أميرا أو رجل إعمال عادى. و كان يدير المنظمة أعضاء من المؤسسة الدينية السعودية التى تعمل مع عرب آخرين قد يكونون منتمين إلى الإخوان المسلمين أو مقربين جدا منهم بالإضافة إلى علماء من القارة الهندية على اتصال بمدارس ديوباند Deo Band * أو للحزب الذى أسسه المودودى "[245].ولم يكن لدى المخابرات المركزية الأمريكية سوى قدر ضئيل من الوضوح فيما يتعلق بأهمية هذه المنظمة.و مع ذلك استمرت واشنطن الرسمية فى تمسكها بكسب الحرب الباردة بغض النظر عن مدى مصداقية حلفائها بل و لم تطلب من المخابرات المركزية الأمريكية أن تتقصى الحقائق حول هذه المنظمة. يقول احد العاملين بالمخابرات المركزية الأمريكية الذى كان يعمل بالسعودية:كانت نظرتنا محدودة بالمدى المنظور – لم تكن نستشرف التوقعات البعيدة.و طبقا لما يقول هذا الضابط : فى بداية سبعينات القرن العشرين حاولت المخابرات المركزية الأمريكية أن تضع عميلا داخل رابطة العالم الاسلامى:" قمت

---

244 – جون اسبوسيتو "الحرب غير المقدسة: الارهاب ضد الإسلام"– نيويورك – ط 2002 ص ص 106-108

* تقع مدينة ديوبوند شمالى الهند على بعد 150 ميلا شمالى العاصمة دلهى . انشئت المدرسة التى تحمل هذا الاسم سنة 1876بعدما قضى الغزو البريطانى على الحكم الاسلامى والدولة المغولية وفشل ثورة 1857 فى الهند. بدأت مدرسة صغيرة تختص بالعلوم الدينية الاسلامية وأصبحت أكبر وأقدم جامعة اسلامية أهلية فى شبه القارة الهندية . التعليم فيها مجانى وتبلغ ميزانيتها السنوية 60 مليون روبية مصدرها تبرعات المسلمين من الداخل والخارج ولا تقبل معونات حكومية.

245 –كيبيل ص 52

باختراق الرابطة مستخدما الاسم العربي للمنظمة Rabitat غير أن واشنطن اعتبرت هذا من اقل الأعمال التي قمت بها أهمية ". كانت الرئاسة مهتمة بالحروب و تدبير الانقلابات و تبادل النيران فى الخليج الفارسي و ليس بأنشطة الرابطة. وجدت المسالة مثيرة للدهشة و هامة و لم أكن أرى الرابطةrabitat بوصفها نشاطا لتوسيع نفوذ العربية السعودية دوليا ولكن كطريقة لنشر نفوذ الإسلام فى العالم العربي وفيما وراءه.ولم تكن العربية السعودية مثلها مثل تنظيم الفاتيكان. كان يبدو أنها عملية تجرى رغم انف السعودية." ويقول انه بالتأكيد لم يكن ينظر إليها كتهديد أو انه أمر ذو أهمية جيوبولوتيكية (تتعلق بالجغرافيا السياسية)، غير أن واشنطن لم تلق بالا. (كان صوت الشخير يصم الآذان) وهكذا تخلينا عن العملية السرية[246]".

يقول تشارلس وترمان Charles waterman و هو من خبراء المخابرات المركزية الأمريكية و عمل لسنوات عدة فى الشرق الأوسط، وأخيرا أصبح رئيس مكتب المخابرات المركزية الأمريكية فى العربية السعودية.يقول انه بالنسبة للمخابرات المركزية الأمريكية كانت الرابطة الإسلامية مثلها مثل اى تنظيم إسلامي أخر يستحق المتابعة، ولكن ليس كشيء يخشى منه.و يضيف وترمان: إذا انتهى بهم الأمر إلى مساعدة حركات الطلبة الإسلاميين فى مكان ما و تورطوا فى صدام ما مع الطلبة اليساريين فان رد فعلنا سيكون:حسنا،هذا شيء جيد.هذا عمل جيد يقصد به السيطرة على اليسار ". هل كانت المخابرات المركزية الأمريكية مخطئة فى ذلك الوقت لأنها لم تركز على هذه الجمعيات و هذه السلوكيات؟ هل يبدو أنهم يرغبون فى أن تظل هذه الجماعات الإسلامية تنظيمات لتقديم الصدقات؟ وماذا بعد؟[247]

يوافقه فى هذا الرؤية راى كلوز ray close الرئيس السابق للمخابرات المركزية و يتساءل ما إذا كانت المخابرات المركزية لديها ما يقلقها بشأن العلاقات التى تربط بين الإخوان المسلمين ورجال الدين الوهابيين، و يتابع قائلا:إننا لم نتابع الأمر و إذا كان هناك احد على خطأ فهو أنا. إننا لم ننظر إليهم بوصفهم تهديدا. لم يكونوا هدفا من أهدافنا.و قد يكون لدينا قوائم.وقد تكون لدى قوائم بهذه الأهداف. ولكن أحدا فى واشنطن لم يطلب منى إلقاء نظرة عليها......أن ذلك لم يتطرق إلى وعينا"

ان99% من تمويل الرابطة جاء من حكومة العربية السعودية.لقد تم الكشف عن ارتباطاتها بالمؤسسة السعودية. كان احد أعضاء السكرتارية العامة لهذه الرابطة

---

246 – حديث اجراه المؤلف مع احد مسئولي المخابرات المركزية المتقاعدين– يونيو 2004

247 – شارلس ووترمان فى حديث مع المؤلف – يوليو 2004

هو محمد على الحرقان و هو وهابي و وزيرا سابقا للعدل فى العربية السعودية، و سوف يشغل فيما بعد من الناحية الواقعية منصب المفتى الأكبر للعربية السعودية و بالإضافة إلى وزارة العدل كانت المنظمة متشابكة مع وزارة التعليم ووزارة الحج والأوقاف القوية التي تسيطر على عدد هائل ممن يؤدون فريضة الحج سنويا إلى مكة و الأموال الهائلة المتاحة من اجل أعمال الخير والهداية وكان هذا كله بدوره يتسق مع النظام الجامعي سيما الجامعات الإسلامية.وعملت الرابطة بشكل وثيق مع جمعية الشبان المسلمين العالمية(wamy) التى أسست سنة 1972 وسوف تتهم فيما بعد بعلاقتها بالأنشطة الإرهابية فيما وراء البحار[248].

خلال ستينات القرن العشرين كانت المعركة بين مصر و السعودية فى حقيقة الأمر معركة بالوكالة. حيث أخذت الولايات المتحدة جانب السعودية وأسفرت عن اتجاهين: الاتجاه الأول وهو يعبر أيضا عن الإخوان المسلمين فى مصر. و الاتجاه الثاني معركة فى الركن الجنوبي من شبه الجزيرة العربية و يتبادل فيها الطرفان إطلاق النار وتضع ناصر فى مواجهه فيصل فى اليمن.وهي بلد صغير تقع على الساحل الشمالي الغربي للعربية السعودية.فى كلتى الحالتين كان الإخوان المسلمون ورابطة العالم الإسلامى و ملكيات العالم العربي المحافظة تساند السعودية بجهاز اقليمى قوى يدير الحرب ضد ناصر ببراعة.

رمضان و عودة الإخوان

كان سعيد رمضان هو المنظم المركزي للكتلة السعودية. وهو الرجل الذى قابله ابزنهاور سنة 1953 فى المكتب البيضاوي.

وطبقا لتقرير سويسري صادر خلال هذه الفترة كان يعتقد انه عميل للولايات المتحدة الأمريكية.و حصل أيضا على مساعدات من ألمانيا الغربية. و يتلقى مساعدات مالية من العربية السعودية.و قطر. و كان يمثل الأردن فى الأمم المتحدة فى جنيف فى نفس الوقت الذى كان يعمل فيه كالعقل العالمي المدبر لتنظيم

الإخوان. وفى سنة 1965 اتهم بشكل رسمي فى محاولة ثانية لاغتيال عبد الناصر. وحدثت المحاولة خلال انتفاضة أخرى قام بها الإخوان المسلمون فى مصر.هذه المرة بمساعدة الجهاز عالي التنظيم الذى شكله سعيد رمضان للمنفيين. و

---

248 – جولد ص ص 76-79

كان جزء من هذا الجهاز يتخذ من السعودية قاعدة له و جزء أخر فى جنيف حيث استقر رمضان.

بالمقارنة بقوته فيما قبل سنة 1954 كان تنظيم الإخوان فى مصر صورة مما كان عليه من قبل. كان قد أرغم على اللجوء إلى السرية الشديدة منذ خمسينات القرن العشرين.و حاول أن ينشيء تنظيما جبهويا وصالونات سياسية للاحتفاظ بوجوده التنظيمي غير أن جهاز امن عبد الناصر كان فعالا فى قمعه. فى منتصف ستينات

القرن العشرين أفرج عن عدد كبير من المسجونين السياسيين الذين كانوا قد قبض عليهم سنة 1954. غير أنهم حاولوا تنظيم أنفسهم من جديد ضد ناصر. كان سعيد رمضان من موقعه فى جنيف يحرك خيوط الكثير من المنظمات.فى سنة 1954 سحب منه ناصر الجنسية المصرية فذهب إلى المنفى. بمساعدة ألمانيا الغربية التي كانت غاضبة من مصر نتيجة اعترافها بحكومة ألمانيا الشرقية. مستخدما جواز سفر المانى ذهب إلى ميونيخ غرب ألمانيا قبل أن يتوجه إلى سويسرا. وهناك و بتمويل من ملك العربية السعودية أسس رمضان المركز الاسلامى فى جنيف سنة 1961 ويستخدم كمقر رئيسي للإخوان المسلمين. وسوف يستقر رمضان هناك لمدة 32 عاما حتى وفاته سنة 1995. و أصبح المركز هو العصب التنظيمي للنشر ومقرا لإجراء المقابلات لليمين الاسلامى و نشطاء الإخوان المسلمين الذين جاءوا من كافة إرجاء العالم الاسلامى.و طبقا لريتشارد لابيفيير Richard Labevier وهو صحفي كتب عن علاقات الإخوان المسلمين بالإرهاب،كان رمضان لا يتولى إدارة ميزانية التنظيم فحسب ولكنه بالإضافة وبمساعدة يوسف ندا – احد ممولي لإخوان المسلمين – ساعد فى إنشاء بنك الجماعة (بنك التقوى)[249].فى سنة 1962 ساعد رمضان السعودية فى تأسيس رابطة العالم الاسلامى. Muslim World League. كتب هاني رمضان وهو ابن سعيد رمضان و مدير المركز الاسلامى فى جنيف، كتب قائلا: "لم يكن والدي مجرد واحد من القادة الذين تولوا بناء المنظمة. لقد كانت فكرة إنشاء هذه المنظمة هي فكرته الحقيقية التى سرعان ما أصبحت قناة موازية يمكن من خلالها نشر أفكاره." و طبقا لما ذكره هاني رمضان استقبل إنشاء المركز الاسلامى فى جنيف استقبالا طيبا فى سويسرا وعند إنشائه لم تكن هناك تلك الحالة التى نشاهدها اليوم اى (الاسلامو فوبيا) أو الخوف من الإسلام." و يضيف "أن رد الفعل الأول لنشاط والدي ولوجود المركز الاسلامى فى جنيف كان ايجابيا سواء فى

249 – مقتبس من " اسرار تمويل الحرب المقدسة "مجلة لو نوفيل اوبزرفاتير –31 يناير 2004.

سويسرا أو بشكل عام فى أوربا" لكن هاني يعترف بان الهدف من كل هذه العملية كان لصالح الإخوان المسلمين فيقول" أن إنشاء المركز الاسلامى كان بهدف تحقيق رغبة والدي فى إنشاء مركز يمكن من خلاله نشر تعاليم حسن البنا وليكون مكانا يفد إليه الطلبة من كل البلاد العربية يلتقون فيه ويتدربون طبقا لرسالة الإسلام."[250]

وهكذا منتشرين فى المنافي وممارسين للعمل السرى فى مصر نما تنظيم الإخوان وأصبح اكثر راديكالية (أصولية) فى ستينات القرن العشرين. فى القاهرة كان الإخوان يستجمعون قوتهم استعداد لجولة جديدة مع ناصر وفى الأماكن الاخري كان الإسلام السياسي ينمو.

فى السعودية كانوا يشنون حملة هجومية متزايدة ويتصرفون باعتبار أنهم قادة الكتل العربية والإسلامية وبدأ آية الله الخمينى يتحرك فى إيران.وكان الشيعة الأصوليون فى العراق قد انشئوا حزبا سياسيا تآمريا (حزب الدعوة)ا[251]

وفى باكستان كانت حركة المودودى تأخذ زمام المبادرة. وحينما تفجرت أزمة الإخوان سنة 1965 فى مصر كان سعيد رمضان ومعه المفكر الرئيسي للإخوان المسلمين القائد المجاهد سيد قطب. وكانا كلاهما متهمين بأنهما وراء محاولة اغتيال عبد الناصر. كانا معا فى مركز الأزمة. كان عبد الناصر هذه المرة اكثر استعدادا وطالب الأصدقاء والمؤيدين فى مصر من رجال الدين المسلمين بمساندته مصورا سعيد رمضان والإخوان المسلمين بأنهم عملاء للولايات المتحدة الأمريكية.و فى 3 أغسطس علم الرأي العام فى مصر من خلال خطبة أذاعها عبد الناصر من موسكو أن جمعية الإخوان المسلمين كانت القوة الكامنة وراء مؤامرة ضخمة كشفتها المخابرات المصرية ومن بين شركائهم كما أعلن عبد الناصر كان مصطفى أمين وهو صحفي ليبرالي قيادي سبق أن القي القبض عليه فى21 سبتمبر بتهمة "التجسس لحساب الولايات المتحدة".. بعد الحملة عبأ النظام أجهزته الدينية والمتحدثون باسمه والكتاب عبئوا جميعا معلنين إدانتهم للعناصر المتمردة والإخوان المسلمين بوصفهم ارهابيى القرون الوسطى

يكتب جيلز كيبل Gilles Kepel وهو احد ابرز المحللين العالميين للإسلام السياسي يقول:" تولت الصحافة فضح الارتباطات الأجنبية للمتطرفين الدينيين

---

250 – من حديث لهانى رمضان مع فالنتينا مارانو Valentina Marano سبتمبر2004

251 – اسس حزب الدعوة سنة1977 وانتشر فى الستينات وقام فى الثمانينات والتسعينات بعمليات تخريب بما فى ذلك الهجوم على السفارة الأمريكية فى الكويت وفى 2003 ظهر كقوة علنية فيما بعد نظام صدام حسين.

وقالت أن سعيد رمضان زوج ابنة حسن البنا هو الذى يحرك خيوط المؤامرة من عمان بالأردن بناء على تعليمات من الحلف المركزي لدول جنوب شرق أسيا (cento)[252] وقد يكون رمضان أو قد لا يكون عميلا للولايات المتحدة ولكن مما لاشك فيه انه وضع نفسه قريبا من مركز الدول التى تضم باكستان عضو السنتو والأردن والسعودية التي تساندها الولايات المتحدة ضد ناصر. وطبقا لما ذكرته جريدة الزمان LeTempsلم تكن الحكومة المصرية هي الوحيدة التي اعتبرت رمضان عميلا أمريكيا ولكن سويسرا أيضا اعتبرته كذلك. ففي سنة 1966 خلال قمة الأزمة فى مصر عقد اجتماع على مستوى عالي للمسئولين السويسريين بمن فيهم الدبلوماسيين والشرطة السويسرية الفدرالية والمخابرات السويسرية عقدوا اجتماعا لمناقشة وضع سعيد رمضان. و تشير الوثائق الموجودة حاليا فى الأرشيف السويسري إلى أن المسئولين السويسريين انتهوا إلى أن رمضان يمثل (اتجاها محافظا مواليا للغرب وليس معاديا للمصالح السويسرية.ويوضح الأرشيف السويسري أيضا أن سويسرا – على الأقل – تعتقد أن رمضان كان عميلا للمخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات البريطانية (كان اكثر من مجرد دعائي بسيط مشهور بعدائه للشيوعية ". وطبقا لجريدة الزمان ينتهي محلل حكومي سويسري إلى أن سعيد رمضان هو من بين أشياء أخرى عميل للمخابرات البريطانية الأمريكية. وتلاحظ الزمان أيضا أن اتصالات رمضان بأجهزه مخابرات أخرى لعدد من الدول الغربية مطروحة فى وثائق أخرى عديدة."[253]

كانت حملة ناصر 1965 – 1966 ضد الإخوان المسلمين قد أنهكت تنظيمهم مرة أخرى، القي القبض على عدد كبير من قادتهم وهرب آخرون وأمر ناصر بان يعدم شنقا سيد قطب الزعيم الفكري للإخوان ومنظرهم. وكان سيد قطب قد منح لجوءا سياسيا قبل ذلك فى العربية السعودية[254].وطبقا لهرمان ايليتس حاول الملك فيصل التدخل بقوة لدى عبد الناصر لصالح قطب لكن دون جدوى[255].

---

252 – جيل كيبل –"التطرف الاسلامى فى مصر" ص ص 33-34

253 – Sylvain Besson ,LeTemps , October 26,2004

254– اسبوسيتو ص 106

255 – ايليتس فىحديث مع المؤلف

تطورت المعركة بين ناصر وفيصل من 1962 –1970 حينما تقاتل الطرفان فى معركة مريرة دامية فى اليمن فى حرب بالوكالة.كان الطرفان فى أوج قوتهما فى ستينات القرن العشرين. كان ناصر بمثابة رمز عربي لأنصاره فى كل الأقطار العربية ' بينما كان فيصل الذى أطاح بالملك سعود فى أوائل الستينيات يستخدم أموال السعودية ورابطة العالم الاسلامى والحركة الوهابية لتقوية التحالف المحافظ. وقام الزعيم المصري باستخدام قدرته الخطابية الرائعة فى مهاجمة المملكة الصحراوية بسبب تصرفاتها الممالئة لمصالح الامبريالية الأمريكية بينما ساوى فيصل بين اشتراكية ناصر العربية والشيوعية الإلحادية.

وبالرغم من أن المعركة كانت خفية تماما عن أنظار الشعب الامريكى فقد كان لها آثارها الواضحة على سياسة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط وأدت إلى زيادة الروابط الأمريكية بالدول العربية المحافظة وفى مقدمتها العربية السعودية وكتلتها الإسلامية.أن تأثير حرب اليمن على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية فى الشرق الأوسط يحكى قصتها بالتفصيل فى مؤلف وارين باس Warren Bassفى مؤلفه "اى صديق نساند" Support Any Friendالتي توضح تفاصيل مناوشات إدارة كنيدي مع عبد الناصر. فبعد انتهاء ولاية إيزنهاور وموقفه المتشدد من سياسة عدم الانحياز قدمت إدارة كنيدي غصن الزيتون إلى مصر. فقد قبل بعض المسئولين فى إدارة كنيدي اعتبار ناصر مستقلا وليس أداة سوفيتية وعلى واشنطن أن تحاول التوصل إلى تفاهم معه. كان المتفائلون يعتقدون أن ناصر ليس شيوعيا بل انه فى الحقيقة اعتقل أعضاء الحزب الشيوعي ويساريين آخرين وأنه يمكن إقناعه بفصم علاقاته مع الاتحاد السوفيتي وشعر معظم المحللين الواقعيين انه على الأقل يمكن إقناع ناصر بالوصول إلى حل وسط مع الولايات المتحدة ولكن مما لا شك فيه أن آخرين غيرهم كانوا لا يزالون – وبوجه خاص المناصرون لإسرائيل – ينظرون إليه، مثلهم فى ذلك مثل العربية السعودية كشيطان رجيم.

يتذكر تالكوت سييلى Talcot Seelye وكان يرأس مكتب إدارة شئون شبة الجزيرة العربية خلال حكم كنيدي:" كنا نرى أن تحركاته تشكل تهديدا للنظام السعودي حيث كان فى السعودية رد فعل مضاد، فالأمير طلال وهو واحد ممن يعتبرون من الأمراء الأحرار السعوديين الموالين لمصر واثنين من الطيارين السعوديين أيضا لجئوا إلى مصر ومن ثم فقد كنا فى غاية القلق فيما يتعلق

باستمرارية النظام السعودي[256] واعدت المخابرات المركزية الأمريكية تقدير موقف لمجلس الأمن القومي أطلقت عليه (ناصر ومستقبل القومية العربية) توضح للبيت الأبيض أن (القومية النضالية سوف تستمر فى كونها اكثر القوى ديناميكية فى الشئون العربية السياسية ومن المحتمل جدا أن يظل ناصر قائدها الأبرز ورمزها فى المستقبل المنظور."ومضى التقرير محذرا بان الأنظمة المحافظة والموالية للغرب ضعيفة وانه من المحتمل الإطاحة بالنظام السعودي.[257] ورأى كنيدي أن الأمر يستحق محاولة مفاتحة عبد الناصر فيما يتعلق بعلاقته بكل من إسرائيل والعربية السعودية وبدأ سلسلة من الأخذ والرد مع الزعيم المصري من خلال الاتصالات الدبلوماسية والخطابات واللقاءات الشخصية. وكتب ناصر إلى كنيدي يقول لماذا تعارض الولايات المتحدة وهى الدولة التى أقيمت على أساس الحرية وبواسطة الثورة لماذا تعارض النداء من اجل الحرية والحركات الثورية وتقف إلى جانب القوي الرجعية وأعداء التقدم."[258] ومما لا شك فيه أن ناصر كان يعنى بالقوى الرجعية فى المقام الأول العربية السعودية وكان تساؤله جيدا. وعلى خلاف إيزنهاور الذى كان بالسليقة يرى أن بلدان العالم الثالث التى تؤمن بالاستقلال هي أدوات شيوعية كان كنيدي عازما على استكشاف ما إذا كانت هذه الحركات غير متوافقة بالضرورة مع مصالح الولايات المتحدة. وفى الحقيقة فان كنيدي حينما كان نائبا (سناتور) فى الخمسينات أدان موقف إدارة إيزنهاور التي تدفن رأسها فى الرمال فيما يتعلق بالقومية العربية.[259]

ولكن محاولات كنيدي – ناصر تعثرت وفشلت فى النهاية، ففي سبتمبر 1962 أطاحت القوات الموالية لناصر بحكومة اليمن التى تنتمي للعصور الوسطى. وكانت اليمن تحتل موقعا استراتيجيا هاما، وتقع على الجانب الغربي من العربية السعودية على ساحل البحر الأحمر والمحيط الهندي. فى ذلك الوقت كان كنيدي يقول:" انني لا اعرف أين تقع اليمن."[260]كان زعيم اليمن فى ذلك الحين سنة 1962 الإمام احمد كهلا معقدا يزن 300 رطلا، اتوقراطيا مشهورا بوحشيته، وكان ينظر إلى نفسه باعتبار انه حامى العقيدة الإلهية وكان يرفض برنامج ناصر الاقتصادي باعتباره

256 – تالكوت سيل فى حديث مع المؤلف يونيو 2004
257 – مقتبس من وارن باس ص77
258 – باس ص 79
259 – المرجع السابق ص53
260 – المرجع السابق ص 99

برنامجا غير اسلامى.[261] وعندما توفى أطاح الثوار الذين يساندهم ناصر بابنه الذى يضارعه رجعية وهو محمد البدر. وطبقا لسـيلى Seelye "كـان ناصـر وراء الإطاحة بالنظام. وكانت العربية السعودية فى غاية الانزعـاج."[262] سـاند الثـورة اليمنية ألاف الجنود المصريين الذين وصلوا اليمن وشكلوا تهديدا لوجـود العربيـة السعودية ذاته. وقام روبرت كومر Robert Kumer مساعد البيت الأبيض للشـئون السياسية بتحذير كنيدي قائلا:" أن آل سعود يعلمون جيدا أنهـم سـيكونون الهـدف التالي."[263]وقامت العربية السعودية وقد أقلقها ذلك الأمر بإمـداد أنصـار الملكيـة بالسلاح والمال. وترتب على هذه الحرب على مدى عقد من الزمان سـقوط 200 إلف قتيل. وقامت المخابرات المركزية الأمريكية وغيرها بتحذير كنيدي بان نظـام العربية السعودية قد لا يستمر طويلا وانه من المحتمل أن يصبح ناصر قادرا علـى تقرير مستقبل العالم العربي. حاول كيندي فى بادئ الأمر أن يكون متوازنا وعمليا وان يعترف بالحكومة الجديدة فى اليمن وأرسل الزورث بنكر Ellsworth Bunker ليتوسط فى تحقيق تسوية بين مصر والسعودية ولكن الضغوط مورست على كيندي من كل الاتجاهات، فالبريطانيون مازالوا متعلقين بنفوذهم المشكوك فيه فى الخلـيج العربي وعدن و مرة أخرى كما حدث إبان أزمة السويس فقدوا أعصابهم بالنسـبة لناصر. وكان هارولد مكميلان رئيس الوزراء البريطاني الذى كان احـد أعضـاء الحكومة البريطانية أثناء أزمة السويس" كان يود لو يسلخ فروة رأس ناصر بأظافر يده"[264] ومن ثم سرعان ما دبروا خطة بالتعاون مع المخابرات الإسرائيلية السرية، الموساد تقضي بتقديم يد المساعدة إلى القوات المناوئة لناصر فى الـيمن بإمـدادها بالمساعدات المالية والأسلحة والتمس الموساد مساعدة جورج يونج نائـب الـرئيس السابق للمخابرات البريطانية وهو احد رجال البنوك الحاليين العاملين مع كلينورث بينسون Kleinwort Benson كبريطاني مقبول لدى السعوديين لشن حرب عصابات ضد اليمنيين الجمهوريين ومسانديهم المصريين" حسبما يقول دوريل Dorril أجاب يونج قائلا " استطيع أن أجد لكم اسكتلنديا ثم قدم ماكلين Mclean إلى البريجـادير دان حيرام الملحق العسكري الاسرائيلى الذى وعـد بتقـديم الأسـلحة والأمـوال

---

261 – المرجع السابق ص 102

262 – سيل فى حديث مع المؤلف

263 – مقتبس من باس ص ص 103-104

264 – المرجع السابق ص 273

والمدربين الذين يستطيعون أن يجيدوا تصنع الهوية العربية ويمرون بوصفهم عربا وهي إستراتيجية سرعان ما اقتنصتها العربية السعودية بحماس."[265] ولجأت إسرائيل إلى اليهود اليمنيين الذين سبق أن لجئوا إلى إسرائيل ويستطيعون أن يقدموا أنفسهم بوصفهم يمنين عربا وأرسلتهم إلى منطقة الحرب حيث عملوا بوصفهم مدربين عسكريين. وطبقا لدوريل ساعدت المخابرات المركزية الأمريكية إسرائيل على تسريب عدد من هؤلاء الاسرائليين ليقوموا بتدريب رجال العصابات على استخدام الأسلحة الحديثة. وقد حرص المدربون بطبيعة الحال على إخفاء حقيقة هويتهم الوطنية. كان كل من جهاز المخابرات الايراني والمخابرات العربية السعودية أعضاء موهوبين في الجبهة المعادية لناصر في اليمن وساهمت إسرائيل كذلك في إمداد المتمردين بأسلحة سوفيتية سبق أن استولت عليها في صراعاتها السابقة مع الدول العربية ضمن الأسلحة الأخرى التي أمدتهم بها. واعتمدت كل من المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات البريطانية على العقلية العملية لأعضاء الأسرة المالكة السعودية لتطوير تحالف سرى بين اسرئيل والعربية السعودية وإيران والأردن."[266] وطبقا لما ذكره هوارد تيتشر Howard Teicher وهومسؤل امريكي متعاطف مع إسرائيل تدخلت القوات الجوية الاسرائلية لصالح العربية السعودية ضد مصر خلال الحرب مع اليمن: كتب تيتشر يقول:" حلقت الطائرات الحربية الاسرائلية جنوبا فوق البحر الأحمر لتحذر المصريين من الاقتراب من العربية السعودية."[267]

في واشنطن اخذ البريطانيون يحثون كيندي على أن يتخذ موقفا ضد عبد الناصر. وجاءت المزيد من الضغوط بطبيعة الحال من جانب إسرائيل على كينيدي. وخلال الحرب في اليمن حاول الإسرائيليون أن يضغطوا على هؤلاء الذين كانوا يرون في ناصر أداة للاتحاد السوفيتي لبسط سيطرته على الخليج الفارسي وطرحت إسرائيل نفسها بوصفها اخلص حلفاء الولايات المتحدة عداءا للشيوعية في المنطقة.

على أن المزيد من الضغوط جاءت من شركات البترول الكبيرة التي أقلقها التهديد الذي يمثله ناصر لبقرتهم الحلوب في المملكة العربية السعودية التي تدر لهم

265- ستيفن دوريل " المخابرات البريطانية ام 16 نيويورك ط 2000 ص680

266 – المرجع السابق ص ص680-685

267- Howard Teicher and Gayle Radley Teicher, Twin Pjllars to DesertStorm - New York ,1993 ,p ,94-55

الثروات الطائلة فعلى مساعدي كنيدي تدفقت جماعات الضغط من شركاء ارامكو وبترول الخليج ، ويمثل الشركة الأخيرة كيرميت روزفلت الذى اخطر البيت الأبيض "أن مصالح الولايات المتحدة ومصالح ناصر لا يمكن أن تلتقي." وأرسل كنيدي مسئولا تنفيذيا لارامكو- تيري دوس Terry Duce ليلتقى الملك فيصل كمبعوث خاص.[268] وبدأ كنيدي يقوم بعمليات فى اليمن و أماكن قريبة أخرى ضد مصر. يقول تشارلس فريمان السفير السابق أن " كنيدي كان يناور مستخدما كل أنواع العمليات السرية وذوى القبعات الخضراء فى العربية السعودية."[269]

انتهت محاولات الانفتاح التى كان يقوم بها كنيدي مع عبد الناصر.و الأمر الأكثر أهمية أن الولايات المتحدة قد وضعت نفسها بشكل مباشر ضد احد الأهداف المركزية للقومية العربية: أن تتوحد مصر والدول العربية الأخرى التي تفتقر إلى البترول مع الثروة العربية الضخمة فى العربية السعودية. كتب شيرين هنتر Shireen Hunter يقول: "القوميون العرب يعتقدون على سبيل المثال أن بترول العربية السعودية و بترول الدول العربية الأخرى الغنية بالبترول ملك للأمة العربية و ليس فقط للدول المنتجة و يجب أن يستثمر لصالح التطور الاقتصادي و أن يوضع فى خدمة تحقيق أهدافها الاخري.... و من ثم فان العرب الراديكاليين كانوا يمثلون تهديدا قائما بالنسبة للعربية السعودية."[270] وفى المقابل فمن الممكن للمرء أن يتساءل: ماذا كان يمكن أن يحدث إذا قامت الولايات المتحدة بمناصرة ناصر أو احتمال تصرفاته و سمحت للنفط السعودي أن يقع فى يدي ناصر فى ستينات القرن العشرين وفى غمار الحرب الباردة. كان هذا اختيارا لا يمكن التفكير فيه. وقامت إدارة جونسون بتعزيز التحالف الامريكى السعودي. وقد استأسد فيصل بالعرض الذى قدمه له جونسون بتزويد الحكومة السعودية بمساعدات عسكرية و تقنية لتحل محل تلك التى حصلت عليها ايام الملك سعود فى بداية الحرب اليمنية. وعرضت مساعدات بـ 400 مليون دولار. مساعدات امريكية و بريطانية لبناء قواعدعسكرية و إقامة بنية تحتية. و100 مليون دولار مساعدة أمريكية لتزويد المملكة بسيارات ووسائل نقل عسكرية."[271]كانت المساعدة الأمريكية للسعودية على سبيل المساندة للجهود الضخمة التى بذلها الملك فيصل على المستوى الدولي ليجمع حوله المسلمين

---

268 - باس ص 114

269 - شارلس فريمان في حديث مع المؤلف ابريل 2004

270 - شيرين هنتر "مستقبل الإسلام والغرب" ط 1988 ص ص 151-157

271 - باس ص 141

فى الحرب الباردة. بدا الملك فيصل سنة 1965 جولة أخوية فى البلاد الإسلامية لجمع الحلفاء واصفا الماركسية بأنها: "عقيدة مخربة أنشأها شيطان يهودي حقير."[272] وانه بات اكثر إصرارا من اجل القضاء عليها. و شارك الشاه دعوته لإنشاء حلف اسلامي و زار الأردن و السودان و باكستان وتركيا و المغرب و غينيا و مالي سنة 1966 طلبا للمساندة.فى الأردن ولول قائلا أن قوى الشر تخطط لشن حرب على الإسلام و المسلمين أينما كانوا وإنها تحاول أن تقضى على كل اثر للإسلام."[273] و فى السودان قال فيصل: أما بالنسبة للشيوعيين فأنهم يهاجموننا لان الحركة الإسلامية سوف تؤدى إلى تدمير كل ما تعمل الشيوعية من اجله و بشكل خاص الكفر بالله سبحانه و تعالى ". و يلاحظ فيصل أن الاتحاد السوفيتي يضم مناطق إسلامية فيصيح قائلا: "الشيوعيون يخشون انتشار حركتنا لأننا سنصل إلى المناطق الإسلامية التي وقعت تحت سيطرتهم القاهرة."[274]

وفى باكستان اصدر نداءا من اجل تشكيل كتلة إسلامية. بزعم أن الإسلام يواجه كثيرا من النكسات التى تمزق المسلمين بين يسار و يمين."[275] و قامت باكستان وهي دولة تنتمي إلى الإسلام ومنضمة إلى حلفين رسميين مع الغرب وأرسلت قوات للعمل على استقرار السعودية وتأمينها من التهديدات الداخلية و الخارجية. بدءا من ستينات القرن العشرين اخذ الضباط الباكستانيون يشغلون وظائف هامة فى الجيش السعودي كمدربين و قادة واحدهم هو الجنرال ضياء الحق الذى سوف يقود فى باكستان انقلابا إسلاميا ضد ذي الفقارعلى بوتو."[276].

بالرغم من أن حملة فيصل من اجل التضامن الاسلامى لقيت استجابة من جانب الإسلاميين الأصوليين إلا أن مصر و سوريا والعراق كانت تعتبرها تهديدا لها. غير أن كتلة فيصل الإسلامية كانت محل تقدير لندن و واشنطن. ففي سنة 1966 اثني ضابط سياسي بريطاني فى السفارة البريطانية فى السعودية، اثني بوضوح على مجهودات فيصل و أضاف أن الولايات المتحدة توافق على ذلك أيضا:

272- هولدن وجونس ص271

273 – وزاة الاستعلامات السعودية – مجموعة خطب فيصل (فيصل يتكلم)-غير مؤرخة

274 – المرجع السابق

275 – المرجع السابق

276 - هنستر - ص159

"اننى اتفهم وجهة نظر فيصل التى تدعو إلى الاطمئنان فيما يتعلق بالجهود التى يبذلها....وقد سبق أن ناقشنا مع السفارة الأمريكية هنا هذا الموضوع معا على عدة مستويات.بمعنى أن مفهوم الإسلام كقوة عدوانية قد زالت تماما إلا بالنسبة لبعض السعوديين القدامى"[277]. على اى حال فقد كتب يقول انه يتفق تماما على أن خصومة السعودية موجهة فقط ضد الشيوعية و الصهيونية و عدد محدود من البعثات التبشيرية المسيحية.

وبينما كان نجم فيصل يصعد كان نجم ناصر يأفل إلى أن أتت نهاية الناصرية الساحقة سنة 1967 حينما، خلال ستة أيام مريرة من الحرب استطاعت إسرائيل أن تلحق الهزيمة بمصر و سوريا و الأردن وحلفائهم و احتلت القدس و أجزاء من الأقطار الثلاثة بما فى ذلك شبة جزيرة سيناء. سيعيش ناصر ثلاث سنوات أخرى و لكن حرب سنة1967 طعنت حيوية القومية العربية.

"كان ناصر قادرا على أن يصقل من جديد سلاح معاداة الاستعمار وأن يوقظ الشعب و لكن حرب سنة 1967 عصفت بهذه الأسطورة تماما لأنه خسر الحرب ليس فقط لأنه خسر الحرب و لكن لأنه خسرها بصورة مزرية " حسبما يقول ديفيد لونج David Long: " كنت فى ذلك الحين فى جدة حينما ابلغني رئيسي.القنصل السياسي "هذه هي نهاية ناصر."[278]

وضاعف فيصل جهوده لتنظيم كتلة من الدول الإسلامية. وجاب بلادا بعيدة كاندونيسيا والجزائر وأفغانستان و ماليزيا. كتب مؤلف "بيت سعود" يقول: "أصبح فيصل اكثر شهرة من اى وقت مضى فيما يتعلق بالمؤامرة الصهيونية-البلشفية"[279]، وكللت جهوده بالنجاح سنة1969 جزئيا بفضل التصرفات التى قام بها مواطن اسرائيلى مختل عقليا حاول إشعال النيران فى المسجد الأقصى. وسواء كان هذا العمل استفزازيا أو مجرد مسرحية فقد امسك فيصل بهذه الفرصة ليحث نخوة العالم الاسلامى ويدعو قادته إلى الحضور إلى الرباط بالمغرب فيما سوف يتحول إلى أول مؤتمر قمة اسلامى عالمي.

ونظرا لأن صورة الأقصى كانت من القوة بحيث يتعذر حتى علي دولة مثل مصر تجاهل مثل هذه الدعوة فقد وجدت نفسها مضطرة لقبول هذه الدعوة وحضور

277- جولد ص 93

278- لونج فى حديث مع المؤلف

279 - هولن وجونز ص290

مثل هذا التجمع مما يعد انتصارا لفيصل[280]. وبالرغم من مقاطعة سوريا والعـراق هذا الاجتماع فقد حضرته 25 دولة واتخذ مؤتمر القمة قرار بإنشاء منظمة المؤتمر الاسلامى وهو بمثابة أمم متحدة مصغرة للعالم الاسلامى، قابلة للاتساع وسرعان ما نجحت فى وضع المسألة الإسلامية فى مركز أجندة العالم الاسلامى دولة إثر دولة: فى باكستان وأفغانستان وتركيا والعرب عموما. وبالرغم من أن المقصود هـو أن تكون ضد إسرائيل إلا أن الهدف الحقيقي لفيصل كان إقامة جبهـة إسـلامية ضـد الاتحاد السوفييتي. كتب ديفيد لانج: " فى أواخر الستينات كنـا لا نـزال نحـارب الشيوعية ومن ثم فقد دعمنا مساندة فيصل للإخوان المسلمين والشمولية الإسلامية." ويتابع القول: " كنا نريد أن نضعهم فى مواجهة اى حلفاء قد تكسبهم موسـكو. وإذا كان بإمكان السعودية أن تنشئ إجماعا إسلاميا مؤسسيا فإن هذا يكون أفضل."

كان لونج محللا سياسيا نابها ويتمتع بنبرة ساخرة قوية. فهو يقرر انه بالرغم مما كان واضحا بكل جلاء فإن معظم صانعي السياسة والمحللين الأمريكان لم يكن لهم سوى القليل من القدرة على اتخاذ القرار بل أنهم لم يكونوا يقدّرون إطلاقا طبيعة الإسلام السياسي المتفجرة ؛ ويواصل لونج القول:" لم نكن نرى الإسلام، كنا نـري السعودية. لم نكن نري فى الإسلام السياسي تهديدا استراتيجيا لنا. صحيح اننا كنـا نرى رجالا سيئين يفعلون أشياء سيئة لليسار ولناصر ولكنهم يحاربون الحمر، ومن ثم فإننا لم نر فى الإسلام السياسي اى خطر علينا."

فى سنة 1970 كان لونج يعمل محللا فى مكتب المخابرت والأبحاث التـابع للإدارة الأمريكية وكان لديه إحساس بأن الطاقة الكامنة فى الإسلام السياسي يمكـن أن توجه يوما ما فى الاتجاه المضاد لأمريكا، ولكن أحدا ما لم يصغ إليـه، يقـول لونج:" سنة 1970 كنت أعمل فى مكتب المخابرات والأبحاث وحاولـت أن أكتـب عن الإسلام ولكن أحدا لم يعرني التفاتا، فشعرت انه لا يزال هناك أناس لا يسـرهم ما أقول ولا يشعرون بأهميته ولا يزالون يركزون انتباههم علـى مسـألة معـاداة الاستعمار مع أن حرب 1967 قد حطمت أسطورة ناصر. ولكننـي كنـت أري أن هناك الكثير من الأوهام فيما يتعلق بقضية القومية العربية وهو ما لا يـراه معظـم الناس.وشعرت أن هؤلاء الناس، طالما أن الهزيمة لم تقهرهم بعد سوف يتشـبثون، عاجلا أم آجلا بشئ ما، وان هذا الشئ قد يكون هو الإسلام. لقد شعرت بأن الإسلام

280- Willard A. Beling , King Faisal and the Modernization of Saudi Arabia (London ,1980) , p. 190 .

سيكون هو النموذج الجديد " البديل". غير أن الذين فى القمة كانوا لا يزالون يتبعون المخطوطات القديمة.كنت اشعر بأن التحرر من هذا الوهم المسمى القومية العربية والناصرية قد بدأ يخبو. ولكن الشكوك أخذت تراودني بعمق بأنه لن يكون هناك استمرار للناصرية، وستنشأ حركة انتقالية بديلة يمكن أن تستجيب لدواعي السخط القائمة. ولم أر أحدا يتقدم ليفعل ذلك سوى الإسلام.[281]

إن الهزيمة العربية فى حرب 1967 قد شجعت على إحياء حركة البعث الاسلامى. لقد أدت الخسائر الفادحة إلى بروز أسئلة ملحة حول مستقبل العالم العربي. لقد أثارت بذور الغضب بين شعوب البلاد المعنية وأثارت دوامات فى السياسات العربية. فمن جانب وخلال الفترة من 1967- 1970 سقطت عدة أنظمة عربية فى ابدى الوطنيين ذوى الميول اليسارية. فى سوريا استولى حافظ الأسد على السلطة وأطاح القذافى بملك ليبيا واستولى جعفر نميري على السلطة فى السودان وصعد حزب البعث العربي الاشتراكي إلى السلطة فى العراق وكان الفلسطينيون على شفا الإطاحة بالملك حسين خلال الانتفاضة التى قامت فى أيلول (سبتمبر) الأسود سنة 1970. وبعض هؤلاء القادة كان يتخذ من ناصر ودوره نموذجه البطولي. ولكن كانت هناك إيديولوجية أخري تبحث إمكانية أن تحل محل النموذج الناصري القومي – الإيديولوجية الإسلامية.

أن عدم قدرة العرب الظاهرية على المنافسة مع إسرائيل وفقدان المزيد من الاراضى العربية (شبه جزيرة سيناء، غزة،مرتفعات الجولان، الضفة الغربية) كانت ضربات موجعة وقد استخدمها أعداء ناصر- بمن فيهم الإخوان المسلمون- ضده، واتهموا الناصرية والاشتراكية العربية بالفشل. وبدعوا ينادون بضرورة العودة إلى الإسلام بوصفه حلا لأمراض العالم العربي. كانت هذه الرسالة غير مرتبطة بتوقيت معين فقد استخدمت سابقا من قبل جمال الدين الافغانى وحسن البنا. ولكنها مع بداية كارثة 1967 ردد صداها ملايين العرب الغاضبين.

وإذ رأت السعودية سقوط العراق وليبيا والسودان نتيجة الانقلابات أضحت السعودية والولايات المتحدة فى حالة يأس من إمكانية احتواء التغييرات المدوية فى العالم العربي ولم يكن اقلها نمو قوة الحركة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية وراهنتا على الإسلام المحافظ كنقيض للناصرية.

---

281 – لونج فى حديث مع المؤلف.

بعد ثلاث سنوات في خضم حرب أيلول الأسود في الأردن توفى جمال عبد الناصر وحل محله أنور السادات. كانت وظيفة السادات كنائب لرئيس جمهورية مصر خلال احد عشر عاما بمثابة نعمة للرياض وواشنطن، فبوصفه عضوا سابقا في الإخوان المسلمين ونائبا لناصر لمدة كبيرة أقام الرئيس المخادع حلفا مع العربية السعودية وقمع اليسار المصري وأعاد الإخوان المسلمين ثانية ظافرين إلى القاهرة وأعاد أخيرا وضعية مصر بالنسبة إلى الولايات المتحدة وإسرائيل. وسوف يقوم السادات بتغيير مسار التاريخ. ومن أجل ذلك كله سوف يموت بيد القتلة الإسلاميين.

*

الفصل السادس

أتبـــــاع الســـــاحر

فى السبعينات وبإرشاد كمال أدهم رئيس جهاز المخـابرات السـعودية أعـاد السادات الإخوان المسلمين من جديد إلى مصر.وإذ كانت الولايـات المتحـدة قـد تعودت العمل مع العربية السعودية فان صعود الإسلاميين لم يقلقها. وفى الواقع فان الولايات المتحدة كانت متحمسة للعمل مع أنور السادات لإعادة مصر من جديد إلى جانبها فى الحرب الباردة. كان صانعو السياسة والدبلوماسيون وضباط المخـابرات الأمريكية قد شجعوا السادات على إعادة اليمين الإسلامي سواء بالرضا أو السكوت.

على إن السادات فى الحقيقة فتح أبواب جهـنم، فبمجـرد أن أطلـق سـراح الإخوان المسلمين لم يعرفوا حدودا. ومع عودتهم إلى دار السلفية عملوا بكل حميـة من اجل نشر نفوذهم على اتساع العالم. وكانت النتيجة عميقة ومميتة ليس فقط فيما يخص الرئيس المصري.

بالتوازي مع نمو اليمين الإسلامي فى مصر، قام السادات بدور بـارز فـى مساعدة أمريكا على تفعيل وتوسيع سلطتها فى الشرق الأوسط. فى ظل ناصر كانت مصر امة على خلاف مع الولايات المتحدة، وكان هناك آلاف من القوات السوفييتية بمن فيهم الفنيين والمستشارين يساندون القوات المصرية، وفى الأفق كانـت تلـوح نذر حرب ضارية على طول الحدود المصرية الإسرائيلية. كانت كل من مصر والولايات المتحدة تفتقر حتى إلى مجرد علاقات دبلوماسية عادية. ولكن السـادات انشأ علاقات سرية مع ادهم والمخابرات المركزية الأمريكيـة وهنـري كيسـنجر مستشار الأمن القومي للولايات المتحدة. وفى خلال سنة من اعتلائه السلطة وفـى سنة 1972 فاجأ موسكو بطرد القوات السوفييتية. وبعد حرب رمضان سنة 1973 التي شنت بالتنسيق مع العربية السعودية ونظمت حول شعارات إسلامية أكثر منهـا عربية قومية، أعادت مصر والولايات المتحدة علاقاتهما. فـى سـنة 1977 طـار السادات إلى القدس، متسببا بذلك فى شق العالم العربي وبادئـا المفاوضـات مـع إسرائيل مما أدى إلى توقيع اتفاقية كامب ديفيـد المصـرية -الإسـرائيلية.بحلـول الثمانينات أصبحت مصر هي الحليف الأول بين الدول العربية للولايـات المتحـدة

الأمريكية وانشغلت فى مساندة جهاد الولايات المتحـدة فـى أفغانسـتان، وزودت الولايات المتحدة بقاعدة للنفوذ الامريكى فى منطقة الخليج الفارسي الغنية بالبترول. حتى بالنسبة لمعظم خبراء الولايات المتحدة فى شئون الشرق الأوسـط وأكثـرهم حنكة، كان تحول مصر من عدو إلى حليف أمرا يصيب المرء بالدوار.

فى بادئ الأمر لم يكن احد يتوقع من السادات شيئا ما سوى قلة من النـاس. فلثلاثين عاما خلت كان السادات يعمل فى ظل عبد الناصر. كان عضوا فى جماعة الإخوان المسلمين ولعب دور الوسيط بينهم وبين القصر وبينهم وبين حركة الضباط الأحرار. وبعد الانقلاب الذى قام به ناصر عمل السادات بوصفه ممثل عبد الناصر فى الاتصال مع الإخوان ثم قام بدور السفير غير الرسمي لمصر إلى الإسـلاميين على نطاق العالم، ولكنه سواء بالنسبة للمصريين أو مسئولي الولايات المتحـدة لـم يكن السادات يبدو أكثر من شخصية ثانوية. بعد وفاة ناصر فى أكتوبر سنة 1970 كان ينظر الى السادات عموما بوصفه مجرد شاغل وظيفة يحتل بصفة مؤقتة كرسي الرئاسة ولن يلبث حتى يطاح به فى معركة خفية تجرى من وراء الستار فى القاهرة من اجل السيطرة على السلطة " كانت التوقعات بالنسبة للسـادات فـى الولايـات المتحدة،على نحو ما يقول ديفيد لونج المسئول السابق فى الخارجية الأمريكية أنه: " مجرد فقاعة هوائية وأنه لم يكن سوى نائب الرئيس المتلعثم".[282]

فى سيرته الذاتية "البحث عن الذات" كتب السادات أن "المبعـوث الامريكـى اليوت ريتشاردسون عاد إلى واشنطن بعد زيارته إلى القاهرة لتقديم واجب العـزاء فى وفاة عبد الناصر وتنبأ بان السادات لن يستمر فى السلطة لأكثر من أربعـة أو ستة أسابيع".[283]

فى مصر واجه السادات معارضة قوية بما فيها المعارضة الوطنية الناصرية التي كانت لديها شكوك قوية فى السادات وكذلك هؤلاء الذين يساندهم السـوفييت أو الموالين لهم فضلا عن ان السادات نفسه لم يكن يستند إلى قاعدة سياسية أو مؤسسية حقيقية. ولكن السادات لم يتمكن من الاستمرار فقط بل ونجح أيضا فى إدارة سياسة تتجه بمصرالى النقيض فى سياستها الخارجية والداخلية. فبينما وثق ناصر علاقاته مع كل من سوريا والعراق والجزائر، احتضن السادات الملكيـات المحافظـة فـى العربية السعودية والخليج. وبينما اعتمد ناصر على الاتحاد السوفييتي لتوريد السلاح

282 - David Long فى حديث مع المؤلف – ابريل 2004

283 – أنور السادات ." البحث عن الذات" In Search of Identity ط 1977 نيويورك ص 215

وتبنى سياسة عدم الانحياز دوليا، قام السادات بتمزيق علاقاته مع الاتحاد السوفييتي ودفع بمصر إلى مصاف الكتلة التي تقودها أمريكا فى الحرب الباردة. وبينما عمل ناصر على تعزيز مكانة مصر فى العالم الثالث إلى جانب يوغسلافيا والهند والدول الإفريقية ودول أمريكا اللاتينية، اتخذ السادات مسار سياسة خارجية انفرادية تتمحور حول مصر.

عمل السادات على تقوية دعائم حكمه المتداعي بإطلاق قوى اليمين الإسلامي واستخدمه كمطرقة ضد اليسار مستعينا بالمساعدة المالية السخية التي قدمتها العربية السعودية. وعلى عكس ناصر الذى كبح جماح الاخوان المسلمين وعمل على تحجيم قوة الجناح اليميني الإسلامي فى مصر، قابل السادات عودة الإخوان المسلمين من المنفى بالترحاب وساعد على استعادة تنظيم الإخوان لقوته وتواجده فى الجامعات والاتحادات المهنية والإعلام. قبل السادات كان الإسلاميون فى معظم الأحيان متطرفين وهواة وراديكاليين ومحايدين ولكن بعد السادات أصبح الإخوان المسلمون وجناحهم الشبابي الأكثر راديكالية، أصبحوا جزءا من المنبع الأساسي لمجريات العمل السياسي فى مصر.

هذا التغيير الشامل الذى حدث فى سبعينات القرن العشرين كان مبعث دهشة ومفاجأة لهؤلاء الذين تعودوا على السفر إلى مصر بين حين وآخر. ففي المدارس والشوارع والمساجد والصحافة كانت الدلالات واضحة على الحضور الواضح والمتنامي للأصولية الإسلامية. يكتب ميخائيل دون المحرر بجريدة الشرق الأوسط انه لم يتمالك نفسه من الدهشة إزاء التحول المفاجئ الذى حدث فى السبعينات:" لقد حدث تغير دراماتيكي. كان الناس ملتحين فى كل مكان. كانت هناك أشياء يطلق عليها مجلات وصحف باسم الإخوان المسلمين، وكان الناس يرتدون الجلابيب البيضاء والمساجد مزدحمة ويتدفق الناس منها الى الشوارع."[284] والطلبة يتدافعون للانضمام إلى الجماعات الإسلامية وآلاف المساجد تقام والبنوك التابعة للإخوان المسلمين والمشاريع تنمو بسرعة وتندفع عصابات البلطجة التابعة للإسلاميين لتخيف المعارضين السياسيين.

فى حقيقة الأمر كان هذا بمثابة قبلة الموت بالنسبة للسادات. فى الظاهر كان اليمين الاسلامى يعمل كحليف للسادات، ولكن شيئا فشيئا وأكثر فأكثر اخذ يتحول ضده خاصة بعد الاتفاقية المصرية الإسرائيلية. في مصر أساء السادات تقدير مدى عمق وعنف المعارضة الإسلامية النامية خاصة بين الأجنحة الإرهابية.

---

284 – Michael Dunn ميخائيل دون فى حوار مع المؤلف – فبراير 2004

فى الولايات المتحدة فشلت الإدارة والمخابرات المركزية الأمريكية فى إعطاء الاهتمام اللازم لخطورة اليمين الاسلامى واعتمدنا بدلا من ذلك على تأكيدات المصريين انه تحت السيطرة.وفى الوقت الذى كان فيه السادات يتعرض للاغتيال سنة 1981 بواسطة الطلقات التي صوبها نحوه أعضاء فى احد تنظيمات الإخوان الجهادية، كانت ضرام هبة عنيفة تتقد تحت الرماد. اغتيل عدد من مسئولي الحكومة وروع السياح وهوجم المسيحيون واغتيل عدد من المثقفين العلمانيين المصريين أو اضطروا للصمت.

مرة أخرى تعود مصر لتكون القاعدة الأساسية لعمليات الإخوان.المسلمين.

السادات يطلق سراح الإخوان

لم يكن احد مرتبطا بعملية إعادة هيكلة السياسة المصرية التي قام بها السادات بمثل ارتباط كمال ادهم رئيس المخابرات السعودية. كان ادهم يعمل فى القنوات الخلفية لهنرى كيسنجر مستشار الأمن القومي فى الإدارة الأمريكية، وكان مشغولا بإعداد المسرح لإمبراطورية الحرب الباردة الأمريكية فى الشرق الأوسط.

قبل وفاة ناصر كانت العربية السعودية والكويت وعدد آخر من بلدان الخليج الغنية بالنفط قد وضعت أقدامها فى مصر بعد الهزيمة سنة 1967 مقدمة الوعود بالمساعدة لذلك البلد المنكوب فى محاولة لتقوية العلاقات السياسية. وبدأت السعودية فى مساندة الإخوان فى مصر. كان الإخوان المسلمون ينتقدون عبد الناصر بدعوى افتقاره إلى التقوى وقمعه للإسلام وان ذلك هو سبب النكسة والانكسار الذى أصابنا فى الحرب، وبدؤوا يثيرون الناس ضد ناصر. كتب رينارد شولتز:" بدأت الحملة السعودية تؤتى ثمارها ويحس بها الناس أثناء المظاهرات التي قام بها الطلبة فى القاهرة فى صيف 1969. فلأول مرة منذ سنوات ظهر المعارضون علنا باعتبارهم (إخوانا مسلمين) وطالبوا بمعركة حاسمة ضد أنشطة النشاط اليساري والشيوعى"[285]
بعد وفاة عبد الناصر كان لدى فيصل شكوك فى السادات، ولكن ادهم بذل ما فى وسعه من جهد لإقناع الملك الذي كان يتمسك دائما بنظرية المؤامرة الصهيونية البلشفية،انه حتى بافتراض أن هناك مؤامرة صهيونية بلشفية، فالسادات ليس "ناصرا" آخر. كان لأدهم علاقات وثيقة بكل من فيصل والسادات. وبوصفه شقيق

---

285 - رينهارد شولتز "تأريخ حديث للعالم الأسلامي" مطبعة جامعة نيويورك 2000 ص 189.

عفت زوجة الملك فيصل، قاد رئيس المخابرات السعودي مجموعة من كبار المستشارين ليؤكدوا أن عضوية السادات فى الإخوان المسلمين تؤكد على الأقل ميوله اليمينية[286]. فى ذات الوقت كان لأدهم صلات عمل بالسادات. ولأنه يدرك أن الرئيس المصري ذواقة للأشياء الجميلة فى الحياة فقد أوحى إليه بان السعودية تستطيع أن تزوده بها. فى الستينات كان رئيس المخابرات السعودية قد أقام سلسلة من المشاريع المشتركة مع السيدة جيهان زوجة أنور السادات معطيا بذلك الرئيس المصري الحافز لعلاقات أوثق بين مصر والرياض.[287] ومنح الملك فيصل ادهم الترقية التي تؤهله ليكون حلقة الوصل بينه وبين السادات. بعد اقل من شهر توفى عبد الناصر وأرسل فيصل ادهم إلى القاهرة. من الواضح إن ادهم لم يصل إلى القاهرة فقط من اجل أن يحمل إليها وعود السعودية بالمساعدة ولكن أيضا تأكيدات أمريكية بان واشنطن سوف تساعد مصر على استرداد أرضها من إسرائيل إذا قام السادات بفك الارتباط مع موسكو وأمر بانسحاب القوات السوفييتية من مصر.[288]

فى أوائل سنة 1971 أصبح لأدهم تواجد ملحوظ فى العاصمة المصرية. يلاحظ محمد حسنين هيكل الصحفي الموالى لناصر ورئيس تحرير جريدة الأهرام سابقا وكان السادات قد اختاره ليكون وزيرا للاستعلامات سنة 1970 ولكنه استقال من الحكومة بعد إن اختلف مع السادات سنة 1974، يلاحظ هيكل انه" لم يكن هناك ثمة شيء يمكن إن نطمئن به الروس"[289] فأدهم لم يكن يتصرف بوصفه حلقة اتصال مع فيصل ولكنه كان يعمل سرا لإدارة الاتصالات بين السادات وكيسنجر.[290] يصف كيسنجر فى مذكراته العلاقات مع السادات فيلاحظ إن الدور السعودي مكن السادات ونيكسون من إبقاء الاتصالات بينهما معا، متجاهلين " وزيري الخارجية فى كلا الطرفين"[291] فى ذلك الوقت لم يكن للولايات المتحدة سفارة فى القاهرة وكانت مصر مثلها مثل سائر معظم الدول العربية قد قطعت علاقاتها مع الولايات المتحدة بعد حرب 1967 بينما لم تقم السعودية بذلك. ومن هنا أصبحت السعودية فى الحقيقة هي همزة الوصل فى العلاقات الأمريكية المصرية فى بواكير السبعينات.

---

286 - David Holden and Richard Johns - نيويورك ط 1981 ص 289

287 - المرجع السابق

288- المرجع السابق ص 292

289 - محمد هيكل" ابو الهول والقوميسار"-ط 1978 ص219

290 - David Holden and Richard Johns - نيويورك - ص293

291 - Henry Kissinger , The White House Years, London, 1979 ,p. 1293

فى مايو 1971 أقدم السادات على اتخاذ خطوته الأولى لتدعيم سلطته ولتفريغ الحكومة من الناصريين الموجودين فيها، معلنا إن لديه الدليل على وجود مؤامرة لاغتياله بواسطة المسئولين السابقين فى عهد ناصر، ممن أطلق عليهم (عملاء السوفييت). لقد وجه السادات ضربته وشاركه اشرف مروان الذى كان على صلة صداقة حميمة بأدهم. قبض السادات على المتحدث باسم مجلس الأمة وعلى وزير الحرب ووزير الاستعلامات ووزير شئون الرئاسة وهم أعضاء فى اللجنة المركزية ومسئولين قياديين آخرين ممن كانت "شعاراتهم الاشتراكية تافهة متنافية...مع عقيدتنا الدينية"[292] وأطلق السادات على هذه الاجراءات "الثورة الثانية". بعد عام وبالتنسيق مع ادهم أمر السادات بطرد القوات السوفييتية.

يقول رايموند كلوز الذى كان يعمل مع المخابرات المركزية الامريكية قريبا من كمال ادهم، يقول كلوز:" كمال ادهم حث السادات على طرد الروس من مصر[293]. بطبيعة الحال كان السادات نزوعا للقيام بذلك، ولكن ادهم قدم المال ومساندة الإسلاميين.

بناءا على دعوة السادات وبمساندة كمال ادهم والملك فيصل بدأت قيادة الإخوان المسلمين تعود إلى القاهرة. وبالإضافة أطلق السادات بعد 1971 سراح أعداد كبيرة من الإخوان المسلمين السجناء، وكثير منهم كان مستاء وأكثر استعدادا للقيام بإعمال عنف والعمل السري المنظم. وسرعان ما اختفوا من اجل بناء حركتهم بينما فضل البعض الأخر سيما القدامى الذين ينتمون لأجيال سابقة إن يبدؤوا العمل كحلفاء علنيين للرئيس المصري الجديد، وكان احدهم هو عمر التلمسانى الذى اطلق سراحه سنة 1971وكان محاميا وهو رئيس التحرير التالى لمجلة (الدعوة) جريدة الإخوان المسلمين وسوف يغدو المرشد العام للجماعة، بعد ان أطلق سراحه توجه الى القصر الرئاسى مباشرة ليقدم مع غيره من الأعضاء الذين أطلق سراحهم الشكر للرئيس السادات فى سجل التشريفات.[294]

292- السادات ص 224

293 - Raymond Close مقابلة مع المؤلف ابريل 2004

294 -Gilles Kepel .Muslim Extremism in Egypt – California.1993, p.105.

خلال هذا العقد أعيد هيكلة تنظيم الإخوان وقسم الى عدة اجنحة وتيارات متنافسة. وبدا اعضاء الحرس القديم، ظاهريا على الاقل يضعون برنامجا للتحديث. كثير من مسئولى الإخوان القدامى الذين كانوا قد هربوا الى السعودية عادوا الى مصر كرجال اعمال ناجحين ويرتبطون بعلاقات جيدة مع غيرهم من رجال الأعمال الآخرين. على العكس من ذلك كان الشباب المتقد حماسا من اعضاء الإخوان سيما الملتحقين بالجامعات الذين أسسوا نوادي وتنظيمات الجماعات الاسلاميةالشبابية. هذه الجماعات حصلت على المساندة الكاملة من السادات والمخابرات المصرية وتنامت بسرعة واطلق عليها اسم "الجماعات الإسلامية"[295]. ونظرا لان السادات لم يعتمد تنظيم الإخوان بشكل رسمي فقد أخذت الحركة تنمو بشكل عشوائي بلا قيادة مركزية.

كانت مساندة الزعيم المصري لنمو الجماعات الاسلامية فى الجامعات طريقة أخرى يلجأ إليها لاستخدام الإسلام لتقوية سلطته. وحسبما ذكر جون اسبوسيتو فان" السادات، من اجل ان يتفادى الاستمرار تحت جناح الناصرية، غير اتجاهه وأعلن انه منحاز الى الإسلام." ويضيف اسبوسيتو:

"اتخذ السادات لنفسه لقب الرئيس المؤمن تيمنا بلقب الخليفة المسلم الذي يطلق عليه "أمير المؤمنين"، وكان يبدأ وينهى خطبه بآيات من القرآن، ويذيع التلفزيون المصري صوره فى المسجد وتركز الكاميرات على " الزبيبة" فى جبهته التي تدل على انه مواظب على الصلاة.[296]

كانت الجماعات الاسلامية فى الجامعات تتلقى سرا الدعم من جانب البوليس السري التابع للسادات. يقول ليبل انه" بعد ديسمبر 1972 اخذ ت الجماعات الاسلامية تنمو بشكل متصاعد فقد وجدوا أخيرا مفتاح النجاح: الكتمان، التعاون التكتيكي مع النظام من اجل إنهاء سيطرة اليسار على الجامعات"[297]، ومثلها مثل سائر الجماعات الاسلامية كانت تتبع تكتيكات عنيفة – العنف والترهيب فى مواجهة منافسيهم، وكانوا يتلقون باستمرار الدعم المالي من السعودية ومن رجال الاعمال

---

295 – الجماعات الإسلامية

296 –John Esposito, Unholy War: Terror in the Name Islam New York 2002-p,86.

297– كيبيل ، مرجع سابق ص 133

اليمينيين المصريين. وأصبحت الجماعات الإسلامية هي القوة السائدة فى الجامعات المصرية خلال رئاسة السادات."ويضيف:"لقد انشأوا الحركة الإسلامية الوحيدة المرتبطة حقيقة بمنظمات جماهيرية." وسرعان ما تصادمت الشعارات المطالبة بالديمقراطية بشعارات الله اكبر فى مظاهرات الطلبة. وبعد عدة سنوات أصبحت الجماعات الاسلامية هي التي تبسط قبضتها فعلا على الجامعات المصرية وترغم الجماعات اليسارية على الاختفاء."[298]

لعب محمد عثمان إسماعيل وهو احد مساعدي السادات دورا بالغ الأهمية فى فرض سيطرة الجماعات الاسلامية ونشاطها وهو محام سابق عمل سنة 1971 بالقرب من الرئيس المصري عندما كان يناور وبعد ذلك سجن منافسيه الذين كانوا يقفون الى يساره. يعتبر إسماعيل بمثابة الأب الروحي للجماعات الاسلامية فى القاهرة منذ أواخر 1971 وفى مصر الوسطى بدءا من 1973."[299] فى سنة 1973تم اختياره محافظا لأسيوط وهو يقع تحت سيطرة الإسلاميين ومن خلال موقعه كمحافظ مضى يحث الجماعات الاسلامية على محاربة الشيوعيين، الأمر الذى يذكر بما كان يحدث فى الأيام الأولى للإخوان المسلمين حينما كان الجوالة مفتولي العضلات والجهاز السري للإخوان يخرجون من المعسكرات الرياضية للاولاد والشباب. كانت سبعينات القرن العشرين تشهد عصر الجماعات الاسلامية المنظمة والمدعمة وتتولى الدولة رعايتها فى المعسكرات الصيفية. تم تنظيم أولها فى جامعة القاهرة سنة 1973 حيث أرسل السادات مسئولا حكوميا كبيرا رمزا للتأييد الذى تحظى به من النظام.

أخذت معسكرات الصيف تعقد بمزيد من الانتظام خلال السنوات العديدة التالية. وأعاد السادات تنظيم اللائحة الطلابية من اجل تمكين الجماعات الإسلامية من فرض سيطرتها على المؤسسات الهامة. وأعلن احد المراسيم الحكومية انه منذ الآن فصاعدا فان الهدف الاساسى للاتحاد الجامعي هو "تعميق القيم الدينية لدى الطلاب". كان الاستيلاء على اتحاد الطلبة هو خطوة أولى تتبعها خطوات: اتحاد الأطباء، اتحاد المهندسين، ولسوف تسقط الاتحادات الأخرى كذلك وكذلك الحال بالنسبة للمهن الأخرى وكذلك بطبيعة الحال بالنسبة للأزهر المركز الاسلامى والحصن الدفاعي الذى سوف يسقط مرة أخرى ويقع تحت سيطرة اليمين الإسلامي

298- المرجع السابق ص 129

299 - كثير من المعلومات والاقتباسات فى هذه الفقرة مقتبسة من كيبيل Kepel ، صفحات 133- 140 ويعتبر عمله بشأن الإسلامية فى مصر خلال هذه الفترة مرجعا معرفيا .definitive.

منهيا بذلك الدور الذى كان يقوم به وينمو كمؤسسة دينية متوازنة لا تسيطر عليها الأصولية.

فى سنة 1973وقعت منظمة العالم الاسلامى،سلاح السعودية القوى الذى تستخدمه فى جهودها من اجل الاسلمة، وقعت ميثاقا مع الأزهر جاذبة هذه المؤسسة العريقة باتجاه القطب الوهابي[300].فى نفس العام أنشأ السادات وظيفة نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية كما أنشأ هيئة عليا من اجل صياغة القوانين طبقا للشريعة الاسلامية. وقدم الإسلاميون مشروعات قوانين للمجلس لمنع الكحوليات، ولتطبيق العقوبات المؤسسة على الشريعة ولجعل دراسة الدين إجبارية فى المدارس.[301]

يقول عبد المنعم سعيد مدير مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية ان تأثير العربية السعودية فى مصر خلال السبعينات كان متغلغلا. توجه عدد من المصريين للعمل بالسعودية وعادوا منها يحملون وجهات النظر المحافظة للثيولوجيا الوهابية. ويضيف بان السعودية مولت كذلك بسخاء المؤسسات المصرية العطشى للتمويل". "لقد حركت الازهرباتجاه اليمين وأصدرت مطبوعات تحمل وجهات نظر شديدة المحافظة.وقام عدد من السعوديين المنتمين الى منظمات المجتمع المدني بالتبرع بالأموال للمساجد وشكل هذا أيضا دافعا لها للتحرك يمينا. ويضيف سعيد "ان عددا كبيرا من الصحفيين المصريين كان على قوائم الدفع السعودية، سرا بطبيعة الحال." ويلاحظ سعيد كذلك " ان التأثير السعودي كان واضحا كذلك فيما يتعلق بالقانون" لقد تغير التفكير القانوني أيضا واختلف عما كان عليه فى العشرينات والستينات حيث كان يتميز بالبساطة والتنوير، فهؤلاء الذين كانوا فى السبعينات فى الخليج بدأوا يعودون ومعهم تفسيرات ضيقة الأفق للقانون. وبدأت نظرة المصريين للسعودية تتغير كذلك، كانت السعودية تخشى باستمرار التأثير المصري على السعودية. الآن أصبح الأمر بالعكس. بدأت العادات فى التغير وأخذت النظرة للحياة تتغير وازداد الفصل بين الذكور والإناث"[302]

---

300 – Schulze , p.201

301 –Daniel Pipes ,In the Path of God ,New York 1983 ,p.209

302 – عبد المنعم سعيد مقابلة مع المؤلف يوليو2004

حرب رمضان

فى اكتوبر 1973 شن السادات هجوما مفاجئا بالتنسيق مع سوريا على الأقاليم التي تحتلها إسرائيل فى كل من مصر وسوريا. ولكن حدث تحول تسبب فى إفشال الهجوم العسكري، ولكن آثاره السياسية كانت تمثل نجاحا مدويا. ونظرا لأنها كانت مبنية على أسس إسلامية وبدأت فى شهر رمضان وهو أقدس الشهور لدى المسلمين فقد أوقدت الحرب جذوة الحماس الاسلامى فى مصر.

بعد الانتصارات الأولية فى بعض المعارك الميدانية حيث استطاعت القوات المصرية ان تعبر قناة السويس وتقدمت تجاه القوات الإسرائيلية فى شبه جزيرة سيناء، تعرضت مصر لنكسات كبيرة عندما تمكن شارون من شن هجوم مضاد. وحاصر الإسرائيليون الجيش المصري بأكمله غرب قناة السويس وقطعوا الإمدادات عنه مما تسبب في ظهور بوادر مواجهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي. ولاحت في الأفق نذر حرب نووية عالمية ربما كانت اخطر ما واجهه العالم من أزمات خلال الحرب الباردة، وبدا الأمر اقرب ما يكون الى معركة فاصلة.

غير انه فيما يتعلق بالسادات كان للحرب نتائج هامة، إذ أنها أولا أدت الى دخول الولايات المتحدة حلبة الصراع من اجل ترتيب وقف إطلاق النار ثم اتفاقيات الفصل بين القوات المصرية والإسرائيلية، الأمر الذى أدى الى تقوية التحالف المصري الامريكى فى السبعينات. وثانيا أكدت العلاقات المصرية السعودية مما أدى الى فرض المقاطعة العربية والحظر العربي على تصدير البترول خلال الفترة 1973-1974. ومثلها مثل نظيراتها من الدول الغنية بالبترول من اعضاء أوبك وجدت السعودية نفسها وقد تجمعت لديها فجأة موارد حقيقية غير محدودة تتيح لها ان تدفع بقضية الأصولية الوهابية خطوات الى الإمام. وثالثا ان الحرب العربية الإسرائيلية سنة 1973 صقلت صورة السادات لدى جماهير المؤمنين المسلمين ودعمت قدرة الرئيس المؤمن على ان يلتحف برداء الرجل المقدس الذى يجاهد فى حرب مقدسة.

على أية حال فان حرب 1973 كانت من وجوه عديدة معلما يرمز الى إعادة ميلاد الحركة الإسلامية. فى مصر كان يرمز الى حرب أكتوبر بأنها " حرب رمضان" فقد أعدت القوات لتخوض المعركة تحت تأثير الحماس الذى تطلقه الأحاديث الاسلامية والشعارات الدينية حول تحرير المسجد الأقصى فى القدس.

ويلاحظ هيرمان ايليتس سفير الولايات المتحدة فى القاهرة " ان القـوات المصـرية عبرت القناة وهى تصيح: "الله اكبر"[303].

من الناحية الشكلية كانت حرب 1973 مخططة لتثأر لهزيمة 1967. وحسب الدعاية التي أطلقها مناصرو السادات كانت الحرب مؤشرا على فشـل الناصـرية والاشتراكية العربية. كان أئمة المساجد منذ مدة قد ارجعوا السبب فى الهزيمة الـى افتقار ناصر الى الإيمان واستخفافه بتعاليم الإسلام. وعلى العكس من ذلك ومن اجل حشد اليمين الاسلامى لمساندته صور السادات انتصار 1973 الاسطورى باعتبـاره مؤشرا على قوة الإسلام. وبالرغم من حقيقة ان حرب رمضان لم تهـزم إسـرائيل وبرغم حقيقة ان مصر عانت من كارثة فقدان جيش بأكمله، فـان حـدث العبـور المصري لقناة السويس توج باعتباره معلما. ومتعطشين الى تحقيق النصر فقد اعتبر المسلمون المحافظون على اتساع العالم ان حرب رمضـان شـبيهة بالانتصـارات الكبرى التي حققها الإسلام خلال عصوره الأولى حينما توسـع الحكـم الاسـلامى ليشمل آسيا الوسطى واسبانيا وطرقت الجيوش الاسلامية أبواب فرنسـا والنمسـا. يمكن القول ان السادات لم يتوقع هزيمة إسرائيل أو حتى ان يحـرر سـيناء. لقـد خططت حرب السادات كحرب "محدودة"تحركها اعتبارات سياسية صارمة. وحتـى هذه اللحظة لا يعرف ما إذا كان بعض المسئولين الأمريكان قد اشتركوا مع السادات فى التخطيط أو على الاقل تحملوا مسئولية قعقعة السلاح من اجل استكمال إعـادة مصر الى جانب أمريكا فى الحرب الباردة على حساب إسرائيل. ولكن ما هو مؤكد على أية حال ان المخابرات المركزية الأمريكية كانت على علم تام بخطط السادات الحربية، وكذلك كان كمال ادهم رئيس المخابرات السعودية. وفى الحقيقة قبل شـن هذه الحرب بشهور عدة قام ادهم والمخابرات السعودية باطلاع المخابرات المركزية الأمريكية على الخطوط الرئيسية لخطة حرب رمضان بما فى ذلك قـرار العربيـة السعودية باستخدام ما يطلق عليه سلاح البترول، وقام مكتب المخابرات المركزيـة فى السعودية وفق ما تمليه عليهم واجباتهم بإخطار وشنطن بكل ذلك[304]. تقول مارثا كيسلروهى من اكثر محللي المخابرات المركزية الأمريكية بصيرة فى مجال الإسلام السياسي تقول ان الحرب كانت نقطة تحول:

" كانت حرب 1973 العربية الإسرائيلية تجرى تحت علم الإسلام. وتشكل هذه الفترة علامة على تحرر الفكر العربي من إسار الأفكار الأوربية بمـا فـى ذلـك

303 – هيرمان إيليتس –مقابلة مع المؤلف ،ابريل 2004

304 – كلوز – مقابلة مع المؤلف

الشيوعية والبعثية والناصرية" وتضيف " في المقام الأول لم تكن هذه الأفكار هي الملهمة، وما هو اكثر أهمية أنها لم تكن تعمل ومن ثم فان فكرة ان تشن الحرب على أسس إسلامية كانت جد مقصودة: فأسماء الوحدات اعيد تسميتها والشعارات جرى تغييرها وهكذا، بحيث تعكس الشعارات الاسلامية. انني ألاحظ صعود الإسلام السياسي على الاقل خلال هذه الحقبة[305]. غيران عودة الإسلام السياسي الى مصر كان سلاحا ذا حدين. فتحت غطاء الإيمان والملابس المحافظة والأحكام التي تأخذ بالشريعة التي لا يحيط بها السادات ولا تلم بها المخابرات المركزية، تحت هذا الغطاء كانت تتجمع قوة جديدة وخطرة.

تأثير سيد قطب

عندما أوشك عقد السبعينات على الانتهاء خاصة بعد ان قام السادات برحلته الى القدس وبدأ المحادثات مع إسرائيل، أصبح اليمين الاسلامى اكثر راديكالية (تطرفا) وتحول الكثيرون منهم الى معارضة السادات أو اخذوا يتآمرون سرا. وبينما كان التحول فى اتجاه اليمين الاسلامى يبدو فكرة ذكية من جانب السادات آنذاك، فقد كانت فى الواقع ذكية اكثر مما ينبغي. فحتى حينما انتقد مجاهدو الجماعات الاسلامية المصريون منافسي السادات اليساريين فأنهم كانوا يقعون اكثر فأكثر تحت تأثير الراديكاليين من الأئمة الجدد الذين كانوا يعظونهم ليس فقط بان يقفوا ضد الشيوعية بل وكذلك ضد رسالة الغرب.

جاء المؤشر الأول على ان هناك ثمة خطأ ما سنة1974، حينما قامت عصبة من المتطرفين الإسلاميين معظمهم من المصريين يقودهم فلسطيني، قامو باثارة تمرد دموي فى الكلية الفنية العسكرية، وكان من المفترض ان يقود هذا الحدث الى اغتيال السادات. قتل جراء هذا كثيرون واعتقل آخرون كثرّ، وحمّل السادات رسميا ليبيا مسئولية هذا التمرد. كان زعيم هذا التمرد صالح سرية وهو من سكان مدينة صغيرة بجوار حيفا فى إسرائيل، وهى محل ميلاد مؤسس منظمة حزب التحرير الإسلامي، وهى جماعة يمينية شديدة التطرف تهدف الى استعادة الخلافة الاسلامية ولها علاقات واسعة بسعيد رمضان والإخوان المسلمين، وفيما يبدو كان سرية احد اعضاء هذا الحزب[306]، حسبما ذكر جيلز كيبل.

---

305 - Martha Kessler –مقابلة مع المؤلف – ابريل 2004

306 – لا يزال حزب التحرير الاسلامى موجودا ولكنه ترك الشرق الأوسط واتخذ من ألمانيا مقرا له ثم أقام قاعدة قوية له فى آسيا الوسطى (السوفييتية سابقا)

كان سرية يقيم فى الأردن حتى 1970، وقضى سنة فى العراق ولكنه اضطر الى الفرار من بغداد حيث حكم عليه غيابيا بالسجن سنة 1972 بتهمة الانتماء الـــى هذا الحزب فشد الرحال الى القاهرة.اثر وصوله الى القـــاهرة بـــد أ يتـــردد علـــى الإخوان المسلمين سيما المرشد الأعلى الهضيبى وزينب الغزالي فدائيـــة الجماعـــة (الباسيوناريا، حسبما اطلق عليها المؤلف وهى إحدى شخصيات المقاومة الاسبانية ضد الفاشية) ونال ثقتها واجري مناقشات منتظمة معها[307].

طبقا لعبد المنعم سعيد، حينما بدأ المحققون التحقيق وجدوا ما يبعـــث علـــى القلق ويشير الى وجود انحرافات عميقة كامنة بين الطلبة:

" حينما اجروا عددا من المقابلات مع الطلبة وجدوا ان هنـــاك الكثيـــر مـــن التغيرات داخل الكلية الفنية: صلوات اكثر من المعتـــاد، فصـــل بـــين الجماعـــات مؤشرات على التطرف" غير ان السادات كان من الإصرار على كســـب الإســـلام السياسي الى درجة انه لا المخابرات المصرية ولا المخابرات المركزية الأمريكيـــة استطاعت ان تستدل على شيء من خلال ذلك.[308]

يعلق ايليتس قائلا:" كان التلمسانى مرشد الإخوان فى ذلك الحين مـــن ضـــمن السجناء الذين اطلق السادات سراحهم. وكان قد أفرج عنهم على أساس أنهم ســـوف يسلكون مسلكا طيبا وقد فعلوا ذلك فعلا ولكن عادة ما كانت تظهـــر بـــين الحـــين والآخر مقالة فى احد مطبوعاتهم تنتقد الحكومة وقد يجرى مصادرتها لمدة شـــهر. كان السادات يرى ان مسألة السيطرة على تنظيم الإخوان لا يشكل مشكلة كبيرة."[309]

غير انه فى حين بقى الإخوان المسلمون الرسميون هادئين بشكل معقول، فان المنظمات التي تعمل سرا والجماعات الاسلامية وما يتفرع عنهـــا كانـــت تســـتعد للمعركة، فعلى امتداد السنوات المتوالية كان هؤلاء المجاهدون يثابرون على بنـــاء قوتهم فى مصر مستخدمين عادة أسلوب العنف والتربص أو الاغتيال. اخذ الكثيـــر من الإسلاميين يعيشون على انفراد أو يتوجهون الـــى الصـــحراء لبنـــاء حـــركتهم الخاصة، حسبما يقول محمد سعيد. "ولم تلاحظ المخابرات ذلك"[310]. فى سنة 1977 اغتال الإرهابيون الإسلاميون وزير الأوقاف الســـابق وبـــدأوا يواجهـــون القمـــع والاعتقال غير أنهم استمروا فى الانتشار. وحينما صدم السادات مصر بذهابه الـــى

307 – كيبل ص ص 92-94

308 – سعيد – مقابلة مع المؤلف

309 – إيليتس مقابلة ع المؤلف

310– سعيد – مقابلة مع المؤلف

القدس سنة1977 ليبرم صفقة مع مناحم بيجن رئيس الوزراء الاسرائيلى، اخذ الإسلاميون فى مصر بمن فيهم الإخوان المسلمون وعصابات الجماعات الاسلامية تتجه الى المزيد من أشكال المعارضة الجهادية.

العديد من الإسلاميين المتطرفين كانوا إتباعا لسيد قطب الذى أعدمه ناصر شنقا سنة 1966. خلال الستينات استطاع قطب ان يطور نظرية ثورية راديكالية تساوى بين المسلمين الذين لا ينهجون النهج الراديكالي النصي الذى يؤمن به وبين البدو البرابرة العرب الذين كانوا موجودين فى الجاهلية قبل ظهور النبي. واستخدم قطب وإتباعه هذه النظرية لتبرير اغتيال القادة العرب غير المخلصين. وبالرغم من ان نظريات قطب كانت غير متسقة ومتناقضة فان بعض المستشرقين الغربيين عظموا من شانه باعتباره ناقدا فكريا للعلمانية فى الشرق الأوسط. كان قطب وكتابه "معالم الطريق" هو الملهم لأشد المتطرفين الإسلاميين المصريين (وأكثرهم عنفا) ومعظمهم كانوا خارج متناول المخابرات المصرية والمخابرات الأمريكية.

حسبما يرى ايليتس فشل السادات فى التنبه لاى خطر قد ينجم نتيجة تشجيع جماعات اليمين الاسلامى الراديكالي، غير ان آخرين من نفس الدائرة المحيطة به مباشرة بمن فيهم زوجته جيهان كان لهم وجهة نظر أخرى. تقول جيهان:"ان السادات الذى كان عضوا سابقا فى الإخوان المسلمين كان يتبنى وجهة نظر تقول بان التأثير المتعاظم للإسلام والإخوان المسلمين سيما فى الجامعات لا يجعل منهم اكثر من شباب يعبرون عن وجهة نظرهم الخاصة" ويضيف ايليتس:" انا أتذكر ان العديد من الناس بمن فيهم زوجته كانوا يقولون له:" عليك ان تراقب هؤلاء الناس. أنهم خطر ولكنه كان يكتفي بالتلويح بيده قائلا:"أنهم محض شباب ". كان ببساطة لا يعتقد بان انشغالهم بالعقيدة وتنظيم الإخوان المسلمين يمكن ان يمثل خطرا. ولم يكن بالاستطاعة ان يقتنع بواسطة عدد من وزرائه بأنهم يشكلون خطرا "[311]

كذلك كان قليل من الدبلوماسيين ومسئولي المخابرات المركزية من يدرك جيدا ان اختراق الإخوان المسلمين للمجتمع المصري فى أواخر السبعينات يشكل خطرا. كما لم يدركوا أيضا كنه العلاقات الضبابية بين الإخوان المسلمين والجماعة الاسلامية والجماعات السرية وأنصار سيد قطب. ولاحظ ايليتس وعدد من مسئولى المخابرات المركزية فى مصر عملية "اسلمة مصر" ولكن كان من الصعب عليهم ان يقرؤوا ما وراء ذلك. على كل حال فان السادات كان يشجعهم ويبدو ان الزعيم

---

311 – ايليتس – مقابلة مع المؤلف

المصري كان يعتقد ان هذا لفائدة مصر ولا ضرر منه إطلاقا. ولكن، حسبما يقـول ايليتس، انه كان هناك " ثمة قلق خشية ان بعض العناصر فى الحركة الدينيـة قـد تسبب بعض المتاعب، وكنت اعتقد ان هذا شيء يجب وضعه فى الاعتبار" غير ان ايليتس كان يعتقد ان الحكومة المصرية يمكن ان تسيطر على هـذه الظـاهرة وان العناصر الأكثر إعدادا والقادة المحافظين للإخوان المسلمين مثل التلمسـانى ضـد التكتيكات العنيفة والأعمال الجهادية. وبحنكة يتساءل اليتس:" صحيح ان التلمسـانى يرفض الراديكاليين (المتطرفين) ولكن هل هو يقصد ذلك حقا؟". كان السفير يـرى ان هناك انفصالا بين قيادة الإخوان المسلمين والجهاديين ولكنه لم يكن متأكدا مـن ذلك:" كان من الصعب التأكد من ذلك ومن ثم فقد كان على المرء ان يعتمد الى حد ما على تقدير الرئيس ووزرائه."[312] ولم تكن المخابرات المركزية الأمريكية أسعد حظا. يقول احد مسئولى المخابرات المركزية وقد قضى سنوات طوال فى الشـرق الأوسط، منها سنوات عديدة فى القاهرة خلال السبعينات، يقول ان بعض العـاملين فى المخابرات المصرية حذروه بالا يستهدين بالخطر الذى يمثله الإسلاميون:" كان لي صديق فى المخابرات المصرية وهو مسئول كبير فيها، قال لي:" علـيكم أيهـا الناس ان تدركوا قوة المسجد. إننا سوف نفقـد السـيطرة ولـن يثـق النـاس إلا بالمسجد."[313] ترى كاتى كريستيون التي التحقت بالمخابرات المركزية سـنة1971 وترأست مكتب المخابرات المركزية فى مصر خلال الفتـرة مـن1973-1977 - تقول ان الخطر الذى يمثله الإسلاميون فى مصر خلال هذه الفترة لم يكن بالشـيء الذى يقلق الوكالة. لقد سمعت عن الإخوان المسلمين بطبيعة الحال لكن لم يكن هناك إلا القليل من التركيز على الإسلام. كان من السهل جدا علينا فى ذلك الوقت تجاهل الإسلاميين."[314] لم يكن هناك ثمة تساؤل حول السبب الرئيسي فى تجاهل اليمـين الاسلامى فى مصر لان المخابرات ومسئولي الشرطة كانوا يرون انه من المناسب النظر الى الإسلاميين بوصفهم اعداءا للسوفييت.

يلاحظ ايليتس انه عندما كان يباشر عمله كسفير للولايات المتحدة فى مصـر من 1974 بعد ان اعيدت العلاقات الدبلوماسية وحتى سنة1979، كان من الصعب على السفارة ووكالة المخابرات المركزية ان تلتقى أو تتصـل بالإسـلاميين سـيما

312- المرجع السابق

313 - ضابط سابق فى المخابرات المركزية الأمريكية - مقابلة مع المؤلف

314 - K athy Christison- مقابلة مع المؤلف مارس 2004

هؤلاء الذين بدؤوا بتبني سياسة معادية بوضوح للمواقف الحكومية. كانت الحكومة تتخذ موقفا غامضا فيما يتعلق بالاتصالات العلنية بين الولايات المتحدة والقوى المعارضة على أساس ان ذلك سوف يؤدى الى تدعيم موقف المعارضة باعتبار ان الولايات المتحدة تساندها." حسبما يقول ايليتس " ومن ثم فقد كان على المرء ان يتعامل مع هذه الأشياء بحرص شديد وقابلتهم أثناء الاستقبالات التي ينظمها الآخرون"

خلال دبلوماسية الرحلات المكوكية التي كان يقوم بها كيسنجر أوائل 1973 أثناء الحرب العربية الإسرائيلية، وعدت الولايات المتحدة –حسبما يقول ايليتس– السادات بالا تقوم المخابرات المركزية الأمريكية باى أعمال سرية ضد مصر، "ومن ثم فان النشاط المخابراتى الذي كان يمكننا القيام به كان محدودا" ويضيف"تستطيع ان تتحدث عن اتصالات سرية مع الإسلاميين ولكن كان من الصعب ان ترتبها"[315]

وبالإضافة لم تكن المخابرات المركزية الأمريكية على استعداد لان تذهب الى مدى ابعد مع الملتحين من الأئمة الأصوليين ومع الجماعات الاسلامية ذات الأنشطة العنيفة.ويعبر ذلك عن مشكلة لازمت المخابرات المركزية لعقود ذلك أنها كانت تفتقر الى الخبرات اللازمة: عدد قليل من الموظفين غير الغربيين–عدد قليل من الذين يجيدون التحدث بالعربية – عدد قليل من الملمين بالتاريخ الاسلامى والثقافة الاسلامية. يحكى واحد ممن عملوا فى المخابرات المركزية الأمريكية فى الشرق الأوسط ولا يريد ان يعرف اسمه، يحكى قصة معبرة عن احد المجهودات التي بذلت للاتصال بالإسلاميين ولكن الفشل كان مآلها فيقول:" أتذكر اننى رأيت هذا المكتب الصغير الذى يديره هذا الضابط احمر الرأس الذى اخطرنى أن هذا المكتب كان مختصا بـ"اختراق المسلمين الأصوليين" ويقول ضاحكا " لا تعطى أحدا من ذوى الرؤوس الحمر الايرلنديين تكليفا بان يخرج و"يخترق الإسلاميين. ان ذلك يتطلب تخطيطا كثيرا وإستراتيجية وإدراك. اننى لا أتذكر انه كانت هناك مشكلة يجب على المخابرات ان تتعامل معها اكثر تعقيدا، إلا إذا كنت مسلما وتستطيع ان تذهب الى المسجد وتتحدث مع هؤلاء الناس وتتاور فيما يخص هذه المشكلة، ونحن لم نقم بذلك.[316]".

315– – إيليتس – مقابلة مع المؤلف

316 – ضابط سابق متقاعد كان يعمل فى المخابرات المركزية الأمريكية – مقابلة مع المؤلف يونيو 2004

بالنسبة لليمين الاسلامى كانت السبعينات هي عقد التحول. كان نوع المشاكل الخاصة بالأصولية الاسلامية التي تواجهها الولايات المتحدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية لا تزال قائمة حتى اليوم ولكن الى جوارها أخذت تبرز مشاكل أخرى جديدة وأكثر تعقيدا، كانت لا تزال فى مرحلة التكوين، واتخذت فى مصر شكل الجماعات الاسلامية الراديكالية التي كونت فيما بعد قلب الإسلام الجهادي بقيادة أيمن الظواهري القائد الثاني فى تنظيم القاعدة. وكان فى إيران ممثلا بالأصولية الشيعية الأصوليون الجهاديون الأكثر تطرفا الذين شكلوا الجناح الراديكالي لحركة آية الله الخميني. وفى السعودية البيت الصحراوي الصارم للوهابية التي مثلت التربة الملائمة لصعود أسامة بن لادن وأتباعه الذين اعتبروا انه حتى رجال الدين السعوديين النصوصيين غشاشون ومدعو إسلام غير مؤمنين.

لقد فشلت الإدارة والمخابرات المركزية الأمريكية فى ان إدراك التغييرات الجذرية الانتقالية التي طرأت على اليمين الإسلامي فى السبعينات. وبدلا من ذلك رأوا ما أرادوا ان يروه: إسلام سياسي محافظ ضد الشيوعية ويكتفي بان يشغل نفسه مع النقاط الحساسة فى الشريعة التي يفسرها سدنتها الملتحون.فقط حفنة من الأمريكيين المتخصصين فى الإسلام والشرق الأوسط هم الذين جادلوا بان الإسلام اليميني لم يكن ضد الشيوعية فحسب ولكنه كان كذلك ضد الديمقراطية وضد الغرب ويلجأ للعنف. ولكنهم لم يعودوا سوى أقلية.فى أواخر السبعينات.

حتى بعد الإحداث الصادمة التي حدثت فى السنوات التالية: الثورة فى إيران، الاستيلاء على المسجد الكبير فى مكة، اغتيال السادات، تفجير السيارة الذى قام به حزب الله فى لبنان وتسبب فى قتل 241 من المارينز- حتى بعد ذلك كانوا لا يزالون ينظرون الى اليمين الاسلامى باعتباره حليفا وخاصة خلال الجهاد الافغانى (ضد السوفييت).

احد الأسباب التي تفسر لماذا استمر الغرب فى القبول بالإسلام السياسي هو بروز الإسلام الاقتصادي فى السبعينات. فالكثير من نفس هؤلاء الجهاديين الذين تورط تابعوهم فى الإرهاب ارتدوا أيضا جلابيب رجال الأعمال وأقاموا المشاريع وأسسوا البنوك وظهروا أمام العالم اجمع بأنهم ليسوا سوى رجال اعمال ناجحين ومواطنين مؤمنين غير ان المشاريع الرأسمالية والبنوك تنتج إرباحا وتنتج أيضا متطرفين ينتمون الى الإسلام.

بنوك الإخوان المسلمين

بالإضافة الى السياسة لعب الاقتصاد خلال السبعينات دورا حاسما فى انتشار الإسلاميين فى مصر. فحينما اعتلى السادات السلطة سنة 1970 رأت القوى ذات المصالح الراسخة والصوت العالي، وهى نفس القوى التي حاولت المخابرات المركزية الأمريكية أواخر الخمسينات ان تستخدمها ضد ناصر ولكنها فشلت، رأت هذه القوى أمامها الفرصة سانحة لاسترداد ثرواتها وعلاقاتها السياسية. كثير منهم سيما ملاك الأرض شبه الإقطاعيين الذين حد النظام الناصري من قدراتهم ولكنه لم يقض عليها كانت لهم علاقات قوية مع اليمين الإسلامي. والواقع انه عبر الشرق الأوسط من باكستان الى إيران الى تركيا الى مصر كانت العائلات التي تملك الأرض والبازار(التجار) وعائلات التجار الأغنياء كانت لهم علاقات وثيقة مع الإسلاميين. فى حالات كثيرة كانت العلاقات عائلية، مالك ارض غنى أو بازار قد يكون لديه أخ أو ابن عم يشغل منصب إمام أو ملا أو آية الله، كانوا يعملون معا يدا بيد.

أصبح الإخوان المسلمون مناصرين كبارا لخطة السادات من اجل تشجيع الاستثمارات في مصر وتحمسوا معا لمساندة سياسة السادات الاقتصادية الانفتاحية الجديدة. من الخارج كان يبدو ان الانفتاح يجرى وفق متطلبات صندوق النقد الدولي الصارمة. فخلال الستينات والسبعينات فرض الصندوق تغييرات وحشية على اقتصاديات العالم الثالث كشرط لتلبية طلبات الاقتراض وأفضت هذه الشروط الى نتائج اقتصادية شديدة الإيلام من بلد الى بلد فألغيت الإعانات المالية وقلصت الوظائف وخصخصت الصناعات. وعادة ما تؤدى سياسات صندوق النقد الدولي الى مواجهات مع اليسار ومع منظمات العمال، ولم تكن مصر استثناءا من ذلك، فمطالب صندوق النقد الدولي الصارمة بفرض القيود المشددة والاستقطاعات المالية كانت نتيجة مباشرة لجهود الولايات المتحدة الحثيثة لتشجيع الاقتصاد الحر على مستوى دول العالم الثالث ودحر الاشتراكية. فى مصر سرعان ما وجد اليمين الإسلامي ورجال الأعمال المحافظون وأصحاب المشاريع الرأسمالية قضية مشتركة تجمع بينهم.

تلقت مجلة الدعوة التي يصدرها الإخوان المسلمون المفرج عنهم مساندة مالية معتبرة من أغنياء اليمين المصريين، وأمدتهم المشاريع الرأسمالية المستثمرة طبقا لسياسة السادات الانفتاحية بمجمل ثمن الإعلانات المنشورة فى الدعوة. فمن بين

180 إعلانا نشرتها الدعوة كان49 منها لأصحاب ضياع ومشاريع ومقـاولين،و52 لشركات كيماوية وبلاستيك و20 لمستوردي سيارات و12 لبنوك وشركات استثمار إسلامية و45 لشركات مواد غذائية. وفقا لما ذكره جيلز كيبل:" 40%من الإعلانات جاء من ثلاث شركات فقط يملكها اعضاء فى الإخوان ممن كونـوا ثـروات فـى السعودية "[317] واضطر التلمسانى فى حديثه مع مجلـة مصـرية أسـبوعية الـى الاعتراف بان معظم مفاتيح سياسة الانفتاح الاقتصادي هي الآن فى ابدى اعضـاء سابقين فى الإخوان المسلمين كانوا فى المنفى وعادوا الآن الى مصر[318].

فى سنة 1974 صدر عن الإخوان بيان رسمي طالبوا فيه الاعضـاء بتأييـد سياسة السادات الانفتاحية الموالية لصندوق النقد الدولي. كان هذا الإجراء ملائمـا للإسلام السياسي. خلال تاريخهم كان الإسلاميون مـوالين مخلصـين باسـتمرار للرأسمالية" معارضين مبدئيين لسياسة الصراع الطبقي. وقلما اتخذوا جانب الفقـراء والمستعبدين والمضطهدين.فى مصر على وجه الخصوص لم يقم الإسلاميون ابـدا بتعضيد قضايا العمال المظلومين أو الفلاحين الذين لم ينجحوا فى تحقيق اى مكسب من سياسات السادات الاقتصادية أو الذين عصفت بحياتهم سياسة الانفتاح- وبـدلا من ذلك انضم الأخوان الى جانب المخربين للإضرابات ووقفوا بحماس ضد النقابات العمالية وضد المثقفين المؤيدين لليسار.

كان ظهور ما يطلق عليه البنوك الاسلامية أمرا مركزيا لأسـلمة الاقتصـاد المصري.وإذ جرى تنظيم هذه البنوك الاسلامية على أساس ان البنـوك التجاريـة العادية لا تعمل طبقا للشريعة الاسلامية خاصة لأنه يفترض عدم السـماح بالفوائـد على القروض فان البنوك الاسلامية عايرت منافسيها من البنوك غير الاسلامية بأنها ضد الدين بل وأكثر من ذلك هاجمتها باعتبارها "يهودية" واتبعت تكتيكات داخليـة لتسويق خدماتها فحذرت بان المتعاملين مع البنوك التقليدية معادين للإسلام ومن ثم فان " مصيرهم هو ان يلقوا مباشرة فى الجحيم"[319]

أدى تطور الاقتصاد الإسلامي فى مصر إلى المزيد من تشجيع انتشار الاسلام السياسي. فأعضاء الإخوان المسلمين استنزفوا الموارد المالية والوظيفيـة لصـالح مؤيدي هذا النظام الأغنياء فى تدعيم التنظيم الاجتماعي والسياسي الخـاص بهـم.

317- – كيبيل – مرجع سابق ص 108

318 – المرجع السابق ص 108-109

319 – سمير سليمان " صعود وأفول نمط البنوك الإسلامية فى مصر " فى " سياسات التمويل الاسـلامى" تحرير Clement Henry and Rodney Wilson أدنبرة ط 2004 ص 266

ووجه أنصار اليمين الإسلامي والإخوان المسلمون الأموال للمساجد والمشــروعات الصغيرة ووسائل الإعلام الصديقة وللمنافذ الأخرى التي تهاجم الشيوعية. ونظــرا لان جماعة الإخوان كانت تعمل بشكل جماعة أخوية سرية فان جــزءا مـــن هـــذا الإنفاق يمكن ان يتم خفية،بمجرد إيماءة أو إشارة...ويستمر اليمين الاســـلامى فـــى مصر فى جذب المساعدات من السعودية وان يكن قد أصبح مستقلا مـــن الناحيـــة المالية. يقول احد المحللين المصريين القياديين: " لقد انشأوا مشاريع كثيرة وبنـــوك وهم متضامنون فيما بينهم، وعضو الإخوان المسلمين يكون مســـرورا إذا أعطـــى نصف دخله الى جمعية الإخوان المسلمين"[320]

أعطى تأسيس بنك فيصل الاسلامى المصري سنة1976 للإخوان المســـلمين مزيدا من الحيوية فى مصر بالتوازي مع جهود السادات من اجل استخدام الإخوان المسلمين. كان البنك هو حجر الزاوية فى بناء إمبراطورية من البنـــوك الاســـلامية يديرها الاميرمحمد الفيصل بالعربية السعودية وهو نجل الملك فيصل ولعبـــت دورا حاسما فى اسلمة مصر والمنطقة.

طبقا لكل الحسابات لم يكن الأمير فيصل عضوا فى جماعة الإخوان المسلمين، ولكنه كان متوافقا مع العائلة الملكية السعودية فى استخدام الجماعة كذراع لسياستها الخارجية. غير انه كان حريصا على إلا يكون قريبا منها اكثر من اللازم. وفضـــل الأمير ان يعتمد اكثر على شخصيات مؤسساتية بمن فيهم مفتى الجمهورية ليكســـب البنك شرعيته، ونجح فى كسب مساندة السادات له من اجل إصدار قـــانون خـــاص لأشهار البنك [321]من ضمن مؤسسي بنك فيصل: رئيس وزراء مصر الســـابق عبـــد العزيز حجازي الذى سوف يصبح رئيس الحركة الاقتصادية الاســـلامية وعثمـــان احمد عثمان وهو ثرى مصري صناعي كبير كان يطلق عليه روكفلر مصر ولعب دورا أساسيا فى إدارة تمويل الحركة الجهادية للإخوان المسلمين فى الســـبعينات[322] ومنهم من يتمتع بنفوذ كبير فى الإخوان المسلمين مثل يوسف القرضـــاوى وعبـــد اللطيف الشريف ويوسف ندا وجميعهم انضموا مبكرا كأعضاء فـــى مجلـــس إدارة البنك[323] وسوف يلعب كل منهم دورا كبيرا فى نمو اليمين الاسلامى ليس فقط فـــى

---

320 – سعيد– مقابلة مع المؤلف

321 – منذر كاف " The rise of a New Power Alliance," in Henry and Wilson, p.22

322 – Ibrahjm Warde ,Islamic Finance in the Global Economy, Edinburgh, 2000, p.211.

323 – سليمان ،هنري و ويلسون ص 273

مصر وإنما فى المنطقة بكاملها. وكل منهم سيظهر خلال السنوات التالية محلقا على إطراف أقصى الأجنحة تطرفا فى حركة الإخوان المسلمين. ومن ابرز مؤسسي بنك فيصل الاسلامى رجل الدين الاسلاموى الأعمى مثير الفتن الشيخ عمر عبد الرحمن. والشيخ عمر عبد الرحمن هو المرشد الروحي لتنظيم الجهاد الاسلامى، وهو التنظيم الاصولى الذى سيقوم أعضاؤه باغتيال السادات. وفيما بعد سيقوم عمر عبد الرحمن بمساعدة المخابرات المركزية الأمريكية بتجنيد الراغبين فى الاستشهاد المحاربين ذوى الفراسة ليخوضوا الجهاد ضد الاتحاد السوفييتي فى أفغانستان وسوف يهاجر فيما بعد الى الولايات المتحدة حيث يلقى القبض عليه ويدان بسبب دوره فى تفجير مركز التجارة العالمي فى نيويورك. قدمت الدولة لبنك فيصل عند تأسيسه مساعدة غير مسبوقة. فالقانون الخاص منحه الضمان بعدم جواز تأميمه وبالا تسرى عليه القوانين البنكية للدولة وإعفائه من الضرائب وان له الحق فى ان يباشر عمله فى سرية تامة[324]. ويلاحظ أن المسئول الذى تولى عرض هذا القانون على البرلمان لم يكن وزير الاقتصاد بل وزير الأوقاف. وأخذ تمرير هذا القانون مجراه لأنه حتى النواب اليساريين كانوا يخشون الظهور بمظهر من يعطى صوته معارضا الله.[325]

" أما الشريف الذى سوف يسجن فى التسعينات فقد كان تاجرا جوالا وكان يتخذ من الاتجار مع المتعاملين معه وسيلة لتمويل الجهاديين الإسلاميين. ومن موقعه فى بنك فيصل انخرط مع شركات توظيف الأموال الاسلامية التي تدر عوائد متغيرة واندمجت فى الثمانينات كشركات استثمار حرة عرضت أحداها عائدا بلغ 25%اى ضعف ما تمنحه البنوك التجارية. وكان أول هذه الشركات وأهمها مجموعة الشريف المرتبطة بجماعة الإخوان المسلمين[326] وهى (مجموعة شركات توظيف الأموال الإسلامية)على مستوى سياسي عال وقامت سرا بالإنفاق على مرشحي جماعة الإخوان فى الانتخابات البرلمانية المصرية خاصة سنة 1987. ولكن هذا النظام انهار فى أواخر الثمانينات مهددا الشبكة البنكية الاسلامية وخاصة بنك فيصل الاسلامى، وأشيع فى ذلك الوقت ان الأمير محمد الفيصل أرسل طائرات

---

324 – المرجع السابق ض 270

325 – المرجع السابق ص 270–271 تم إعادة النظر فى نظام البنوك الإسلامية فى الثمانينات بعد اغتيال السادات وأوضحت عملية إعادة تقييم النظام مدى خطورة الحركة الإسلامية مع استخدامها لمثل هذه الأداة

326 – كاف ، هنري و ويلسون ص 211

تحمل بلايين الدولارات(آلاف الملايين) وأوامر بان يتم إرسالها فورا من ميناء القاهرة الجوى الى فروع بنك فيصل للوفاء بطلبات السحب التي يقوم بها المودعون" حسبما كتب سليمان[327]. فى سنة 1993اشترى صالح كامل صاحب شركة " البركة" مجموعة الشريف مقابل 170 مليون دولار.

أما يوسف القرضاوى الناشط فى حركة الإخوان المسلمين فى قطر وهو احد مؤسسي بنك فيصل الإسلامي فهو معروف فى العالم العربي بخطبه الجهادية التي توزع فى كاسيتات. وهو مساند قوى لمفجري القنابل الانتحاريين ضد إسرائيل، وبعد الغزو الامريكى للعراق اصدر بيانات تبرر قتل المدنيين المنتمين إلى الولايات المتحدة المتواجدين هناك، ولكنه كان يخفف من حدة كلماته عندما يتحدث فى اللقاءات الغربية كما حدث سنة 2004 حينما دعي لحضور لقاء دولي عن الإسلام نظمته مؤسسة بروكنجز.

ربما كان يوسف ندا احد أهم عناصر الإخوان المؤسسين لبنك فيصل الاسلامى.وهو من أهم اعضاء الإخوان المسلمين الأصليين فيما قبل حقبة ناصر.وقد اتهم سنة 1954 بمحاولة اغتيال الزعيم المصري، ومثله مثل سعيد رمضان هرب من مصر الى ألمانيا الغربية ومنها الى ايطاليا. وبالتعاون مع عدد من الإخوان المسلمين المحترفين ساعد ندا فى تأسيس بنك التقوى، وله فروع فى جزر بهاما وايطاليا وسويسرا. وينظر الى بنك التقوى باعتباره البنك شبه الرسمي للإخوان المسلمين. ويلاحظ عبد القادر شهيب وهوصحفى مصري امضي عدة سنوات يتابع ندا، يلاحظ ان" بنك التقوى كان ينظر له فى البداية باعتباره جهازا مركزيا اقتصاديا للإخوان المسلمين وبوجه خاص باعتباره فرعه الدولي" وكان هذا الفرع الدولي مرتبطا لمدة طويلة بسعيد رمضان وهو زوج بنت حسن البنا مؤسس الإخوان المسلمين، وهو الذى أسس فرع الإخوان المسلمين فى جنيف فى سويسرا. كما يقول عبد القادر شهيب كان بنك التقوى تحت إدارة يوسف ندا[328]. وتضم قائمة مؤسسي البنك الموثوقة قادة من الإخوان المسلمين فى سوريا وتونس بالإضافة الى يوسف القرضاوى الذى شغل منصب رئيس لجنة الشئون الاسلامية فى البنك"[329]

---

327 – سليمان ، هنري وويلسون ص 276

328 – مقتبس من ريتشارد لابيفيير Richard Labeviere,Dollars for Terror: The United states and Islam (New York, 2000), p. 138

يقدم لابيفيير صورة مفصلة لمدى انخراط بنك التقوى فى كل من مصر وتركيا وغيرهما.

329 – المرجع السابق ص 139

كثير من هؤلاء الذين كانوا مرتبطين بدوائر بنك فيصل- التقوى أدرجوا فى قائمة التحقيقات التي أجريت المتعلقة بالقاعدة وحلفائها. وفى سنة 2001أدرج ندا من قبل الإدارة الأمريكية بوصفه ممولا للإرهاب."[330]

لم تكن علاقة بنك فيصل الاسلامى بالإسلاميين الأصوليين هي العامل الوحيد الذى هدده فى الثمانينات. فقد كان البنك على علاقة وثيقة ببنك الائتمان والتجارة الدولي وكان يعرف باسم "بنك الغش والجريمة الدولي" ويملكه باكستاني وأحد المستثمرين فى الخليج وكان متورطا فى عمليات تمويل الإرهاب وتهريب الأسلحة والمخدرات والغش المالي حتى تمام انهياره المعروف سنة1988. كانت المخابرات المركزية الأمريكية زبونا دائما لدى هذا البنك حيث استخدمته لإيداع الودائع المالية الأمريكية والسعودية لتمويل حرب أفغانستان التي مولت الجهاديين الإسلاميين المتطرفين المرتبطين بالمجاهدين الأفغان. وبالرغم من ان هذا البنك (بنك الائتمان والتجارة) ليس بنكا إسلاميا من الناحية الرسمية إلا انه استخدم إيداعاته ولغته ورموزه. وعندما انهار البنك وجد المحققون ان لدى البنك 589 مليون دولار "كإيداعات غير مسجلة " منها 245 مليونا تخص "بنك فيصل الاسلامى المصرى."[331]

بعد مقتل السادات وجد عدد كبير من الأصوليين (الراديكاليين) الذين سبق أن وضعوا فى مراكز قيادية فى بنك فيصل الاسلامى وجدوا أنفسهم وقد أزيحوا بمن فيهم ندا والقرضاوى والشريف. فقد طلبت المخابرات المصرية من الاميرفيصل بوجه خاص اعفاءهم من مناصبهم[332] ولكن بعد فوات الأوان. لقد ساعد الامير فيصل على قيام الاحياء الاسلامى فى مصر على اسس مؤسسية مما ادى الى تعزيزالارهاب السرى العنيف فى مصر. خلال الثمانينات والتسعينات ستقاوم هذه الشبكة كل جهود حكومة حسنى مبارك لتصفيته.

كانت وفاة السادات هي النهاية لطريق الرئيس المؤمن. ولكن إيران كانت تترنح حينذاك تحت تأثير إسلام الخميني. " كانت مساندة الولايات المتحدة للجهاد فى أفغانستان فى الذروة وأصبحت الاسلامية هي الإيديولوجية المحددة للنشطاء الإسلاميين من شمال إفريقيا الى عمق وسط آسيا السوفييتية. هذه السلسلة غير

330 - دوجلاس فرح Douglas Farah ,Blood from Stones: The Secret Financial Network of Terror (New York , 2004), p.148

331 - Warde , p. 84

332 - Soliman, in Henry and Wilson, p. 273

العادية من التطورات ما كان لها ان تتم إلا بفضل السادات من ناحية والعربية السعودية الحليف المفضل للولايات المتحدة الأمريكية من ناحية أخرى، وكذلك بفضل تدفق عشرات البلايين من الدولارات نتيجة الزيادات المتوالية فى أسعار البترول التي فرضتها منظمة الدول المصدرة للبترول (أوبك) التي استخدمتها السعودية لبناء إمبراطورية موالية لأمريكا من البنوك الاسلامية والمؤسسات التمويلية فى مصر والسودان والكويت وتركيا وباكستان وغيرها. كان هذا بمثابة زواج بين إيديولوجية الإخوان المسلمين والقوة الاسلامية البنكية المتراكمة، تكالبتا معا لتمكين الجناح اليميني للإسلام السياسي ليصبح فى النهاية قوة دولية على مدى اتساع العالم.

*

الفصل السابع

صعود الإسلام الاقتصادى

فى السبعينات اصبح الإسلام السياسي مدعما بفضل ظهور قوة موازية هي الإسلام الاقتصادي.

جزء من هذه الثروة الهائلة التى تصب فى الدول العربية المصدرة للبترول كان يشق طريقه إلى شبكة واسعة من البنوك وشركات الاستثمار التي يسيطر عليها اليمين الإسلامي والإخوان المسلمون. من بلد إلى آخر كانت هذه البنوك اكثر من مجرد مصارف إذ قامت أحيانا بشكل سرى وأحيانا أخرى بشكل علني بتمويل الساسة وضباط الجيش المتعاطفين ومولت النشطاء والأحزاب السياسية وشركات الإعلام التي يسيطر عليها الاسلاميون والمؤسسات الرأسمالية التي يسيطر عليها الإخوان المسلمون.

وبداية من سنة 1974 فصاعدا عمل النظام البنكي الإسلامي بمثابة العمود الفقري التمويلي لليمين الاسلامى وخلال ذلك كله كان هذا النظام الذي بدأ من الصفر سنة 1974 ليصعد خلال عقدين إلى ذروة القمة العالمية.، كان يعتمد بشكل رئيسي على النصائح والمساعدة التقنية التي يتلقاها من مجموعة من المؤسسات الأمريكية والأوروبية بما فى ذلك بنوك ضخمة مثل سيتي بنك.

من وجهة نظر المسئولين التنفيذيين للبنوك وصندوق النقد الدولي ومنظري السوق الحرة كانت البنوك الإسلامية تبدو مثالية. فاليمين الإسلامي أوضح بجلاء انه يفضل الرأسمالية على الشيوعية الإلحادية. أيا من الحركات الإسلامية الهامة بدءا بالإخوان المسلمين فى مصر إلى الجماعة الإسلامية فى باكستان إلى الأصولية الشيعية فى العرق لم يكن أيا منها ينادى بالعدالة الاجتماعية والاقتصادية. وبدلا من ذلك كانوا يعارضون ملكية الدولة والإصلاح الزراعي وبرامج الخدمات الاجتماعية. مثلها مثل الإخوان المسلمين ولدت البنوك الإسلامية فى مصر ومولتها العربية السعودية ثم انتشرت فى كل ركن من أركان العالم الإسلامي. فى البداية كانت تبدو شيئا جيدا، نظام شرقي للسوق الحرة ذات قوة مالية وتتبع بإخلاص تعاليم القرآن وتمد مؤيديها العديدين بالعملة الصعبة. وسرعان ما عبرت الحركة البنكية الإسلامية

عن أبعادها السياسية وأصبحت محركة ليس فقط لتصدير الإسلام السياسي بل وراعية كذلك للعنف. وعادة ما كانت تتلقى الدعم من البنوك والحكومات الغربية سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

فى البداية كان يبدو أن نمو الاقتصاد الإسلامي يتلاءم تماما مع خطط واشنطن للحرب الباردة فى الشرق الأوسط، وظهرت معبرة عن التزاوج بين منظري الاقتصاد الجهادي لليمين الإسلامي فى العالم العربى والتقنية وحرفية المعرفة فى العديد من البنوك الرائدة والمؤسسات المالية والجامعات فى الغرب. بدأت فى الخمسينات ببطء عندما بدأ اقتصاديو الإخوان واثنان من القيادات الدينية العراقية يطورون مبكرا أسس الاقتصاد الإسلامي. واكتسب ذلك قوة دفع حينما أسس احد رجال المال من الإخوان المسلمين فى الستينات أول بنك اسلامى، ثم اكتسب قوة دفع قوية فى السبعينات بالمساعدة الكاملة من السعودية والكويت ودويلات الخليج الناشئة سيما بعد تضاعف أسعار البترول أربعة مرات خلال الفترة من 1973-1974.وأخيرا استطاع الأمير محمد الفيصل شقيق وزير خارجية السعودية أن يجمع بينها جميعا منشئا بذلك أول شبكة من البنوك الإسلامية متعددة البلايين من الدولارات ومكتسبا بذلك سمعته بوصفه " امير العشور المسلم".

خلال هذه السنوات تم تنظيم الشبكة الإسلامية للأعمال البنكية واستكملت هيكلها الوظيفي عادة تحت ادارة الأثرياء من الإخوان المسلمين الذين استخدموا هذه البنوك لتمويل عمليات التحول السياسي اليميني فى مصر والسودان والكويت وباكستان وتركيا والأردن.

لقد عمل الاقتصاد الإسلامي خلال السبعينات على مستويين:- أولا فى السعودية نفسها حيث تجمعت فوائض دولاريه هائلة وتم التلويح بهذه الثروات أمام الدول الإسلامية التي ضربها الفقر مثل مصر وتركيا وباكستان وأفغانستان وعرضت عليها المساعدات مقابل التحول إلى اليمين، وثانيا أخذت شبكة منظمة تنظيما دقيقا من البنوك الإسلامية أنشئت فى القاهرة وكراتشي والخرطوم واسطنبول لتقوم بدورها ليس فقط بوصفها لاعبا ماليا هاما وتقوم بدور تمويلي هام بل ولتعمل بهدوء على تنمية اليمين الإسلامي. فى مصر تعاون هؤلاء البنكيون الاسلاميون مع السادات من اجل مساندة التحول السياسي فى مصر من الاشتراكية العربية إلى الانفتاح الساداتي (الانفتاح الاقتصادي) وإعادة سياسات السوق الحرة، وفى مجرى هذه العملية ساعدوا فى بناء القوة الدافعة السياسية للإسلام اليميني. فى الكويت دعت العائلة المالكة المرتبطة بالإخوان المسلمين إلى تمويل قوة سياسية ضد

الوطنيين والفلسطينيين فى هذه الإمارة البترولية الصغيرة. وفى السودان والأردن وتركيا قام الإخوان المسلمون والسياسيون اليمينيون ببناء إمبراطورية مالية مؤسسة على البنوك الإسلامية واستخدموا ثرواتهم واتصالاتهم فى خدمة قضية الإسلام السياسي اليميني. وفى العادة كما حدث فى مصر كانوا يجلببون سياستهم الاقتصادية بجلباب الإصلاحات الاقتصادية التي يطالب بها صندوق النقد الدولي وبدعوة الاحتكارات عابرة القارات والمقرضون الأجانب.

بفضل الإسلام الاقتصادي اصبح هناك خط مباشر يربط بين السعودية فائقة الغنى وأمراء ومشايخ الخليج وقطر وأمراء الإخوان المسلمين بدءا بكبار الرأسماليين والبنكيين وانتهاءا بغوغاء الشارع التابعين لليمين الراسمالى، وكلها ممولة من قبل البترودولار.

كانت قوة تمكنت من تحويل الشرق الأوسط.

البنوك الإسلامية والغرب

كل البنوك الكبيرة وشركات البترول ومؤسسات حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، كلها شجعت بقوة البنكيين الإسلاميين فى السبعينات من القرن العشرين. إن الزيادات فى أسعار بترول الأوبك سنة 1973 جعلت الخليج اكثر أهمية ليس فقط بسبب آبار البترول الموجودة فيه بل وكذلك من اجل مساهماته المالية وتدفقت كميات ضخمة من السلع العسكرية إلى السعودية وإيران وغيرهما من دول الخليج، ولحقت مصر بحلفاء الولايات المتحدة التقليديين مثل إسرائيل وتركيا كمنافذ للنفوذ الغربي. وبدأت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا تبنيان وتوسعان قواعدهما الجوية والبحرية وتستعرضان أساطيلهما فى المحيط الهندي والقرن الإفريقي وجنوب العربية السعودية وشرق البحر الأبيض المتوسط.

ولكن، لا رجال الدين الإسلامي السعوديين ولا كتبة الإخوان المسلمين الذين يفكرون بعقلية القرون الوسطى استطاعوا أن يقيموا البنوك الإسلامية بمجهوداتهم الخاصة، فالبنكيون الغربيون الذين يتطلعون إلى طرق أبواب المخازن الواسعة للبترودولار الذى يتراكم بعد زيادة أسعار بترول دول الأوبك خلال الفترة1973-1974 قاموا بما هو اكثر. فالبنوك الكبيرة أصبحت بالفعل لاعبا رئيسيا مع السعودية ومع بنكيي الخليج العربى، ومن ثم فانه مع ظهور الحركة البنكية

الإسلامية فقد رأت فيها البنوك الأجنبية فرصة لا تعوض. دخلت بنوك الغرب الكبيرة ومؤسساته المالية لتقديم الخبرة والتدريب وفق آخر ما وصلت إليه التكنولوجيا البنكية من اجل تسهيل توسع القوة البنكية لليمين الإسلامي. وإذ اطمأنت إلى تأكيدات المستشرقين والأكاديميين بان انتماء الإسلام للرأسمالية يعود إلى سالف العصر منذ أيام النبي محمد فقد سارعت البنوك الكبيرة ذات المراكز النقدية القوية إلى الانخراط فى هذه العملية.

من بين المشاركين الرئيسيين سيتي بنك، اتحاد بنوك هونج كونج وشنغهاي، بانكرز ترست، تشيس مانهاتن، شيكاجو، ميلتن فريدمان، صندوق النقد الدولي، برايس وترهاوس، الولايات المتحدة، بريتيش آند سويس تكنيكانز، شركات البترول الرئيسية، جامعة هارفارد، جامعة كاليفورنيا الغربية وغيرها.

إن إنشاء نظام بنكى لا يتعامل بنظام الفوائد وله القدرة على الاستمرار على أساس من القانون والكفاءة فى مجال التمويل عالميا ليس مجرد خدعة وضيعة. وليس من شان هذا الكتاب أن يناقش نظرية التمويل الإسلامي وميكانيكيته التي سمحت للمقرضين الذين يقدمون القروض بدون فوائد أن يستعيدوا قروضهم ومع ذلك يستطيعون أن يحققوا أرباحا. يكفى أن نقول إن ثمة نظرية معقدة وذات إبعاد متعددة توضح كيف يتم ذلك وتم صياغتها فى السبعينات [333]، والأكثر أهمية لقضيتنا هو أن نوضح كيف أن هذه البنوك قد عجلت بنمو الإسلام السياسي باقتناع البنكيين الغربيين.

ينتهي إبراهيم ورد، وهو واحد من ابرع المتابعين لدنيا التمويل الإسلامي، إلى الآتي:

" كان النظام البنكي العالمي.... أداة فعالة فى نفس عملية خلق البنوك الإسلامية، البنوك الإسلامية الناشئة كانت تعوزها الخبرة والموارد ولم يكن لديها اختيار سوى أن تعتمد على خبرة شركائها الدوليين، وعندما اكتسبت البنوك

---

333 – للاطلاع على تفاصيل آلية التمويل الأسلامى دون فوائد(ربا) ينظر:

* مؤلف هنرى كليمنت Clement M. Henry ورودنى ويلسون Rodney Wilson – ThePolitics of IslamjcFinance (Edinburgh,2004) سياسات التمويل الاسلامى.

** رودنى ويلسون: أسواق التمويل الإسلامية Islamic Financial Markets(London 1990)

*** تيمور كران : الإسلام والمأمون Islam and Mammon (N.J. 2004)

**** وأخيرا مؤلف إبراهيم ورد الذي وفى الموضوع حقه بشكل مدهش: وضع التمويل الاسلامى فى الاقتصاد العالمي.Islamic Finance in the Global Economy (Edinburgh,2000)

الإسلامية الخبرة كان عالم التمويل يمر بتغييرات كبيرة، ومن ثم فبدلا من أن تنعزل، عجلت بالتعاون مع البنوك الغربية – في صورة استثمارات مشتركة، اتفاقات للإدارة، تعاون تقنى، وعمليات تبادل بنكية مما أدى إلى التقارب بين هذه وتلك وانصهار عمليات التمويل التقليدية والإسلامية.معا [334]

من الأعمال ذائعة الصيت بشأن تطور النظرية البنكية الإسلامية بما فى ذلك كيفية تنظيم بنك اسلامى حديث باستخدام ضمانات لا تحمّل بالفوائد، الأعمال التي أنجزت فى باكستان وفى لندن، وفى جامعة شيكاغو فى الستينات على يد الاقتصادي Lloyd Metzler للويد ميتزلر.[335] وأصبح كل شيء جاهزا حال ارتفاع سعر البترول الإسلامي فى السبعينات.

" فى ذلك الوقت كان سيتي بنك، بانكرز ترست، تشيس مانهاتن وجميع البنوك الأمريكية تؤدى دورا كبيرا للسعودية ومن ثم فعندما برزت ظاهرة البنوك الإسلامية، كان واضحا أنها جاءت فى الوقت المناسب للقيام بمهامها فى الاستثمار على نحو ما يقول ورد:

" كان جولدمان ساخس جاهزا لاستنباط أنواع معينة من المنتجات الملائمة من اجل البنوك الإسلامية."[336]. فيما بين 1975– 2000 بادرت بعض المؤسسات الأمريكية مثل فنى ماى وفريدى ماك بإنشاء مشروعات رائدة للإقراض الإسلامي، وبدأت فدرالية الاحتياطي الأمريكية إعداد البرامج البنكية الإسلامية وانخرط فى هذه العملية كذلك مؤسسة الاتحاد الدولي للتمويل التابعة للبنك الدولي ؛ حتى مؤسسة بج أويل استخدمت أدوات تمويل إسلامية فى مشروعاتها التمويلية" وفتحت الشركات العابرة للقارات منافذ إسلامية لتلقى الودائع من عملائها من أغنياء الخليج" وحسبما ذكر كليمنت هنرى شارك الفرنسيون بقيادة البنك القومى بباريس الأمريكان والبريطانيين وعلى رأسهم سيتى بنك وكلينوورث بنسون.فى هذه الأنشطة" [337]

---

334 – ورد ص 108

335 – ينظر " آمال بشأن مستقبل التمويل الاسلامى" ل عباس ميرأخور Abbas Mirakhor وهو مدير تنفيذي فى صندوق النقد الدولي وأحد علماء الشريعة فى جمهورية إيران الإسلامية

336 – إبراهيم ورد – مقابلة مع بار بارا دريفوس –أغسطس 2004

337 – كليمنت هنرى" حركات التمويل الإسلامية: مولدات التغيير السياسي فى الشرق الأوسط؟" (ورقة مقدمة فى الاجتماع السنوي لسنة 2001 للمؤسسة الأمريكية للعلوم السياسية جامعة تكساس – أوستن) ص 6

في الواقع أقامت البنوك الإسلامية مراكزها الرئيسية في أوربا وغيرها من مراكز المال العالمية. و" قامت البنوك الإسلامية بعملياتها من لندن وجنيف وجزر الباهاما بما يفوق ما قامت به من جدة وكراتشي والقاهرة " حسبما لاحظ ورد. كانت تفضل التحالف مع الاقتصاديين من اللبراليين الجدد. " من الناحية الإيديولوجية كان كل من اللبراليين والاقتصاديين الإسلاميين مدفوعين بمعارضتهما المشتركة للاشتراكية والاقتصاد الموجه"[338]

لقد اعتمد التمويل الإسلامي مرارا على الاقتصاديين اليمينيين والسياسيين الإسلاميين الذين يدعون إلى الخصخصة والأسواق الحرة على نحو ما ترى مدرسة شيكاغو "، حتى الجمهوريات الإسلامية بهذه المناسبة احتضنت بصراحة النيوليبرالية (اللبرالية الجديدة)" حسبما كتب ورد " في السودان بين 1992 و1993 لم يتردد وزير الاقتصاد عبد الرحيم حمدي وهو من تلامذة ميلتن فريدمان وهو بالمناسبة بنكي اسلامي سابق في لندن – لم يتردد في تبني اشد توصيات السوق الحرة تشددا التي يفرضها صندوق النقد الدولي. وأكد انه ملتزم بتغيير الوضع الاقتصادي القائم " وفقا لقواعد السوق الحرة لأن هذا هو ما ينبغي أن يسير عليه الاقتصاد الإسلامي".[339] وبالمثل عبرت الحركة الإسلامية الراديكالية الجزائرية التي سوف تجر هذه الأمة إلى حرب أهلية طويلة في تسعينات القرن العشرين معتمدة صراحة على توصيات صندوق النقد الدولي للجزائر. كتب كليمنت هنري وهو خبير متابع لعملية التمويل الإسلامي:" عند تأسيسه سنة 1989 قدمت الجبهة الإسلامية الجزائرية للمصالحة توصيات بإجراء تعديلات في برنامجها الحزبي بما في ذلك معادلة الدينار الجزائري بأسعار السوق الدولية وفقا لتوصيات صندوق النقد الدولي في ذلك الحين فضلا عن القواعد البنكية الإسلامية"[340]

كان سيتي بنك بنكا رائدا وحسبما يقول ورد:"إن سيتي بنك اصبح أول بنك غربي يفتح نافذة إسلامية [341]، وسوف يستمر في سداد الأنصبة. وقد قام شوكت عزيز الذى كان عضوا في مجلس إدارة سيتي بنك الإسلامي والبنك السعودي الامريكي المرتبط بسيتي بنك، قام بوضع برنامج سيتي بنك الإسلامي في البحرين[342]. وسرعان ما سوف يترقى عزيز ليصبح وزيرا للشئون الاقتصادية في

---

338 – ورد ص 107

339 – ورد ص99

340 – كليمنت هنرى " حركات التمويل الإسلامية: مولدات التغيير السياسي في الشرق الأوسط؟"

341 – ورد – مقابلة مع المؤلف

342 – ناظم على –مقابلة مع بار بارا دريفوس –أغسطس 2004 .

باكستان وفى 2004 سيرقى إلى منصب رئيس الوزراء بواسطة الرئيس برويز مشرف.

إن ما أدهش دهاقنة السوق الحرة الغربيين هو أن يكون الإسلام بطبيعته نظاما رأسماليا وان النبي كان رأسماليا وتاجرا يبحث عن الربح ويؤمن بالسوق الحرة والضرائب المخفضة والمؤسسات الخاصة وغياب القواعد المنظمة، وان النظام الإسلامي الذى أقامه مبكرا فى مكة كان يتبع القواعد التي ستضع البسمة على شفاه الاقتصاديين اللبراليين الجدد(النيوليبراليين)- على الأقل كانت هذه هي الصورة التي رسمها الأصوليون الاسلاميون وإيديولوجيو (منظرو) السوق الحرة الغربيون. هذه الصورة لا تفسر فقط التأييد الغربي للمشروعات الاقتصادية لليمين الإسلامي ولكنها تشكل أيضا المبررات لمهاجمة الاشتراكية العربية والمؤسسات التي تديرها الدولة والتخطيط المركزي بوصفها ضد الإسلام.

ورغم أن فكرة بناء نظرية إسلامية على نسق نظريات القرن السابع والقرن الرابع عشر الميلادي تبدو فكرة مثيرة للضحك إلا إن بنكيي الغرب وسياسيي الشرق الأوسط العلمانيين لم يستطيعوا مقاومة إغراء الأموال التي ضخها ممولو الإسلام السياسي.

أصدرت مؤسسة السوق الحرة الإسلامية – وهى مؤسسة محافظة فى ولاية فرجينيا – أصدرت ورقة بعنوان " الإسلام والسوق الحرة" لفتت الأنظار وهى تقتبس آيات من القرآن تعنى حسبما تقول مؤسسة السوق الحرة الإسلامية معارضة الاشتراكية والضرائب واحترام حقوق الملكية وإتباع قانون العرض والطلب الذى لا يتغير:

" إن القرآن يأمر صراحة بحرية السوق وحرية التجارة التي تقوم على التراضي والتبادل الحر....والحقيقة إن الإسلام يطالب المؤمنين به أن يرتادوا السوق وان يكسبوا عيشهم وإرباحهم منه ليعولوا عائلاتهم ويهنئوا بالنجاح....والإسلام بنص على حقوق الملكية. وعلى النقيض من الاشتراكية يشرع الملكية الفردية بشكل مطلق. كذلك يعترف الإسلام بحقوق التعاقد والقرآن يطالب أتباعه أن يوفوا بعقودهم إذا تعاقدوا. وتوضح تعاليم محمد أيضا أن الأسعار يقررها العرض والطلب فى السوق الحرة وإلا يتدخل احد ليقررها إجباريا.وان هذا يعكس الخبرة التجارية العريقة لقبيلته كما يعكس خبرته التجارية الذاتية.... وفى خلال حكمه فى المدينة اختار محمد بجلاء ألا يفرض اى ضرائب على التجارة وجعل من المدينة منطقة تجارة حرة نشطة. وان سياسات السوق الحرة الكاملة للإسلام

أفرزت انتعاشا اقتصاديا هائلا فى البلاد التي حكمها كما كان الأمر كذلك فــى كــل مكان طبقت فيه هذه السياسات.ومن ثم فانه بينما كانت أوربا تلفها ظلمات العصور الوسطى خلال النظام الإقطاعي المعادى للسوق، كان العالم الإسلامي هــو القــوة الإقتصادية السائدة فى الأرض لمدة خمسة قرون تقريبا"[343]

إن الفكرة التي تقول بان القرآن يوفر الإرشادات التي يمكن استخدامها لتشريع قوانين معادية للاشتراكية والإصرار على النشاط الاقتصادي الفردي هي فكــرة لا تستند إلى أي أساس نظرا لأن مكوناتها ابعد ما تكون عن الوضــوح وبالتأكيــد لا يمكن تطبيقها على الأنظمة الاقتصادية الحديثة. ولكن هذا لم يوقــف الاقتصــاديين الغربيين المحافظين عن ترديد ما يقولون كما أنها لم توقف رجال الدين المســلمين بمن فيهم آيات الله المشهورين فى العراق وإيران عن إصدار الفتاوى التى تؤيد مثل هذه التفسيرات محدودة الأفق.

يرى جراهام فوللر المسئول السابق بالمخابرات المركزية الأمريكية الذى كان يترأس فى بداية الثمانينات مكتب الشرق الأوسط التابع للمجلس الوطني للمخابرات الذى يتبع المخابرات المركزية الأمريكية ؛ يرى أن المصالح الأمريكية لا تتفق مع صعود الأصولية الإسلامية. وبوصفه مسئولا فى المخابرات المركزية أجاز تقريرا مخابراتيا يقترح أن تقيم الولايات المتحدة علاقات أوثق مع النظام الذى يقوده آيات الله فى إيران من اجل حرمان الاتحاد السوفييتي من الحصول على الأوراق التــي ساهمت فى مبادرة اوليفر نورث ووليم كيزى بإدارة ريجان التي أصبحت تعــرف باسم "إيران كونترا". وكتب فوللر وهو حاليا مؤلف بروفيليك – كتــب باستفاضــة موضحا أن التطور الاقتصادي لليمين الإسلامي يتفق ومنظــور الــداعين للســوق الحرة:" لا يوجد حاليا تنظيم اسلامى اساسى المنبع....لديه وجهات نظر اجتماعيــة راديكالية"[344] ويستأنف فوللر قائلا:" إن الإسلام لا يفضل من الناحية المبدئية تــدخل الدولة تدخلا قويا فى السوق أو فى الهيكل الاقتصادي للمجتمع....ومن الغريــب أن يظل الاسلاميون متناقضين مبدئيا أو حتى معادين للثورة الاشتراكية"[345]

---

343 – بيتر فيررارا وخالد صافورى " الإسلام و السوق الحرة" المؤسسة الإسلامية للســوق الحــرة – سبتمبر 2004 – الانترنت .http://www.islamicjnstjtute.org/freemrkt.htm

344 – جراهام فوللر " مستقبل الإسلام السياسي" نيويورك 2003 ص 26

345 – المرجع السابق

أن الإسلاميين يعارضون بقوة التفسير الماركسي للمجتمع[346]....ولكنهم يعانون تناقضا فيما يتعلق بدور الدولة فى الاقتصاد، وهذا يشكل انفصاما بين النظرية والتطبيق....إن النظرية الإسلامية الكلاسيكية ترى أن للدولة دورا محدودا فيما يتعلق بتقديم التسهيلات إلى السوق أو التجار اكثر منه فى التضييق عليهم. لقد عارض الاسلاميون بقوة دائما الاشتراكية والشيوعية. إن الإسلام لم يكن لديه أية مشكلة فيما يتعلق بقضية سوء توزيع الثروة."[347]

تطور النظام البنكي الإسلامي بصورة فلكية. فطبقا للمجلس العام للبنوك الإسلامية ومؤسسات التمويل اصبح هناك فى سنة 2004 اكثر من 270 بنكا إسلاميا تبلغ أصولها 260 بليون دولار والودائع لديها 200 بليونا[348]. وكانت القروض الرئيسية لرجل دين عراقي وبنكي مصرىوامير سعودي ومجموعة من أمراء العائلة المالكة الكويتية، نتابع فيما يلى حكاياتهم.

آية اللـــه والأمير

كان الرجل الذى وضع حجر الأساس ل" الإسلام الاقتصادي" رجل دين شيعيا عراقيا يدعى محمد باقر الصدر وهو عميد عائلة الصدر واحد أقرباء رجل الدين الثوري مقتضى الصدر الذى ظهر جيش المهدي التابع له كقوة عراقية قوية سنة 2003.ومثلت أفكار آية الله الصدر مددا نظريا لتبرير السياسة الاقتصادية للإسلاميين.

فى سنة 1960 وضع الصدر كتابه "اقتصادنا" الذى اصبح بمثابة الإنجيل المقدس لنظريات الأصولية الإسلامية الاقتصادية. ويعتبر مؤلفه "البنوك غير الربوية فى الإسلام"(1973) من أوائل المراجع التي توضح أسس النظام البنكي الإسلامي[349]. كلا العملين سوف يكونان من الوثائق المؤسسة لسياسة اقتصادية

346 –المرجع السابق ص 35

347 – المرجع السابق ص 141

348 – وكالة الانباء الفرنسية " البنوك الإسلامية مؤسسات تباهى بإيداعات تبلغ 260 بليونا من الدولارات" 25 ابريل 2004

349– حنا بطاطو " الحركات السرية الشيعية " صحيفة الشرق الأوسط 35 (خريف 1981) ع 4 ص 578

مساندة للرأسمالية ومناهضة للاشتراكية بشكل عنيف ومؤسسة للاقتصاد السياسي الإسلامي. ولم يكن مستغربا أن يساعد محمد باقر الصدر في خمسينات القرن العشرين في تأسيس حزب سرى إرهابي جهادي هو حزب الدعوة. تأسس حزب الدعوة كقوة معادية للشيوعية في بغداد وكان ينظم الطلبة العراقيين المحافظين ضد الماركسيين في الجامعة، وتلقى فيما بعد حسبما ذكر، مساندة السافاك (المخابرات السرية الإيرانية) التابعة للشاه من اجل إضعاف حزب البعث في العراق وقام بعمليات اغتيال وتفجيرات ضد الزعماء العراقيين استمرت لعدة عقود.

كان شريك الصدر في حزب الدعوة هو آية الله موسى الحكيم وهو مؤسس حزب سياسي اصولي عائلي آخر استمر لفترة أطول، سيقوم الموالون له بدور في النظام الذي أقامته الولايات المتحدة بالعراق سنة 2003 من خلال المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق. شارك الصدر والحكيم في تنظيم الجناح اليميني للإسلام السياسي في العراق أواخر خمسينات القرن العشرين. إن ما دفعهم إلى تنظيم حركتهم هو نمو الحركة اليسارية في العراق وقوة الحزب الشيوعي العراقي. كان الشيوعيون واليسار هم الأكثر قوة بين شيعة العراق المبعثرين سيما في أزقة بغداد المنتشرة التي يسيطر عليها الشيعة. وحسبما ذكر مسئول سابق في المخابرات المركزية الأمريكية:" كانت العضوية في المنظمات اليسارية خلال هذه الفترة من القوة إلى درجة أن احد المؤرخين لهذه الفترة يصف الحزب الشيوعي العراقي باعتباره الحزب السياسي الوحيد الذي يمثل الشيعة."[350]. كان اكثر ما يخيف الصدر والحكيم ان مئات الشباب من الشيعة سيما الذين في الجامعات كانوا يتغافلون انتماءهم للإسلام وينضمون للاشتراكيين والشيوعيين والبعثيين والناصريين. وبقيادة ابن الحكيم- مهدي الحكيم تم تنظيم حزب الدعوة طبقا لخطوط تنظيمية صارمة...وعمل الحزب بصورة سرية كخلايا صغيرة وعلى أساس شمولي ووفق آلية توريثية صارمة."[351]

كان لعدد كبير من رجال الدين العراقيين علاقات قديمة مع المخابرات البريطانية. فمنذ اكثر من قرن حافظت لندن على علاقاتها برجال الدين الشيعة في

---

350 – جراهام فوللر و رند رحيم فرانك " الشيعة العرب : المسلمون المنسيون (نيويورك 1999)ص 47
– فوللر مسئول سابق في المخابرات المركزية الأمريكية ومعروف عنه انه مدافع صريح عن الأصولية الإسلامية أما فرانك فهو الرئيس السابق للمؤسسة العراقية كان أول سفير للعراق لدى الولايات المتحدة يعين بعد سقوط نظام صدام حسين في عهد حكومة إياد علاوى المؤقتة سنة 2003
351 – المرجع السابق ص48

العراق وإيران، سيما هؤلاء الذين يقيمون فى مدينة النجف المقدسة بالعراق. ومنذ 1852 وحتى أوائل الخمسينات من القرن العشرين ومن خلال آلية تمويلية ذكية يطلق عليها "Oudh-Bequest" حافظت بريطانيا ومخابراتها على مئات من رجال الدين الشيعة فى النجف وكربلاء مدرجين على قوائم الاستحقاق .[352]

بعد الإطاحة بملك العراق الموالى لبريطانيا سنة 1958 بدأ كثير ممن يطلق عليهم آيات الله ينتظمون ضد اليسار العراقي والحزب الشيوعي العراقي. كانت هذه هي الفترة التي تأسس فيها حزب الدعوة بروابطه المباشرة مع الإخوان المسلمين فى مصر (رغم أن الإخوان المسلمين سنة بينما العراقيون شيعة[353]. فى سنة 1960 صدر بيان سني شيعي يمثل ما يطلق عليه الحزب الإسلامي الذى قام بهجوم حاد على الحكومة العراقية وحلفائها الشيوعيين وهى هجمة باركها آية الله الحكيم. يختتم اسحاق نقاش مؤلف (شيعة العراق) بان" الحكيم لم يكتف بتعضيد المذكرة ولكنه اصدر بنفسه فتوى يهاجم فيها الشيوعية بالاسم مؤكدا أنها لا تتفق والإسلام.[354]

كان التنظير الاقتصادي الصادر من آيات الله العراقيين المناوئ للشيوعية دافعا لأحد السعوديين الشبان ممن يشار إليهم بالبنان لإنشاء أول إمبراطورية بنكية: ذلك هو الأمير محمد الفيصل ابن الملك فيصل وشقيق الأمير سعود الفيصل وزير خارجية السعودية. قام الأمير محمد، "أمير العشور" مؤسس مجموعة الفيصل، الشبكة العالمية للبنوك الإسلامية بالتعاون مع صالح كامل الأخ غير الشقيق للأمير فهد (وريث العرش آنذاك) وهو بليونير انشأ إمبراطورية البركة البنكية. قاد الاثنان المبادرة من اجل التوسع السريع للإسلام الاقتصادي.

دشن كل من الأمير محمد الفيصل وصالح كامل وحلفاؤهم ليس فقط حركة النظام البنكي الإسلامي ولكنهم غيروا وجه الشرق الأوسط. لم يكن جميع البنكيين الإسلاميين سياسيين بل إن القليلين فقط هم الذين اتجهوا وجهة العنف التي انتهجها الجناح اليميني للإسلام السياسي. كانت بعض دوائر النظام البنكي الإسلامي تدار بواسطة بعض المسلمين المؤمنين غير المنتمين إلى هذا الجناح ممن انتهزوا الفرصة ببساطة لجني بعض المال، غير أن كثيرين آخرين كانوا اكثر تحمسا رأوا فى النظام البنكي الإسلامي وسيلة لتقدم قضية الإسلام السياسي الجهادي واستخدموا بنوكهم لمساندة الإخوان المسلمين وحلفائهم. ومع ذلك كان هناك آخرون ممن انشأوا

---

352 – للحصول علي معلومات وافية عن هذا النظام ينظر: أسحاق نقاش "شيعة العراق" – مطبعة جامعة برنستون 1994 ص ص 211– 229.

353 – فوللر وفرانك ص Fuller and Franck e48

354 – نقاش ص 135

بنوكا إسلامية أو استخدموا البنوك القائمة كواجهات آمنة للإرهاب وتجارة السلاح وغيرها من الأنشطة غير المشروعة.

من سوء حظ المخابرات المركزية الأمريكية وبنك سيتى بنك أنه كان من المستحيل التمييز بين ما إذا كان آيا منها يمارس هذا النوع من النشاط أو ذاك، كان التمييز بينها امرأ مستحيلا- وعادة ما عمل الثلاثة معا كتفا إلى كتف، المؤمن والسياسي والمتآمر.

كثير من قادة النشطاء الإسلاميين خلال العقود الأربعة الأخيرة كانوا منخرطين مع نظام البنوك الإسلامية سواء نظريا أو عمليا ولكن دائما تحت جناح الأمير فيصل. وكثير منهم ينتمي إلى الإخوان المسلمين. وكان سيد قطب أكثرهم تطرفا فى مصر، واعدم شنقا سنة 1966. كتب سيد قطب كتاب (العدالة الاجتماعية فى الإسلام) وهذا الكتاب له دلالة خاصة إذ يوضح كيف إن المسلمين الأصوليين يجب إن يهتموا بالجانب الاقتصادي. أما يوسف القرضاوى وهو من رجال الشريعة الإسلامية فى مصر واستقر فى قطر وهى احد مشيحات الخليج الوهابية وقام بعرض آراءه الدينية فى مجالس إدارات العديد من البنوك الإسلامية. ومن القيادات الأخرى للإخوان المسلمين الشيخ محمد الغزالي الذى لجأ إلى دول الخليج وكتب عن الاقتصاديات الإسلامية بما فى ذلك مؤلفه (الإسلام والقضايا الاقتصادية).

فى مصر كان الرجل الذى بدأ بداية جديدة هو احمد النجار وهو مصري تدرب فى البنوك الألمانية. فى سنة 1963 انشأ (بنك ميت غمر) ووصفه بأنه أول بنك اسلامى فى مصر والعالم[355]. بدأ بنك ميت غمر بمساعدة كبيرة من البنوك الألمانية، ومن خلال عائلة النجار وبمساعدة قوى أخرى داخل المخابرات المصرية.وقد حدث ذلك بشكل سرى، فلا الجمهور ولا الحكومة المصرية اخطروا بان المقصود هو إنشاء بنك اسلامى[356]. فى ذلك الوقت كان الإخوان المسلمون هم أعداء ناصر. وابتعد النجار- علنا على الأقل- عن الحركة السرية العنيفة للإخوان المسلمين. غير أنه كان بكل تأكيد متورطا، فالمقدمة التي كتبها لأحد مؤلفاته تصف تجربته باعتباره رائدا من رواد البنكية الإسلامية. كتبها جمال البنا شقيق حسن البنا مؤسس الإخوان المسلمين. يقول جمال البنا:" إن ما يميز الدكتور النجار عن غيره من الاقتصاديين بشكل رئيسي انه لا يعتبر الاقتصاد الإسلامي علما أو دراسة بل هو قضية لإيقاظ المسلمين ووسيلة لإعادة إحيائهم، ومن ثم فانه يعتبر أن الاقتصاد

---

355 - سامر سليمان" نموذج البنوك الإسلامية فى مصر " فى هنرى وولسون ص 267

356 - سليمان ، فى هنرى وويلسون ص 267

الإسلامي هو جوهر رسالته[357] وكتب النجار نفسه يقول إن السبب الرئيسي الذى دفعه لإقامة أول بنك اسلامى هو" إنقاذ الهوية الإسلامية التي كانت قد أخذت تضمحل فى مجتمعنا....تمهيدا للانحراف باتجاه الماركسية." وهاجم النجار ناصر بشدة وأبدى ألمه بزعم أن المصريين كانوا يخجلون من الإسلام ويفخرون بالاشتراكية أو الوطنية" ويستطرد النجار قائلا" غير أنني لم أكن استطيع أن أكشف عن أهدافي الحقيقية."[358]

كان الإخوان المسلمون منخرطين بعمق فى عمل الدكتور النجار وكثير من أعضائهم استثمروا أموالهم فى المشاريع التي بدأت مبكرا."[359] فى سنة 1967 اصبح واضحا أن الإخوان المسلمين قد وضعوا أيديهم فعلا على ميت غمر وأغلق البنك. يقول منذر كاف " إن التجربة المصرية الخاصة بالبنكية الإسلامية تحللت فى الستينات لأن دعاة الإحياء الإسلامي وأعضاء الإخوان المسلمين السابقين اخذوا يخترقونها كعملاء ومودعين وربما موظفين أيضا."[360] في قمة ازدهارها اصبح لدى هذا البنك تسعة فروع ومائتين وخمسين ألفا من المودعين.ولكن النجار فى مذكراته يلوم عبد الناصر لأنه كان السبب فى حل البنك. توجه النجار متخفيا إلى السودان حيث استقبل هناك بحفاوة من قبل الإخوان المسلمين. " إن المجتمع فى السودان(اى مجتمع الإخوان المسلمين) هو مجتمع متوافق مع الإسلام وهو مجتمع مدني ديمقراطي" هكذا كتب النجار هناك مشيرا إلى أن مرافقه هناك هو حسن الترابي مرشد الإخوان المسلمين فى السودان الذى اعتلى السلطة أواخر السبعينات.[361] حينما أطيح بالحكومة السودانية بواسطة جعفر النميرى الذي يدين بالولاء لناصر هرب النجار وتوجه إلى ألمانيا والعربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وماليزيا، داعيا إلى إنشاء البنوك الإسلامية. وخلال عقود ثلاثة اخذ يتنقل من دولة إلى أخرى حالما يافتتاح بنك اسلامى." كان مروجا لفكرة البنكية الإسلامية لدى كل من يستمع أليه. "حسبما يقول عبد القادر توماس مؤسس مجلةجريدة التمويل

---

357 – جمال البنا – مقدمة مخطوط غير منشور ل" احمد النجار" ترجمة رباح الفتوح و عبد القادر توماس

358 – النجار– مخطوط غير منشور – الفصل الثالث

359 – محمد ماللى:" عواقب التمويل الاسلامى السياسية فى الأردن" ورقة أعدت بمناسبة الاجتماع السنوي لمؤسسة دراسات الشرق الأوسط –سنة 2001 (جامعة تكساس – أوستن

360– منذر كاف "بزوغ قوى تحالف جديدة" هنرى وويلسون ص19

Monzer Kahf,"The Rise of a New power Alliance," in Henry and Wilson

361 – مخطوط غير منشور – الفصل الرابع

الاسلامى الامريكية"American Journal of" Islamic Finance وعمل مع سيتى بنك – فرع التمويل الإسلامي فى البحرين. وحينما قامت منظمة المؤتمر الإسلامي بمساندة السعودية وإنشاء البنك الاسلامى للتنمية فى جدة سنة 1975 كان النجار هناك. كان البنك الاسلامى بمثابة الجد للبنوك الإسلامية وساندته السعودية وليبيا والكويت والإمارات العربية المتحدة وبعده قام بنك اسلامى آخر هو بنك دبي الاسلامى (1975) ثم دار التمويل الكويتي (1977) والبنك الاسلامى فى السودان (1977) وبنك الأردن الاسلامى من اجل للتنمية والتمويل (1978) والبنك الاسلامى فى البحرين(1978)

تمكن النجار من حشد أهم تابعيه عندما نجح فى إقناع الأمير محمد الفيصل وصالح كامل بعملية إنشاء البنوك الإسلامية. يقول توماس:" كان هو نفس الرجل وكانت نفس اللقاءات التي نظمها وحضراها فى السبعينات. كانت أفكارهما متماثلة لأنه هو الذى ألهمهما، وبدءا معا فى نفس التوقيت الزمني، كما عمل معهما من نفس الأشخاص كثيرون."[362] حسبما ذكر النجار كان أول من قابله هو الأمير محمد فى اجتماع المؤتمر الاسلامى للتنمية أوائل السبعينات."[363]

بدأت إمبراطورية الأمير محمد الفيصل الخاصة بالبنوك الإسلامية مع إنشاء بنك فيصل الاسلامى فى مصر سنة 1976. من بين كل البنوك الإسلامية كان بنك فيصل الاسلامى المصرى هو أكثرها استيفاءا للإجراءات الرسمية وأدقها بناءا. وأنشئ له مجلس للشريعة تم اختيار أعضائه بعناية من بين رجال الدين الموثوقين. وانشأ الأمير فيصل أيضا الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية كما وضع مرجعا للبنوك الإسلاميةHandbook of ISLAMIC bANKING وأقام شبكة عالمية اسماها (مجموعة فيصل)، وضمت هذه المجموعة كل أو جزء من بنوك: الأردن الاسلامى، بنك فيصل الاسلامى فى السودان،ومؤسسة فيصل للتمويل فى تركيا(1985). فى 1981 عقد مؤتمر قمة اسلامى فى الطائف فى المملكة العربية السعودية، وضع الأمير محمد الفيصل تفاصيل دار المال الاسلامى فى جزر البهاما ومركز عملياتها فى جنيف، ويشارك فيها مساهمون من 10 بلدان تشمل البحرين وباكستان وتركيا والدنمرك ولكسمبرج وغينيا والسنغال والنيجر"[364] فى خلال هذه الفترة كان صالح

---

362 – بربارا دريفوس مقابلة مع المؤلف – أغسطس 2004

363 – Najjar, النجار مخطوط لم ينشر الفصل التاسع .

364 –RichardLabeviere,Dollars for Terror: The United States and Islam (New York, 2000), p240

كامل يقيم إمبراطوريته الخاصة (مجموعة البركة) – وصالح كامل سعودي الجنسية وهو بليونير ينتمي إلى العائلة المالكة عن طريق المصاهرة، كان يتولى الإشـــراف على ملتقى سنوي يحضره عشرات من الاقتصاديين والبنكيين حيث يلتقون وعلماء الشريعة الإسلامية."[365]. وفى الأزهر (مركز العلوم الإسلامية لألف عام) أنشأ مـــا يطلق عليه " مركز صالح كامل للدراسات الاقتصادية الإسلامية". وكان الذى يتولى إدارة شركة البركة للاستثمار والتنمية عضوا قياديا فى الإخوان المسلمين [366]كمـــا كانت فروعها فى السودان وتركيا وغيرها تعمل فى ارتباط وثيـــق مـــع الإخـــوان المسلمين.

خلال السبعينات والثمانينات وجدت كل من دار المال الاســـلامى ومجموعـــة البركة حلفاء لها فى لندن ونيويورك وهونج كونج وسويسرا ومراكـــز ماليـــة فـــى أماكن أخرى مثل البهاما وجزر التمساح. يقول إبراهيم كامل نائب رئـــيس مجلـــس إدارة دار المال الاسلامى وعضو التنظيم الدولي لرجال الإدارة المتميزين، يقول فى مؤتمر تشاوري (كونفرنس) عقد فى بادن بادن فى ألمانيا الغربية أن وجود مركـــز عمليات دار المال الاسلامى فى جنيف ما كان ممكنا لولا المســـاعدة التـــي قـــدمها برايس ووتر هاوس:" إن الأشخاص الذين أوضحوا طبيعة البنوك الإسلامية للجنـــة البنوك السويسرية هم برايس ووترهاوس الذى كان يراجع عملنا منذ اكثر من ثلاثة سنين". فى الواقع عقدت عشرات المؤتمرات التشاورية فى مراكز مالية غربية مـــن اجل مناقشة الأنظمة البنكية الإسلامية وشارك فيها مؤسسات أكاديميـــة محترمـــة. وعلى سبيل المثال شاركت جامعة هارفارد ببرنامجها الإعلامي بخصوص عمليـــة التمويل الاسلامى، وساهم فى تمويل هذا الملتقى كل من الدوائر البنكيـــة الغربيـــة والإسلامية.

لقد أعدت البنكية الإسلامية الآلية التي تتيح الجمع بين المحـــافظين الأغنيـــاء والنشطاء الإسلاميين وعلماء الشريعة الإسلامية اليمينيين فى إطار بيئة واحدة ممـــا يمكن من تقوية الثلاثة معا. فالبنوك الإسلامية تقدم الآليـــة التـــي تمكـــن الإحيـــاء الاسلامى من التقدم. خلال الحرب الباردة لم يقدم احد فكرة أن البنـــوك الإســـلامية يمكن أن يكون لها آثار وبيلة على المجتمعات الشرق أوسطية وأنها يمكن أن تكون

---

365 – Kahf, in Henry and Wilson, p. 24

366 – Andre Stiansen, Interest Politics: Islamic Finance in the Sudan, 1977-2001, "in Clement and Henry, p.157

سلاحا يرتد ضد الغرب. يشير تيمور قرآن المؤلف التركي لكتاب (الإسلام والمأمون) إلى أن "الاقتصاديات الإسلامية قد أدت إلى انتشار ظاهرة(معاداة الحداثة) وأنها قد تؤدى فى بعض جوانبها إلى انتشار التيارات المعادية للغرب عبر العالم الاسلامى."[367]

وتوضح كتابات منذر كاف وهو اسلامى راديكالي سوري حصل على درجة الدكتوراه من جامعة آوتاه وتخرج من جامعة دمشق ودرس الشريعة الإسلامية- توضح كتاباته إلى اى حد أدت البنكية الإسلامية إلى انتشار الإسلام السياسي. فمنذ 1975- 1980 قام كاف بإدارة الشئون المالية للجمعية الإسلامية فى شمال أمريكا وهى مؤسسة إسلامية أصولية جهادية تتخذ من إنديانا مقرا لها ولها اتصالات وثيقة بالإخوان المسلمين. فبعد إن عمل لفترة زمنية فى الإعمال البنكية في نيويورك اتجه إلى العمل لصالح (المؤسسة الإسلامية للبحوث والتدريب) التابعة للبنك الاسلامى للتنمية فى جدة خلال الفترة 1985-1999. ومنذ ذلك الحين شغل كاف منصب مستشار ومحاضر فى شئون التمويل الاسلامي فى كاليفورنيا وكتب عن هذا الموضوع باستفاضة.

فى ورقة قدمت سنة 2002 فى ملتقى هارفارد بخصوص التمويل والنظام البنكي الاسلامى يصف كاف كيف إن البنوك الإسلامية الكبيرة قد تمكنت من إقامة تحالف سياسي اقتصادي مع العلماء من رجال الدين: " إن الاتصالات الرسمية المنتظمة بين البنوك الإسلامية وعلماء الشريعة جاءت خلال التحضيرات الجارية لتأسيس البنوك الإسلامية فى مصر والأردن فى النصف الثاني من السبعينات.

عندما ظهرت أنواع جديدة من الاستثمارات الدولية الإسلامية كان عليهم أيضا إن يجلبوا علماء الشريعة بالرغم من أنها كانت تدار بواسطة رجال بنوك ووسطاء ومراكز استثمار غربية ليحوزوا القبول والشرعية.

إن اللقاءات العديدة والمقابلات والمؤتمرات والكونفرنسات التي تمت منذ منتصف السبعينات فى أركان الأرض الأربعة قد عززت اكثر فأكثر هذا التحالف بين البنكيين الإسلاميين وعلماء الشريعة الإسلامية وطورت علاقات العمل المتبادلة.

من وجهة نظر العلماء فان هذا التحالف الجديد قد أعادهم مجددا إلى المسرح السياسي فى الوقت الذى كانوا يتطلعون فيه إلى ذلك بشوق كبير. وبالإضافة فان هذا التحالف يعطى العلماء موردا جديدا لزيادة دخولهم ويفتح لهم نافذة على نوع

367- نيويورك تيمز 12 أغسطس 2004

جديد من الحياة يتضمن رحلات جوية قد تكون أحيانا على طائرات خاصة والإقامة فى فنادق خمسة نجوم ويجعلهم فى مركز اهتمام وسائل الإعلام بما يتيح لآرائهم إن تذاع مما يتيح للشخصيات ذوى المراتب الرفيعة اقتصاديا واجتماعيا إن يهرعوا لسماعهم، بالإضافة الى هؤلاء الذين يتطلعون إلى إن يقوموا بدور الوساطة ويحصلون على مقابل لفتا ويهم.... لقد أصبحوا فى حقيقة الأمر مشهورين فى بلادهم المحترمة وحتى خارج حدودها.

إن هذا الحلف قد خلق جوا يتيح لفتاويهم وللحركة الإسلامية السياسية وللحكومات فى الدول الإسلامية خاصة العربية مما يعطى للفتاوى مذاقا سياسيا اكثر طزاجة."[368] ويعنى كاف بالفتاوى اسلمة المجتمع اجتماعيا وسياسيا فى العالم الاسلامى. ويضيف كاف أن علماء الشريعة الذين عينوا فى المجالس الاستشارية وغيرها من الوظائف كانوا يختارون بعناية شديدة، والمبالغون فى الراديكالية لا يقبلون من جانب المسئولين الحكوميين العاديين أو رجال البنوك الغربيين ويتم تجنيبهم. كذلك كان العلماء الذين يحظون برضاء الحكومة.[369]

إن هذه العملية قد خلقت طبقة جديدة تماما وثرية من الإسلاميين اليمينيين ولهم منافذهم إلى المال والإعلام.

تصحير الكويت

تمدنا حالة الكويت بخبرة نموذجية حية فيما يتعلق بكيفية نجاح البنوك الإسلامية فى تغيير الشرق الأوسط. هنا نجد نموذجا واضحا لكيفية تطور العملية الخاصة بنظام البنوك الإسلامية أو ما نطلق عليه البنكية الإسلامية. إن بنكا واحدا أو عدة بنوك إسلامية تشكل رأس حربة، فالبنك يؤدى وظيفة المركز الرئيس الاقتصادي لرجال الإعمال من الإخوان المسلمين وغيرهم من نشطاء الإسلاميين. والبنك ينشئ قاعدة للأتباع المخلصين بينما يبنى تحالفات مرنة مع السياسيين سواء

---

368 - منذر كاف ورقة مقدمة فى ملتقى هارفارد حول نظام البنوك والتمويل الأسلامى ، جامعة هارفارد،6- 7 ابريل 2002. Monzer Kahf " Strategic Trends in the Islamic Banking and Finance Movement.

369 - المرجع السابق

كانوا دينيين أو علمانيين. وتستمد المنظمات الإسلامية مزيدا من القوة من قوة البنك الاقتصادية ومن المؤسسات الإسلامية بما فى ذلك المساجد ومؤسسات البر ومؤسسات الإعمال وتحقق النجاح نتيجة لذلك. وهكذا تظهر طبقة جديدة من الإسلاميين الأغنياء تساعد فى تمويل الإخوان المسلمين والجبهة السياسية الإسلامية.

على خلاف السعودية المتأثرة بالمذهب الوهابي، كانت الكويت الدويلة الصغرى الغنية اكثر ليبرالية وتحررا. ولكن فى السبعينات التقت العائلة المالكة مع اليمين الاسلامى ومع الجماعات البنكية الإسلامية وتعاونوا معا فى المعركة ضد الحركة الوطنية الناشئة. ونتيجة لذلك حدث تغير جذري فى إمارات الخليج كافة. وكان مركز هذه الجهود بنكا إسلاميا يطلق عليه(دار الكويت التمويلي). لم تكن الكويت أبدا ملاذا للإسلاميين، فالحركة الوهابية الجهادية التي سيطرت على العربية لصالح آل سعود وكان لديها نفوذ فى قطر وأجزاء من الإمارات العربية المتحدة لم تجد لها فى الكويت موطئ قدم قط. فالعائلة المالكة التي سيطرت عليها وصلت إلى السلطة بقوة الأسلحة التي حصلت عليها من بريطانيا. وكانت عموما فيما يبدو قانعة بنصيبها. ولكنها فى واقع الأمر كانت مهزوزة، مصنوعة، مقتطعة من الأقاليم الجنوبية للعراق ومن الإمبراطورية العثمانية وخلقت عمدا لتصبح مركزا بريطانيا فى الخليج ولتضاعف إنتاجه البترولي لصالح شركة البترول البريطانية وشركة بترول الخليج. وطالب عدد من الحكومات العراقية أن تضع يدها عليها، وأمكن المحافظة على وجودها الهش ضد التدخل العراقي مرتين على الأقل بفضل القوات البريطانية سنة 1961عند حصولها على الاستقلال، ثم بقوات التحالف التي تقودها الولايات المتحدة سنة1991. وحتى بعد سنة 1961 كانت تعتمد على العاملين البريطانيين وضباط الجيش وخبراء البترول الانجلوامريكان، وكانت الترتيبات مرضية لكافة الإطراف: الانجلوامريكان لهم كل الحق فى الحصول على بترول الكويت والعائلة المالكة ستقبل شاكرة حمايتها وحصة مناسبة من العمليات. مع ذلك كانت الكويت مجتمعا علمانيا إلى حد كبير. فى الخليج كان معروفا عن الكويت تقاليدها اللبرالية نسبيا ووجود برلمان ينعقد أحيانا ولا ينعقد أحيانا أخرى، وكانت وسائل إعلامها مستقلة فى الغالب والمناقشات السياسية فيها منتعشة إلى حد ما، ذلك أن العدد الضئيل من سكانها كان يفضل ألا يعمل إذا لم يكن مضطرا. كانت الكويت تستورد مئات الألوف للعمل فيها من الدول العربية واسيا سيما من الفلسطينيين. وكانت هذه هي المشكلة.

يلاحظ تالكوت سيبلى الذى كان مبعوث وزارة الخارجية الأمريكية إلى الكويت فى أواخر الخمسينات:" كانت الكويت مركزا للاستماع إلى القومية العربية. كانت الناصرية العلمانية هي القوة السياسية شبه المسيطرة فى ذلك الحين وكان الاسلاميون فى الظل." ولقيت الثورة العراقية سنة 1958 التي قام بها الشيوعيون والوطنيون، لقيت تعاطفا كبيرا فى أنحاء الكويت بما فى ذلك أقلية من عائلة آل الصباح المالكة. يتذكر سيبل:" أتذكر بينما كنت جالسا مع الشيخ جابر آل صباح وهو حاكم الكويت الآن، انه حينما ذكرت اسم ملك العراق، أشار بيده إشارة تدل على أن الملك عليه أن يرحل." وذكر سيبلي انه حتى ذلك الحين كان هناك عدد كبير من الفلسطينيين الذين تجمعوا فى الكويت " كانت الكويت مجتمعا علمانيا إلى حد كبير ولكن البريطانيين كانت لهم السيطرة"[370]. خلال الستينات كانت الحكومة الكويتية بالرغم من أنها لا يمكن تصنيفها باعتبارها مثل دولة المدينة اليونانية إلا أنها كانت من اقل دول الشرق الأوسط شمولية. كان الفلسطينيون الذين يشكلون عددا كبيرا من القوة العاملة فى الكويت ومن المهنيين بالإضافة إلى الطلاب كانوا قوة هامة بينما لم يكن للإسلاميين ويمثلهم الإخوان المسلمون، سوى تأثير ضئيل فى ذلك الحين. يقول احد الدبلوماسيين الأمريكان وكان يعمل فى المخابرات المركزية الامريكية:" كنت معتادا على حضور اجتماع المجلس الوطني وكنت استمتع دائما بما يقوله المحافظون الاسلاميون الذين كانوا دائمي الانتقاد لآل الصباح، ولكنهم لم يكونوا معلما بارزا كما لم يكونوا منظمين. كان هناك دائما الأخوان المسلمون القادمين من مصر لكن لم أكن أظن أبدا أن" الجانب الاسلامى كان مؤثرا."[371]

عدد كبير من الفلسطينيين التقدميين فى الكويت جاءوا من صفوف الحركة القومية العربية التي أسسها فى الأربعينات جورج حبش الذى سوف يؤسس فيما بعد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. القوميون العرب كانوا ليبراليين وعلمانيين تلقوا دعما من ناصر ومن حزب البعث العربى الاشتراكي الذى كان له عضوية يعتد بها بين الفلسطينيين فى بيروت وعمان والكويت. يقول مسئول سابق آخر فى المخابرات المركزية الأمريكية ممن كان لهم تعاملات مع بعض القيادات الفلسطينية: " فى سنة 1968 عندما تأسست الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين كان جميع أعضائها من القوميين العرب: وقد تحدثت فى ذلك الحين مع الكثير ممن كانوا ينتمون إلى

---

370 - Talcott Seelye فى مقابلة مع المؤلف – يونيو 2004

371 – مسئول سابق فى المخابرات المركزية الامريكية فى مقابلة مع الؤلف – يونيو 2004

حركةالقوميين العرب[372].القوميون العرب مجرد تعبير واحد عن القومية العربية والعروبة الشاملة التي بدأت تجذب أعضاء لها من الكويت خلال الخمسينات والستينات أولا من بين المهاجرين العرب الذين يعملون فى الكويت ثم توسعوا لتشمل العضوية مواطنين كويتيين متميزين بل ويكتسبون تأييدا بين عدد من أعضاء الأسرة الحاكمة فى الكويت. فى منتصف السبعينات أزعجت القوة التي يتمتع بها القوميون العرب فى الكويت، أزعجت فرع قبيلة آل صباح. ومثلما حدث للسادات فى مصر اخذوا يتطلعون إلى مساندة الإسلاميين.

إننا ندين لكريستين سميث مؤلفة الكتاب الذى يتناول احد الدراسات الهامة واللامعة التي توضح حكاية كيف استطاع بنك اسلامى أن يحدث تغيرا فى الكويت وكيف انه من اجل المساعدة فى إحداث تحول فى الكويت حشد اليمين الاسلامى [373] قواه المالية إلى جانب القوى الاوليجاركية الحاكمة التي شعرت بأنها أصبحت مهددة، تقول كريستين: " قامت الحكومة الكويتية التي أزعجها مزيج من بيانات المعارضة ونمو التجمع الفلسطيني المجتمعي للعاملين الفلسطينيين فى الكويت، قامت الحكومة سنة1976 " بحل البرلمان لأول مرة منذ التحرير وأخذت تلتمس المساعدة من حلفاء جدد لمجابهة القومية العربية فوجدت ضالتها فى القوى الإسلامية."[374]

وإذ تطلع الكويتيون إلى الإسلاميين فقد تمثلوا ما سبق أن حدث فى الأردن حينما ساعد الإخوان المسلمون الملك حسين على سحق التمرد الفلسطيني. فهذه الدولة الصغيرة– التي أقامها ت.لورنس وتشرشل والمكتب العربى التابع للمخابرات البريطانية– وينحدر ملكها من سلالة الأسرة الهاشمية، كانت قد استضافت عددا كبيرا من اللاجئين الفلسطينيين. وبعد عدة سنوات من التوتر اشتعلت هناك حرب أهلية سنة 1970. وفى مذبحة يتذكرونها باسم (أيلول الأسود) حشد الملك حسين الجيش البدوي فى الأردن ليهزم الانتفاضة الفلسطينية، والقي الإخوان المسلمون بثقلهم فى المعركة ضد منظمة التحرير الفلسطينية من اجل مساندة الملك. هكذا فكر حكام الكويت حيث استنتجوا أن اليمين الاسلامى يمكن أن يزود المشيخة الخليجية (الكويت) بمساندة هامة ضد القوميين العرب والفلسطينيين الوطنيين.

---

372 - المرجع السابق

373 – Kristin Smith ,"The Kuwait Finance House and the Islamization of Public Life in Kuwait," in Henry and Wilson,pp.168-90

374 – المرجع السابق ص 172

فى ذلك الوقت لم تكن النساء الكويتيات يرتدين الحجاب فعلا. وكان معظم من يرتادون المساجد من كبار السن. وفى الجامعات الكويتية كان الرجال والنساء يتلقون العلم معا جنبا إلى جنب. وكان معظم الكويتيين يعتقدون أن الدين أمر هام فى الحياة الخاصة والأنشطة الثقافية ولكن ليس فى السياسة. لم يكن الإسلام السياسي له وجود فى الكويت سوى وجود محدود رغم أن الإخوان المسلمين كانوا منظمين بشكل جيد من خلال الجمعيات الخيرية التي تأسست سنة 1962.

فى منتصف السبعينات ضم آل الصباح أيديهم إلى ايدى الإخوان المسلمين. وحينما تصاعد الضغط السياسي من جانب القوميين العرب ومؤيدي منظمة التحرير وسائر الكويتيين الذين كان قد تم إزاحتهم من السلطة بواسطة عائلة آل صباح، قام آل صباح بإلغاء القوانين المثيرة للضجة، قوبل حل البرلمان بالتأييد من جانب الإخوان المسلمين والمجتمع الاصلاحى وعين رئيسهم وزيرا للأوقاف فى الحكومة الكويتية. وبدورها ساعدت هذه الوزارة وشجعت على إقامة مؤسسة بنكية بدون فوائد وهى (دارالتمويل الكويتية) سنة 1977 ويجرى إدارتها على أساس النظرية التي تقول أن القرآن يحرم الفوائد على القروض. وهى النظرية التي يرفضها علماء الإسلام المحدثين. كان الاسلاميون فى الكويت، يساندهم الإخوان المسلمون فى مصر يضغطون من اجل إقامة مثل هذا البنك منذ أوائل السبعينات. وفجأة ما بين ليلة وضحاها نمت هذه المؤسسة لتصبح كما لو كانت اكبر بنوك الكويت تحت رعاية آل صباح.

أقيمت دار التمويل الكويتية بمساهمة حكومية تبلغ 49% من رأس المال وحظيت بمعاملة خاصة لا تحظى بها البنوك الأخرى خاصة فيما يتعلق بالإعفاء من قواعد البنك المركزي كما حظيت بوضع احتكاري خاص بصفتها البنك الاسلامى الوحيد فى الكويت....إن دار التمويل الكويتية هى التعبير الدقيق عن تحالف الأمر الواقع بين الأسرة الحاكمة والحركة الإسلامية. منذ ذلك الحين اصبح التمويل الاسلامى فى الكويت يجسد النمو المستمر لاسلمة الحياة العامة فى الكويت تحت الملاحظة الدقيقة والمستمرة من جانب الحكومة الكويتية.[375]

كذلك كان لدار التمويل الاسلامى الكويتية تأثير آخر فقد تخطت النخبة التجارية الكويتية والتجارة الخاصة التي رفضت سيطرة آل صباح على هذه الأمة الصغيرة. كان عدد كبير من الطبقة التجارية قد جذبتهم الحركة القومية فى معارضة

375 – المرجع السابق ص 169

آل صباح غير انه حيل بينهم وبين الانخراط فى سوق التمويل الإسلامية، وحشدت الحكومة الكويتية بدلا من ذلك بدو الصحراء ضد التجار. كانت قبائل البدو هي القوة التي استخدمها الملك حسين ضد منظمة التحرير الفلسطينية وبدو السعودية هم أيضا قلب القوى الأكثر رجعية فى المملكة العربية السعودية.

أطلق احد الأساتذة الكويتيين البارزين (البروفيسور شفيق جبرا) أطلق على عملية تصاعد نفوذ البدو فى الكويت "عملية التصحير":

" لقد نضج الزواج بين قيم البدو وقيم الحركة الإسلامية. لقد نزحت معظم قبائل البدو من الهامش الذى كانت تعيش فيه إلى المقدمة فى المطالبة بالاعتراف الاجتماعي والمساواة المجتمعية وهما من الأسس التي يقوم عليها الإسلام. ومن صفوفهم صعد عدد من الإسلاميين الشعبيين ذوى النفوذ...عملية التصحير هذه حسبما يطلق عليها المفكر البحريني محمد أنصارى هي من اكثر العمليات تدميرا فى الشرق الأوسط. فهي تحط من قدر التحديث فى المجتمع الحضري إذ تجلب إليه اكثر قيم الصحراء محافظة ومزجها بالشعبية الإسلامية."[376]

كان آل صباح مستعدين أن يذهبوا في مغامرتهم إلى ابعد مدى من اجل تشجيع الإسلاميين ضد اليسار. وهكذا كان. بعد أن قرر آل صباح ذلك أصبحت مسألة إعادة البرلمان شيئا لا خوف منه. وسرعان ما اهتبل الاسلاميون الفرصة حيث حصلوا على مقعدين فى انتخابات1981 والمزيد فيما بعد. كتب جبرا قائلا:" فى انتخابات 1981 هزمت القوى العربية الشمولية من قبل الإسلاميين الذين اصبحوا القوة السياسية الوحيدة المنظمة فى البرلمان."[377] لم يكن أيا من هذا بطبيعة الحال نتيجة انتفاضة محلية إسلامية مشروعة، بل كان النتيجة المباشرة " لقرار اتخذه حكام الكويت ويؤيده بيت التمويل الكويتي.

كان من شان هذه الدرجة من النمو التي بلغها بيت التمويل الكويتي تعزيز نمو الإسلاميين فى الكويت بداية من 1977 فصاعدا. كان معروفا فى الكويت أن بيت التمويل الكويتي يمول الإسلاميين السياسيين تمويلا نوعيا ويضع موارد ضخمة تحت تصرف دعايتهم الانتخابية". كتبت كريستين سميث تقول:" المال، الضياع، الوظائف.... من اجل التأثير فى الانتخابات."[378] وقد أعلن أن هذه الصيغ قد

376 – شفيق جبرا" الدولة المتوازنة والمجتمع: الحركة الإسلامية فى الكويت"(السياسة الشرق أوسطية – مايو1977– ص ص 61-62

377– مرج سابق ص 60

378 – سميث–* هنري وويلس ص 178

استخدمت فى التجمعات والمظاهرات. واندرجت قوة العمل الهائلة فى حملات الإسلاميين. وأصبحت دار التمويل الكويتية كذلك ملاذا لمئات المؤسسات الخيرية الإسلامية المرتبطة عادة بالجماعات الإسلامية. بعض الأموال التي استخدمت لتمويل الجماعات الإسلامية فى مصر وأفغانستان والجزائر قد تم تحويلها من دار التمويل الكويتية. كما حولت بشكل مباشر الأموال من دار التمويل الكويتية لصالح الجمعيات الخيرية والجماعات الاجتماعية التي يديرها الاسلاميون أو على الأقل فان واحدة من هذه الجمعيات الخيرية المرتبطة مباشرة بدار التمويل الكويتية كانت حسبما أعلن مرتبطة بالقاعدة."[379]

وفرض بيت التمويل فصلا صارما بين الذكور والإناث وأنشئت خارجه مؤسسات "تدار على أساس القواعد الإسلامية " كالمباني والمحال التجارية الكبيرة والمدارس وكلها منظمة طبقا للمبادئ الصارمة الأشد محافظة. كانت لها قرون استشعار فى كل مكان.

أعطت دار التمويل الكويتية اهتماما خاصا للتعليم. ونظمت رحلات إليها وخصصت جوائز لتشجيع الطلاب على دراسة الاقتصاديات الإسلامية وإقامة المباريات الإسلامية (حفظ القرآن) وما شابه وإنشاء المدارس الإسلامية الخاصة، ومن خلال مجلتها الشهرية الخاصة (النور) التي توزع قرابة 10 آلاف نسخة[380] تستطيع دار التمويل الاسلامى الكويتية أن تتواصل مع المجتمع.

عجل وجود دار التمويل التى أضحت مؤسسة بليونية، عجل من انتشار الإسلام السياسي اليميني فى الكويت التي كانت من قبل علمانية. واستطاع الاسلاميون أن يسيطروا على اتحاد المدرسين ووزارة التعليم وتغيرت إصداراتها لتجارى هذا التحول الديني. كذلك سقطت وزارة الإعلام تحت نفوذ الإسلاميين وأصبحت برامج التلفزيون اكثر محافظة وتحت الرقابة. وروقبت الكتب بينما أغرقت البلاد سيول من النشرات والشرائط التي تفرض وجهات نظر الإسلاميين والوعاظ الإحيائيين الجدد."[381]

---

379 – المرجع السابق– إحدى المؤسسات الخيرية الكويتية أدرجت ضمن القائمة التي أعدتها الحكومة الأمريكية للمنظمات التي يشتبه فى إن لها صلات باسامه بن لادن حسبما ذكر تقرير للاسوشييتد برس فى 29 ديسمبر 2001 بعنوان" الكويت تسائل مؤسسة خيرية فما يتلق بتمويل الإرهابيين.

380 – سميث –"هنرى وويلسون"ص 81

381 – جبرا ص 61

إن تصحير الكويت هو مثل واحد على مدى التأثير الذى بلغته قوة اليمين الاسلامى المدعم بالأموال. غير أن ما كان يبدو فى الظاهر أعمالا رأسمالية فى نظر المخابرات المركزية الأمريكية والكثير من الحكام فى الشرق الأوسط، كان له جانبه المظلم الذى يتبدى فى النمو الاسطورى للإسلاميين تحت الأرض الذين وجهوا السخط ليس فقط ضد اليسار والوطنيين بل وكذلك ضد الولايات المتحدة والغرب وحلفائهم من العرب فى الشرق الأوسط.

إن مؤسسات الإسلام الاقتصادي من بنوك ومؤسسات تمويل وجمعيات خيرية أنشاها الإخوان المسلمون وحلفاؤهم فى الخليج قد ساعدت على بذر بذور هذا الجيل الجديد من الإسلاميين بمن فيهم قادة القاعدة.

غير أن الولايات المتحدة والعربية السعودية وباكستان استمروا فى استخدام الإسلام اليميني فى حساباتهم السياسية الخارجية وتبعتهم بلدان أخرى. فى أواخر السبعينات بينما كانت الولايات المتحدة تمهد الأرض من اجل الجهاد ضد الاتحاد السوفييتي فى أفغانستان، كان اثنان من حلفائها: إسرائيل والأردن يدشنان جهازا مصغرا لصالحهما باستخدام اليمين الإسلامي ضد سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية.

*

الفصل الثامن

إسلاميو إسرائيل

فيما يبدو لم يكن وضع الولايات المتحدة في الشرق الأوسط في أفضل حالاته أمنا مثلما كان أواخر السبعينات. ولم يعد هناك مما يطلق عليه دولا رافضة سوى عدد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة (العراق، سوريا، ليبيا فضلا عن منظمة التحرير الفلسطينية)، وقفت خارج الإمبراطورية الأمريكية الناشئة. كانت الولايات المتحدة في وضع هجومي، وبالتعاون مع حلفائها بمن فيهم إسرائيل ومصر والاردن وملكيات الخليج حاولت الولايات المتحدة أن تضعف وتعزل سائر الرافضين وإضعاف تأثيرهم في المنطقة بل ومحاولة إحداث تغييرات في أنظمة المنطقة مستخدمة في ذلك مزيجا من التهديدات والإغراءات والرشاوى. وجد عضوان من الكتلة المناوئة للولايات المتحدة وهما سوريا ومنظمة التحرير وجدا نفسيهما مواجهين بحروب أهلية متزامنة ضد قوى يقودها الإخوان المسلمون واليمينيين الإسلاميين. من جانبهم كان الإخوان المسلمون مؤيدين من جانب اثنين من حلفاء الولايات المتحدة هما إسرائيل وإيران. وتكتيكيا ساندت الولايات المتحدة حلفاءها في تصعيد حالة عدم الاستقرار الذي يتسبب فيه الاسلاميون ضد دمشق وضد ياسر عرفات. وتصاعدت الجهود الاسرائيلية الأردنية في مساندة الإخوان المسلمين في أواخر السبعينات واستمرت خلال الثمانينات. خلال هذه الفترة بدأ اليمين الاسلامي يستعرض سماته الراديكالية والمعادية لأمريكا، الأمر الذي سوف يؤدي فيما بعد إلى المرحلة الموسومة بالإرهاب المرتبطة بأسامة بن لادن.

خلال الفترة من 1979- 1981 تفجرت معا الأحداث التالية: انقلاب اسلامي معادي في إيران يستولي على السلطة- تمرد اسلامي كبير في السعودية- اغتيال السادات بواسطة إرهابيين مرتبطين بالإخوان.ولكن قبل ذلك وخلاله وبعده، تتابع عمان وإسرائيل سياستهما غير المحسوبة في مساندة الجماعات المتحالفة مع الإخوان المسلمين في سوريا وفلسطين. وبالرغم من انه لا يوجد دليل على أن الولايات المتحدة كانت متورطة في الجهود الاسرائيلية الأردنية إلا انه طبقا لمسئولين أمريكيين خدموا في الشرق الأوسط خلال هذه الفترة، فان المخابرات

المركزية الأمريكية كانت تتابع هذه التطورات وكان هؤلاء المسئولون على علم بما تفعله إسرائيل والاردن. ولم يحدث قط أن طلبت منهما الولايات المتحدة ألا يقوما بذلك.

قد يبدو مثيرا للدهشة أن دولة يهودية ودولة علمانية ملكية يضمان قواهما إلى الإسلاميين الأصوليين. ولكن فى كل من عمان وإسرائيل كان ينظر إلى الإخوان المسلمين بخبث باعتبارهم سلاحا ضد سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية .

فى سوريا كان الإخوان المسلمون يقومون بهجمات منظمة، إرهاب،تمرد وحرب إرهابية ضد سوريا خلفت وراءها آلافا من القتلى. ومنذ بداية 1976 حتى أواخر الثمانينات ساعدت إسرائيل الإخوان المسلمين ليبنوا قوتهم فى الاراضى المحتلة. ساعدت احمد ياسين زعيم الإخوان المسلمين فى إنشاء حماس مراهنة بذلك على أن طبيعتها الإسلامية سوف تدفعها إلى إضعاف منتظمة التحرير، وكذلك كان، بالرغم من أنها تبادلت إطلاق النار بطريقة دفعت مؤيدي حماس الى عدم الاعتداد بذلك مما تمخض عنه ظهور جماعة إرهابية قامت فى خلال التسعينات بتفجيرات إرهابية أدت إلى قتل المئات من اليهود الإسرائيليين. معا أطلقت إسرائيل والاردن عنان الوحش.

حماس التي دربتها إسرائيل

يعلق شارلس فريمان وهو دبلوماسي امريكى مخضرم وسفير سابق للولايات المتحدة فى السعودية: " كان هذا مشروع الشين بت (وكالة المخابرات الاسرائيلية المحلية) التي كانت تشعر بأنها يمكن أن تستخدمهم فى تهذيب منظمة التحرير الفلسطينية"[382]

ومع أنها أنشئت سنة 1987 إلا أن جميع المنتمين إليها كانوا من الإخوان المسلمين سيما من قطاع غزة. فى بداية حرب 1967 واحتلال إسرائيل للقطاع والضفة الغربية انتعش الاسلاميون بمساندة كل من إسرائيل والاردن. من الناحية الرسمية كان الإخوان المسلمون يخضعون فى الناطق المحتلة لإشراف الإخوان المسلمين فى الأردن وكانت حماس جزءا لا يتجزأ من المنظمة.

---

382 – شارلس فريمان مقابلة مع المؤلف يوليو2004

تعود جذور حماس إلى ثلاثينات القرن العشرين حين بدأ نشاطها مع نشاط الحاج أمين الحسيني مفتى القدس الموالى للنازي (ولبريطانيا كذلك).لم يكن الجانب الفلسطيني من كفاح الحاج أمين الحسيني طوال هذه الفترة يضم فى تكوينه الكثير من الفلسطينيين. كان المفتى قد التقى مبعوثي حسن البنا سنة 1935. وكانت جمعية المكارم بالقدس فى فلسطين ويديرها الإخوان المسلمون قد أنشئت سنة 1943[383]، ولكن عددا كبيرا من المسلمين الوطنيين الذين سوف يصبحون قادة فى الحركة العلمانية غير الإسلامية من اجل إنشاء دولة فلسطينية قد انجذبوا فى ذلك الوقت إلى الإخوان المسلمين، وعندما بدأت فروع الجماعة تمتد إلى عمان وعدة مدن سورية منها حلب وحماه ودمشق، وكذلك غزة والقدس والرملة وحيفا وغيرها من المدن. افتتح أول مقر للجماعة في القدس سنة 1945 بواسطة سعيد رمضان. وفى سنة 1947 اصبح للجماعة 25 فرعا تضم حوالي 25 ألف عضو[384]. فى أكتوبر 1946 وكذلك 1947 عقد الإخوان المسلمون اجتماعا إقليميا فى حيفا حضره مندوبون من لبنان والاردن داعيا إلى نشر فروع الجماعة فى كل إنحاء فلسطين.[385]

فى أيامها الأولى كان للحركة شعبتين. فى غزة كانوا تابعين للمركز الرئيسي للإخوان فى القاهرة. وفى الضفة الغربية وهى المنطقة التي ألحقت بالإدارة الأردنية بعد سنة1948 ألحقت الشعبة بفرع الإخوان المسلمين فى الأردن. فى سنة 1950 اتحد الفرعان فى غزة والضفة الغربية ليشكلوا معا جماعة الإخوان المسلمين فى الأردن. كانت جماعة ضعيفة ومحافظة وطورت بشكل متزايد علاقات وثيقة بملك الأردن وكانت تلقى الاحتقار من جانب الوطنيين.[386]. وبدورها شجعت العائلة المالكة نشطاء الإخوان المسلمين حيث رأوا فيها قوة يمكن أن تحقق توازنا مع القوى الأخرى من شيوعيين ويساريين وفيما بعد العناصر المتعاطفة مع الناصريين والبعثيين. كان مؤسس الإخوان المسلمين وقائدهم التنظيمي فى الأردن هو أبو قرة وهو تاجر غنى لا يعنيه سوى نفسه. كان لقرة علاقات مع رجال إعمال سوريين فى عمان ومع البنا ورمضان فى مصر. ومنح الملك عبد الله الإخوان وضعا قانونيا

---

383 – خالد حروب حماس: أفكارها السياسية وممارساتها (واشنطن – مؤسسة الدراسات الفلسطينية 2000) ص 15.

384 – زياد ابو عمرو الأصولية الإسلامية فى الضفة الغربية وغزة 1994 ص 3.

385 حروب ص 16.

386 – المرجع السابق ص 20.

بوصفهم تنظيم خيري على أمل إن يحتفظ بتأييدهم تجاه المعارضـــة العلمانيـــة.[387].
غيران الملك كان ينظر إلى الإخوان ببعض الريبة ولكنه كان يأمل فى التعاون معهم بما يمكن أن يحفز زعامته الدينية من الناحية القانونية. كان أبوه هو شـــريف مكـــة سابقا وهو رجل لورنس الذى كان لا يزال يحظى بشعبية- ولكن مشـــكوكا فيهـــا- باعتباره من سلالة النبي محمد. وبالرغم من أن ذلك اخذ يتضاءل إلا انه ظل كمـــا فعل حفيده الملك حسين يعمل كل ما فى وسعه من اجل المحافظة عليها.

مثلهم مثل اليمين الاسلامى فى كل مكان كان الإخوان المسلمون فـــى مصـــر يعارضون الشيوعية ويدعون أن " مصر والعالم الاسلامى سوف يصـــبحون فـــى القرن العشرين عرضة لتهديد الإيديولوجية الشيوعية والقومية التـــي تتكـــر ســـيادة الشريعة[388]. كان الإخوان المسلمون قوة موالية مؤيدة للملك حسين وتعارض بشدة القومية العربية. وقاعدتها الاجتماعية فى الأردن مغروسة بـــين العـــائلات الغنيـــة وملاك الأرض الذين يرون فى الاشتراكية وتوزيع الأرض تهديدا فعليا لهم. وحينما قام سليمان النابلسي رئيس وزراء الأردن سنة1957،وهو يســـاري متـــأثر بعبـــد الناصر، حينما قام النابلسي باستعراض للقوة كاد أن يودى بالنظام الملكـــي وقـــف الإخوان المسلمون إلى جانب الملك وأنقذوا عرشه. يكتب بولبى قائلا:" مـــن هـــذه اللحظة فصاعدا كان هناك تفاهم متبادل غير موثق يقضى بالتعـــايش بـــين الملـــك والإخوان "[389]كتب يوسف العظم وهو من قيادات الإخوان فى الأردن يقـــول:"لقـــد اتفقنا مع الملك لان ناصر شن عليه هجوما غير معقول، وكذلك من اجـــل حمايـــة أنفسنا لأنه إذا استولى أنصار ناصر على السلطة فانه سيصفى الإخوان المســـلمين فى الأردن كما فعل فى مصر "[390]. واتت مساندة الإخوان المسلمين فى الأردن فى لحظة حرجة فعلا. فنجم ناصر وحلفائه كان فى صعود بينما أطيح بملـــك العـــراق (وهو أيضا من العائلة الهاشمية) وكانت سياسة الولايات المتحدة قد اتجهت بحســـم ضد مصر.وفى سنة 1958 أرسلت الولايات المتحدة قواتها إلى لبنان وأرسل الجيش البريطاني إلى الأردن والكويت لوقف المد الوطني وشارك الإخوان فى ذلك. بينمـــا كان الشيوعيون والبعثيون والناصريون يقمعون بواسطة الملك كان يجرى تشـــجيع الإخوان المسلمين على النزول بمرشحيهم فى انتخابات البرلمان الاردنـــى ويفـــوز

387 – ماريون بولبى الإخوان المسلمون وملوك الأردن– اطلنطا –كاليفورنيا 1999 ص ص 37– 43.

388 – المرجع السابق ص 43

389 – المرجع السابق ص 61

390 – مقتبس من ابو عمرو ص 5

مرشحوهم بمقاعد فى القدس ونابلس وغيرها من مدن الضفة الغربية. وقدم الجيش الاردنى أيضا التدريبات لقوات الإخوان المسلمين شبه العسكرية[391]. وفى غزة التي أصبحت فيما بعد قاعدة قوية لحماس غرس الإخوان المسلمون جذورهم بين الطلاب الفلسطينيين القادمين من القاهرة والكويت.وانشأ الإخوان المسلمون رابطة الطلبة الفلسطينيين الذين سيهجر كثير من قادتهم فيما بعد الإسلاميين ويشكلون قلب منظمة التحرير الفلسطينية بما فيهم ياسر عرفات وصلاح خلف وإخوان حسان[392].

وفى غزة التي كانت فى ذلك الوقت تحت الإدارة المصرية شعر الأخوان المسلمون بالقلق حينما قام الرئيس عبد الناصر بسحق تنظيمهم بالقاهرة. فى يوليو سنة 1957 كتب خليل الوزير وهو احد قيادات منظمة التحرير الفلسطينية فيما بعد، اقتراحا بان" يقوم الإخوان المسلمون بتأسيس تنظيم خاص لهم إلى جانب التنظيم الحالي بحيث لا يكون له لون اسلامى ظاهر أو برنامج ولكن له هدف واضح هو تحرير فلسطين". ومن هذه اللحظة فصاعدا أصبحت الحركة الفلسطينية منقسمة، فمن جانب هناك الوطنيون وهم الذين يتفقون مع الوزير، الذين وضعوا أسس إنشاء حركة التحرير الوطني الفلسطينية أو فتح خلال الفترة 1958-1959. ومن جانب آخر هؤلاء الذين فضلوا الاستمرار مع الإخوان المسلمين، الذي رفضوا الالتحاق بفتح، وفى 1960 عارضوا بصراحة التنظيم الجديد [393]أما فتح التي بدأت حرب العصابات بالهجوم على إسرائيل سنة 1965 فهي تضم الوطنيين الفلسطينيين وتتفق أحيانا نشئ من الضيق مع وجهة النظر الناصرية بشأن القومية العربية. ومن ناحية أخرى ظل الإخوان المسلمون فى معسكر اليمين المحافظ بالتحالف مع ملك الأردن وبمساندة العربية السعودية والكويت ومشيخات الخليج التي ستصبح عاجلا مستقلة. وقد تراجعت عضوية الإخوان المسلمين بحدة بين الفلسطينيين وكانت قد وصلت آلافا عديدة خلال الأربعينات. والفضل فى هذا التراجع يعود إلى ظهور القومية العربية التي أصبحت هي الصيحة التي تلتف حولها الجماهير فى الشرق الأوسط. وحققت الأحزاب الموالية لناصر والشيوعيين والبعث وفتح مكاسب عندما تراجعت عضوية الإخوان المسلمين فأصبحت لا تتعدى الألف فى الضفة الغربية والألف فى غزة وذلك قبل أن تنشب حرب 1967 مع إسرائيل. بينما كان وجود الإخوان

---

391 – حروب ص ص 21-23

392 – مسئول سابق فى المخابرات المركزية الأمريكية خدم فى الكويت فى خمسينات القرن العشرين وعرف الكثيرين من قادة منظمة التحرير الفلسطينية – مقابلة مع المؤلف 2004

393 – حروب ص ص 21-23

المسلمين مقبولا فى الضفة الغربية من قبل السلطات الأردنية إلا انه تم قمعهم فى غزة بواسطة نظام عبد الناصر.

كانت هذه هي الفترة التي ظهر فيها لأول مرة احمد ياسين بوصفه الطبعة الأصولية من الإخوان المسلمين وسوف يحظى بتأييد إسرائيل فى السبعينات والثمانينات وسوف يقوم بتأسيس حماس سنة 1987 [394]. فى سنة 1965 تعتقله المخابرات المصرية فى احدى الحملات التي تقوم بها سلطات عبد الناصر. وبعد 1967 تغيرت الأوضاع بعد أن سيطرت إسرائيل على الضفة الغربية وقطاع غزة، فأفرج عن ياسين. يقول شاؤول ميشال وأفراهام سيلا، وهما من العلماء الإسرائيليين، فى مؤلفهما " حماس الفلسطينية":

كانت إسرائيل اكثر تسامحا فيما يخص النشاط الاجتماعي والثقافي الاسلامى، ولأن قطاع غزة والضفة الغربية كانتا تخضعان لحكومة واحدة فقد اصبح ممكنا تجديد اللقاءات بين النشطاء الإسلاميين فى كلتي المنطقتين، وهذا بدوره مهد الطريق لتطوير أنشطة إسلامية تنظيمية مشتركة....فى أواخر الستينات ظهرت أنشطة إسلامية تنظيمية مشتركة، وتم تأسيس منظمة " اتحاد الإخوان الفلسطينيين (المسلمين)"... وشهدت الستينات نمو الاتصالات بين الإخوان المسلمين فى المناطق التي تحتلها إسرائيل وسكان إسرائيل من العرب، وادي هذا إلى قيام شخصيات قيادية من الإخوان المسلمين فى الضفة الغربية وغزة مثل الشيخ ياسين بزيارة مجتمعات المسلمين الموجودة فى إسرائيل من الخليل إلى النجف للوعظ وليؤموا صلاة الجمعة."[395]

سرعان ما ستثمن إسرائيل الشيخ ياسين والإخوان المسلمين وتجد فيهم حلفاء نافعين ضد منظمة التحرير الفلسطينية.

فى سنة 1967 بدا الإخوان المسلمون يقيمون بنيتهم التحتية تحت سمع وبصر السلطات الاسرائيلية البالغة القوة. وقامت الجمعيات الخيرية وازدادت الأوقاف ثراء، وهى تسيطر على 10% من كل عقارات غزة، وقامت مئات المشاريع واستثمرت آلاف الأفدنة من الأرض الزراعية. ومثلما كان يحدث فى مصر والسودان وغيرها بعد 1967 كان يجرى اسلمة الفلسطينيين. (حسب النمط الإخوانى) ومنذ 1967

---

394 – شاؤول ميشال وابراهام سيلا حماس الفلسطينية نيويورك 2000 ص 17

395 – المرجع السابق ص 18

حتى 1987 زاد عدد المساجد فى القطاع من 200 إلى 600 وفى الضفة من 400 إلى 750 مسجدا.[396]

فى سنة 1970طردت منظمة التحرير من الأردن بعد هزيمتها فى الحرب الأهلية التي نشبت فى الأردن فى سبتمبر. وساند الإخوان المسلمون فى الأردن الملك حسين وجيشه البدوي ضد منظمة التحرير وساعدت إسرائيل الملك حسين مهددة الجيش السوري إذا قام باى عمل لمساندة منظمة التحرير. فى نفس العام طلب احمد ياسين زعيم الإخوان فى غزة، طلب من الإدارة العسكرية الاسرائيلية الإذن بإقامة تنظيم ورفض طلبه، غير انه بعد مرور ثلاثة سنوات وتحت عيون "الشن بت " التي لا تغفل أسس احمد ياسين المركز الاسلامى وهو جماعة إسلامية متخفية فى رداء ديني شفاف. وبدأ الشيخ احمد ياسين فى السيطرة على اكثر من مائة مسجد. عملت هذه المساجد إلى جانب الجمعيات الخيرية والمدارس كمراكز للتجنيد ومراكز للتنظيم السياسي للإسلاميين. فى 1976 انفصل المركز الاسلامى عن الاتحاد الاسلامى ويضم مجموعة من الأعضاء وله فروع فى كافة أنحاء قطاع غزة. ونمت الحركة.

تم التأييد الرسمي للإسلاميين من جانب إسرائيل بعد 1977 حينما صدم حزب حيروت، حزب مناجم بيجين وكتلة الليكود حزب العمل الاسرائيلى بفوزهم فى الانتخابات العامة. فى سنة 1978 أجازت حكومة بيجين رسميا الاتحاد الاسلامى برئاسة احمد ياسين. كان ذلك جزءا من حملة شاملة ضد منظمة التحرير الفلسطينية. كانت الحرب الأهلية تقرع أبواب لبنان حيث كانت إسرائيل تؤيد المليشيا المسيحية المارونية التي كانت تقاتل الفلسطينيين. فى الضفة الغربية والقطاع حاول بيجين أن يقلل من النفوذ القوى لمنظمة التحرير الفلسطينية بطريقتين: الأول تقوية الحركة الإسلامية والثانية خلق ما يطلق عليه اتحادات القرى، وهى مجالس محلية يديرها فلسطينيون مناهضون لمنظمة التحرير الفلسطينية، يتم اختيارهم بعناية من قبل السلطات العسكرية الاسرائيلية. وحقق احمد ياسين والإخوان المسلمون نفوذا كبيرا بين اتحادات القرى. كان ما يقرب من 200 من أعضاء اتحادات القرى قد أعطوا تدريبا شبه عسكري بواسطة إسرائيل وتمكنت الشين بت من تجنيد عدد كبير من جامعي المعلومات من خلال شبكة المعلومات.[397] أما مجالس القرى نفسها التي

396- أبو عمرو ص 17

397 - راى حنانيا طفل شارون الارهاب مجلة كاونتر بانش 18-19 يناير 2003

كان يديرها خونة فقد كان مآلها الفشل والاحتقار من جانب الفلسطينيين فى الأرض المحتلة. ولكن الإخوان المسلمين استمروا فى تحقيق مكاسب على حساب كل من منظمة فتح والمنظمات اليسارية كالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين:

يستشهد ديفيد شيلر وهو مراسل سابق للنيويورك تايمس بأقوال الحاكم العسكري لغزة وهو يفخر بان إسرائيل تمول الإسلاميين بالمساعدات ضد منظمة التحرير الفلسطينية:

" من الناحية السياسية يمكن القول أن الإسلاميين الأصوليين كان ينظر إليهم من جانب إسرائيل على أنهم مفيدون لها حيث كان لهم تناقضاتهم مع العلمانيين من مؤيدي منظمة التحرير، وكانت تنشب بين الجانبين باستمرار فى جامعات الضفة الغربية خلافات عنيفة. اخبرني ذات مرة الحاكم العسكري الاسرائيلى لقطاع غزة البريجادير جنرال ايزاك سيرجيف كيف تم تمويل الحركة الإسلامية كثقل معادل لمنظمة التحرير والشيوعيين:" لقد اعطتنى الحكومة الاسرائيلية ميزانية والحكومة العسكرية أعطت المساجد ". فى سنة 1980 حينما أشعل الأصوليون النار فى مبنى جمعية الهلال الأحمر التي يرأسها الدكتور حيدر عبد الشافي وهو مؤيد للشيوعيين ومنظمة التحرير الفلسطينية لم يفعل الجيش الاسرائيلي شيئا، وتدخل فقط عندما توجهت الجماهير إلى منزله وبدا أنها تهدده شخصيا."[398]

لم تكن إسرائيل وحدها هي التي تساند احمد ياسين والإخوان المسلمين.فالشخصيات الرئيسية فى السعودية أيضا كانت تريد أن تغض من شان العلمانيين ومنظمة التحرير كما ساهم رجال الإعمال السعوديين الأغنياء فى تمويل ياسين بالرغم من أن قدرته على العمل فى غزة كانت تستند على حسن نوايا السلطات الاسرائيلية. كانت اتصالات ياسين مع الإخوان المسلمين فى الأردن فعالة فى تمكينهم من إقامة علاقات وثيقة مع المنظمات الإسلامية فى السعودية التي قامت فى السبعينات والثمانينات بتزويد الجمعيات الإسلامية بمساعدات مالية سخية."[399] ومع ذلك كانت الحكومة السعودية لا تزال لديها شكوكها فى ياسين وكانت على وشك أن تبحث فى مسالة وقف المساعدات الخاصة للحركة التي يقودها ياسين. وربما من اجل بناء الثقة مع اسلاميى السعودية المحافظين وأعضاء الحركة الوهابية من الأسرة المالكة هاجم الإخوان المسلمون منظمة التحرير الفلسطينية بدعوى

398 – ديفيد شيلر العرب واليهود : نفوس جريحة فى ارض الميعاد نيو يورك 1987 ص 187

399 – ميشال و سيلا ص 21

نظرتها اللادينية. زعم الإخوان أن منظمة التحرير " لا تخدم الله" وأعلن ياسين أن "منظمة التحرير علمانية، وانه لا يمكن القبول بها كممثلة للشعب الفلسطيني ما لم تصبح إسلامية."[400]

في ذلك الوقت لم يكن يبدو محتملا أن يكتسب الإخوان أرضا بين الفلسطينيين، ذلك أن كثيرا من الفلسطينيين كانوا مسيحيين ولا سبيل لهم مع منظمة تريد إن تنشئ دولة إسلامية. وكان الفلسطينيون أيضا من ضمن اكثر الشعوب العربية حداثة وتعلما وتأثرا بالغرب. ولأنهم في الشتات فقد كانوا كثيري الإسفار ولهم ارتباطات جيدة في كافة إنحاء العالم العربي والولايات المتحدة وأوربا فضلا عن الاتحاد السوفييتي، وفوق ذلك كله فهم وطنيون. وعلى الناحية الأخرى كان من طبيعة الإسلاميين الفلسطينيين أن يعارضوا الوطنية وان يعارضوا تأسيس دولة لفلسطين وان يركزوا بدلا من ذلك على ضرورة اسلمة فلسطين والعالم العربي أولا. غير انه بين الفلسطينيين نما شعور بالإسلامية طالما أن إسرائيل تواصل قمعها لمنظمة التحرير، الأمر الذي دعا الجماهير في الضفة وغزة إلى البحث عن البدائل.

كان دبلوماسيو الولايات المتحدة والمخابرات المركزية الأمريكية على علم بان إسرائيل تشجع الإسلاميين في المناطق المحتلة. تقول مارتا كيسلر وهي من كبار المحللين السياسيين في المخابرات المركزية ممن كانوا على علم مسبق بأهمية الحركة الإسلامية والتهديد الذي يمكن إن تمثله بالنسبة لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة [401]، تقول كيسلر:" لقد رأينا إسرائيل تزرع الإسلام كبديل للوطنية الفلسطينية."

ولكن لا المخابرات المركزية الأمريكية ولا الإدارة الأمريكية وبيروقراطية الأمن القومي في واشنطن حاولت إيقاف ذلك. كان هناك انقسام بشأن ما يعنيه ذلك. فقد رأى فيه البعض شيئا لا بأس به أو مفيدا، ورأى البعض الآخر انه ضار بينما راى آخرون ببساطة أنه شيء لا يعنيهم، وان الإسلامية لن تجتذب أتباعا لها من بين الفلسطينيين. تقول كيسلر:

" لم يستخدم الإسلام الراديكالي أو التطرف – على الأقل مبكرا على نحو ما كان عليه الأمر في أماكن أخرى، فكثير من الفلسطينيين في الشتات كانوا متعلمين،سفسطائيين،وعلمانيين ولم يتحركوا تجاه الإسلامية الراديكالية ألا في وقت متأخر. وقد شجعها الإسرائيليون بشكل هادئ قليلا بالرغم من أنهم لم يكونوا

---

400 – أبو عمرو ص ص 29– 31

401 – مارثا كيسلر مقابلة مع المؤلف ابريل 2004

مسئولين عنها بشكل كامل فأنهم لم يهاجموها وسمحوا لها بان تترعـــرع، وحينمـــا اتضح لهم أنه يمكنهم أن يناوروا ليدفعوا بالإسلاميين للإضرار بفـــتح فقـــد كـــانوا يفعلون. وكانوا يتعاملون مع الشخصيات الدينية باحترام.[402]

يقول ديفيد لونج، وهو خبير سابق فى شئون الشرق الأوسط فى مكتب التخابر والبحوث:" لم أكن أدرك أنهم سوف ينتهون إلى خلق وحش. غير أنى لا أظن انـــه كان يتوجب عليك أن ترتبك بسبب إحتمالات التعصب."[403] فقد كنـــا نقـــوم بـــذلك بالتحديد فى هذه الأثناء، فى سوريا وإسرائيل والاردن.

الهدف: دمشق

فى السبعينات كانت إسرائيل والاردن من الناحية الاصطلاحية فى حالة حرب مع بعضهما البعض، ولكن الواقع انه كان يوجد بينهما علاقات معقدة وتعاون مـــن خلف الستار.كان الملك حسين ضمن الذين تدرجهم المخابرات المركزية الأمريكيـــة فى قائمة الاستحقاقات أى الذين تؤدى لهم مبالغ مالية معينة. وكانت هناك علاقـــات بين المخابرات الاسرائيلية والأردنية وان لم تكن مما توصف بالدافئة إلا أنها على الأقل من الناحية المهنية كانت سليمة. حسبما يقول فيليـــب ولكـــوكس [404]- وهـــو مسئول سابق كفء كان يعمل فى العلاقات الخارجية الأمريكية- كـــان لكـــل مـــن إسرائيل والاردن كذلك عدو مشترك هو سوريا.

كان الرئيس السوري حافظ الأسد يقف على ارض إسلامية. صحيح انه كان زعيما علمانيا وبعثيا ولكنه كان أيضا عضوا فى أقلية دينية فى سوريا هي طائفـــة العلويين وهى شبه شيعية، كان ينظر إليها نظرة ازدراء من قبل بعـــض الإخـــوان المسلمين الأكثر تطرفا. وتعد غير إسلامية من قبل علماء الوهابية. وربما اكثر من اى بلد آخر كان الإخوان المسلمون فى سوريا على درجة عالية من التنظيم وتتغير نظرتهم تبعا لذلك ولهم مراكز قادرة على الحركة والاستطلاع سواء فى المنـــاطق السنية التي يسيطرون عليها مثل حمص وحلب وحماة أو فى المنفـــى فـــى ألمانيـــا وسويسرا ولندن حيث يوجد قادة الإخوان المسلمين.

---

402 – الرجع السابق

403- ديفيد لونج مقابلة مع المؤلف ابريل2004

404 - فيليب ولكوكس مقابلة مع المؤلف مارس 2004

كانت جماعة الإخوان المسلمين فى سوريا احد الفروع المبكرة لحركة حسن البنا فى مصر. واستمد الإخوان المسلمون فى سوريا عضويتهم من بين صفوف الطلاب السوريين الذين عادوا من الأزهر بالقاهرة فى أواسط الثلاثينات وأسسوا عدة فروع فى المدن السورية الرئيسية باسم شباب محمد. وأصبحت حلب فى شمال سوريا بمثابة المركز الرئيسي للإخوان المسلمين فى سوريا منذ 1935.[405] فى سنة 1944 انتقل المركز الرئيس إلى دمشق بقيادة مصطفى السباعي وهو من خريجي الأزهر وكان صديقا لحسن البنا. فى الخمسينات حينما هاجم ناصر الإخوان المسلمين لجأ عدد منهم إلى سوريا. ولكن حينما انتقلت سوريا إلى المعسكر القومي، عن طريق التحاقها أولا بناصر كجزء من الجمهورية العربية المتحدة، ثم بعد أن أصبحت تحت حكم البعث فى الستينات وجد الإخوان المسلمون سوريا اقل ترحيبا بهم. فى سنة 1964 قاد الإخوان المسلمون حركات تمرد ضد حزب البعث تحت شعار " الإسلام أو البعث". فى سنة 1967 خلال وبعد هزيمة سوريا فى حربها مع إسرائيل، أعلن اكثر أجنحة الإخوان المسلمين تطرفا الجهاد ضد الحكومة السورية، ولكن بعد سنة 1973 عندما أعلن الأسد دستورا جديدا علمانيا لسوريا يصفها بأنها "دولة ديمقراطية شعبية اشتراكية " بلغ عداؤهم وحقدهم على النظام أشده. بعد ذلك تفجرت المظاهرات الإسلامية العنيفة.[406]

فى أواسط السبعينات تفجرت الحرب الأهلية اللبنانية العنيفة فى لبنان جارّة إسرائيل وسوريا إلى حمأتها وشن الإخوان المسلمون هجوما شاملا على الحكومة السورية. بداية من 1976 قام الإخوان المسلمون بسلسلة من الاغتيالات والهجوم بالقنابل وغيرها من إعمال العنف فى العديد من المدن بما فيها دمشق. فى لبنان بلد الجوار كانت سوريا مشغولة فى حرب بالوكالة مع إسرائيل فى حمأة الحرب الأهلية. فى لبنان برهن الإخوان المسلمون أنهم قوة شديدة العداء للأسد واتهموا النظام السوري بأنه نظام يقوده " مسلم مزيف" وأعلنوا الجهاد ضده وتولى قيادة حملتهم عدنان سعد الدين وهو عضو سابق فى جماعة الإخوان المسلمين المصرية وقامت طليعتهم المحاربة وهى ذراعهم شبه العسكري السري باغتيال الموظفين البعثيين وشخصيات علوية وعملاء فى المخابرات ومرشدين بالإضافة إلى مستشارين عسكريين سوفييت يعملون فى سوريا. وتدريجيا أخذت الأزمة تتصاعد

---

405 – ديليب هيرو الحروب المقدسة–نيويورك 1989 ص Dilip Hiro , Holy Wars87

406 – يورد هيرو فىالفصل الرابع بيانا مفصلا عن تطور الإخوان المسلمين فى سوريا خلال الفترة من ثلاثينات القرن العشرين وحتى خلال الفترة من 1976 حتى 1982 فترة الحرب الأهلية فى سوريا.

فى مظاهرات عنيفة وإضرابات ثم هجمات إرهابية كبيرة. فى يونيه 1979 هاجمت عصابة من ارهابيى الإخوان مدرسة عسكرية فى حلب وقتلت 83 من طلبتها أو حبستهم داخل بناية وأطلقت عليهم أسلحتها الأوتوماتيكية وقنابلها الحارقة. فى العام التالي حاول الإخوان المسلمون اغتيال الأسد وردت الحكومة بهجوم مضاد غير محدود. فى سنة1980 تأسست ما يطلق عليها الجبهة الإسلامية لسوريا،موحدة حزب التحرير الاسلامى بجناحيه الأخوان المسلمين والجماعات الأصولية الإسلامية الأخرى. سنة 1981 تصاعدت المعركة ففي نوفمبر قتل 200 شخص جراء انفجار هائل.[407]

من اجل تنفيذ مثل هذه العمليات المدبرة بإحكام ضد دولة مشهورة بجهازها الامنى اعتمد الإخوان المسلمون على المساندة التي تلقوها من الأردن وإسرائيل كليهما. ولم يعط البلدان عناية تذكر للمحافظة على سرية المساعدات التي قدماها، فأقاما معسكرات لتدريب مقاتلي الإخوان المسلمين فى شمال لبنان وشمال الأردن بالقرب من الحدود السورية، وقامت إسرائيل بإرسال مساعداتها للإخوان عبر لبنان وذهب جزء منها إلى قوات لبنان الحرة وهى جيش خاص معظمه من المسيحيين وجزء منه شيعي وميليشيا من جنوب لبنان تحت إدارة الرائد سعد حداد وهو ضابط متمرد من الجيش اللبناني ويتمتع بشخصية كاريزمية. فى سنة 1978 فى غمرة الحرب الأهلية اللبنانية أرسلت إسرائيل 20 ألفا من قواتها لاقتحام لبنان. وعند انسحابها تركت جزءا من لبنان تحت سيطرة جيش سعد حداد الذى ظل متحالفا مع إسرائيل حتى أواسط 1980.وفى سلسلة من الاتصالات أوائل الثمانينات كان حداد يفاخر بأنه كان يدرب الإخوان المسلمين. وعلى سبيل المثال [408] :

" بالأمس افتتح قائد جيش لبنان الحر الرائد سعد حداد معسكر التدريب السابع للإخوان المسلمين فى مكان ما من لبنان الحر حيث كان يتدرب حوالي 200 فرد معظمهم من السوريين وبعض اللبنانيين الذين حضروا هذه الدورة. وفى خطابه حث الرائد حداد المتدربين على أن يتدربوا على حرب العصابات حتى يمكنهم مع أحزابهم أن يحرروا سوريا من النظام العلوى....وأضاف الرائد قائلا:" إن التدريب الذى سوف تتلقونه هو تدريب من النوع العالي المستوى ويشتمل على فن مفاجأة

407 – هيرو – الفصل الرابع

408 – هيئة الإذاعة البريطانية موجز إذاعات العالم – مقتطفات من صوت الأمل – بالعربية – مرجعيون 29 سبتمبر 1981

العدو وهو غير متوافر فى اى مكان آخر فى المنطقة أو حتى على مستوى العالم."[409]

فى الحقيقة كان التدريب الذى يوفره سعد حداد بمساندة إسرائيل متاحا على الأقل فى مكانين آخرين فى ذات اللحظة: شمال الأردن والمنطقة المارونية المسيحية المغلقة فى لبنان حيث كان الفالانج وهى مليشيا شبه فاشية تديرها قبيلة الجميل الموالى للنازية وتساندها إسرائيل، وهناك كانت تدار معسكرات الإخوان المسلمين استعدادا للحرب فى سوريا.

كذلك كان الأمر بالنسبة للمعسكرات فى الأردن وتدار بنفس المستوى من العلنية. فى سنة 1981 شجب وزير الخارجية السوري الملك حسين قائلا:" إن سياسة الملك حسين قد دفعته إلى تحويل الأردن إلى قاعدة لعصابة من القتلة والمجرمين، الإخوان المسلمين من اجل ممارسة الضغط على سوريا وإرباكها."[410] بعد أسبوعين القي الأسد خطابا مطولا انتقد فيه الأردن بمرارة لمساندتها الإخوان المسلمين فى هجماتهم الإرهابية التي قاموا بها فى سوريا:

" إن المشاكل التي خلقها الإخوان المسلمون قد أخذت تظهر اكثر فأكثر فى سوريا. من الطبيعي أن يكون الإخوان المسلمون على علاقة تاريخية أساسية بسلسلة الرجعيين الامبرياليين فى المنطقة....وكان من الطبيعي لعصابة الإخوان المسلمين أن تنفذ الأوامر وان تجد كل الأسلحة اللازمة والتدريب والتسهيلات التمويلية فى منطقة الأردن....لقد القينا القبض على مجرمين ينتمون لعصابة الإخوان المسلمين فى سوريا وعلى الحدود السورية الأردنية واخبرونا أنهم كانوا فى الأردن حيث تلقوا كميات من الأموال والأسلحة وبطاقات هوية مزورة."[411] وبعد شهر ذكر عبد الله عمر – وهو احد قياديي حزب البعث فى سوريا – أن سوريا لديها الدليل على أن الإخوان المسلمين كانوا يتلقون المساعدة من الأردن ومن عصابات الفالانج فى لبنان الذين تساندهم إسرائيل وامبريالية الولايات المتحدة الأمريكية.[412] بعد التفجير الذى حدث فى دمشق وأدى إلى مقتل المئات اتهمت سوريا الإخوان المسلمين بأنهم يعملون " عملاء لإسرائيل"[413]

---

409 – هيئة الإذاعة البريطانية – موجز الإذاعات العالمية – مقتطفات من راديو دمشق 28 فبراير 1981

410 – هيئة الإذاعة البريطانية موجز إذاعات العالم مقتطفات من راديو دمشق 11 مارس 1981

411 – هيئة الإذاعة البريطانية موجز إذاعات العالم مقتطفات من راديو دمشق 10 ابريل 1981

412 – هيئة الإذاعة البريطانية 4 ديسمبر 1981موجز الإذاعات العالمية– مقتطفات من راديو دشق

413 – ستيفن ستراسر مجلة نيوز ويك 14 ديسمبر 1981

كانت اتهامات كل من الأسد وعمر صحيحة:

" أعلن في الولايات المتحدة عن حجم الهجمات في سوريا. وظهر في النيوزويك كاستثناء نادر الحدوث. " خلال السنوات الخمس الماضية اغتال الإخوان المئات من العلويين من أعضاء حزب الأسد، حزب البعث الحاكم ومعهم أقرباؤهم ومنهم طبيب الأسد الخاص وعدد من المستشارين السوفييت". وقالت النيوزويك:" اتهم الأسد الأردن بإعداد الملاذ والتدريب للإخوان السوريين."[414] ولكن في معظم الأحوال كانت حملة الإخوان المسلمين في سوريا غير معروفة لدى الأمريكان. على إن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة للمخابرات. " كنا نعلم عن الإخوان المسلمين هناك اكثر كثيرا مما تتضمنه الأوراق" حسبما يقول ديفيد لونج:" كنت رئيس قسم الشرق الأدنى في مكتب التخابر والأبحاث ولكننا كنا ننظر للأمر بدون اكتراث. كنا ندرك أن هناك مخاطرة، ولكن الحياة نفسها مخاطرة."[415]

بالنسبة للأسد كان الإخوان المسلمون يمثلون تهديدا آنيا للوجود. تقول مارتا كيسلر المحلل سابقا بالمخابرات المركزية الأمريكية أن إسرائيل والأردن " كانتا تلعبان بالنار ولا أظن أنهما قدرا مدى الخطر الذى يمكن أن يحدث. ولكن بالنسبة للأسد كان الموقف حرجا. لقد امضي حوالي خمس سنوات وهو يحاول أن يتوافق أو يتعاون معهم. وفي النهاية فقد السيطرة على الثلث الشمالي من البلاد. كان نجمه قد آخذ في الأفول في ذلك الوقت. كان في أزمة حقيقية.[416]

كان دبلوماسيو الولايات المتحدة على علم بالمساندة الأردنية، على الأقل فيما يتعلق بالإخوان المسلمين في سوريا، ولكنهم كانوا يعلنون ألا علاقة للولايات المتحدة بالأمر. يقول تالكوت سيبلى سفير الولايات المتحدة في سوريا حينذاك:" كنت سفير الولايات المتحدة في سوريا خلال الفترة من 1978- 1981.وكان ذلك عندما أصبحت على دراية بان هناك حركة سرية في سوريا حيث حدثت حملة تفجيرات واغتيالات لقادة بعثيين سنة 1979. أدركت الحركة الإسلامية في سوريا. في سنة 1983 بينما كنت خارج هذا البلد تسلل شخص ما إلى مكتب الأسد والقي قنبلة قتلت واحدا من حرسه ولكنه اخطأ الأسد نفسه. كان السوفييت الذين كان لهم ناس كثيرون هناك يمتطون المركبات المدرعة في تنقلاتهم.

---

414 - لونج مقابلة مع المؤلف

415 - كيسلر مقابلة مع المؤلف

416 - تالكوت سيبلى مقابلة مع المؤلف يونيو2004

يقول سييلى إن الأسد استدعاه ليشكو له تعنت الإخوان المسلمين.

لقد نال الملك حسين رضاء الإخوان المسلمين الذين أقاموا المعسكرات في شمال الأردن. وذهبت لأرى الأسد فقال لي:" أنا اعلم أن الولايات لمتحدة وراء ذلك." فقلت له:" أحب أن أرى الدليل....وأنا أقول لك أننا 100% لسنا كذلك." أما فيما يتعلق بالملك حسين وما إذا كان متورطا حقيقة فى الأمر فهذا ما لا اعلمه. ولكن سييلى يضيف:" لا اعتقد انه يهمنا كثيرا ما إذا كانوا حقا يثيرون المتاعب للأسد."[417]

فى الحقيقة كان الملك حسين متورطا، فقد اعترفت الأردن بعد سنوات أربع بدورها فى مساندة الإخوان المسلمين واعتذرت لسوريا. وكتب الملك خطابا إلى الأسد يقول فيه:" لقد اتضح أن البعض ممن كانوا على صلة بالإحداث الدامية فى سوريا كانوا موجودين فى دوائرنا.[418] وفيما أطلق عليه " اعتراف غير عادى" قال حسين أن بلاده منحت الإخوان الذين شنوا الحرب على سوريا انطلاقا من أراضى المملكة، منحتهم الفرصة للقيام بذلك. ولكنه فى محاولة للمصالحة مع الأسد يعتقد الآن أن الإخوان المسلمين كانوا خارجين على القانون ويرتكبون الجرائم وينشرون بذور الفتنة بين الشعب". وزار رئيس وزراء الملك حسين دمشق وأعلن الملك انه يريد أن يحذر " من الخطط الشريرة لهذه الجماعة الفاسدة."[419]. بعد عدة أيام حوصر المئات من أعضاء الجماعة المناهضين لسوريا فى الأردن.

روبرت باير ضابط عمليات فى المخابرات المركزية الأمريكية سابقا عمل فى الشرق الأوسط والهند كتب حول مقابلاته مع الإخوان المسلمين منتقدا الوكالة بسبب رغبتها فى اللعب مع الإخوان. يقول باير فى مؤلفه " النوم مع الشيطان"انه " يبدو أن سوريا كانت هي المشكلة الحقيقية." فهذا البلد يحتل موقعا حساسا فيما يتعلق بمستقبل السلام فى الشرق الأوسط، وكانت واشنطن تريد رسميا من الأسد أن يرحل. ولكن كما يقول باير:" إذا كان للإخوان المسلمين أن يحلوا محله فلا بد أن يضع المرء فى حسبانه أن الأمور سوف تزداد سوءا." ويسال باير رئيسه توم تويتين عن الإخوان المسلمين:

هز كتفيه قائلا:" إن الأردنيين يعطونهم أموالا وملاذا لا لشئ إلا لأنهم يكرهون السوريين. إن (عدو عدوى هو صديقي) يشكل نوعا من الصفقة.، فسألت:" ماذا يقول الأردنيون عنهم؟ فرد قائلا:" إننا لا نضغط على الأردنيين فيما يتعلق

---

417 – صحيفة لندن تايمس 12 نوفمبر 1985 الأردن تنهى لجوء اعداء الأسد إليها

418 – شارلس والاس صحيفة لوس انجلوس تايمز 13 نوفمبر 1985

419 – هيئة الاذاعة البريطانية موجز الاذاعات العالمية 18 نوفمبر 1985

بالتفاصيل. وهم لا يقدمون شيئا.إن الإخوان المسلمين ليسوا هدفا لنا." إن ما ذكره تويتين هو انه ليس لديه تعليمات بالتجسس على الإخوان المسلمين طالما أنهم ليسوا هدفا لنا (ومن المعروف أن المخابرات المركزية الأمريكية فى عمان لا يفترض أن تنفق عليهم أي نقود "[420]

هل تساعد الولايات المتحدة الإخوان المسلمين مباشرة؟ طبقا لباير فان الإجابة مختارة بعناية:." هناك أناس يقولون أنه توجد ملفات مشفرة (مكودة – لكل منها كلمة سر خاصة أى لا يستطيع أن ينفذ إليها إلا الأشخاص المنوط بهم الإطلاع على هذه الملفات فائقة السرية)، " أنا لا اعرف أن السعودية هي التي تساندهم. ونحن نساند السعودية وما حدث هو انك تذهب ببساطة إلى الحكومة وتقول: هذه بعض الأموال فقوموا بأعمالكم القذرة أو سوف نعطيهم الإمدادات والمعدات.""

طبقا لباير لم يكن الإخوان المسلمون يتلقون المساندة فقط من حداد قائد الميليشيات التي تساندها إسرائيل فى جنوب لبنان." ليس فقط الرائد حداد، ولكنها الجبهة اللبنانية برمتها " كما يقول يعنى الجناح اليمينى من الكتلة اللبنانية المسيحية التي لها علاقات وثيقة مع إسرائيل." كانت الجبهة اللبنانية تحمى الإخوان المسلمين فى بيروت، فى قسمها الشرقي." يقول باير أن المخابرات المركزية الأمريكية قد فشلت فى أن تأخذ المنظمة بوصفها تهديدا محتملا _ فشلت فى أن تأخذ هذا الاحتمال مأخذ الجد، لقد تجنبنا الإخوان المسلمين ورأينا أنهم يشكلون نفس المشكلة الخاصة للآخرين."وحسبما يقول:" كانت مقاربتنا للشرق الأوسط محدودة بحدود أهمية الحرب الباردة بالنسبة لنا. وحتى إذا كان هؤلاء الناس يشكلون خطرا على الأمن، فماذا بعد؟ إننا بكل تأكيد لن نجابه الملك حسين بسبب هذه المسألة."[421] ولن نجابه أو نتحدى الإسرائيليين بسبب ذلك أيضا.

حماة، حماس

بلغت مساندة إسرائيل والأردن للإخوان المسلمين أوجها فى الثمانينات. وجاءت قمة المواجهة بين حكومة الأسد والإخوان المسلمين فى حماة وهى مدينة سورية يقطنها 200الف نسمة وكانت دائما قلعة للسنة الأصوليين. وبدات هذه

420- روبرت باير النوم مع الشيطان (نيويورك 2003)ص ص 95-97

421 - روبرت باير مقابلة مع المؤلف مارس 2004

المواجهة حسبما يذكر سيلى سفير الولايات المتحدة السابق فى سوريا:" بدأت بإشاعة تقول إن الأسد قد أطيح به." وإذ استثارهم هذا النبأ انطلق الإخوان فى موجة قتل فى المدينة فذبحوا مئات الجنود والموظفين" يقول سيلى:" إن الإسلاميين قتلوا كل المسئولين البعثيين فى المدينة"[422] كان هذا بالنسبة للأسد استفزازا لا يمكن احتماله، فجمع القوات الخاصة التابعة للجيش تحت قيادة أخيه رفعت الأسد وهو معروف بقوته الباطشة وعنفه الشديد. وانطلق الألوف من قواته (12 ألفا حسب تقدير منظمة العفو الدولية أو 50 ألفا حسبما يقدر الإخوان)[423] فدخلوا حماة وهم يقمعون بلا رحمة الانتفاضة ومخلفين وراءهم العديد من القتلى الذين تختلف التقديرات بشان عددهم هنا أيضا. طبقا لتقدير معاصر نشرته التايم بلغ عدد القتلى ألفا بينما قدر بعض المراقبين العدد بخمسة آلاف. وتقدر المصادر الاسرائيلية ومصادر الإخوان المسلمين كلاهما أن العدد يتعدى العشرين ألفا. وبمرور الوقت بولغ فى ملحمة حماة واستخدمت بواسطة منتقدي سوريا لتصوير الأسد كرجل لا يرحم، قاتل من أمثال ستالين، وهى مسألة لم يشأ الأسد أن يقلل منها لأن من شانها بث الرعب فى قلوب مثيري المتاعب من الإخوان المسلمين. وذكرت مجلة التايم بعد الأزمة بأسابيع انه " لم يكن هناك ما يشير إلى إن هذه المتاعب التي حدثت فى حماة سوف تمتد إلى مكان آخر."[424]. كان هذا كما يقول سيلى " هو نهاية الحركة الإسلامية فى سوريا"[425]

غير انه فى المناطق التي تحتلها إسرائيل كان الإخوان المسلمون لا يزالون يكتسبون قوة دافعة.ففي أوائل الثمانينات ساندت إسرائيل الإسلاميين فى جبهات متعددة. كانت بطبيعة الحال تساند اسلاميى غزة والضفة الغربية الذين سيقومون سنة 1987 بتأسيس حماس. وكان ذلك بمساعدة الأردن التي سبق أن ساعدت الإخوان المسلمين فى حربهم ضد سوريا. وفى أفغانستان ساندت إسرائيل بهدوء الجهاد ضد الاتحاد السوفييتي بمساعدة الإخوان المسلمين المرتبطين بالأصوليين الذين تولوا قيادة المجاهدين كما ساندت إيران – قلب الحركة الإسلامية الجهادية فى حربها الطويلة ضد العراق.

---

422 – سيلى مقابلة مع المؤلف

423– جوديث ميللر : لله تسعة وتسعون اسما (نيو يورك 1996)ص 295.

424 مجلة تايم (الأمريكية) 8 مارس 1982 التحدي الدموي للأسد

425 – سيلى مقابلة مع المؤلف

لم يكن الجميع فى إسرائيل سعداء بسياسة التعاون مع الإسلاميين. كان المسئول عن ذلك بشكل اساسي ومن كافة الزوايا هو اليمين الإسرائيلي الأكثر تطرفا: بيجين ورئيس الوزراء، اسحق شامير ووزير الدفاع اريبل شارون هم الذين اتبعوا هذه السياسة بعدوانية شديدة، أما حزب العمل الإسرائيلي فكان ينحو إلى اعتبار منظمة التحرير هي الشريك المناسب فى المفاوضات من اجل الوصول إلى تسوية نهائية. لكن اليمين الإسرائيلي كان رافضا من حيث المبدأ للتسوية النهائية ويريد أن يظل مسيطرا على الضفة الغربية مستشهدا بالآيات الواردة فى الكتاب المقدس بشأن ضرورة السيطرة على جوديا وسامراء وهى الأسماء القديمة لهذه الاراضى المختلف عليها.

يقول باتريك لانج وهو المدير السابق لوكالة المخابرات التابعة لوزارة الدفاع فى الشرق الأوسط:" فى الحقيقة كانت سياسة إسرائيل خاطئة من حيث المنظور البعيد." ويلاحظ لانج انه ليس كل من فى الموساد والمخابرات الإسرائيلية كان موافقا على أن مساعدة احمد ياسين كان فكرة جيدة، فقد كان يعارضها بشكل خاص هؤلاء الذين يعرفون اكثر من غيرهم الثقافة العربية والإسلامية. "إن المتخصصين فى الشئون العربية من رجال الخدمات الأمنية فى إسرائيل لم يكونوا يحبون ذلك. غير أن القادة الإسرائيليين كانوا يظنون أنهم سوف يقتلون كل ارهابيى منظمة التحرير الفلسطينية – ثم بعد ذلك يستطيعون أن يتعاملوا مع حماس. إنهم أساءوا فهم حقيقة الظاهرة. كان الإسرائيليون فى معظمهم علمانيين أيضا وكانوا يعتقدون أن هؤلاء الإرهابيين الدينيين يمثلون شيئا عقيما. لقد كانوا يحاولون هزيمة القومية العربية بإستخدام الإسلاميين المتطرفين"[426]

حسبما يقول فيكتور استروفسكى وهو ضابط سابق فى الموساد ترك الخدمة وأصبح ناقدا قويا وألف كتابين عن الموساد [427]." كان الجناح اليميني من الموساد يخشى أن شعبية الرئيس المصري أنور السادات قد تجبر إسرائيل على التنازل عن المناطق التي تتمسك بالاستمرار فى احتلالها ومن ثم فقد ساندوا الجماعات الأصولية المصرية بحجج زائفة اى بالتغطية على حقيقة أن المساعدات تأتى من جانب إسرائيل"[428]. ويتهم استروفسكى اليمين الاسرائيلى صراحة بأنه يغذى الإسلامية الأصولية بين الفلسطينيين:

---

426 – باتريك لأنج مقابلة مع المؤلف مارس 2004

427 – انظر فكتور اوستر

428 – اوستروفسكى الوجه الآخر للخداع ص ص 196–197

" إن مساندة العناصر الراديكالية من المسلمين الأصوليين تتفق تماما مع الخطة العامة للموساد فى المنطقة فالعالم العربى إذا سيطر عليه الأصوليون لن يكون طرفا فى اى مفاوضات مع الغرب تاركا بالتالي إسرائيل بوصفها البلد الديمقراطي المعقول الوحيد فى المنطقة.وإذا استطاع الموساد أن يعد الترتيبات اللازمة لحماس...من اجل الاستيلاء على الشارع الفلسطيني من منظمة التحرير فسوف تكتمل الصورة.[429]

خلال معظم الثمانينات لم يؤيد الإخوان المسلمون فى غزة والضفة المقاومة ضد الاحتلال الاسرائيلى ووجهوا معظم جهودهم فى المعركة ضد منظمة التحرير الفلسطينية خاصة أجنحتها اليسارية فى الجامعات. واستخدم أنصار ياسين العصي والسلاسل وحتى البنادق فى مصادماتهم مع الفلسطينيين الوطنيين المؤيدين لمنظمة التحرير. وكانت الجامعة الإسلامية فى غزة ميدانا لكثير من المعارك بين أنصار منظمة التحرير الذين يحاولون علمنة الجامعة من جانب والإخوان المسلمين الذين يحاولون أن يحافظوا على طابعها الإسلامي من جانب آخر. فى مصادمة واحدة وقعت فى 4 يونيو 1983 جرح اكثر من 200 طالب. وحدثت مواجهات مماثلة فى جامعة بيرزيت والنجف فى الضفة الغربية.[430] وحاولت فتح وهى المكون الرئيس لمنظمة التحرير أن تتعاون مع الإخوان المسلمين وان تبحث عن ترتيبات لتنظيم اتفاق مشترك، ولكن الإخوان المسلمين مع ذلك طالبوا بما لا يقل عن الاسلمة الكاملة لمنظمة التحرير بما فى ذلك القضاء على الجناح اليساري لمنظمة التحرير. وحثت قيادة الإخوان المسلمين فتح على أن تطهر صفوفها من العناصر الماركسية وان تدرك عبثية العلمانية وان تعمل بتعاون وثيق مع الجماعات الإسلامية."[431]

فى سنة 1983 وقع حادث غريب لم يزل فى حاجة إلى تفسير، وادي ببعض منتقدي ياسين إلى أن يشتبهوا بأنه على علاقة سرية ب"الشن بت". ففي بواكير هذا العام قبضت السلطات الإسرائيلية على ياسين بعد أن أمر أعضاء ينتمون إلى المركز الإسلامي بان يجمعوا سرا السلاح الذى كان قد وزع على عدد مختار من العناصر النشطة."[432]وكان بعض هذه الأسلحة مخزنا فى منزل ياسين نفسه، فتم إيداعه السجن. فى ذلك الوقت كانت المقاومة الفلسطينية ضد إسرائيل قد وصلت الى

429 - المرجع السابق ص 197

430 - أبو عمرو ص ص 43- 44

431 - المرجع السابق ص 49

432- ميشال و سيلا ص 34

درجة ادني كثيرا مما كان عليه الأمر فى الانتفاضتين خلال السنوات السابقة حينما كان المقاتلون الفلسطينيون يعملون معا. فى 1983 كانت حيازة مثل هذه المجموعة من الأسلحة الفتاكة يعتبر جرما خطيرا. ولكن مع أن ياسين حكم عليه بالسجن لمدة 13 عاما، فقد أفرج عنه بعد عام واحد، الأمر الذى أثار شكوك منظمة التحرير. وادعى ياسين أن الأسلحة جمعت لا من أجل الهجوم على القوات الإسرائيلية ولكن من اجل التغلب على جماعات فلسطينية أخرى.

خلال 1986-1987 أسس ياسين حركة حماس، حتى ذلك الحين وقد أخذت الانتفاضة تنمو " كانت ثمة تقارير بان إسرائيل تساند حماس،وكانت هناك إشاعات ملحة بان الشرطة السرية الاسرائيلية تعضد حماس سرا باعتبارها منافسا لمنظمة التحرير." حسبما يقول فيليب ويلكوكس سفير الولايات المتحدة السابق وخبير مكافحة الارهاب الذي كان يترأس قنصلية الولايات المتحدة في القدس في ذلك الحين." انني لم أر قط وثيقة مخابرات بهذا الصدد ولكنني لن أصاب بالدهشة إذا كان ذلك حقيقيا." ويقول ويلكوكس أن موظفى الولايات المتحدة فى القدس تعاملوا بانتظام وبكثافة مع حماس أواخر الثمانينات ويقولون أنها " منظمة معقدة لها كوابح عدة....فيها الكثير من العناصر المعتدلة التي كنا نعتقد دائما أنها ميالة للتفاوض وكان هناك المتعصبون والجهاد يون."[433]

وبالرغم من أن حماس حصلت على تأييد الكويت وعدد من السعوديين الأثرياء إلا أنها كانت موضع شك من جانب الحكومة السعودية. يقول شارل فريمان سفير الولايات المتحدة الأمريكية السابق لدى السعودية:" لم تكن السعودية راغبة فى أن تذهب الأموال إلى تنظيم على الجبهة الإسرائيلية، ومن ثم فقد استدعى الأمير سلمان محافظ الرياض وعين رئيسا للجنة ليوقف جمع المال من المساجد ويجد طريقه إلى حماس. "على أية حال عندما ظهر أن حماس أصبحت اكثر استقلالا عن إسرائيل وعندما اكتسبت الانتفاضة زخما توقفت اللجنة عن العمل وبدأت السعودية تغير موقفها. يقول فريمان:

" من المحتمل أن هناك أعضاء فى الأسرة الحاكمة يعطون المال لحماس."[434]

لم يكن الجميع فى الحكومة الأمريكية سعداء بظهور حماس وبصفة خاصة المتخصصون فى الشئون العربية وأيضا الذين يناهضون المراكز الإسرائيلية التي تشكل قوة ضغط فى البنتاجون. وحذرت وكالة المخابرات التابعة لوزارة الدفاع

---

433 - ويلكوكس مقابلة مع المؤلف

434 - فريمان مقابلة مع المؤلف

الأمريكية من قوة الإسلاميين الفلسطينيين وبدأت تجمع المعلومات لتحليل هذه الظاهرة خلال المدة من أواسط حتى أواخر الثمانينات. يقول لانج:" بالنسبة لنا في البداية كانت الحركة الإسلامية الفلسطينية اقل من أن تستحق الرصد." وحاولنا أن نكتب تقريرا (تقدير موقف مخابراتي) في أواخر الثمانينات نظرا لأنه لم يكتب شيئ عن ذلك من قبل ولكن أصدقاء إسرائيل في أدارة ريجان استطاعوا أن يحولوا دون ذلك."[435]

عندما بدأت الانتفاضة الفلسطينية سنة1987 اتهمت منظمة التحرير الفلسطينية حماس واحمد ياسين بالعمل " بمساندة مباشرة من الأنظمة العربية الرجعية، وبالتواطؤ مع الاحتلال الاسرائيلي. "وقد ذكر ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ورئيس السلطة الفلسطينية، ذكر لمراسل إحدى الصحف الايطالية:" إن حماس خلقتها إسرائيل التي – في زمن شامير رئيس الوزراء الاسرائيلي السابق أعطت حماس الأموال وكذلك اكثر من 700 مؤسسة منها مدارس وجامعات ومساجد."[436] وقال عرفات للجريدة أن رئيس الوزراء السابق إسحاق رابين اعترف له بان إسرائيل كانت تعضد حماس وكان ذلك في حضور الرئيس المصري حسني مبارك. وقال عرفات إن رابين وصف هذا التصرف بأنه "خطأ قاتل".

كان تأسيس حماس متوافقا مع بدء الانتفاضة الأولى 1987 -1993 التي كانت أول انتفاضة رئيسية منسقة في الاراضي المحتلة، وكل الفصائل الفلسطينية التي كانت قائمة بما فيها حماس ومنظمة التحرير الفلسطينية عضدتها. وكان لهذه الانتفاضة التي جمعت بين مختلف التكتيكات عنيفة وغير عنيفة آثارا هامة، فقد وضعت الصراع الفلسطيني الاسرائيلي في مركز اهتمام العالم ودفعت الإسرائيليين المعتدلين مثل إسحق رابين وشيمون بيريز وايهود باراك إلى التفاوض مع منظمة التحرير. وكان تدشين محادثات السلام في أوسلو بالنرويج التي بدأت ما يطلق عليه " عملية أوسلو " بادرة أول أمل حقيقي من اجل تسوية إسرائيلية- فلسطينية منذ 1967. ولكن حماس التي استخدمت العنف من قبل فقط ضد الجماعات الفلسطينية الأخرى، قامت باستخدام السلاح ضد إسرائيل أثناء الانتفاضة مما أدى إلى انهيار اسرائيلي. وقبض على الكثير من قادة حماس بمن فيهم ياسين سنة 1989. وبرغم تأييد حماس للانتفاضة فان منظمة التحرير الفلسطينية وحماس كانتا منشغلتين فيما بينهما بصراع مستمر أشبه ما يكون بلعبة شد الحبل. فحالما تتحرك منظمة التحرير

435 – باتريك لانج مقابلة مع المؤلف مارس 2004

436 – صحيفة كوريير دلاسيرا- 11ديسمبر 2001

وحزب العمل الاسرائيلى نحو اتفاق تسارع حماس بشن موجة عنيفة من الهجمات من اجل إفساد المحادثات. كتب حنانيا وهو محلل سياسي اسرائيلى يقول:" كان إفساد عملية السلام هو الهدف الدائم لحماس ولعب دورا فى الطموحات السياسية لليكود، " ففي كل مرة يبدو فيها وكأن المحادثات الإسرائيلية الفلسطينية ناضجة لإحراز خطوة هامة لتحقيق السلام ياتى عمل ارهابى من جانب حماس ليفسد عملية السلام ويدفع بالجانبين كلا منهما بعيدا عن الآخر."[437]

كانت حماس تسعى إلى أن تكون فى المقدمة أمام منظمة التحرير بإظهار نفسها كالمنظمة الجهادية الأكثر قوة. يقول راى حنانيا

" كلما تقدمت عملية السلام التي يقودها حزب العمال الاسرائيلى ومنظمة التحرير الفلسطينية كلما لجأت حماس إلى العنف. حينما أدان مسئولو منظمة التحرير قتل السياح فى مصر فى فبراير 1990 ردت حماس بإرسال سيارات تحمل مكبرات الصوت تجوب شوارع المدن الفلسطينية الرئيسية تثنى على الهجمات وتدين منظمة التحرير الفلسطينية بسبب النقد الذى وجهته."[438]

بالإضافة إلى حماس التي انضمت إلى المنظمات الإسلامية الأخرى كالجهاد الإسلامي وحزب الله فى تبنى موقف رافض، كان اليمين الاسرائيلى بقيادة بنيامين نتنياهو واريل شارون من الليكود يعارض بشدة مثل هذا النوع من التنازلات التى يزمع رابين وبيريز وباراك تقديمها. ومنذ 1993 فصاعدا يقوم الليكود وحماس بتقوية دور بعضهما البعض الرافض لمحادثات السلام منتهزين كل فرصة ليتخذا اكثر الأوضاع تشددا لتحريض جانب ضد الآخر.

فى الواقع وجدت حماس نفسها معزولة نتيجة أوسلو. "خلال السنوات التى استغرقتها عملية أوسلو (بين سبتمبر 1993- سبتمبر 2000) انتاب الضعف الجوانب السياسية والعسكرية للحركة الإسلامية التى تسيطر عليها حماس بفعل عدة عوامل."[439] فقد توافقت منظمة التحرير وحكومة حزب العمل الاسرائيلى معا على التقليل من شأن حماس بالإضافة إلى عمليات الاعتقال والاغتيال لعدد من قادة حماس. وتحمس الفلسطينيون العلمانيون لمساندة محادثات السلام. وكانت المعارضة الشعبية للعمليات الإرهابية تتسع. ولكن اليمين الاسرائيلى بمن فيهم ارهابيى أقصى

437- حنانيا صص9و14

438- المرجع السابق ص 9

439- سارا روى " حماس وتحول الاسلام السياسي فى فلسطين" التاريخ المعاصر- يناير2003 ص 14

اليمين قاموا بالتهوين من شان أوسلو بشكل خطير. وفى فبراير 1994 قام ارهابى اسرائيلى اسمه باروخ جولدشتين وهو عضو فى حركة كاخ المتطرفة باقتحام مسجد فى القدس بالضفة الغربية وقتل عشرات المصلين المسلمين العزل من السلاح. وأثارت المذبحة حمية حماس التي صورت الهجوم باعتباره هجوما على الإسلام وانطلقت تطالب بالجهاد المسلح كرد عليه، ومن ثم انطلقت موجة من التفجيرات الانتحارية: وفي نوفمبر 1993 قام ارهابى اسرائيلى باغتيال رئيس الوزراء اسحق رابين. ترك اغتيال رابين فراغا فى السياسة الإسرائيلية، كما أن الهجمات الانتحارية بقيادة حماس أفزعت الناخب الاسرائيلى مما أدى إلى فوز نتنياهو الليكود سنة 1996. وأدت لهجة نتنياهو المتعجرفة إلى شن حملة من القمع شملت كل الجماعات الفلسطينية. وفى 1997 أمر بقتل مسئول كبير من حماس في الأردن. كانت محاولة خرقاء ولكنها فشلت ونجا المستهدف من المحاولة. بعد انجلاء الغبار توصلت إسرائيل والأردن إلى اتفاقية تم بمقتضاها إطلاق سراح الشيخ ياسين من السجن حيث كان يقضى العقوبة منذ القبض عليه سنة1989. وفجأة عاد ياسين إلى غزة صاخبا ضد أوسلو وبدأت المعارضة ضد منظمة التحرير.

تكرر نفس السيناريو سنة 2000 عندما سقط نتنياهو وحل محله باراك الذى عاد إلى المفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية بمساعدة الرئيس كلينتون وكان على وشك التوصل إلى اتفاق شامل.

ولكن اليمين الاسرائيلى لا يلبث أن يستفز الإسلاميين. ففي سبتمبر 2000 يقدم شارون على تصرف فى غاية الاستفزاز إذ يقوم بزيارة إلى موقع اسلامى فى المدينة المقدسة (الحرم الشريف- معبد الجبل) متعمدا إثارة الأصوليين من الإخوان المسلمين. وكذلك كان. كانت النتيجة هي اشتعال الانتفاضة الثانية 2000- 2004 وتسببت الهجمات الانتحارية داخل إسرائيل فى قتل المئات من اليهود وأثارت حفيظة الناخبين الإسرائيليين المتطلعين إلى الأمن ودفعتهم الى التصويت لصالح شارون فانتخب بأغلبية كبيرة رئيسا للوزراء قاضيا بذلك على إمكانية التوصل إلى اتفاق اسرائيلى فلسطيني.وأصيب عدد من محللى السياسة الإسرائيلية المخضرمين بصدمة أن يصبح شارون رئيسا للوزراء وهو الذى قاد الهجمات الإرهابية ضد الفلسطينيين فى الخمسينات عندما كان يرأس الوحدة رقم 101سيئة السمعة ويتحمل مسئولية المذابح التى ارتكبت بحق المئات من اللاجئين الفلسطينيين فى معسكرات صابرا وشاتيلا بالقرب من بيروت بواسطة حلفائه من الفالانج خلال الهجوم الاسرائيلى على لبنان سنة 1982. شن شارون الذى يطلق عليه البلد وزر هجوما

شاملا ليقضى على منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية وكـان عرفـات محاصرا بين حماس وشارون: فالإسلاميون يقومون بارتكاب الفظـائع وشـارون يعتبر عرفات مسئولا وينتقم من منظمة التحرير. ورفض كل مـن شـارون وإدارة بوش إجراء محادثات مع عرفات واضعين إياه فى عزلة وخالقين فجوة تزداد اتساعا لتحتلها حماس. والنتيجة كان من السهل التنبؤ بها.فبينما كانت استطلاعات الـراى سنة1996 تشير إلى أن 15% فقط من الناخبين الفلسطينيين يؤيدون حماس ازدادت إلى ما يقرب من 17%سنة 2000 ولكنها بلغت 27% سـنة 2001. وفـي سـنة 2002 أوضح استطلاع للرأي أجرته جامعة بيرزيت أن المؤيـدين لإنشـاء دولـة إسلامية طبقا لرؤية حماس بلغت 42%، وهو ما لم يحدث من قبل قط."[440]على نحو ما يقول روى.

أحيانا كان شارون يبدو مصمما على القضاء على اى إمكانية للاتفـاق بـين حماس ومنظمة التحرير الفلسطينية. حتى فى الوقت الـذى كانـت فيـه الحكومـة الإسرائيلية تطالب بإصرار وقف الهجمات الانتحارية لحماس، ففـي سـنة 2001 حينما حصلت منظمة التحرير على موافقة حماس على وقف هجماتها الإرهابية أمر شارون بتصفية احد قادة حماس على نحو ما كتب اليكس فيشمان فى جريدة يديعوت احرونوت: "أيا كان الذى أعطى الضوء الأخضر لهذه التصفية فانه كان يعلم جيـدا انه بهذا العمل يحطم بضربة واحدة الاتفاق الودي بين حماس والسلطة الفلسطينية." ومرة أخرى سنة2002 وفقط قبل 90 دقيقة من إعلان ياسين قائد حمـاس وقـف إطلاق النار قصفت إسرائيل مقر رئاسة حماس فى غزة لتقتل 17 شخصا بينهم 11 طفلا. كتب روى يقول:" يعتقد بعض المحللين انه فى الوقت الذى يستهدف فيه قادة حماس، تتابع إسرائيل إستراتيجيتها القديمة للإعلاء من شأن حماس على الأجنحـة العلمانية الوطنية كوسيلة للقضاء على الهوية الوطنية الفلسطينية إلى الأبد."[441]

لقد تم اغتيال ياسين وعدد آخر من قياديي حماس بواسطة الجيش الاسـرائيلى والمخابرات السرية سنة 2004 ولكن حماس لا تزال تواصل النمو. فى سنة 2004 يعلن شارون عن خطة للانسحاب من قطاع غزة من جانب واحد. وبعد سنوات من العنف هناك يعلن أن حماس هي الأقوى تواجدا على الأرض. وإذا انسحبت إسرائيل بالفعل فسوف تقدم حماس على لعبة ما لتبرز بوصفها القوة القائدة فى غزة خاصـة فى ظل الفراغ الذى خلفته وفاة عرفات.

---

440 – المرجع السابق ص ص 18-19

441 – المرجع السابق ص 20

إن قصة حماس من وجهة نظر المشروع الاسرائيلى التجريبي المفضل من اجل الانتقام من منظمة التحرير بوصفها المصدر الأساسي للعنف ضد إسرائيل فى غزة والضفة الغربية قد أدى إلى سلسلة كاملة من انتشار الإسلام السياسي بدءا من الستينات إلى التسعينات وفيما بعد ذلك أيضا.

من وجهة النظر الاسرائيلية كان نمو حماس وتحولها خلال هذه العقود بمثابة زلزال وكان مؤشرا للكثيرين فى إسرائيل بان الإسلام السياسي لم يكن بالقوة التي يستهان بها. بل إن تأصيل الحركة الفلسطينية الإسلامية كان بمثابة زلزال حقيقي بقدر ما كان صدمة. غير أن الزلزال الاصلى كان هذا الذى هز إيران سنة1979 وادي إلى سقوط الشاه والى إنشاء جمهورية إيران الإسلامية، هذا الحدث الذى أثار حماس اليمين الاسلامى فى كل إرجاء المنطقة.

ربما كانت القوة التي استخدمها الإسلام السياسي ضد سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية بالنسبة للولايات المتحدة مجرد أشياء صغيرة. لكن إيران كأحد العمودين التوأمين لأمريكا فى الخليج الفارسي يعتبر ما حدث بمثابة طعنة موجهة إلى قلب المصالح الأمريكية فى المنطقة. فلأول مرة بعد الثورة الشيعية فى إيران تتحرك الولايات المتحدة لترى بشكل جدي ما أذا كان ممكنا للإسلام السياسي أن يكون سلاحا ذا حدين ويمكن أن يشكل تهديدا خطيرا للغرب.

*

الفصل التاسع

جحيم آيات الله

لم يحدث أبدا أن ثورة ما فاجأت الولايات المتحدة وأصابتها بالدهشة اكثر مما فعلت الثورة التى اجتاحت إيران خلال الفترة 1978- 1979.

للوهلة الاولى كان يبدو أن مركز الولايات المتحدة بأكمله فى الشرق الأوسط قد ينهار. فالعربية السعودية ودول الخليج قد تقع ضحية ثورة مثل تلك التى حدثت فى إيران ولم يعد هناك نظام ملكي عربي من الأردن حتى المغرب فى أمان. واصدر المسئولون الأمريكان الذين أصيبوا بالذعر أوامرهم للمخابرات المركزية الامريكية ليروا ما إذا كان ممكنا للثورة الايرانية أن تمتد. وهرعت حكومة الولايات المتحدة الامريكية الى استئجار سلسلة من الخبراء المتخصصين فى الاسلام لإمدادها بوجهات نظرهم وتنبؤاتهم.

وثار قلق خبراء الأمن القومي الامريكى خشية أن يكون خط الدفاع بطول الحدود السوفييتية الجنوبية قد تم اختراقه وان الاتحاد السوفييتى سوف ينتهز فرصة انهيار إيران ليتدفق الى المنطقة ويقتلع منها الولايات المتحدة.

لأول مرة يتقدم الاسلام السياسي الى منتصف المسرح وتغدو العواقب وخيمة فى إيران وأفغانستان وباكستان فى دوائر تزداد اتساعا وتتحد فى المركز. لم يعد الإسلام السياسي قوة فاصلة ولكنه اصبح الطاقة الدافعة خلف تغيير محتمل واسع يشمل المنطقة.. بالنسبة للمحللين لم يعد مستبعدا تصور تواجد سلسلة من الأنظمة الإسلامية تمتد من شمال إفريقيا عبر مصر والسودان الى سوريا والعراق والسعودية الى باكستان وأفغانستان.

غير انه عند انجلاء الغبار أدركت أميركا الوضع. فإيران لم تعد – أو هكذا يبدو – خاضعة للنفوذ الامريكى، ولكن سائر االامبراطورية كان يبدو آمنا باستثناء السودان حيث تمكن اليمين الاسلامى من السيطرة خلال ثمانينات القرن العشرين، ويبدو أن عدوى إيران قد تم استيعابها. وهكذا كما هي العادة عاد صانعو السياسة الامريكية والأشباح المتخصصون فى شئون الشرق الأوسط الى سابق ما كانوا عليه، واستبعدت الثورة الايرانية بوصفها حالة خاصة، بالرغم من انه كان ينظر

الى إيران نفسها كمصدر تهديد للمنطقة ولكن الولايات المتحدة لم تنظر الى اليمين الاسلامى فى حد ذاته كعدو. كانت الولايات المتحدة تحتفظ بعلاقات وثيقة – بما فى ذلك علاقات سرية – من خلال العلاقات المخابراتية مع المملكة العربية السعودية وباكستان قلعتا الاسلام السني الاصولى. وعندما تصاعدت هجمات اليمين الاسلامى ضد سوريا ومنظمة التحرير فى الثمانينات فان ذلك لم يؤد الى اى قلق فى دوائر صنع السياسة الامريكية. فى الثمانينات أنفقت الولايات المتحدة اكثر من ثلاثة بلايين دولار لحساب المجاهدين الأفغان الذين كان من الصعب تمييز أهدافهم السياسية عن أهداف آيات الله فى إيران، ومضى تحالف أميركا مع اليمين الاسلامى فى طريقه المعتاد.

وحاولت الولايات المتحدة أيضا وبطرق مختلفة أن تقيم اتصالات مع الجمهورية الإسلامية فى إيران. حاولت ادارة الرئيس كارتر الليبرالية أن تكون صديقة مع من توسمت فيهم الاعتدال وسبق أن تلقى تعليما فى أمريكا وأوربا الغربية ممن كانوا حول الخمينى ويرتدون البدل بدلا من هؤلاء الذين يرتدون أردية رجال الدين، بينما كان الكثير من المحافظين الجدد بمن فيهم المسئولون فى ادارة ريجان يحاولون الوصول بدلا من ذلك الى رجال الدين المتشددين وآيات الله فى مراكزهم بمدينة قم ممن يمثلون القوة الحقيقية فى طهران، غير أن أيا من هاتين المحاولتين لم تأت بنتيجة – وتغدو إيران – على مدى ربع القرن التالي – هي كابوس السياسة الامريكية.

لقد صدمت الثورة فى إيران الولايات المتحدة الامريكية وأربكتها. وهكذا اتسمت السياسة الامريكية تجاه إيران منذ 1977 عندما بدأت تباشير الثورة تلوح فى الأفق. وخلال الثورة وسقوط الشاه والحرب الأهلية التى بدت قريبة حتى 1981 اخذ النظام الذى أقامه رجال الدين فى إيران فى الثمانينات تتعزز مواقعه.

فى البداية اختطت واشنطن خطا يقوم على الاعتماد الثابت المبنى على ثقتها غير المحدودة فى الشاه.

خلال السبعينات كانت تقارير المخابرات تنتهي باستمرار وحتى عشية قيام الثورة بما يفيد انه ليس هناك ثمة ما يمثل تهديدا خطيرا للشاه. فى هذه التقارير كان يتم تجاهل الحركة الإسلامية الايرانية أو ينوه عنها فى ذيل التقارير.كانت مساعدات المخابرات المركزية الايرانية لاسلاميى إيران 1953قصة قديمة. وخلال العقود التالية كان الشاه يعمل على تحييد آيات الله مكتفيا بنفي البعض بمن فيهم الخمينى ويشترى آخرين. وتجاهلت الإدارة الامريكية والمخابرات المركزية الامريكية معا

الاسلام فى إيران وهو ما كان يناسب الشاه تماما. كان الشاه يعارض بقوة علاقات الولايات المتحدة مع رجال الدين الإيرانيين حتى باستخدام وسائل اكثر نعومة مثل وضع آيات الله الموالين للنظام فى قائمة العطايا.

ولكن بعد أن أعادت ادارة كارتر طاقم أمنها القومي الى مكانه سنة 1977 بدأت الولايات المتحدة تضغط على الملك الايرانى لإدخال إصلاحات وأقامت نموذجا من الاستشارات السرية مع جماعة المعارضة الايرانية بمن فيهم القيادات الدينية الاساسية. كان لهذا تأثيره فى إضعاف قرارات الشاه مما أدى الى إرباك نظامه وتعويم اليمين الاسلامى. لم تكن الثورة هي الهدف الذى توخته الولايات المتحدة من إقامة مثل هذه الاتصالات. ولكن ما كان يؤمله الكثيرون هو ضمان وجود ملكية دستورية اكثر استقرارا وموالية للولايات المتحدة. كان وراء هذا الجهد الإشاعات الملحة التى كثيرا ما كانت تساندها تقارير المخابرات المركزية الامريكية بان الشاه مصاب بالسرطان (وهو ما كان بالفعل وقد مات فى المنفي متأثرا به فعلا سنة 1980). إن الذين تابعوا هذه السياسة كانوا يعتقدون كما هو واضح أن الشاه كان قادرا على ترتيب انتقال سلمى للسلطة مما يؤدى الى مزيد من القوة للنخب الايرانية، الورثة المسنين لجبهة محمد مصدق الوطنية من التكنوقراط والى نظام من العناصر الشيعية المعتدلة. غير أن ما لم يدركوه هو أن الحركة المعادية للشاه سوف يدفع بها تدريجيا بواسطة اليمين الديني الشيعي وبشكل خاص بواسطة شخصية فولاذية أشبه ما تكون ب"لنين" هو أية الله الخمينى. ومن ثم فخلال الثورة نفسها سيما من نوفمبر 1978 وحتى سيطرة الخمينى على طهران فى فبراير سنة 1979- وقعت ادارة كارتر فى صراع داخلي مرير بين البعض ممن يجادلون بان على الولايات المتحدة أن تتخلى عن الشاه، والآخرين ممن يرون أن على الولايات المتحدة إن تؤيد انقلابا دمويا عسكريا ضد الثورة. خلال هذه الشهور الأربعة العصيبة لم يكن للولايات المتحدة اى سياسة على الإطلاق. وأيا كان الأمر فقد بات الوقت متأخرا جدا لتغيير مسار الإحداث. هرب الشاه وانهارت الحكومة وولدت جمهورية إيران الإسلامية، أما هؤلاء الذين كانوا يرون التخلي عن الشاه فمن الواضح أنهم استهانوا بالثوار الإسلاميين وأصبحوا يعتمدون الآن على ظهور نظام ديمقراطي ذي نكهة اسلامية وليس دكتاتورية. أما هؤلاء الذين كانوا مع إحداث انقلاب كان من شانه أن يؤدى الى عشرات الآلاف من القتلى فقد هونوا كذلك من عمق وقوة حركة الخمينى.وتأثرت آراؤهم باعتقاد ملح ولكنه يدعو الى السخرية بان الاتحاد السوفييتى كان وراء المتاعب فى إيران، إذ كيف يمكن أن يسقط نظام قوى موال للولايات المتحدة مثل نظام الشاه ما لم تكن موسكو وراءه؟

لم تصبح سياسة الولايات المتحدة بعد الثورة اكثر نضجا. كان لدى الولايات المتحدة عدد قليل ولكن ضليع من الخبراء فى شئون الحركة الإسلامية الايرانية ولم يكن الدبلوماسيون الأمريكيون الذين توجهوا الى إيران بعد الثورة خبراء فى الشئون الايرانية ولا يعرفون سوى القليل عن الاسلام أو الخمينى وأمثاله، وعمل كثير منهم بجهد لتطبيق السياسة الرسمية من اجل مصالحة مؤقتة مع الجمهورية الإسلامية غير أن هذه الجهود تحطمت على أعتاب الهجوم الذى قامت به الجماهير على السفارة الامريكية فى نوفمبر 1979. أما مساعدو الخمينى الذين تلقوا العلم فى الغرب ويرتدون الملابس الإفرنجية مثل إبراهيم يازدى وصادق قطب زادة وأبو الحسن بني صدر فقد أطيح بهم فى الثورة الثانية التى أعقبت الاستيلاء على مبنى السفارة الامريكية وأكد رجال الدين من مدينة قم والخميني، أكدوا سلطتهم شبه الدكتاتورية. فى هذه الفترة لم يكن الساسة الأمريكان المتشددون على استعداد للتسليم بما حدث، فقد راى بعضهم أن اسلمة إيران تشكل تهديدا للاتحاد السوفييتى معتمدين فى ظنهم هذا على تخوف إيران من جارتها الشمالية وعلى عداء الإسلاميين للشيوعية، الأمر الذى يجعل إيران تعود مجددا للاتفاق مع الولايات المتحدة.ولكن المساندين لإسرائيل –وبطبيعة الحال اسرائيل نفسها – رأوا انه حتى النظام العسكري للملالى يعتبر حليفا محتملا– وحتى خلال أزمة السفارة الامريكية كان ريجان والمحافظون الجدد يقومون بمحاولات للانفتاح على الملالي – وفى منتصف الثمانينات شرع المحافظون الجدد والمخابرات الإسرائيلية والكولونيل أوليفر نورث من هيئة الأمن القومي بمشاركة ببل كيزى من المخابرات المركزية الامريكية شرعوا فى القيام بمبادرة سرية للاتصال برجل إيران القوى على اكبر هاشمي رفسنجانى.

لقد نجحت الثورة الدينية فى إيران فى أن تقوم بما هو اكثر من اقتلاع أمريكا من أهم مواقعها فى المنطقة، لقد بلورت تغيرا جذريا فى طبيعة اليمين الاسلامى الذى كان قد اخذ فى التشكل منذ عقود بظهور الإخوان المسلمين. فعندما اخذوا يكتسبون قوة منذ السبعينات نما الاسلام اليميني وقد تدعمت ثقته بنفسه وأصبح جزء منه راديكاليا.وتفرعت منه فروع تأثرت بظهور حركة سرية اسلامية إرهابية فى مصر تتحدى الأنظمة الموالية للغرب وتتطبع بطابعها كما اكتسبت حركة حزب الله الإرهابية فى لبنان قوتها. بل إن اكثر منابع الجماعات الإسلامية كان يلهمها المثال الإيراني كما اتخذت المنظمات المرتبطة بالإخوان المسلمين طبيعة سياسية اكثر تعبيرا.

إن الأخطاء التى ارتكبتها الولايات المتحدة خلال وبعد الثورة فى إيران كانت بمثابة تراجيديا شكسبيرية فى مداها، وجزء كبير من هذه المسئولية يتحملـه نظـام المخابرات الامريكية. كان سقوط الشاه هو ابرز الإخفاقات التى منيت بها مخابرات الولايات المتحدة خلال الفترة ما بين بيرل هاربور وهجمات سبتمبر 2001. ذلك ان الولايات المتحدة كانت تساند المجاهدين الأفغان بحماس شديد وحاولت ان تتواصل مع من كانت تظن أنهم معتدلون من ملالى طهران ولكن أحدا فى مجتمع المخابرات لم يهتم بإلقاء نظرة على مجمل الصورة. بالنسبة للجمهور الامريكى كانت ملامح آية الله الخمينى العابسة وعيونه السوداء رمزا لبروز قوة جديـدة تهـدد الوضـع العالمي.

غير أنه بالنسبة للدبلوماسيين الأمريكان وضـباط المخـابرات ظـل اليمـين الاسلامى أمرا يستعصى عليهم ان يفهموه بعمق، وحتى عندما كشـف اليمينيـون الاسلاميون بصراحة عن مدى ما لديهم من قوة فى حادث العنف الذى شهدته مكـة والحرب الأهلية فى سوريا واغتيال السادات فشلت الولايات المتحدة فى ان تستوعب ما يعنيه ذلك. وحتى بعد إيران عندما اتضح ان الحركة الإسلامية العالميـة ليسـت حركة متناثرة متباينة الإيديولوجية تبعا لكل بلد،وإنما هى مرتبطة بمواثيق الإخـوة والجمعيات السرية. كان السذج يجادلون بان إيران حالة فريدة، دكتاتورية محافظـة وقعت فريسة لشكل غريب من أشكال الجهادية الإسلامية التى لن يكون لها صـدى بين الأغلبية السنية المسلمة. كذلك وقع غيرهم من السذج ممن يفكـرون بطريقـة أخرى اكثر خطورة وقعوا فى وهم ان الاسلام الايرانى والإخوان المسلمين يمكن ان يستخدموا فى افغانستان وآسيا الوسطى كأداة لتفسيخ الاتحاد السـوفييتى. وبـرغم الكراهية الشديدة الصريحة فى قلوب الإسلاميين للولايات المتحدة، استمر المسئولون الرئيسيون فى الإدارة الأمريكية بدءا من برجنسكى مستشار الرئيس كارتر لشؤون الأمن القومي إلى كيزى مدير المخابرات المركزية الأمريكية فـى عهـد ريجـان، استمروا بإصرار متمسكين بوجهة نظرهم بان الإسلام السياسي ليس سوى مجـرد عسكري على ما أطلق عليه برجنسكى " رقعة الشطرنج الكبيرة " (يعنـى المنطقـة المشار إليها التي تمتد على طول الحـدود السـوفيتية الجنوبيـة ويشـمل ايـران وافغانستان وباكستان فى دوائر تزداد اتساعا وتشمل السعودية ودول الخليج والعراق وتمتد إلى تركيا وسوريا والى شمال إفريقيا عبر مصر والسودان.–المترجم)

فى الثاني من فبراير 1979 بعد يوم واحد فقط من العودة الظافرة لآية الله الخمينى الى ايران ابرق جورج لامبراكيس احد كبار المسئولين فى السفارة الامريكية بطهران رسالة خطية مطولة الى وشنطن اوضح فيها انه يفكر مليا فيما يعنيه استيلاء الخمينى واترابه على ايران ولكن ذلك لا يقلقه كثيرا، وتستحق رسالته ان تقتبس بكاملها لأنها توضح الى اى حد اساءت الولايات المتحدة التقدير فيما يتعلق بحركة الخمينى حتى قبل ايام من سيطرته على ايران:

" ان افضل تقديراتنا حتى الآن هى ان الحركة الشيعية الاسلامية هى الاكثر تنظيما والاكثر تنورا وانها قادرة على مقاومة الشيوعية اكثر مما يصوره لنا هؤلاء الذين يحطون من قدرها، فهى متجذرة فى الشعب الايرانى اكثر من اى ايديولوجية غربية بما فيها الشيوعية. ومع ذلك فان التعاليم التى تحكمها ليست واضحة والارجح انها لم تتشكل على اساس شمولى ومن المحتمل ان عملية الحكم قد تعزز نوعا من التوافق مع العناصر المناهضة لحكم رجال الدين من المثقفين المتواجدين فى المعارضة الامر الذى قد يفرز شيئا اقرب الى العملية الديمقراطية الغربية عما قد يبدو واضحا فى البداية...

ان المؤسسة الاسلامية ليست بهذا الضعف او الجهل الذى كانت عليه حكومة الشاه كما قد يصورها بعض المراقبين الغربيين. فهى اكثر سيطرة على انفعالات الجماهير وعلى اموال البازار من اى جماعة اخرى. انها تساند وجهات نظر الاصلاحيين التقليديين فى ايران، وهى الاقرب الى اجتذاب معظم الايرانيين حاليا من نماذج الشيوعية التى يمثلها الاتحاد السوفييتى او الصين الأم.

من ناحية اخرى فان العمل بطريقة برلمانية ديمقراطية على نحو ماهو مفهوم فى الغرب ليس امرا مضمونا. والاقرب احتمالا هو ان يمارس المجلس الإسلامي قدرا اكبر من السلطة بالرغم من ان طريقة تشكيل مثل هذا المجلس لم تزل غير واضحة. وفى ضوء برنامج الحركة يبدو ان القادة السياسيين هم الذين يقدر لهم ان يلعبوا الدور الأكبر فى صياغة وتطبيق سياسة الحكومة....اننا نشك فى قدرة المؤسسة الاسلامية على تجنب القيام ببعض التوافقات مع الافكار الحكومية المنمذجة وفق النمط الغربى التى ياخذ بها الكثيرون فى صفوف حركة المعارضة.[442]

442- جورج لامبراكيس – برقية سرية بتاريخ 2 فبراير 1978 " إدراك الحركة الإسلامية الشيعية" George Lambrakis, Understanding the Shiite Islamic Movement

كان الخميني قد عاد لتوه الى ايران قادما من باريس في اول فبراير قبل يوم واحد من كتابة مذكرة لامبراكيس. بعد تسعة ايام انهارت الحكومة الايرانية الانتقالية واقام الملالى دكتاتوريتهم التى تحكم منذ اكثر من ربع قرن. رحب الرئيس كارتر بالحكومة الايرانية الجديدة وتمكن متفائلا من التواصل مع قيادتها. غير انه لسوء الحظ في 14 فبراير قامت مجموعة من المؤيدين للخميني باقتحام السفارة الامريكية فى طهران ولم تنسحب الا بعد مفاوضات مكثفة. بعد تسعة شهورقامت مجموعة مماثلة بالهجوم على السفارة واحتجزت العشرات من الشخصيات الامريكية واحتفظت بهم كرهائن لأكثر من سنة، خالقة بذلك واحدة من اكبر الازمات الدبلوماسية فى التاريخ الامريكى. وبانتهائها تولى الخمينى الحكم دكتاتورا لايران لا ينازعه فى ذلك احد.

كيف يمكن ان يخطئ لامبراكيس الى هذا الحد؟ كيف تأتى لاحد كبار مسئولى الادارة الامريكية – ولم يكن فريدا فى هذا- ان يعتقد ان الخمينى وعصابة علماء الدين التابعين له سوف يسلمون السلطة الى زعماء سياسيين وليس الى الملالى ؟ وكيف له ان يصف حركة الخمينى بانها حركة مستنيرة ؟وكيف له ان يتوقع ان شيئا ما" قريبا من العملية الديمقراطية على النمط الغربى سوف تظهر؟

ان الكثير من اللوم لايقع على هؤلاء وحدهم. فلا الادارة الامريكية ولا المخابرات الامريكية ولا هيئة الحكماء (Think-tank).التى نفاخر بها وتعمل فى مجال السياسة الخارجية ولا الأكاديميين، فهموا ايران على الوجه الصحيح. ان معظم اللوم ينبغى ان يوجه الى حكومة الولايات المتحدة الامريكية التى مزجت جهلها الاعمى بايران بعجزها المطبق. وامتد العمى ليشمل العديد من اكاديميى الولايات المتحدة المتخصصين فى الشأن الايرانى والعديد من الجامعات مثل جامعة جيمس بيل فى تكساس، مارفين زونيس فى تكساس وجامعة بتسبرج – جامعة ريتشارد كوتام ضابط المخابرات المركزية الامريكيةا لسابق الذى كان يعمل شبه مستشاررسمى للبيت الابيض والادارة الامريكية خلال الفترة1978-1979، كذلك بيل كيزى الذى عادة ما يتم اللجوء الى كتابه (النسر والاسد) للاقتباس منه بوصفه مرجعا موثوقا فى العلاقات الامريكية- الايرانية والمسئول عن جانب كبيرمن جريدة الشئون الخارجية، جريدة مجلس الشئون الخارجية، مثله مثل لامبراكيس كان خاطئا وفشل فشلا تاما فى ادراك المؤشر، حتى حينما شن الخمينى هجوما عاصفا على الشاه من العراق ثم بعد ذلك من فرنسا، وكانت الجماهير تحمل صورته وهى تطوف شوارع المدن الرئيسة كلها.

فى مؤلفه "ايران وازمة1978 "ينتهى بيل الى القول:

" اذا قدر لسلالة الشاه بهلوى ان يقضى عليها بالقوة والعنف فان اكثر البدائل احتمالا هو أن تحل محله جماعة يسارية تقدمية من ضباط الجيش ذوى الرتب الوسيطة... والاحتمالات الأخرى المطروحة فى المستقبل تتضمن عصبة عسكرية، الجناح اليمينى، نظام ديمقراطى ليبرالى مؤسس طبقا للنموذج الغربى او حكومة شيوعية"[443]...لا ذكر اطلاقا لاحتمال قيام جمهورية اسلامية، بالرغم من ان آية الله الخمينى كان هو القائد المعلن بشكل واضح للثورة. ولكن بيل، وهو من الخبراء القليلين بالولايات المتحدة المتخصصين فى الشئون الايرانية لم يكن هو الوحيد الذى اخطأ قراءة مستقبل ايران. حينما بلغت الثورة الايرانية اوجها فى نوفمبر 1978 وجهت الدعوة لعقد اجتماع عالى المستوى للادارة الامريكية لتحليل الازمة التى لم يكشف عنها بعد. يتذكر هنرى بريخت وهو رئيس المكتب المختص بالشئون الايرانية – يتذكر كيف انه – برغم كل المعلومات المخابراتية المتاحة له – اكتفى بصياغة تحليله من واقع المعلومات التى استقاها من مجموعة من الطلبة الايرانيين التقى بهم فى الليلة السابقة:

" فى اواخر نوفمبر 1978 استدعينا كل الخبراء فى الشئون الايرانية: الضباط الذين خدموا هناك وغيرهم. وكان لدينا كل المناقشات لنتداول فيما يجب ان نقوم به وما الذى سوف يجرى هناك. فى الليلة السانقة كنت مدعوا لالقاء محاضرة فى احد فصول الجامعة الامريكية واتضح وجود العديد من الطلبة الايرانيين بين الحضور. وحينما طرحت عليهم سؤالا عما يظنون انه سوف يحدث فى ايران، ردوا جميعا:"حكومة اسلامية". فى اليوم التالى كنا جميعا نروح ونجئ فى ارجاء الحجرة متسائلين عما يمكن ان يحدث، وكان الناس يقولون أشياء مثل: " ستكون هناك حكومة ليبرالية مع جبهة وطنية، والخمينى سوف يتوجه الى قم"، وحينما جاء دوري قلت" حكومة اسلامية" وكنت الوحيد الذى قال ذلك."[444]

ان حقيقة ان الولايات المتحدة اخطأت على هذا النحو لا يمكن ان ينظر اليه الا باعتباره خطأ جسيما للمخابرات.ولكن الفشل لم يكن يعود الى الافتقار الى المعلومات لان الثورة كانت تكشف عن نفسها فى الشوارع ولأن الخمينى لم يكن ممثلا يلبس طاقية الاخفاء. الا ان الولايات المتحدة التى كان لديها ثقة مطلقة هائلة

---

443 – جيمس بيل James Bill, Iran and the Crisis of 1978 مجلة الشئون الخارجية شتاء 1978-79 ص 340

444 – هنرى بريخت Henry Brecht مقابلة مع المؤلف ابريل 2004

فى شاه ايران كانت تعتقد ان ايران مستقرة وانها ليست عرضة للثورة. وحتى حينما اكتسبت الثورة قوة دفع رفضت الولايات المتحدة ان تصدق ان الخميني ورجال الدين سوف يستولون على السلطة لحسابهم الخاص مفضلة ان تعتقد ان نوعا ما من الديمقراطية المهجنة بالدين والعلمانية معا سوف تنبثق من خلال الفوضى التى تتلو سقوط الشاه.

يقول توماس اهيرن رئيس مكتب المخابرات المركزية فى ايران سنة 1976 وكان قد وصل الى ايران بعد بضعة اشهر من قيام الثورة وأخذ رهينة من قبل الجماهير التى دفعها الخميني للسيطرة على السفارة فى نوفمبر وقضى 414 يوما كرهينة- يقول اهيرن انه كان ينبغى ان تكون الثورة واضحة لنا ولاى انسان يعنيه ان ينظر من النافذة سنة 1978. وهو يتذكر انه عندما عاد الى المقر الرئيس للمخابرات المركزية سنة1981 بعد تحريره كانت الوكالة تئن تحت وطأة ما عانت من فشل فيما يتعلق بتوقع قيام الثورة:" بعد ان عدت كان هناك شخص مسئول فى قسم الشرق الاوسط يندب اخفاق الوكالة فيما يتعلق بسقوط الشاه" ويتذكر اهيرن:" نظرت اليه وسالته عما اذا كان لم يلاحظ ما يجرى فى الشوارع ؟!"يقول اهيرن ان المخابرات المركزية تعاملت مع مشكلة ما قبل الثورة الايرانية وفقا للنمط التقليدي القائم على التجسس مقابل التجسس، محاولة أن تستكشف سر حركة الخميني ومدى استقرار نظام الشاه، ولكن حسبما يقول – فشلت المخابرات المركزية فى ان تستخلص النتائج الواضحة لما كان موجودا فيما يتعلق بمجريات الشئون اليومية"، ومن ثم فقد علقت بما يبدو انه توقعات آمنة بان الشاه سوف يتخطى الازمة." لقد اقتفينا أثر سائر الاجهزة فى إخطار البيت الأبيض بما كان يحب ان يسمعه وهو ان هذا مجرد ازعاج وان الشاه بخير وانه بفضل المساعدات غير المحدودة التى تقدمها له الولايات المتحدة سوف يتخطى العاصفة. كان هناك فشل على مستوى العمل القائم فى مصارحة السلطة بالحقائق."[445]

فى السبعينات استقرت السلطة فى الولايات المتحدة فى ابدى ثلاث مجموعات من الدوائر السياسية، كل منها تنفذ الى المشكلة الايرانية من منفذ مختلف، وكل منها بطريقته الخاصة دون ان يرى الانتصار القادم للخميني. كان آية الله الخميني بالنسبة لكل منها اشبه ما يكون بلعبة الروشاخ* كان الخميني بالنسبة لكل من هذه

---

445 – توماس أهرن Thomas Ahern مقابلة مع المؤلف – يونيو 2004

* بقع من الحبر تعرض الواحدة تلو الاخرى على الشخص المراد فحصه ويطلب منه ان يركز انتباهه عليها ويطلق تعليقا حرا على ما يراه فتكون النتيجة ان كل شخص ما يرغب فى ان يراه- المترجم.
ولمن يرغب فى المزيد ينظر: د. احمد عزت راجح- اصول علم النفس ص 401 ط 9 المكتب المصرى الحديث 1973).

المجموعات اشبه بهذا الهيكل المعتم الذى يرى فيه الخبراء فى الشئون الايرانية وكبار واضعى السياسة الامريكية ما يريدون ان يروه. كلهم وقعوا فى الخطأ وبذلك ساعدوا على نجاح الخمينى.

كانت اولى هذه المجموعات مجموعة الواقعيين التى يقودها كيسنجر، الذى قاد سياسة الولايات المتحدة تجاه ايران فى النصف الاول من هذه الحقبة. كان الخمينى بالنسبة لهم مجهولا تماما، وقضوا السبعينات يقيمون ايران كقوة اقليمية، رجل شرطة الخليج، قلعة امريكا ضد الاتحاد السوفييتى والقومية العربية. كان حلفاء هذه المجموعة فى المخابرات المركزية يضمون ريتشارد هيلمز رئيس المخابرات المركزية الذى عين سفيرا لدى طهران سنة 1973. وعندما كان صبيا كان يذهب مع الشاه الى المدرسة السويسرية فى الثلاثينات وكان سنة 1953 فى فريق المحاربين المحترفين مع كيرميت روزفلت العميل السرى فوق العادة وآرشى وهو محترف ايضا فى المخابرات المركزية وكان احد المسئولين فى بنك روكفلر – بنك تشيس مانهاتن– وقد استمر كيسنجر وهيلمز واخوان روزفلت وروكفلر وشركات البترول الكبرى وشركات الدفاع التى قضت سنوات طويلة وهى تحول ايران الى مستعمرة امريكية حقيقية سيما تحت حكم ريتشارد نيكسون. كانوا يبدون تذمرهم تجاه جهود الشاه المستمرة من اجل تاكيد الاستقلال اطرادا مع النمو الايرانى، وكانوا يبدون ضيقهم من اسراف الشاه وما يبدو انه جنون العظمة. وكانو يتصرفون بجفاء تجاه استعداد الشاه من حين الى آخر – لعقد صفقات مع الاتحاد السوفييتى، متجاهلين ما هو اكثر اهمية وهو ماكان قائما بالفعل: فايران كانت السوق الاكثر اهمية لانظمة الدفاع باهظة الثمن وأنها حليف يمكن الاعتماد عليه فى الحرب الباردة فى اى مكان، وانها اكثر الاماكن التى يمكن عمل البزنس فيها تحقيقا للربح، وانها قلعة امامية فى قلب مناطق امدادات البترول فى العالم. خلال ادارة كارتر كان برجنسكى مستشار الامن القومى هو الاكثر قربا من من وجهة نظر نكسون وكيسنجر تجاه ايران، ويأتى بعد ذلك الليراليون فى ادارة كارتر. لم يكن الخمينى بالنسبة لهم شخصية خفية ولكنه كان قوة غامضة تقف فى خلفية الصورة، اقل اهمية فيما يبدو من مختلف مجموعات المثقفين من اليسار الليبرالى والإصلاحيين ونشطاء الجبهة الوطنية المتحدة السابقين. كان ليراليو كارتر فى وشنطن قلقين على الشاه ومهتمين ببناء القوة العسكرية فى ايران. لم يكونوا فى مستوى صقر مثل برجنسكى،وانما كان يقلقهم عزم نيكسون– كيسنجر اعطاء الشاه شيك على بياض لبناء قوته العسكرية، كانوا كذلك غير سعداء بسجل الشاه فى مجال حقوق الانسان

وبطابع النظام كنظام شمولى. وفى حرصهم على التمسك برغبة كارتر التى كان يعبر عنها باستمرار من اجل الارتقاء بحقوق الانسان فى الخارج فقد كانوا يضغطون على الشاه من اجل تحرير النظام. وشعر بعضهم بوضوح ان الإصلاح الشامل بل نهاية نظام الشاه نفسه كان هدفا مهما لسياسة الولايات المتحدة الخارجية. وبهذا الصدد فان قوات الخمينى لم يكن ينظر اليها كتهديد بل كنظام مناسب مناهض للشيوعية، وهو من ضمن الاصلاحات الوطنية التى يتعين على الشريك الاصغر القيام بها. خلال هذه الفترة كان الليبراليون ممثلين فى الادارة الامريكية وخاصة فى مكتب ايران وفريق حقوق الانسان. وثالث هذه الاتجاهات هو اليمين المتشدد دعاة التفوق فى الحرب الباردة والعظمة الامريكية وهؤلاء يطلق عليهم اليوم المحافظون الجدد. خلال ادارة كارتر كان اليمين فى معظمه فى المعارضة ثم بدأوا يتحولقون تدريجيا حول المرشح رونالد ريجان اواخر السبعينات. كان وثيق الارتباط باسرائيل التى لحقت بها ايران بدورها فى المحور المناهض للعرب، لكن المحافظين الجدد لم يكن يقلقهم الخمينى. فبالرغم من انهم كانوا يؤيدون الشاه الا انهم لم يترددوا فى تطوير علاقات قوية وان كانت سرية مع نظام خمينى بعد 1979. وفى 1980 انشغل فريق ريجان فى محادثات سرية حول السلاح والرهائن مع آيات الله فى طهران فى محاولات مقصودة لأضعاف كارتر فيما اصبح يعرف فيما بعد بفضيحة" مفاجأة اكتوبر". فالى جانب السلاح مدت اسرائيل ايران بالمعلومات المخابراتية طوال حربها مع العراق وبالاضافة تعاونت اسرائيل مع المحافظين الجدد اضافة الى وليم كيزى فى تدشين فضيحة إيران- كونترا التى تضمنت أيضا مبيعات أسلحة إضافية لنظام الخمينى من جانب كل من اسرائيل والولايات المتحدة

كارتر والشاه

كان تولى كارتر رئاسة الولايات المتحدة مصدر قلق للشاه. وشجعت المعارضة الايرانية، بدءا من المثقفين فى الجبهة الوطنية الى آيات الله فى اليمين الاسلامى. ان تولى كارتر رئاسة الولايات المتحدة سنة1977 قد حفز ذاكرة الكثير من الايرانيين واعادها الى زمن سابق حيث كانت العلاقات الامريكية الايرانية (وليس الانقلاب الذى دبرته المخابرات المركزية الامريكية واعاد الشاه الى العرش سنة 1953) فى أوائل الستينات حينما كانت ادارة كنيدى تلعب بفكرة خلع الشاه

واستبداله بنظام اقل شمولية. كان البيت الابيض فى عهد كارتر يعطى اهمية اكبر لحقوق الانسان، وكان الكثيرون من مسئولى الادارة الامريكية يعارضون السياسة القديمة فيما يتعلق ببناء قوة الشاه.

تذكر كل من الشاه والملالى ادارة كنيدى واعتبروها سابقة.فخلال سنوات حكم كنيدى كتب جون باولنج الخبير بالشئون الايرانية فى الادارة الامريكية كتب ورقة يحلل فيها قوى المعارضة الايرانية ويناقش مزايا تحول السياسة الغربية نحو تاييد القوى الوطنية التى تعتمد على التاييد الشعبى " انقلاب مصدق"[446] ولكن الشكوك حول الشاه – حسبما ذكر خبير سابق عالى المستوى فى المخابرات المركزية الامريكية كان قد شارك فى المناقشة– هذه الشكوك لم تبدأ مع كنيدى:

"كان هناك جدل يدور فى الحكومة الامريكي والسفارة عما اذا كان ينبغى علينا ان نؤيد الشاه او حكومة وطنية ؟ كان ذلك يجرى منذ حوالي سنة1978 حينما بدات الجبهة الوطنية تعيد بناء نفسها. كان السؤال هو: هل نريد ان نزرع الشاه او نؤيد الوطنيين؟ كان هناك حديث حول شئ مشابه لنظام ملكى على النسق الانجليزى حيث القوة الحقيقية فى يد الحكومة المنتخبة. فى النهاية اتخذ كنيدى قراره بتأييد الشاه ولكن بشرط ان تكون هناك اصلاحات حقيقية وان يقبل الشاه تعيين الاصلاحى على امينى رئيسا للوزراء" [447]

يلاحظ جيمس بيل فى كتابه ان" شكوك كنيدى تجاه الشاه كانت من القوة لدرجة انه بحث فى امكانية أجباره على التنازل عن العرش وتعيين مجلس وصاية على العرش حتى يبلغ ابنه السن القانونية "[448] من الناحية المبدئية لم يكن اهتمام كنيدى امرا خارج السياق ولكن المشكلة انه فى اوائل الستينات كما فى أوائل السبعينات ، لم يكن هناك بديل خارج إطار رجال الدين يمكن احلاله محل الشاه. كانت الجبهة الوطنية قد فقدت تقريبا كل مؤيديها خلال سنوات ما بعد مصدق، وشيئا فشيئا أصبحت معزولة داخل صالونات طهران ولا يؤيدها سوى المثقفين فى اوربا الغربية.

تحت ضغوط الولايات المتحدة بذل الشاه بعض الجهد شبه الصادق للاصلاح فيما اطلق عليه الثورة البيضاء. واذ استشعر رجال الدين الخطر بدأوا يتحركون.

---

446 – مقتبس من مؤلف جيمس بيل The Eagle and the Lion: The Tragedy of American Iranian Relations(New Haven,1988) p.133

447 – مسئول سابق متقاعد فى المخابرات المركزية الأمريكية مقابلة مع المؤلف مايو2004

448 – بيل النسر والأسد ص 137

وفى الأحياء المتطرفة بدأ اليمين الديني الذي يرتبط بعلاقات وثيقة مع العائلات الغنية من ملاك الأرض يحشد الجماهير ضد الاصلاح الزراعى. ونشبت صدامات عنيفة فى كثير من المناطق، كان الملالي هم محركوها الأساسيين تحت القيادة متزايدة التاثير لروح الله آية الله الخمينى الذى لم يكن قد وصل بعد الى الصدارة، ولكنه تمكن من الوصول اليها بعد ان القى خطبة ديماجوجية سنة 1963 يشجب فيها الشاه. ومن اجل ان يقيم الخمينى تنظيمه أسس تحالف الجمعيات الاسلامية بقيادة 21 شخصا من اغني أغنياء التجار- البازار من مساجد طهران الرئيسة الثلاث. وسيغدو كثير من هؤلاء الذين شاركوا فى تحالف الخمينى قادة النظام سنة1979 ومسئولين رئيسيين فى حزب الجمهورية الاسلامية بمن فيهم محمد حسينى بهشتي.[449]

لم يكن الشاه يحمل فى نفسه لرجال الدين شيئا سوى الازدراء، ففى خطابه فى يناير 1963 صب جام غضبه على الملالى بقيادة الخمينى:

" لقد كانوا دائما عصبة من الاغبياء والرجعيين الذين لم تتحرك عقولهم منذ الف عام. من هم هؤلاء الذين يعارضون الثورة البيضاء؟ انهم الرجعية السوداء، الرجال الاغبياء الذين لا يفهمونها وذوى القصد السئ. لقد كانوا هم الذين شكلوا جمعا صغيرا مثيرا للسخرية من عدد معدود من الملتحين والبازار الاغبياء ليثيروا الضجة. انهم لا يريدون لهذا البلد ان يتقدم[450]

مثل هذا الكلام لم يحبب الشاه لرجال الدين. فى سنة 1963 اعتقل الخمينى بواسطة السافاك وراجت اشاعات تقول بانه سوف يحاكم ويعدم. ولكن ذلك كان يمثل سابقة لم تحدث من قبل ان توقع عقوبة الاعدام على احدآيات الله. فى سنة 1964 طرد الخمينى من ايران الى تركيا اولا ثم الى العراق حيث أقام فى مدينة النجف وسيظل هناك حتى 1978.

فى 1977 – متذكرين ايام كنيدى- توقع كل من الشاه ورجال الدين ان النظام الجديد فى الولايات المتحدة قد يبدأ فى الضغط على الملكية متيحا الفرصة لرجال الدين للتنظيم، وفعلا هذا ماتم فحسبما ذكر السفير الايرانى فى لندن كان الشاه يخشى

---

449 – باقر موان Baqer Moin " الخمينى : حياة آية الله "(نيويورك1999) ص 80 تاريخ حياة الخمينى كما سجلها باقر موان تعتبر تسجيلا وافيا ويعتبر صورة للرجل اجيد التعبير عنها وبأى مقياس يعتبر افضل كتاب عن الخمينى كتب باللغة الانجليزية.

450 – موان ص 88

ان يخذو جيمى كارتر حذو كنيدى[451]. كان الشاه قد شن حملة على رجال الدين مرة اخرى فى اوائل السبعينات والقى القبض على الكثير من حلفاء الخمينى بمن فيهم على اكبر هاشمى رافسنجانى، رجل المستقبل القوى فى ظل النظام الذى اقامه الخمينى. ولكن انتخاب كارتر وقد ذاعت شهرته فى ايران بسبب تمسكه بحقوق الإنسان، أثارت مجددا ثائرة رجال الدين. فى مايو1977 زار سايروس فانس طهران ليقابل الشاه. "سرعان ما اشيع على نطاق واسع بعد زيارة فانس انه قد صدر امر من واشنطن الى الشاه: اما ان تكون لبراليا او ان تعزل". يعلق بيل أنه "سرعان ما استقبل ذلك فى طهران على أنه حقيقة....وانتهت المعارضة الى انها يجب ان تعمل الآن تحت مظلة الحماية الامريكية التى رفعها فانس.[452]

حسبما ذكر شارلس كوجان وهو مسئول سابق فى المخابرات المركزية الامريكية وكان يرأس قسم الشرق الاوسط، تنبأ فانس بثورة سلمية فى ايران تؤدى الى نظام يمكن أن يستوعب حتى الخمينى:

" كان فانس. (هل لنا ان نقول، والادارة بشكل عام) كانت تتطلع الى امكانية حدوث تحول هادئ يمكن للملكية من خلاله ان تسلم بعض السلطة الى خلفاء لا يعتبرون كالخمينى ولكن من المعتدلين حوله – وبعضهم كان موجودا بالفعل، وان هذا يمكن ان يؤدى الى التحول الناجح الى نظام ملكى برلمانى دستورى.[453]

فى اول الامر بدا أن ذلك يتم فى هدوء ثم تسارع مع تعاظم زخم الثورة ضد الشاه. واخذ مسئولو السفارة الامريكية والمسئولون الأمريكيون والمخابرات المركزية والمبعوثون شبه الرسميين من وشنطن بدأوا يقومون بالاتصال بالمعارضة " كان الشاه غاضبا جدا فى اواخر السبعينات نظرا لأن شخصيات من المعارضة واعضاء من هيئة رجال الدين يؤمون السفارة الامريكية دخولا وخروجا " يذكر جوان كول وهو استاذ فى جامعة متشجان وخبير فى شئون الاسلام [454] ان وجهة النظر هذه يؤكدها شارلس ناس وهو مسئول سياسى كبير فى السفارة الامريكية

---

451 – مقتبس من مؤلف جارى سيك Gary Sick الجميع يفشلون: المواجهة الأمريكية المأساوية مع ايران All Fall Down: America's Tragic Encounter with Iran (نيويورك 1985) ص 22

452– بيل Bill, The Eagle and the Lion النسر وا لأسد ص 228

453 – مقابلة مع شارلس كوجان مقابلة مع شارلس كوجان،الحلقة 20 جند اللــه الانترنت مايو 2004. www. Gwu.edu/~nsarchiv/coldwaar/interviews/episode-20/coganI.html

454 – جوان كول Juan Cole مقابلة مع المؤلف يوليو 2004

بطهران وكان يعمل تحت رئاسة السفير بيل سوليفان وهو ايرلندى جاف اللهجة خدم فى بعض الوظائف الصعبة بما فى ذلك فى لاوس خلال الحرب السرية للمخـــابرت المركزية الامريكية فى هذا البلد،، ووصل الى ايران سنة 1977 ليحل محل هيلمز. طبقا لماذكره ناس، حاول سوليفان جاهدا ان يقيم صلات مع المعارضـــة:" حينمـــا خرج بيل سوليفان ذكرت له اننى لم اعمل ابدا فى بلد لا اعلم ســوى القليـــل عـــن السياسة فيه" ويتابع ناس قائلا " وحينما وصل الى هناك بدأ يشجع القسم السياســـي على الخروج ومقابلة الناس وفعلا تحدثوا مع عدد من شباب التكنوقراط وعدد مـــن اعضاء الجبهة الوطنية بمن فيهم اناس يكنون مشاعر طيبة للقادة الدينيين"[455]

يقول ناس ان الشاه " قد شعر باننا غيرنا موقفنا وبدأنا نشـــجع المعارضـــة." يضع الشاه هذه المسألة فى مذكراته علـــى النحـــو التـــالى:"يريـــد الامريكـــان ان اخرج....لم يقل لى احد ابدا عن الانقسام الموجود فى ادارة كارتر ولا عن الآمـــال التى يضعها بعض المسئولين الامريكان على إمكانية قيام جمهورية اسلامية كقلعـــة ضد الشيوعية"[456]

كان اللاعب الاساس فى محاولة عمل اتصال بين الجبهة الوطنيـــة العلمانيـــة وعلماء الدين هو مهدى بازرجان مؤسس حركة التحرير وهو حزب دينى مـــوالى لرجال الدين، ومقدر له ان يصبح اول رئيس وزراء لإيران بعـــد الثـــورة. كـــان لبازرجان تاريخ طويل فى العمل مع الملالى، ولكنه يحتفظ ايضا بعلاقـــات حـــوار جارية مع الادارة الأمريكية وضباط المخابرات المركزية الامريكية. فـــى حقيقـــة الأمر كان بازرجان نفسه ملا على نحو ما. يقول مسئول عمليات سابق بالمخابرات المركزية الامريكية عمل فى ايران"ان بازرجان كـــان اساســـا احـــد آيـــات الله او مايطلقون عليه " آية الله بلا عمامة" [457] ان جهـــود الولايـــات المتحـــدة للاتصـــال بالمعارضة عملت بما لا مناص منه ليس فقط على اغضاب الشـــاه ولكنهـــا أيضـــا شجعت المعارضة وبوجه خاص قسمها الدينى. يقول نـــاس " ان هـــذه الاشـــارات فسرها بازرجان خطأ وكذلك فعل غيره" بعد الثورة ذكر لى بازرجان" ليس لـــديكم فكرة الى اى حد شجعنا الرئيس كارتر. هذه واحدة من الاشارات التى فسرت خطأ."

---

455 – شارلس ناس Charles Naas مقابلة مع المؤلف يونيو 2004

456 – محمد رضا بهلوى (إمبراطور إيـــران المخلـــوع) إجابـــة للتـــاريخ Answer to History (نيويورك 1980) ص 165

457 – ضابط عمليات سابق بالمخابرات المركزية الأمريكية –مقابلة مع المؤلف يونيو 2004

من مركزه فى الامم المتحدة كممثل لايران كان فريدون هوفيدا يراقب ما كانت تقوم به ادارة كارتر من الحط من شأن الشاه. كان هناك تحالف يتكون بين المعارضة الليبرالية وحركة بازارجان الدينية ورجال الدين بقيادة الخمينى. " كان الامريكان على اتصال دائم مع الليبراليين فى ايران بعد 1977. وكانوا يطالبون الليبراليين سيما بازرجان والجبهة الوطنية بالخروج والتعبير عن الرفض والاحتجاج وقد آن لذلك الاوان. انا متاكد من هذا. اخبرنى بعضهم فى ذلك الحين: ان الامريكان يقولون لنا هذا وقت الاحتجاج....وقلت للامريكان ان هذا مثل اللعب بالنار. انكم تاتون باكثر اعداء الغرب عداوة". يتذكر مسئول كبير فى الادارة الامريكية انه عقد اجتماع سنة 1977 استخدم فيه نفس الكلمات جيسيكا تتشمان وآخرون فى لجنة الامن القومى كانوا يتجادلون ضد مساندة الشاه وضد امداده بالغازات المسيلة للدموع ليستخدمها ضد المتظاهرين " ويضيف:" لقد قلت لهم" انتم لا تدرون عم تتحدثون. انتم ليست لديكم فكرة عن ديناميكية السياسة فى ايران، لأنه لا احد يعلم انتم تلعبون بالنار."[458]

المخابرات الامريكية وايران

اخذت ثورة آية الله الخمينى تكشف عن نفسها ببطء على مدى سنوات عديدة. ولا يمكن ان يندهش من نتائجها سوى اكثر الناس تبلدا فى الذهن. ان سلسلة من تقارير المخابرات الامريكية عن ايران كانت ابعد ما تكون عن الحقيقة. فاحد التحاليل الذى وضعته الادارة سنة 1972 يمارى بانه حتى ذلك الحين كان بعض الدبلوماسيين يرون ان الخمينى يجسد " قيما لبرالية" ولو أنها غير جذابة المظهر:

" يتمتع شاه ايران بتعاطف عام ويتبنى بشجاعة القضايا الاسلامية بالرغم من ان الإيرانيين....ليسوا متعاطفين كثيرا مع المشاعر الاسلامية الشمولية، وان رجال الدين الإيرانيين لم يعد لهم هذا النفوذ الدينى الكبير....الذى كانوا يتمتعون به خلال العقد الماضى وانهم اصبحوا فى المؤخرة ويفتقدون المبادأة تجاه المد المتنامى الذى تمارسه الدولة العلمانية....وان آية الله الخمينى، قبض عليه ونفى الى العراق سنة 1964 نتيجة لانشطته المعادية للحكومة بالرغم من انه لايزال يطمح الى قيادة مسلمى ايران الا ان تعاونه الوثيق مع الحكومة العراقية فى دعايتها ضد الشيعة وفى

---

458 - مسئول سابق بالإدارة الأمريكية – مقابلة مع المؤلف –يوليو 2004

اعمالها قد افقدته اى فرصة للمصالحة مع الشاه الحالى وحدت من تقبله لدى الكثير من المسلمين الإيرانيين الذين قد يشاطرونه بعض القيم اللبرالية الاساسية التى ينادى بها.[459]

تعود شارل ناس وكان يعمل مديرا لقسم الشئون الايرانية التابعة للادارة الامريكية خلال الفترة من1974- 1978في طهران اثناء الثورة- يقول ان تحليلات الادارة الامريكية لما يجرى حتى 1979 كانت ضحلة خاصة اذا كان كانت صادرة عمايطلق عليه" تقديرات المخابرات الوطنية"التى كان يعدها المجلس القومى للاستخبارات التابع للمخابرات المركزية الامريكية. " فى ذلك الحين كانت الفكرة العامةعند وضع هذه التقديرات مبنية على اساس ان اليمين الدينى لا يمثل اى خطربالنسنة للنظام – ويستمر ناس قائلا- لم يكن هناك عمليا اى تقارير حقيقية عن الجماعات الاسلامية فى هذه البلاد، ومن ثم فقد كنا معزولين تماما". فى اغسطس 1977 حسب التقرير التقديرى حول " ايران فى ثمانينات القرن" تنتهى المخابرات المركزية فيه الى ان" الشاه سوف يكون مشاركا فعالا فى الحياة الايرانية خلال الثمانينات، وانه لن يكون هناك تغيير جذرىفى مسيرة السياسة الايرانية فى القريب العاجل." بعد عام فى اغسطس 1978 انتهى تقرير اخر للمخابرات المركزية الى ان ايران تبدو متجهة الى تغيير هادئ متى ترك الشاه السلطة. وتضيف بان " ايران ليست فى وضع ثورى او حتى على وشك الثورة"[460]. فى 1978 كان الرئيس كارتر يشاهد من خلال التلفزيون برنامجا بعنوان تفكك إيران، فكتب الى بيروقراطيى الامن القومى شاكيا انه " غير راض عن نوعية المعلومات السياسية المخابراتية التى يتلقاها عن ايران[461] ، الا ان المخابرات المركزية التى كانت تفتقر الى الاخصائيين فى الشئون الايرانية ممن يتكلمون الفارسية والخبراء فى الشئون الاسلامية لم يكن باستطاعتهم ان يقدموا افضل من ذلك. يقول الادميرال ستانسفيلد مدير المخابرات المركزية الامريكية الذى عينه كارتر:" فى سنة 1977 لم يكن الاسلام يتبدى لنا فى المدى المنظور قوة سياسية.ولم يكن مجتمع المخابرات مؤهلا

---

459 – تقرير عام صادر عن الإدارة فى مايو 1972 بعنوان" الدوائر الدينية" وهو من الوثائق التي أفرجت عنها السلطات الإيرانية ضمن الوثائق التي وضعت يدها عليها بعد الاستيلاء على السفارة الأمريكية سنة 1979

460 – تقارير المخابرات المركزية الأمريكية بهذا الصدد غير مصنفة وكان ذلك موضع استجواب فى الكونجرس أعلن للجمهور فى يناير 1979 . والمقتطفات التي أوردتها مأخوذة من سيك .

461 – سيك Sick ص 90

لادراك كنهه. لقد قلل إلى حد كبير من تقدير امكانيات الخميني."[462] ولكن الأسوا انه خارج نطاق هذا العدد المحدود من الخبراء فى الشئون الايرانية لم يكن هناك فى الواقع احد فى ادارة كارتر لديه اية فكرة عمن يكون الخمينى الا فى وقت متاخر. يتذكر هنرى بريخت الذى كان مسئولا عن مكتب الشئون الايرانية سنة1978 انه تلقى برقية من طهران فى ذروة احداث الثورة:" تلقت الادارة برقية من السفارة فى طهران تذكر فيها الخمينى وتعرفه بانه "زعيم ايران الدينى" ويضيف أن تعريفه على هذا النحو" يعنى بالنسبة للقراء ان وشنطن تقول لهم انه ليس هناك معلومات يعتد بها عن حقيقة من يكون".

وبالرغم من وجود الآلاف من الامريكان فى طهران بمن فيهم مئات المسئولين بالاضافة الى قاعدة المخابرات المركزية الامريكية الموجودة هناك، لم يكن من احد لديه معرفة بالبنبية التحتية الثقافية والدينية والسرية وقوى المعارضة فى ايران سوى اقلية ضئيلة. فى الواقع فان جميع مسئولى الولايات المتحدة الذين كتبوا مذكراتهم عن الثورة الايرانية، يذكرون ان الولايات المتحدة كانت تعتمد على الشاه والحلقة الضيقة المحيطة به لمدها بالمعلومات عن سياسة ايران الداخلية. ويعود هذا جزئيا الى ان وشنطن كانت تثق فى الشاه ثقة مطلقة وانها كانت تعتقد ان مخابراته ونظامه الامنى لا يمكن اختراقهما، وقد يعود هذا جزئيا الى ان الشاه كان يعترض بشدة على اى مجهود تقوم به الولايات المتحدة للاتصال برجال الدين والمعارضة. يذكر وولتر كتلر وهو سياسي امريكى مخضرم كان يعمل فى تبريز ثانى اكبر المدن الايرانية فى الستينات انه حتى ذلك الحين كان من الصعب اقامة علاقات مع رجال الدين. " حينما كنت فى تبريز صدرت لى تعليمات بان اتحدث مع الملالى ولكنه يذكر انه" فيمايتعلق بالشاه كان الامر واضحا: لاتقترب من العناصر الدينية، فالسافاك حاضرة هناك حضورا آمنا "[463] فى السبعينات حينما اقام نيكسون وكيسنجر شراكة مع الشاه" لم تشجع وشنطن ايضا موظفيها على ان يكونوا بعيدين عن المعارضة والعناصر الدينية. كان عمل القاعدة الضخمة للمخابرات المركزية الامريكية فى ايران مركزا بشكل اساسي على أحداث الحرب الباردة وتعقب شخصيات الكتلة السوفييتية فى ايران والاشراف على جهاز المراقبة الموجود شمال إيران والموجه نحو الاتحاد السوفييتى.

---

462 – ستانسفيلد تيرنر رسالة عبر الانترنت إلى المؤلف ابريل 2004

463 – وولتر كتلر مقابلة مع المؤلف مايو2004

ذكر مسئول كبير فى المخابرات المركزية الامريكية كان يعمل فى ايران انه " نظرا لان الشاه كان حليفا للولايات المتحدة ولا يريد لجواسيس الولايات المتحدة ان يكون لهم علاقات برجال الدين،فقد كانــت المعارضــة الدينيــة بالتــالى خــارج انشطتنا"[464]

يلاحظ برشت ان اتصالات الولايات المتحدة برجال الدين كانت تحت مراقبــة المخابرات الايرانية:" من ناحية كان المسئول السياسي للسفارة يرتــب للقــاء مــع الملالى، فتلقى السفير رسالة من وزير شئون القصر يقــول لــه فيهــا " مســئولكم السياسي على موعد مع فلان وفلان، ونحن لانراها فكرة جيدة"[465] على اية حــال، بدءا من منتصف السبعينات التقطت اصوات دمدمة كانت تبدو اول الامــر بعيــدة، بواسطة احدى مجموعات المخابرات الامريكية. طبقا لأقوال العديد من المــوظفين الامريكيين، كان البريطانيون اول من استشعر وجود متاعب وكان لديهم القدرة على استحضار خبراتهم التى تعود الى تواجدهم فى ايران طيلــة قــرون عــدة. كــذلك الاسرائيليون الذين كانت مخابراتهم – الموساد– لها تواجدها فى البــازار.؟ يقــول بريشت " كان البريطانيون هم أفضل مصادرى، كان لديهم معلومات اكثــر وفــرة وكانوا أبعد نظرا ومصادر معلوماتهم لا يدانيها احد". استشعرت اسرائيل ايضــا ان الشاه قد انتهى أمره قبل ان تدرك الولايات المتحدة ذلك بوقت طويل. يقول برشــت انه حوالى 1976 وكان برفقة سناتور امريكى فى جولة فى ايران بدا السفير هيلمز عرضه وأخطر عضو الكونجرس ان ايران فى امان. يقول برشت:"على اننا عندما التقينا يورى لوبرانى ممثل اسرائيل المنتدب فى ايران قال له ان الشاه يواجه متاعب خطيرة من جانب المعارضة الدينية. وكانت هذه هى المرة الاولى التى اسمع فيهــا ذلك. لم يقل لى احد ذلك فى السفارة." بعد سنتين حســبما يقــول برشــت كانــت التحذيرات من جانب اسرائيل اكثر عجلة. "فى 1978 جاءنا فى الادارة احد رجــال المخابرات الاسرائيلية ليقول" نحن بالفعل فى عصر ما بعد الشاه ويجب ان نكــون على استعداد [466] فى ذلك الوقت كان معظم المسئولين يعتقــدون ان الشــاه ســوف يتغلب على العاصفة.

بداية من اواسط السبعينات بدأ يخيم على واضعى السياسة الامريكية ومسئولى المخابرات المركزية. ان الشاه سوف يسقط. يقول هارولد سوندرز وكان حينئذ يشغل

---

464 – – مسئول سابق متقاعد فى المخابرات المركزية الأمريكية مقابلة مع المؤلف مايو2004

465 – برخت مقابلة مع المؤلف مايو 2004

466 – المرجع السابق

وظيفة السكرتير المساعد للادارة الامريكية لشئون الشرق الادنى وجنوب اسيا:" كنت تستطيع ان تحصل على اجندة لكل من سنتى 1977 و1978 وان ترتب الناس على الاجندة تبعا للتاريخ الذى يرون ان الشاه لن يعود موجودا فيه."ثمة سبب خطير لم يتم فحصه يتعلق بالقرار الذى يمكن ان تتخذه الولايات المتحدة عند تحديد سياستها تجاه ايران فى السبعينات، وهو المرض الخطير الذى كان يعانى منه الشاه. وهو هام لانه كان معروفا ان الشاه مصاب بمرض خطير، الامر الذى يمكن ان يؤثر تاثيرا خطيرا على كل الحسابات المتعلقة بمستقبل ايران.هل يمكن ان يموت الشاه فى مكتبه دون ان يكون هناك تحديد واضح للشكل الذى ستنتقل به السلطة من بعده ؟ قد يكون هناك خطر جسيم جاثم، خطر ان تغرق ايران فى الفوضى. وقد شخص مرض الشاه حسبما ذكر هوفيدا شقيق رئيس الوزراء فى ذلك الحين – فى بواكير سنة 1969" كان ذلك فى اواسط السبعينات حينما سمعت انه مصاب بالسرطان. وبالرغم من ان هذا كان يعتبر سرا يجب الحفاظ عليه بحرص شديد، الا انه يصر على ان الولايات المتحدة لابد وان تكون عرفت به لان مثل هذه الاسرار لا يمكن كتمانها سيما وان الشاه كان لديه آراء ثانية وثالثة ولانه كان يستشير اطباء امريكان ايضا."[467] ولكن صانعى السياسة الامريكية ومسئولى المخابرات المركزية يوردون شهادات متضاربة بشان مدى معرفة الولايات المتحدة باصابة الشاه بالسرطان ومتى عرفت بذلك. يقول هارولد سوندرز رئيس قسم الشرق الاوسط فى الادارة الامريكية ان الولايات المتحدة لم تعرف ان الشاه مريض حتى بعد ان ترك ايران. ولكن شارلس كوجان المسئول السابق بالمخابرات المركزية يقول ان الازمة الايرانية بدأت فى الحقيقة حينما اصبح مرض الشاه واضحا ليس لنا ولكن للفرنسيين فى وقت مبكر جدا سنة1972." [468]. واعتقد اننا اصبحنا اخيرا على علم بمدى خطورته سنة 1976.[469] حسبما يقول كوجان فان ريتشارد هيلمز سفير الولايات المتحدة فى طهران راوده الشك فى اصابة الشاه بالسرطان واخطر وشنطن بذلك. واعتقد ان ذلك حدث سنة 1975 حينما كتب هيلمز شيئا عن ذلك، ولكن ذلك لم يسترع الانتباه." يضيف كوجان:" ان الفرنسيين كان لديهم علم بذلك منذ سنة 1972 وان احد الاطباء المعالجين للشاه كان بطريقة ما متصلا بالمخابرات الفرنسية."[470]

---

467 – فريدون هوفيدا مقابلة مع المؤلف مايو 2004

468 – مقابلة مع شارلس كوجان ، الحلقة 20 جند اللـه الانترنت مايو 2004

www. Gwu.edu/~nsarchiv/coldwaar/interviews/episode-20/coganI.html

469 – شارلس كوجان مقابلة مع المؤلف مايو 2004

470 – مسئول سابق متقاعد فى المخابرات المركزية الأمريكية مقابلة مع المؤلف مايو2004

ويقول مسئول كبير بالمخابرات المركزية يتمتع بخبرة كبيـرة جـدا فـى الشئـون الايرانية، يقول بصراحة:" نحن نعلم ان الشاه كان مريضا، كان لـدينا تقـاريرمن مصادر جيدة جدا."[471] فى اواخر السبعينات لم يكن يصعب على مخابرات الولايـات المتحدة ان تستنتج ذلك بسهولة وان تستخلص ان الشاه يقترب من نهايته. يقول ديفيد لونج الذى كان يعمل فى مكتب المخابرات التابع للادارة الامريكية ان هذا كان كافيا لاتخاذ قرارات عملية:

" ان حقيقة ان الشاه كان مريضا وانه كان مصابا بالسرطان كان امرا معروفا، ولكن هذا لم يتم ادراكه بشكل كاف. ولكننا – نحن خلية النحل العاملة – كنا نعلـم بمافيه الكفاية انه كان فى حالة ميئوسا منها وكـان مـن واجبنـا ان نعـالج هـذا الامر."[472]

من بين هؤلاء الذين لم يصلوا الى هذه النتيجة الا مؤخرا، اى ان الشـاه قـد انتهى، كان برجنسكى وروكفلر – كيسنجر شركاء الشاه المقربين الذين – اواخـر 1978 تعلقوا بامل ان الشاه سوف ينجو. كانت السفارة الامريكية فى طهران بطيئة فى ادراكها مدى الخطر الذى يتعرض له الشاه. ولكن القنصليات الامريكية خـارج طهران كانت اكثر قبولا للاستجابة لنبض البلاد، وكانت تقاريرها الموجهـة الـى وشنطن أكثر ادراكا. ولكن خبراء المخابرات المركزية – كافراد، ومنهم من قضى سنوات فى طهران– كانوا من بين اوائل من ادركوا ان ايران تنهار. يقـول احـد مسئولى المخابرات المركزية:" تركت ايران سنة 1967واخبرت اربعة من اصدقائى القريبين ان يخرجوا اموالهم من البلاد لأن ايران تنحدر الى الهاوية."[473] لكن هـذا التشاؤم لم يجد طريقه الى سيناريو التقديرات الوردية لتقارير المخـابرات المعـدة للارسال الى وشنطن، ولكن سوليفان سفير الولايات المتحدة فـى طهـران تمسـك بالاعتقاد فى صيف 1978 ان نظام الشاه سوف يستمر. فى مذكراته التـى كتبهـا تحت عنوان " بعثة الى ايران" يلاحظ ان بعض الدبلوماسيين كانوا يشعرون ان الشاه سوف يسقط، مستشهدا بصفة اساسية بمسئولى السفارة الفرنسية الذين كانوا يتوقعون ان الشاه سوف يسقط خلال سنة واحدة". يؤكد سوليفان " غير اننا كنا نشعر ان الشاه يواجه متاعب....لكننا لم نر نذرالثورة."[474] منذعام مضى،فى برقية الى وشـنطن

---

471 – ديفيد لونج مقابلة مع المؤلف ابريل 2004

472 – – مسئول سابق متقاعد فى المخابرات المركزية الأمريكية مقابلة مع المؤلف مايو 2004

473 – وليم سوليفان بعثة إلى إيران نيويورك 1981 ص 142

474 – وليم سوليفان ، " قش فى مهب الريح : المعارضة الفكرية والدينية فى أيران" برقية سـرية مـن طهران إلى واشنطن25 يوليو 1977

معنونة "قش فى مهب الريح" يلاحظ سوليفان حدوث المزيد من المتاعب الدينية فى ايران". كان هناك ما يشير الى انه بالرغم من التعصب الموجودفى الاوساط اليمينية الدينية كان عدد من الأئمة الاسلاميين المحافظين البراجماتيين يريدون ركوب موجة حقوق الانسان والتحالف مع اليسار(الجبهة الوطنية مثلا)حيث يمكن التوافق على اهداف مشتركة.ويذكر سوليفان بوضوح انه فى حالة مماثلة تم فرض الاستقرار الدينى بين المسلمين المتنافسين فى كل من باكستان والعربية السعودية وتركيا، غير انه انتهى الى القول بان حكومة الشاه سوف تحتفظ بالحركة الدينية تحت السيطرة.[475] ويعترف سوليفان فى مذكراته بانه كان مضللا فيما يتعلق بالاسلام، وانه لا العاملين معه ولا المخابرات المركزية استطاعوا ان يقدموا له يد المساعدة، وان جهوده فى ان يتقدم بمزيد من المقترحات للمذهب الشيعى كانت تكبت دائما....فلا رؤساءناالسياسيين او المخابراتيين كانوا قادرين على تلبية اهتماماتى بالحصول على المزيد من التبصر فى فكر الشيعة.[476]

ريتشارد كوتام والامريكان

ريتشارد كوتام هو احد المسئولين الامريكان السابقين الخبراء فى العقل الشيعى. عمل فى ايران فى اوائل الخمسينات مع فريق العمليات السرية التابع للمخابرات المركزية الامريكية، يقول عنه جون وولر رئيس مكتب المخابرات المركزية فى ايران فى اواخر الاربعينات واوئل الخمسينات[477]" انه حالة فريدة منه ". اصبح كوتام استاذا فى جامعة بتسبرج سنة 1958 غير انه لم يترك المخابرات المركزية او الاعيبها بشكل تام. خلال الستينات والسبعينات كان كوتام يحتفظ بعلاقات وثيقة مع شخصيات من اصل ايرانى من الجبهة الوطنية ومن الشخصيات الدينية. وكان قريبا بشكل خاص من اثنين ممن سيعملون سنة 1978 كاقرب مساعدى الخمينى خلال نفيه فى باريس بينا كانت الثورة الايرانية لا تزال فى طور تبرعمها، وهما: ابراهيم يازدى وصادق قطبزادة – وكنيتهم "الأمريكيان"– كلا الرجلين قضيا سنوات عديدة فى رعاية الولايات المتحدة الامريكية، وكل منهما عمل

---

475 – سوليفان بعثة إلى ايران ص 92

476 – جون وولر – مقابلة مع المؤلف فبراير2004

477 – مذكرة عن المحادثات " جبهة التحرير الوطني الإيرانية " 8 مايو 1978 – سرى من أرشيف الأمن القومي.

مع جماعة الاخوان المسلمين المرتبطة بجمعية الطلبة المسلمين التى ساعد يازدى فى تاسيسها سنة 1963. قابل كوتام يازدى لأول مرة فى ايران فى الخمسينات عندما كان كوتام يعمل ضابطا فى المخابرات المركزية الامريكية وارتبط الرجلان بعرى صداقة وثيقة. خلال الستينات كان يازدى يتردد فيما بين ايران وباريس والولايات المتحدة ويعمل مع قطبزادة وكثير غيره من ذوى العقليات الدينية من النشطاء الايرانيين الذين يؤيدون آية الله الخميني. فى سنة 1967 استقر يازدى فى هيوستون فى تكساس حيث عمل فى وظيفة باحث ومدرس فى كلية طب بايلور. بدأ اسم كوتام يظهر مبكرا سنة 1978 فى مهام سرية او موثوقة لمرافقة مبعوثى الادارة او المخابرات المركزية الامريكية القادمين من ايران. فى مايو التقى جون ستمبل من سفارة الولايات المتحدة فى ايران مع احد القيادات القريبة من الخمينى ويدعى محمد تافاكولى الذى تساءل ما اذا كان ستمبل يعرف الاستاذ (البرفيسور) ريتشارد كوتام. وطبقا لبرقية ستمبل تساءل تافاكولى ما اذا كان لدى ستمبل طريقة ما ليثبت بها انه ضابط فى الادارة الامريكية وما اذا كان لديه مانع فى ان يراجع اسمه مع البروفيسور كوتام."[478] بعد عدة اسابيع التقى ستمبل تيفاكولى وبازرجان زعيم ما يطلق عليه الآن حركة التحرير الوطنية وتساءل تيفاكولى مندهشا – واضح انه يقصد كوتام– ما اذا كانت ادارة كارتر لديها قناة اتصال منفصلة داخل السفارة عن سائر القنوات. كتب ستمبل يقول:" لقد لاحظ ان الحركة امدت كوتام بكثير من المعلومات حينما كان ضابطا فى الادارة وظل يعمل كذلك [479]. ظل كوتام يتردد على طهران وباريس حيث قابل الخمينى ويازدى وقطبزادة. فى يونية 1978 كتب شارل ناس من السفارة الامريكية الى هنرى برشت المسئول عن مكتب ايران: " لقد وجدناه امرا مدهشا ان يكون ريتشارد كوتام كما كان يظن الكثيرون منا لا يزال على صلة وثيقة ب" حركة التحرير" فى الولايات المتحدة، وكانوا يريدون التاكد من ذلك."[480]

---

478 – مذكرة عن المحادثات (مزيد من المناقشات مع جبهة التحرير الوطني الإيرانية) 30 مايو 1978 – سرى – من ارشيف الامن القومى .

479 – رسالة سرية من شارل ناس إلى هنري بريخت بتاريخ 6 يونيو 1978 – من أرشيف الأمن القومي (الامريكى)

480 – برخت مقابلة مع المؤلف . ينظر أيضا تاريخ برخت كما رواه فى صحيفة الشرق الأوسط – 58 (شتاء 2004)

في ديسمبر عندما بدا بوضوح ان الثورة على وشك ان تحقق النجاح، لاحظ احد مبعوثى الادارة الامريكية الموثوقين فى السفارة ان ثمة اشاعات بان كوتام قد يصل سرا الى طهران " فى حدود افضل ما نعلم فان كوتام لم يكن هنا، وسوف نكون شاكرين اذا تفضلت الادارة بالتاكد من تواجده فى بتسبرج." ولكن كوتام فى ذلك الحين كان يبحث اقامة علاقات علنية بين يزدى وقطبزادة وغيرهم فى ادارة الخمينى مع وشنطن الرسمية من خارج قنوات الادارة. يقول برشت ان كوتام حاول مرارا ان يفتح حوارا بين دوائر الخمينى والحكومة الامريكية. يضيف برشت انه فى اواخر سنة 1978 ذكر كوتام ان ابراهيم يزدى سوف يصل الى وشنطن وانه ينبغى علينا مقابلته وتم اخطار جارى سيك من هيئة الامن القومى بنفس الفكرة. غير ان كوتام لم يكن من الشخصيات المرغوب فيها من جانب الإدارة نظرا لان لديه كل هذه الاتصالات مع العناصر ذات الاصل الايرانى...الذين احيانا يتعامل معهم العاملون فى مكتب حقوق الانسان الذى يتراسه ستيف كوهن." وفعلا سرعان ما قام بريشت وغيره من العاملين بالادارة بفتح حوار مع الثوار بمن فيهم يزدى وشهريار روحانى –ابن يزدى بالتبنى. واستمرت اللقاءات فى باريس. فى طهران قام كوتام قبل عدة اشهر من قيام الثورة بتقديم موظفى السفارة الى آية الله بهشتى، الممثل الرسمى للخمينى فى ايران. وقد اكد الايرانيون لموظفى السفارة ان الخمينى شخصا لا يخشى منه وانه لبس لديه اية طموحات شخصية.

بعد ذلك بعدة اشهر استولى الخمينى على السلطة وبدأ فى اقامة المؤسسات التى تضمن استمرار بقاء السلطة فى يد رجال الدين خلال ربع القرن التالى: المجالس الاسلامية، البازداران، الحرس الثورى، الهياكل المختلفة للخبراء المسلمين، المحلفين، المحاكم الثورية والمجلس الثورى. واعدم مئات وربما الالوف من الموظفين فى عهد الشاه وقتل اتباع الخمينى عددا آخر لا يحصى من الناس.

جاهدت الولايات المتحدة من اجل ان تفيق من الصدمة التى احدثتها الثورة الايرانية فى يناير – فبراير 1979. وبذلت مجهودا ضخما فى اقامة ما يشبه العلاقات الدبلوماسية مع النظام الجديد فى طهران، ولكنها بدأت بداية سيئة. يقول وولتر كتلر الدبلوماسى الذى كلف بان يكون سفيرا للولايات المتحدة لدى جمهورية ايران الاسلامية منتصف سنة1979:" كنا نريد ان نقيم حوارا وكنت اتاهب للتوجه الى هناك وان نقيم نوعا من التجاوب مع النظام الجديد بدءا من الخمينى نزولا الى الادنى."[481] كان كتلر يعمل سابقا فى ايران كقنصل للولايات المتحدة فى تبريز فى

481 – والتر كتلر مقابلة مع المؤلف مايو 2004

منتصف الستينات ثم امضى معظم الوقت من الثمانينات سفيرا فى العربية السعودية، ثم اختير ليحل محل بيل سوليفان السفير السابق الذى نالت من سمعته كثيرا علاقاته مع الشاه. وطلب من كتلر ان ينظم فريقا يصحبه الى إيران بسرعة. " كـــان هنـــك استعجال ان اقوم بمهمتى، وكان على ان اشكل طاقما جديدا على وجه الســـرعة. طلب منى وزير الخارجية سايروس فانس اختيار من اشاء وسوف يقوم بتعيينـــه." غير ان ما لم يعرفه كتلر أن كثيرا ممن عينوا ضمن فريقه سوف يؤخذ رهينة فـــى نوفمبر ويوضع لمدة 15 شهرا فى ظروف سيئة. يقول كتلر:" كان علينا ان نثبـــت للايرانيين اننا لسنا الشيطان الأكبر.". ان حقيقة ان الثورة الايرانيـــة تقـــوم علـــى الاسلام وليس الوطنية اليسارية كان امرا مستحبا للكثيرين من صـــانعى السياســـة الامريكية والدبلوماسيين ومسئولى المخابرات المركزية بدءا من برجنسكى فى هيئة الامن القومى الى الادنى. يقول كتلر:" كنا فى حرب باردة وهاهنا ثورة اســـلامية، وكنت هناك لفترة كافية لأعرف ان ثمة شبهات تحوم حول الروس. وكنـــت اظـــن اننى استطيع ان اتعامل مع فرضية ان الاتحاد السوفييتى يمكن ان يحـــاول توســـيع نفوذه بسبب قوة الاسلام....فاذا كنت تبحث عن مصالح مشتركة فـــان اهتماماتنـــا المشتركة فيما يتعلق بالتغلغل السوفييتى فى هذه المنطقة من العـــالم كـــان واحـــدا منها.."

غير ان كتلر لم يصل الى ايران أبدا، ذلك ان صدور قرار مـــن الكـــونجرس بادانة الخمينى سنة 1979 اشعل آيات الله غضبا. وطبقا لكتلر كما اخطره يـــازدى فيما بعد، اراد الخمينى ان يقطع العلاقات مع الولايات المتحدة تماما. ولكن يـــزدى حث الخمينى على اتخاذ نصف خطوة والاكتفاء برفض السفير. وهكذا الغى تعيـــين كتلر.[482]

ولكن بعض من تم تعيينهم – ومعظمهم قدر لهم ان يكونوا رهائن فى نوفمبر كانوا قد بداوا فى الوصول، بعضهم وليسوا كلهم. كانوا قد عملوا فى ايران من قبل ولكن من الناحية النظرية لم يكن لدى اى منهم سابق خبرة او معرفة بالاسلام. كان بروس لينجن الذى ترأس السفارة خلال غياب السفير قد عمل مـــن قبـــل لفتـــرات قصيرة فى ايران لكنه حسبما يقول صراحة لم تكن له سابق خبـــرة فيمـــا يتعلـــق بموضوع الاسلام." وكان قد اعفى من مهمة خاصة كان من المفـــروض ان تاخـــذه الى اليابان ولكنه أرسل الى طهران لان الادارة كانت تبحث عن بديل."هل كان لديه

482 – المرجع السابق

استعداد جيد ليتعامل مع الايديولوجية الاسلامية والخميني؟ بصراحة يقول: لا. تقريبا لاشئ."[483]

يصف توماس أهيرن المسئول الاساسي الجديد عن المخابرات المركزية الامريكية في ايران، يصف الامر بانه " صدفة بيرقراطية"، ويضيف بانه لم يتلق اى مساعدة من الحكومة تمكنه من ادراك ديناميكية الحركة الاسلامية الخاصة بالخوميني ويقول: يمكن ان تقول على لساني انه لم يكن ثمة تعليمات اكاديمية بشأن السياسة والثقافة والاقتصاد في ايران. بالكاد هي معلومات من نوع تلك التى تتلقاها في مدرسة تجارية وتعدك لتقلد بعض الوظائف واقامة بعض العلاقات."[484] يقول جون لمبرت وهو دبلوماسي امريكي اخر يتحدث الفارسية بطلاقة انه تلقى برقية تقول ما معناه:" اننا نريد اناسا نرسلهم الى طهران ليعيدوا بناء او استخلاص شئ من هذه الاحداث." وبرغم سذاجتي فقد كنت اعتقد انا وبعض الزملاء انه يمكننا اخيرا ان ننشئ علاقات صحية مع ايران." لكن هل كان لمبرت ولينجن ورفاقهم الآخرين يعرفون الاسلام والطبيعة اليمينية التى يتبعها الخميني؟ لم نكن نعرف."[485] في نوفمبريغدو لينجن وأهرن ولمبرت وعشرات غيرهم من زملائهم سجناء لعصابة تدار سرا بواسطة الخميني.

كانت الحكومة الايرانية الجديدة برأسين: كانت هناك الحكومة الرسمية برئاسة رئيس الوزراء بازرجان ومعه يزدى وقطبزاده بالاضافة الى الرجل الذي سيقع عليه الاختيار فعلا كاول رئيس للجمهورية الاسلامية: ابو الحسن بني صدر. ولكن كانت هناك الحكومة الموازية غير الرسمية التى تتشكل من الخميني وعدد محدود من آيات الله والكوميتات والبازداران وعدد آخر من المسئولين عن المؤسسات الاسلامية تحت الانشاء التى تشكل قلب النظام من اجل تطبيق النظام الثيوقراطي للخميني. كان طاقم السفارة الامريكية الجديد والزائرين من مسئولي المخابرات المركزية الامريكية الذين يقتصر معظم عملهم على التعاطي مع موظفي الحكومة الايرانية الذين تتضاءل سلطاتهم باستمرار في نفس الوقت الذى يحرص فيه الخوميني على ان تظل الولايات المتحدة على اهبة الاستعداد. عكف الخميني على وضع خطة لعزل العلمانيين واليسار والقوى الدينية المعتدلة والقضاء عليهم برغم تعاونهم السابق مع الثورة ضد الشاه خلال الستينات ، آخذا كلا من هذه القوى على

483 – بروس لينجين مقابلة مع المؤلف يونيو 2004

484 – ثوماس أهرن مقابلة مع المؤلف يونيو 2004

485 – جون ليمبرت مقابلة مع المؤلف مايو 2004

انفراد. كان هدفه النهائي هوتدعيم السلطة تحت قيادته الشخصية والمجلس الثوري ثم هيئة الظل التي كانت تضم اساسا كل آيات الله الموالين للخميني. حسبما قال لينجن:

" لم يكن لدينا سوى صلات قليلة بهيئة رجال الدين، ولم ار الخميني اطلاقا، ولم نتبادل الحديث ابدا مع المجلس الثوري. فقط كنا نشعر بوجوده وادركنا انه موجود فعلا، ولكننا لم ندرك مقدار السلطة التي لديهم. وكنا نرى ان مهمتنا هي ان نستعيد تقبل الثورة لنا، وان ننقل اليهم اننا بلد ذو عقلية روحية، وانه من السهل على الولايات المتحدة ان تصل الى فهم طبيعة الاسلام السياسي وانه لا مستقبل امام الشاه. غير اننا كنا لا نزال في اسار الاعتقاد بان الجانب العلماني في الثورة هو الذي سوف يتغلب كبازرجان ويازدي وقطبزاده، وقد كانوا يعتقدون انهم سوف يكونون قادرين على اللحاق وانهم سوف يكونون قادرين على احتواء نفوذ الخميني.[486]

تحدث موظفو السفارة فعلا مع عدد محدود من علماء الشيعة الاكثر اعتدالا ولكن دون ان يؤدي ذلك الى فتح الباب الى الدائرة الداخلية الضيقة للخميني. ولكن عددا كبيرا من هؤلاء الملالي المسلمين الذين يبدون اكثر ميلا للتعاون، تم اقصاؤهم جانبا او ذبحوا او اجبروا على اللجوء الى المنافي بينما مضى الخميني قدما في تعزيز قوته.

لم تحصل السفارة ايضا على مساعدات تذكر من المخابرات المركزية التي فشلت في تقديم اي تقدير مخابراتي عن مستقبل ايران خلال سنة 1979. يقول اهيرن:

" انني لا اتذكر اي تقدير موقف او استقراء (تنبؤ) لما سيحدث مستقبلا. كان كل ما تريده وشنطن من السفارة هو ان تشجع او تساند يزدي وبازرجان على امل ان ذلك سوف يؤدي الى ان يصبح النظام اكثر اعتدالا او ان يساعد ذلك في الحد من من الاتجاهات الرجعية للنظام. وحسبما ذكر كان ذلك كله لا يتعدى الآمال المستحيلة وليس على مستوى التخطيط الجاد او البناء على مؤشرات صادرة من الايرانيين بامكان حدوث ذلك."[487]

ولكن اذا كانت المخابرات المركزية قد عجزت عن الوصول الى نتائج بشان مستقبل ايران الا انها اعطيت تعليمات بان توصل الى المخابرات الايرانية معلومات مخابراتية بالغة الحساسية عن جارتها العراق. وقبل انقضاء سنة كان البلدان

---

486 – – لينجن مقابلة مع المؤلف

487 – أهرن مقابلة مع المؤلف

مشتبكان فى صراع دامى، خلف وراءه اكثر من مليون قتيل. بالاضافة الى رئيس المخابرات المركزية الامريكية فى ايران قام مسئولون آخرون من المخابرات المركزية سنة 1979 ، قبل الاستيلاء على السفارة الامريكية بزيارات الى ايران ومنهم روبرت أيمس وجورج كيف. فى احدى المناسبات على الاقل قام ايمس الذى يراس فرع المخابرات المركزية فى الشرق الاوسط بزيارة الى آية الله بهشتى كما قابل مسئولين آخرين مثل يزدى وامير عباس ونظام وغيرهم من المسئولين من غير رجال الدين ووضع نظام مشترك للمخابرات خاصة فيما يتعلق بالعراق. ". بمجرد تشكيل حكومة بازرجان حاولت ان تحصل على منافع اقتصادية." ذلك ما يذكره احد رجال المخابرات المركزية الذى كان يعمل فى مجال الشئون الايرانية فى ذلك الوقت، ويضيف ان المخابرات المركزية حذرت ايران سنة1979 من نوايا العراق بشن الحرب[488]، ويؤكد لينجين على التقارير التى تشير إلى أن الولايات المتحدة سربت الى المخابرات الايرانية معلومات عن نوايا العراق الحربية.:

"كنا مهتمين بما يحدث فى العراق. وكانت العلاقات بين ايران والعراق فى ادنى مستوياتها. كان الخمينى لايقبل صدام حسين.وكان لديه رغبة فى تصدير الثورة الى العراق. ومما لا شك فيه ان العراق كان هدفا رئيسيا. واتذكر اننا كنا نقوم بتلخيص التقارير التى تضعها المخابرات المركزية عن العراق. واتذكر اننا قمنا بامدادهم بمعلومات عن قدرة القوات العرقية واماكن تواجدها واهدافها، وكانت هذه تجربة جديدة بالنسبة لى: ان اجد نفسى فجاة مشغولا بالجانب المخابراتى من الدبلوماسية."[489]

فى الوقت الذى كانت فيه الولايات المتحدة تمرر المعلومات المخابراتية الى الملالى بمن فيهم بهشتى، أخذ يتضح لنا اكثر فاكثر ان بازرجان ويزدى وقطبزادة ليس لديهم فى الوقع اى سلطة، و ان هيئة رجال الدين الشيعية تسيطر على كل شئ. كان هذا حقيقيا خاصة فيما يتعلق بالجانب العسكرى." لم يكن هناك ثمة روابط بين بازرجان والجيش.وانا اعلم ذلك علم اليقين." على نحو ما يقول مسئول سابق بالمخابرات المركزية-" ان الشئون العسكرية كانت تحت القبضة الحديدية للملالى. والملالى يقسمون ايران الى 17 قرية ويختارون الاشخاص الذين يديرون كلا منها من خلال ما يعرف باسم "الكوميتا"[490]

488 – مسئول سابق متقاعد فى المخابرات المركزية الأمريكية مقابلة مع المؤلف يوليو 2004

489 – لينجن مقابلة مع المؤلف

490 – مسئول سابق متقاعد فى المخابرات المركزية الأمريكية مقابلة مع المؤلف يوليو 2004

بالرغم من ذلك فان عددا محدودا من واضعى السياسة الامريكية بدأوا يـرون فى التوجه الاسلامى لايران عامل تهديد للاتحاد السوفييتى. وكان امرا مثيرا للدهشة ان يكون من اكثر المتحمسين لهذا الاتجاه هو برجنسكى مستشار الامـن القـومى المتشدد الذى كان يدعو الى اللجوء الى الانقلاب العسكرى فى ايران لوقـف ثـورة الخمينى. بدأ برجنسكى يغير رأيه تدريجيا متبنيا الرأي الذى أطلـق عليـه" قـوس الازمات" الذى يمتد من شمال شرق افريقيا الى آسيا الوسطى وهى منطقة المنافسة والصراع المحتدم بين القوتين الاعظم، وتشـمل المنطقـة المخضـبة بالمقاومـة الاسلامية. يتذكر هنرى بريشت، وهو احد المسئولين الامريكيين الاكثر انحيازا ضد الشاه ويحبذ اقامة علاقات جيدة مع الجمهورية الاسلامية، يذكر بريشت الوضع فى الشرق الاوسط سنة1979 على النحو التالى:

بعد الثورة كنا لا نزال نعتبر ايران فى غايـة الاهميـة بالنسـبة للمصـالح الامريكية فى الشرق الاوسط. ذات يوم توجه هال سوندرزمساعد سـكرتير الادارة لشئون الشرق الاوسط الى البيت الابيض لاجراءمقابلة هناك، وعندما عاد قال لى:" سوف تسعد جدا فسنقوم بمحاولات جديدة لتطوير علاقة جديدة مع ايـران." كانـت فكرة استخدام القوى الاسلامية ضد الاتحاد السوفييتى تدور حول وجود مايطلق عليه قوس الازمات ومن ثم يمكن حشد قوس اسلامى لاحتواء السوفييت. وكانـت هـذه فكرة برجنسكى."[491]

يذكر برجنسكى فى مذكراته انه بدأ يضغط من اجل سياسة امنيـة أمريكيـة تهدف الى الاحتواء الكلى عبر قوس الازمات حتى قبل ان تتحقق الثورة الايرانيـة. كان يعنى انه فى ذلك الوقت كان كان معنيا ببناء روابط عسكرية امريكيـة قويـة بمصر والعربية السعوديةوباكستان وتركيا، اى البلاد الاسلامية الاربـع الموجـودة داخل هذا القوس، بالاضافة الى المساندة التى تلقاها الولايات من عمان والصـومال وكينيا والقواعد العسكرية للولايات المتحدة المنتشرة فى عدة بـلاد وفـى المحـيط الهندى. يقول برجنسكى " فى اواخر سنة 1978بدات اضغط فى اتجـاه نظريـة " قوس الازمات" من اجل ايجاد اطار للامن" من شانه تاكيد قوة الولايـات المتحـدة ونفوذها فى المنطقة[492]. كان برجنسكى يرى ان فقدان الشاه كان كارثة حسبما ذكر كوتام. فى بداية الامر كان برجنسكى يريد بينوشيت ايرانى اى دكتاتور عسـكرى يقمع الثورة الاسلامية باى ثمن. غير انه بعد ان اصـبح ذلـك مسـتحيلا تطلـع برحنسكى الى اقامة "تحالف واقعى"جديد مع قوى الجهاد الاسلامى ومع الجمهورية

491- برخت مقابلة مع المؤلف

492 – برجنسكى القوة والمبدأ (نيويورك 1983) ص ص 446-47

الاسلامية فى ايران." كما يقول كوتام" ان الاستقرارلم يكن ببساطة هدفا له. ان همه الاول هو ان يشكل تحالفا مضادا للسوفييت فى المنطقة التى يطلق عليهـا " قـوس الازمات". فى صيف 1979 كان برجنسكى يؤمن بـاخلاص الخـومينى الشـرس المناهض للشيوعية."[493]

بعد اشهر قلائل ومن خلال مجهوداته لتحقيق هذا الحلم قابل برجنسكى فـى الجزائر رئيس الوزراء الايرانى بازرجان ووزير الخارجية يزدى ووزيـر الـدفاع مصطفى شمران، ولم يكن هناك وقت اسوأ من ذلك. فقبل هذا بعدة اسابع سـمحت ادارة كارتر للشاه الذى كان يعانى سكرات الموت بالسرطان ان يسافر الى نيويورك للعلاج، وهو التصرف الذى اشعل نار الغضب لدى اكثر انصار الخمينى تعصـبا، وانتهز الخمينى هذه الفرصة ليتحرك ضد جناح بازرجان- يـزدى فـى الحكومـة الايرانية، بعد ثلاثة ايام فقط من مقابلة برجنسكى لبازرجان فى الجزائر، حدث مـا كان يبدو فى ذلك الوقت حركة تلقائية من قبل جماهير الطلبة التى هاجمت السـفارة الامريكية فى طهران وهو ما يشكل واحدة من اكثرالازمات الدلوماسية فى تـاريخ الولايات المتحدة. لم يعد من ثمة مجال للحوار امام الولايات المتحدة مـع طهـران حيث تم احتجاز دبلوماسييها فى ايران.، وتذرعت الحكومة الايرانيـة بـان الـذين احتجزوا الرهائن كانوا ببساطة مجرد طلبة متظاهرين. ولكن لم يكن هناك ادنى شك ان الحدث باكمله كان مدبرا من قبل الخمينى وبطانته المقربة كوسيلة لتدعيم السلطة السياسية للحكومة الموازية غير الرسمية التى كانت تزداد قوة.

كان لدى فلاديمير كيزتشكن رئيس المخابرات الروسية فى طهران الذى لجـأ الى الغرب منذ سنوات قلائل، كان لديه معلومات مباشـرة عمـن نظـم العمليـة الارهابية: " لقد علمنا من مصادرنا من هو الذى اجاز ثم نفذ عملية الاستيلاء علـى السفارة."لقد ووفق على عملية الاستيلاء على السفارة فى نفس لقاء القيادة الايرانيـة ونفذ كلية بواسطة فريق مدرب من اعضاء من الحرس الثورى."[494]

لم يكن لدى ادارة كارتر اية علامة للاسترشاد بها لكيفية التعامل مع الخمينـى بعد الاستيلاء على السفارة. لقد كتبت اوراق كثيرة عن ازمة الرهائن ولكن لم يكـن هناك ما يشير الى عبثية جهود كارتر اكثر من فقرة وردت فى مذكرات هـاملتون

---

493 – ريتشارد كوتام ، " الولايات المتحدة ومدى استجابة الاتحاد السوفييتي" لا غربا ولا شـرقا (نيـو هافن 1990) ص ص 276-78

494- فلاديمير كوزيشكين ، من داخل جهاز المخابرات السوفييتية: حياتي أثناء عملي فـى الجاسوسـية السوفييتية (نيويورك1990) ص 293

جوردان رئيس موظفي البيت الابيض الذى كان يتحمل مسئولية حسم الموقف. يصف جوردان كيف كان كارتر يبدو فى نكبته فيقول:

"ارجو ان تقابلنى فيما بعد. اننى اكتب رسالة الى الخمينى." اعجبتنى فكرة ان يقوم بابا الغرب بالكتابة الى المسلم المتعصب، فقلت فيما بينى وبين نفسى: ترى ماذا يقول له؟ فكرت فى انه ربما يمهر هذا الخطاب بتوقيع "الشيطان الاعظم" . قال كارتر:" اذا كان الخومينى هو القائد المؤمن كما يصورونه، فاننى لا اعرف كيف ينظر الى احتجاز رجالنا."[495]

كانت هذه هى بداية النهاية لادارة كارتر ايضا. لقد تسبب الاستيلاء على السفارة فى خلق ازمة عويصة لم يستطع الرئيس كارتر ان يتخلص منها- لا بالمفاوضات ولا بالتهديدات ولا بارسال بعثة عسكرية للانقاذ. وبالرغم من ان طهران شاركت عدة مرات فى المحادثات مع وشنطن مستخدمة وسطاء غير معروفين فى محادثاتها فقد كان واضحا ان الخمينى كان له اجندته السياسية الداخلية الخاصة التى تتضمن الافراج عن المحتجزين متى يكون جاهزا. يقول هارولد سوندرز:" فى يناير 1980 صرح احد رجال الدولة المسلمين اللامعين " انكم لن تستعيدوا الرهائن حتى يقوم الخمينى بوضع كل عناصر الجمهورية الاسلامية كل فى مكانه."، وهذا هو ماحدث".

لقد غيرت الثورة فى ايران كل شئ. بالنسبة للولايات المتحدة ازاحت حليفا موثوقا كما ازاحت مراكز الاستماع وقواعد العمليات. أما بالنسبة للاعبين الآخرين فى مجال الحرب الباردة فلربما كانت الثورة الايرانية اكثر مدعاة للقلق. فبالرغم من تحالف الشاه الصريح مع الولايات المتحدة الا ان الاتحاد السوفييتى قد تمكن من انجاز معاملات كثيرة ومريحة مع ايران على أسس اكثر مما كان يمكن ان تحتمله نوع العلاقات المعروفة القائمة بين هاتين القوتين الجارتين. فى مجال العلاقات الاقتصادية بوجه خاص كان الامر يسير بشكل جيد لكلا الطرفين. والاكثر اهمية ان استقرار ايران كان يعنى ان الاتحاد السوفييتى يجب الا يقلق فيما يتعلق بعدم الاستقرار او اقتطاع اجزاء من حدوده الجنوبية الغربية فى آسيا.

الآن تنتهى كل الرهانات الاخرى. لاول مرة منذ العشرينات بدأ الاتحاد السوفييتى يقلق من الاسلام.

وكان على الولايات المتحدة ان تبحث عما يستوجب قلقها.

•

---

495 - هاملتون جوردان، الأزمة: العام الأخير من ولاية كارتر (نيويورك 1982) ص ص 35-51.

الفصل العاشر

الجهاد الأول: " القوس الإسلامي"

كانت الثورة الإيرانية سببا فى انهيار احد العمودين اللذين يقوم عليهما الصرح الامريكى فى الخليج الفارسي، أما الآخر فهو العربية السعودية. دفع هذا الحدث بمحللي البنتاجون والمخابرات المركزية الأمريكية إلى التدافع ليحسبوا تأثيره على حلفاء الولايات المتحدة الآخرين فى المنطقة وعلى مجمل التواجد الامريكى فى الشرق الأوسط. بدءا من العربية السعودية إلى المغرب، اخذ الخبراء الأمريكان يجوبون الآفاق لعلهم يستطيعون تحديد كيف ومتى يمكن لظاهرة الخميني أن تتكرر مع الأنظمة الملكية فى الشرق الأوسط.

ولكن وجنبا إلى جنب مع التهديد الذى يمثله الخميني لا يزال عدد من صانعي السياسة الأمريكية يرون انه لا تزال هناك فرصة لكي يكون الإسلام الاصولى المتشدد بوصفه السلطة الحاكمة فى إيران مصدر قلق لكل جيران إيران بمن فيهم أكبرهم: الاتحاد السوفييتي. كان نظام الخميني عاملا جديدا مفاجئا وغير متوقع فى المنطقة. بعض المحللين يعتقدون إن عملية الإحياء الإسلامية التي يقودها آية الله يمكن أن تستثير التعاطف داخل الجمهوريات الإسلامية فى الاتحاد السوفييتي. لقد شكلت هذه الفكرة حافزا جديدا للفكرة القديمة بأنه يمكن استخدام اليمين الاسلامى فى عمق آسيا لإضعاف الاتحاد السوفييتي من داخل إمبراطوريته. وفى نفس الوقت كانت الخطط توضع لاستخدام التنظيمات التي لها صلة بالإخوان المسلمين فى البلدان المجاورة لأفغانستان لإضعاف دور الاتحاد السوفييتي فى هذه البلدان التي كانت تعتبر لعقود طويلة جزءا من المجال الحيوي للاتحاد السوفييتي. إن الحركات الإسلامية المتماثلة فى إيران وأفغانستان دفعت برجنسكى مستشار الرئيس كارتر لشئون الأمن القومي وبيل كيزى رئيس المخابرات المركزية الأمريكية فى عهد ريجان إلى المضي قدما فى متابعة مسألة " الإسلام فى آسيا " بمزيد من الإصرار خاصة خلال الحرب المقدسة فى أفغانستان.

إن الحرب بالوكالة التي شنتها الولايات المتحدة فى أفغانستان و كلفتها 3 بليون دولار ومئات الآلاف من الأرواح قد شدت أمريكا لعدة عقود إلى التحالف مع اليمين الاسلامى السياسي الأشد رجعية ودفعته إلى مستوى جديد اشد عدوانية.

كانت الفرضية السائدة من قبل هي أن الإسلام السياسي يشكل قلعة ضد التوسع السوفييتي. ولكن فى حرب أفغانستان اصبح النموذج الاسلامى سيفا. اصبح الإسلام السياسي سلاحا هجوميا مما يشير إلى تصاعد سياسة التعاون مع الإخوان المسلمين فى مصر والكتلة الإسلامية بقيادة العربية السعودية وسائر عناصر الإسلام السياسي.

بالرغم من أن الحرب فى أفغانستان كان يجرى تصويرها أحيانا على أنها تجسد مجهودات تحالف ذي قاعدة عريضة، فان المجاهدين كانوا جميعا من المسلمين. وكان ثلثي مساعدات الولايات المتحدة للمجاهدين فى أفغانستان تذهب إلى الأحزاب الإسلامية الأصولية من خلال قنوات فى باكستان والعربية السعودية.

وقد أدى الجهاد فى أفغانستان إلى تحول فى بنية الحركة الإسلامية نفسها. فاولا أدى الجهاد فى أفغانستان إلى تقوية الأجنحة الأكثر راديكالية التي نالت شرف القتال وجها لوجه في مواجهة قوة عظمى فى أفغانستان، وثانيا خلقت الحرب الأفغانية كادرا جديدا من الإسلاميين يجيد حرب العصابات وفن التخابر وفنون القتال والسيارات المفخخة، وثالثا أنها قوت العلاقات العالمية التي ربطت معا الإسلاميين فى شمال إفريقيا ومصر والخليج ووسط آسيا وباكستان. والخلاصة إن الحركة قد بلغت أوجها فى سبعينات القرن العشرين، راكبة الموجة القوية الجديدة للثروة البترولية فى السعودية، وظهور نظام البنوك الإسلامية السياسية عالية المستوى وإنشاء المؤسسات المالية القوية الجديدة فى مصر والدول الإسلامية المحافظة الأخرى. غير انه بعد أفغانستان أصبحت الحركة الإسلامية اكثر راديكالية وأخذت تستشعر قوتها اكثر من اى وقت مضى وتفرد عضلاتها. فى أواخر الثمانينات استولى الاسلاميون على السلطة فى أفغانستان والسودان وأصبح لديهم قوة متميزة فى العربية السعودية وباكستان وهددت بالاستيلاء على مصر والجزائر. فى خلال هذه السنوات وضع الأساس لتنظيم القاعدة وأعماله السرية الإرهابية. تجاهلت المخابرات المركزية الأمريكية وصناع السياسة الأمريكية، الذين كانت عيونهم مفتوحة على آخرها على إمكانية توجيه ضربة ثانية إلى الاتحاد السوفييتي فى أفغانستان، تجاهلوا كل ذلك بل ربما لم يروه أصلا، ليس هذا فقط بل إن اكثر المسئولين الأمريكان راديكالية كانوا يرون أن آسيا الوسطى تشكل الضربة الإسلامية تحت الحزام للاتحاد السوفييتي وكانوا يتصورون إن تفكيك الاتحاد السوفييتي يبدأ من جمهورياته الإسلامية فى آسيا الوسطى.

مجمل القول، إذا استخدمنا التعبير الاستراتيجي بمعناه الواسع، فان الجهاد الافغانى فعّل ما كان سنة 1980 مجرد حلم للمحافظين الجدد: الاحتلال العسكري

للخليج الفارسي وما يحوى من حقول بترول. ثم صلة مباشرة بين الحرب فى أفغانستان والحضور العسكري الراهن المتغلغل فى كازاخستان وأوزبكستان وغيرها من مناطق آسيا الوسطى الغنية بالبترول. إن هذا الصراع هو الذى جاء بالولايات المتحدة إلى هذا الجزء من العالم الذى كان حتى ثمانينات القرن العشرين خارج مجال نفوذ الولايات المتحدة. لقد بدأ ذلك في الثمانينات حينما حصل المجاهدون فى أفغانستان على الأسلحة من الولايات المتحدة والصين وإسرائيل وغيرها من وسائل أخرى لمحاربة الجيش الأحمر واستمر ذلك فى التسعينات حينما تعاونت الولايات المتحدة مع صعود حركة طالبان واستمر الوضع كذلك حتى الوقت الحاضر حينما نشبت حرب أفغانية جديدة سهلت تغلغل الولايات المتحدة فى جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية الناشئة. لقد تمكنت الولايات المتحدة بضربة واحدة من ربط إمبراطوريتها فى الشرق الأوسط والخليج الفارسي بالكامل مع أرخبيل(مجموعة جزر) القواعد العسكرية فى الخليج الفارسي والمحيط الهندي ونقاط أخرى فى الشرق فيما هو أشبه ما يكون بعقد من القواعد العسكرية التي تحيط بالعراق وأفغانستان واسيا الوسطى. وإذا كان لتناقضات القرن الواحد والعشرين أن تدفع الولايات المتحدة سواء ضد روسيا أو الصين أوكليهما فى معركة من اجل السيطرة على مصادر البترول والغاز فى جنوب غرب آسيا فان الولايات المتحدة سوف يكون لها اليد العليا، ذلك انه بدءا من الجهاد الافغانى بدأت الولايات المتحدة فى تجميع قوة احتلال اكثر تفوقا للخليج والمنطقة المحيطة.

لم يكن شئ من هذا موجودا فى زمن الثورة الإيرانية وبدء الجهاد فى أفغانستان، ولكن الحرب فى هذه الدولة مكن الولايات المتحدة لأول مرة من البدء فى مشروعها الجديد لتوجيه قواتها العسكرية مباشرة إلى جنوب غرب آسيا والخليج مما أدى إلى علاقات عسكرية جديدة مع مصر والعربية السعودية وباكستان وإنشاء نظام إمداد سريع للقوات والقيادة المركزية لقوات الولايات المتحدة وإنشاء قواعد عسكرية جديدة تحيط بالمنطقة. بدأت هذه العملية بعد عدة أسابيع من تحريك الاتحاد السوفييتي قواته إلى داخل أفغانستان حينما أعلن الرئيس كارتر فى يناير سنة 1980 ما أطلق عليه فيما بعد " نظرية كارتر"وهى إعادة إحياء بالقوة لمطالب الولايات المتحدة السابقة فى الخليج الفارسي التي كان الرئيس فرانكلين روزفلت قد أعلنها سنة 1943 وكذلك دوايت إيزنهاور سنة 1957. أكد كارتر:" يجب إن يكون موقفنا واضحا بشكل مطلق. إن اى محاولة من قوى خارجية للسيطرة على منطقة الخليج سوف ينظر إليها باعتبارها عدوانا على المصالح الحيوية للولايات المتحدة." ولكن توجيه حديثه بشكل مباشر إلى الاتحاد السوفييتي، جعل منه فى مجمله جعجعة

مظهرية، ففي سنة 1980 لم تكن الولايات المتحدة قد اتخذت فى الخليج اى إجـراء من شانه الرد على اى هجوم سوفييتي، وكانت تنقصها القدرة على النقـل السـريع لقواتها العسكرية إلى الخليج سواء جوا أو بحرا. طبعا لم يكن لدى الاتحاد السوفييتي اى نية لمهاجمة أو احتلال الخليج وكان تحركه إلى أفغانستان سـنة 1979 علـى مضض ويفسر على انه الملاذ الأخير كرد فعل دفـاعي ضـد التهديـد المتعمـد المحسوب من جانب الاستفزازيين الإسلاميين الأفغان الـذين تسـاندهم الولايـات المتحدة وباكستان. وإذا كان ثمة تهديد لمصالح الولايات المتحدة فى الخلـيج فانـه تهديد داخلي تماما وان تكن حتى إمكانيات الولايات المتحدة فى هذه المنطقة مشكوكا فيها، إذا افترضنا أن إيران أو العراق أرادت أن تشن حربا ضد دول الخليج العربى وفيما لو حدث انقلاب فى العربية السعودية مثلا لخلع الأسرة المالكـة فـان قـدرة الولايات المتحدة على أن تتخذ إجراءا مضادا كانت ابعد ما تكون عن التأكيد.

لوقت طويل قبل الأزمة فى أفغانستان كان يجرى الحديث فى الولايات المتحدة عن هجوم امريكى ضد العربية السعودية واحتلال آبارها البترولية. بدأ هـذا فـى السبعينات بعد الحظر العربى على تصدير البترول ومضاعفة السعر أربـع مـرات الذى فرضته منظمة الدول المصدرة للبترول خلال الفترة 1973- 1974. وإنمـا جاء الفكر الاستراتيجي بشأن تحرك عسكري امريكى من جانب هنـري كيسـنجر سكرتير الدولة للشئون الخارجية. ففي سنة 1975 ظهرت مقالة بعنوان" الاسـتيلاء على البترول العربى" فى مجلة هاربرز، وقعها كاتبها باسم مايلز اجنتـوس قدمتـه المجلة باعتباره استاذا جامعيا يقيم في وشنطن وانه مستشار لـوزارة الـدفاع ولـه علاقات وثيقة بالدوائر العليا لواضعي السياسة الأمريكية. وأشيع أن كاتب المقال هو ادوارد لوتواك وهو محلل سياسي من المحافظين الجدد ويعمل فـى مدرسـة جـو هوبكنز للدراسات الدولية المتقدمة(بالرغم من أن لوتواك ينكـر انـه كاتـب هـذه المقالة). فى حوالي نفس التوقيت كتب أستاذ أخر من نفس الجامعة يدعى روبـرت تكر مقالا مشابها لمجلة " جويش كوميتى أدفوكيتنج كومنتارى"، وكذلك بدأت تظهر مقالات أخرى فى مواقع أخرى تحض على احتلال أبار البترول فـى السـعودية. طبقا لجيمس أكينز سفير الولايات المتحدة السابق فى المملكة السعودية فى منتصف السبعينات كانت مقالة " هاربرز" تعطى الخطوط العريضة " لكيفية حل كل مشاكلنا الاقتصادية والسياسية بالاستيلاء على أبار البترول العربية واستحضار رجال مـن تكساس وأوكلاهوما لإدارتها". يقول اكينز الذى لاحظ الظهور الوبـائي المفـاجئ لهذه المقالات: "اننى اعلم انه لابد وان تكون هناك خلفيات عميقة مـن التوجيهـات

وراء ذلك. انه لا يمكن لثماني أشخاص أن يصلوا إلى نفس الفكرة المجنونة من تلقاء أنفسهم."[496]

ويمضى اتكنز معترفا بأنه أقدم بعد ذلك على ما اعتبره " خطأه القاتل"الذى سرعان ما تسبب فى إعفائه من منصبه كسفير للولايات المتحدة. حينما قال:" أيما إنسان يقترح هذا إما أن يكون مجنونا أو مجرما أو عميلا للاتحاد السوفيتي.". بعد ذلك مباشرة علم أن هذه التوجيهات قد صدرت من رئيسه هنري كيسنجر. فى نفس العام أعفى اكينز من منصبه. ولم يعترف كيسنجر قط بدوره فى التشجيع على كتابة هذه المقالات، ولكنه فى مقابلة مع مجلة " بيزنس ويك" فى نفس هذا العام وجه للسعوديين تهديدا مبطنا حول إمكانية تخفيض الأسعار من خلال إجراءات سياسية مكثفة ضد بلدان مثل السعودية وإيران تؤدى إلى زعزعة استقرارها وربما أمنها إذا لم تتعاون." يمكن ملاحظة أن نفس هذا الموقف من جانب كيسنجر تجاه السعودية ودول الخليج ورد أيضا فى قصة يذكرها احد مسئولي المخابرات المركزية الأمريكية ممن عملوا فى الخليج الفارسي فى السبعينات. فمن اجل أن يخيف كيسنجر السعودية قام بعملية استعراض للقوة فاستدعى احد المسئولين التنفيذيين بالمخابرات المركزية الأمريكية وكان فى طريقه إلى الشرق الأوسط فى مهمة غير معروفة وقال له:" إن علينا أن نعطى السعودية درسا " وطلب منه أن " يختار مشيخة من مشيخات الخليج – اى مشيخة- ويسقط حكومتها كدرس للسعودية" وحسبما يذكر ذلك الموظف:" كانت الفكرة أن أقوم بذلك فى ابو ظبى أو دبي غير انه حينما، ذهب إلى الخليج وعرض الفكرة على كل رؤساء المخابرات فى المنطقة لم يوافق عليها احد باعتبارها غير صالحة ومن ثم فقد تم العدول عنها ولم يعرضها كيسنجر بعد ذلك أبدا."[497]

حتى نشوب حرب أفغانستان، كان المخططون العسكريون للولايات المتحدة يعلمون أن الولايات المتحدة ليس لديها القدرة فى السبعينات على الحشد السريع لعشرات أو مئات الألوف من القوات فى الخليج. كان وجود الأسطول الامريكى هناك مجرد وجود رمزي برغم التهديدات الجوفاء باحتلال آبار البترول العربية. ومع إعلان مبدأ كارتر اخذ الرئيس خطوات بدأت ـ تعطى الولايات المتحدة القدرة على التدخل بشكل مباشر فى الخليج الفارسي وان يكن بشكل بدائي. أمر كارتر بإنشاء قوات للتدخل السريع تتكون من وحدة عسكرية "تغطى آفاق المنطقة"، قادرة

496- جيمس أكينز مقابلة مع المؤلف نوفمبر 2002

497 – مسئول سابق فى المخابرات المركزية الأمريكية – مقابلة مع المؤلف –نوفمبر 2002

على نجدة على الأقل بضعة آلاف من القوات الأمريكية الموجودة فى الخليج فى حالة وجود أزمة. وسوف يتم، تحت قيادة الرئيس رونالد ريجان، التوسع فى هذه القوة وتحويلها إلى قيادة مركزية، وهى شكل جديد من الهياكل العسكرية مخول لها السلطة على الخليج الفارسي والمنطقة المجاورة من شرق إفريقيا إلى وسط آسيا وأفغانستان. وكانت هذه هي القوة المركزية التي قاتلت فى حرب الخليج سنة2001 فى أفغانستان وفى سنة 2003 فى الحرب العراقية.

فى سنة 1979 كان الوجود العسكري للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط والخليج ووسط آسيا، كان من وجهة نظر برجنسكى مجرد ومضة لأن مستشار الأمن القومي الامريكي كان يرى أن " قوس الإسلام" هو الحل لاضطرابات "قوس الأزمات".

ضرب الاتحاد السوفييتي تحت الحزام

إن فكرة حشد الإسلاميين ضد الاتحاد السوفييتي لها تاريخ طويل منذ الحرب الباردة. وكان ينظر إليها غالبا بعين الشك من جانب معظم الخبراء الاستراتيجيين خاصة خلال الخمسينات والستينات. كان هناك إحساس بأنه من غير الممكن إغراء المسلمين السوفييت أو تشجيعهم على الثورة ضد حكم موسكو نظرا لأن السوفييت قد نجحوا فيما يبدو فى تهدئة جمهوريات آسيا الوسطى، وإسكان الروس هناك وإعادة تأهيل الشعوب الإسلامية الاثنية هناك بالقوة وقمع الحركات الدينية، وبالإضافة فإنها كانت منطقة نائية مما يحد من إمكانية الوصول إلى الجماهير فيها. غير انه فى السبعينات تجمعت عدة عوامل من شانها أن تمد هؤلاء الذين طالما تطلعوا للعب بكارت الإسلام ضد موسكو بأسباب قوية. فى السبعينات اثبت إحصاء أجرى فى الاتحاد السوفيبتى أن الشعب المسلم فى وسط آسيا السوفييتية كان ينمو بمعدل يفوق النمو فى أماكن أخرى بشكل اكبر كثيرا من شعوب الاتحاد السوفييتي الأخرى وخاصة الروس. ثم جاءت الثورة الإيرانية التي دفعت بالإسلام الجهادي إلى مقدمة السياسة الإقليمية فى أفغانستان وأذربيجان وغيرها من الجمهوريات الإسلامية. وفجأة بدا أن النظام الموجود فى كابول الذى يستند إلى الاتحاد السوفيتي آيل للسقوط من قبل تحالف متهالك من القوى الإسلامية، وأضحت أفغانستان نفسها ميدانا محتملا للمعارك الأرضية، على الأقل هذا ما بدا لبعض الزملاء من العاملين بالمخابرات المركزية الأمريكية بقيادة برجنسكى. داخل إدارة كارتر كانت هناك

مجموعة تسمى " مجموعة العمل الخاصة لشئون القوميات"، وهى بمثابة المركز التنظيمي لهذا التخطيط الاستراتيجي. ولكنها تنظيم تابع تم إنشاؤه بموافقة عاجلة من "مجلس الأمن القومي" ،ويضم موظفين من المخابرات المركزية الأمريكية وإدارة الدولة والبنتاجون وبعض الوكالات الأخرى. كان رئيس هذا التنظيم هو بول هاينز وهو احد مساعدي برجنسكى ومسئول سابق فى المخابرات المركزية الأمريكية كان يعمل مع مجموعة مرتبطة بشبكة من اللاعبين والمستشارين الذين كانوا يعتقدون منذ زمن بعيد أن الأقليات الموجودة فى الاتحاد السوفييتي هي التي ستفكك الاتحاد السوفييتي وكثير منهم كانوا مرتبطين منذ الخمسينات بمنشاة إذاعة راديو الحرية التي تساندها المخابرات المركزية الأمريكية، وهى موازية لراديو أوروبا الحرة التي كانت توجه إذاعتها إلى الكتلة السوفييتية إبان الحرب الباردة. إن تركيز راديو أوروبا الحرة على وسط آسيا قد بدأ مرحلته المتواضعة فى الخمسينات. وطبقا لجيمس كريتشلو الذى عمل لمدة طويلة فى راديو أوروبا الحرة وراديو الحرية الامريكى وهو مؤلف" الوطنية فى أوزبكستان". بدأ راديو الحرية أولى إذاعاته الموجهة إلى آسيا الوسطى من خلال مكتب تركستان الموجود فى اوزبك و،تركمانيا،وكازاك،وطاجيك،وقيرغيزيا جنبا إلى جنب مع الإذاعات الأخرى من خلال مكتب القوقاز فى جورجيا وأذربيجان والشيشان. كانت الإذاعة مقصورة على نصف ساعة يوميا لكل لغة وكانت تشمل مجموعة من الإخبار والمقالات، " تعليقات تنتقد النظام السوفييتي وبشكل خاص سياساته القمعية للإسلام والديانات الأخرى.وكانت هى المكونات الرئيسية، كما يقول كريتشلو. ولكن مع الابقاء على الأهداف المتواضعة للبرنامج فى الخمسينات. كانت الإذاعة تحظر الإشارة بشكل واضح وهو ما كان مرفوضا من قبل بعض العاملين."[498]

بين حين وآخر كان محبذو الحرب الباردة يطالبون بان تركز دعاية الولايات المتحدة بل وان تقوم بالتحريض ضد جمهوريات آسيا الوسطى، على سبيل المثال فى سنة 1958كتب شارلس هوستلر وهو ضابط سابق فى المخابرات البريطانية فى جريدة الشرق الأوسط " إن السوفييت يخشون بشدة العمل المشترك بين الشعب التركي فى آسيا وان تركيا المرتبطة بحلف الاطلنطى يمكن أن تحرض هؤلاء المسلمين على " الاستقلال السياسي عن السوفييت" وان الغرب يجب أن يكرس نفسه اكثر من اجل هذه الجماهير وتطلعاتها" وطالب بالتوسع فى بث برامج إذاعة راديو الحرية فى وسط آسيابالغة المحلية وان تتوسع الولايات المتحدة فى تمويل

498- جيمس كريتشلو –مقابلة مع كاثلين كلينيتسكى – يوليو 2004

برامج البحث فى آسيا الوسطى والقوقاز، مناطق ولغات."[499] فى الستينات التحق برجنسكى نفسه بصفوف هؤلاء الداعين إلى مساندة قوية من جانب الولايات المتحدة لمسلمي آسيا الوسطى. يلاحظ جين سوزان المدير السابق لتخطيط برامج راديو الحرية وأوربا الحرة:إن برجنسكى كان داعما دائما لراديو أوروبا الحرة وراديو الحرية، ولكنه لم يكن يتفق دائما مع بعض سياساته. اصبح هذا واضحا أوائل 1966 حينما دعاه بعض رعاة البرنامجين من العاملين فى المخابرات لمركزية أن يشاركهم فى تحليل موثق لكلا البرنامجين.... فانتقد كل من البروفيسور برجنسكى والبروفيسورجريفيث سياسة راديو الحرية الوطنية التي كانوا يرون أنها سلبية اكثر من اللازم، وطالبوا بتبني سياسة اكثر نضالية فى الإذاعات غير الروسية الأمر الذى سوف يساعد على استثارة المشاعر المناهضة للروس[500].

بصفته سليلا لعائلة بولندية كان لبرجنسكى مشاعر نضالية ضد الشيوعية، وكان يرى أن الاتحاد السوفييتي قوى ولكنه كالموزاييك المفرغ المشكل من أقليات اثنيه ودينية. فى مجلس الأمن القومي جمع فريقا من مساعديه ومستشاريه الذين يريدون إثارة التناقضات داخل الاتحاد السوفييتي من اجل تسريع سقوطه. وحسبما ذكر روبرت جيتس وهو مسئول سابق بالمخابرات المركزية الأمريكية وأصبح مديرا لها فيما بعد كانت الإدارة متحفظة إزاء التدخل لمساندة الأقليات فى جمهوريات آسيا الوسطى السوفييتية. من ناحية أخرى كان برجنسكى مهتما اهتماما عميقا باستثمار المسألة الوطنية فى الاتحاد السوفييتي. فى مذكراته يقول جيتس أن برجنسكى كان يريد أن يتبع أسلوب العمل السري."[501]

كانت نواة مجموعة برجنسكى- هنز المسماة"مجموعة العمل الخاصة بالقوميات" تتبع الكسندر بينيجسين وهو ارستقراطي(كونت) اوروبى اكاديمى ومؤلف خصب ومرشد روحي للمدرسة التي ترى فى الإسلام قوة تشكل تهديدا للسلطة السوفييتية. إن خلفية عائلة بنيجسين تعطيه انتماءا طبيعيا لبرجنسكى، فقد ولد فى سان بطرسبرج فى روسيا وهو ابن كونت روسي حارب فى صفوف الجيش الأبيض ضد البلاشفة فى الحرب الأهلية التي نشبت بعد الثورة الروسية. فى

---

499 – شارلس هوستلر : الأتراك وآسيا الوسطى السوفييتية –صحيفة الشرق الأوسط 1958 ص ص 69-268

500– جين سوزان Gene Sosin, Sparks of Liberty: An Insider Memoir of Radio Liberty(Pennsylvania,Unjversity StatePress,1999),p.115

501– روبرت جيتس Robert Gates, From the Shadows(New York ,1996), p.93

الخمسينات صاغ بنجيسين شخصيته أولا فى مدرسة الدراسات العليا فى العلوم الاجتماعية فى باريس ثم فى جامعة شيكاغو. إن كتبه ومقالاته العديدة عن الإسلام فى وسط آسيا كانت دافعا لإنشاء حركة خريجي الجامعة والعاملين فى جهاز الدولة الذين يؤمنون بأهمية استخدام الورقة الإسلامية والذين اتخذوا من جامعة شيكاغو مقرالهم " فى مؤسسة راند" Rand Corporation وفى "هيئات الفكر"(Think- tanks) وفى أماكن أخرى من بيروقراطية الأمن القومي[502].وممن تأثروا ب (بينيجسين) كان برجنسكي وبول هنزوس و.إندرز ويمبوش الذى عمل فيما بعد فى" مؤسسة راند" أخصائيا فى الشئون السوفييتية وواحد من العاملين فى مكتب راديو الحرية فى ميونيخ.

اخذ بنيجسين منذ أواخر الخمسينات يدبج سيلا متدفقا من الكتب والمقالات وأوراق البحث التي تقدم النظرية القائلة بان حركة سرية من الإسلاميين قد أخذت تكتسب زخما داخل الاتحاد السوفييتي. فى كتابه " التهديد الاسلامى للدولة السوفييتية " يقول بينيجيسين إن الحركة لجأت أخيرا إلى "المقاومة الداخلية المسلحة التي بدأت أواخر القرن الثامن عشر ويقودها الإخوة الصوفيون(الطريقة الصوفية) التي تقاتل من اجل إقامة حكم الله فى الأرض " وتعارض الامبريالية الروسية. [503] يقول بنيجيسين انه رغم الجهود الهائلة التي قامت بها السلطة السوفييتية لتمزيق وقمع الإسلام فان هذه الحركة قد نمت وحتى خلال الخمسينات حينما هاجم خروشتشوف الإسلام فانه كان" ابعد ما يكون عن اقتلاع المشاعر الدينية للشعب المسلم بل وعلى العكس من ذلك خلق حافزا جديدا لدى اكثر الاتجاهات أصولية ومحافظة ممثلة فى التنظيمات السرية الموازية من السلفيين الإسلاميين.[504] وأكد أن هذه الإخوة الصوفية قادت المقاومة ضد السلطة السوفييتية فى التجمعات السكانية العريضة فى آسيا الوسطى.

" منذ انتصار البلاشفة حتى وقتنا الراهن كانت المقاومة الوحيدة والجادة والمنظمة التي واجهت السوفييت فى المناطق الإسلامية تجئ من الطريقة الصوفية

---

502 – فى سنة 1961 كتب بنيجسن Bennigsen تطور القوميات الإسلامية فى الاتحاد السوفييتى، فى 1967 كتب الإسلام فى الاتحاد السوفييتى وفى 1983 ، بمشاركة ابنته مارى بروكساب كتب التهديد الاسلامى للاتحاد السوفييتى

503 – الكسندر بنيجسن Bennigsenو ابنته مارى بروكساب، التهديد الاسلامى للاتحاد السوفييتى (نيويورك 1983) ص 64

504 – المرجع السابق ص 48

التي أطلق عليها السوفييت "الإسلام الموازى " أو "الإسلام غير الرسمي "أو "المجموعات الانعزالية". إن الإسلام الموازى هو الأكثر قوة وهو الأكثر جذرية من الإسلام الرسمي. إن الإخوان الصوفيين هم جماعة مغلقة ولكنهم ليسوا مجتمعات سرية تماما. إن السلطة السوفييتية تقدم الصوفيين باعتبارهم خطرين، إرهابيين، معادين للسوفييت، معادين للاشتراكية، معادين للروس، قوى رجعية، ولكنهم يعرفون مدى كفاءتهم وديناميتهم.[505] وطبقا ل"بينجسين" فان اكثر مايميز الإخوان الصوفيين هو الجمعية السرية التي يطلقون عليها " النقشبندية" وهى على نمط الإخوان الماسونيين وترتبط ارتباطا وثيقا بالنخب التركية التي لها ارتباطات قديمة ووثيقة بآسيا الوسطى. كان النقشبنديون يتمتعون بقوة خاصة فى الشيشان وداغستان وأجزاء من آسيا الوسطى بما فيها غرب أوزبكستان. يقول بنيجسين إن " النقشبنديين المهرة كانت لهم تقاليد خاصة فى "الحرب المقدسة ضد الروس" وينتهى إلى القول بان الشعور الوطني فى وسط آسيا كان مرتبطا بالإسلام السياسي الراديكالي ارتباطا لا انفصام له.:

" منذ الحرب العالمية الثانية تفاعلت بعض الأنظمة اكثر فأكثر مع الوطنية. والنتيجة أن اى حركة وطنية تظهر – حتى لو كانت تقدمية– سوف تكون متأثرة تأثرا كبيرا بالنظرة التقليدية المحافظة للصوفية، وان ظهور مثل هذه الحركة أمر لا شك فيه[506].

واخذ بنيجسين وآخرون من دائرته، يحثون الولايات المتحدة على بذل المزيد من الجهد ا لتشجيع الإسلام السياسي فى الجمهوريات السوفييتية على الثورة. ولكن بنيجسين يستدرك قائلا:" إن الحصيلة على الأرجح سوف تكون إسلاما راديكاليا مشابها لما هو حادث اليوم فى "الثورة الإسلامية فى إيران"[507]

إن موقف بنيحسين المزهو بنفسه فيما يتعلق بظهور حكومات إسلامية راديكالية فى آسيا الوسطى موازى بالدقة لما يراه برجنسكى من انه يتعين على الولايات المتحدة أن تدفع باتجاه انتشار الإسلام السياسي فى أفغانستان وإلا تخشى نتائج ذلك.

يقول جيرمى أزرائيل فى مؤلفه " قومية الأمم الصاعدة فى الاتحاد السوفييتى" (1977): " فى السبعينات كنت حاضرا فى سيمينار(ملتقى) تعليمي حول شئون

505- المرجع السابق ص73

506- المرجع السابق 77

507- المرجع السابق 130

الأمم الإسلامية، افرز برنامج جامعة شيكاغو مجموعة من الخبراء في شئون وسط آسيا السوفييتية والإسلام معظمهم من أتباع نظرية بنيجسين المثيرة للجدل وبعضهم مثل بول جوبيل أصبحوا من المحللين المشهورين لهذا الموضوع في المخابرات المركزية الأمريكية. التحق ازرائيل نفسه بالمخابرات المركزية الأمريكية سنة1978 بصفته محللا زائرا. يقول أزرائيل:" ما إن عملت هناك حتى أصبحت عضوا ممتازا ضمن" مجموعة عمل الأمم السوفييتية". خلال عهد برجنسكي كانت الجهود مقصورة في بادئ الأمر على أعمال صغيرة كتوزيع القرآن بلغات وسط آسيا ثم صعدنا جهودنا بالتنسيق مع مخابرات العربية السعودية من اجل الاتصال بالمسلمين السوفييت الذين يزورون مكة من اجل الحج. ولكن الثورة الإيرانية حركت خيال كل من انخرط في العمل"[508]. و يتذكر ازرائيل:" عندما أطيح بالشاه أحضرت بنيجسين إلى المخابرات المركزية ليلقي محاضرة. كانت لحظة مثيرة تبعث على الدهشة والتحدي، فبإسقاط الشاه أعاد الخميني صياغة الإحكام بشان ما سوف يستكمله الإسلام. وكان المحللون في الولايات المتحدة مفعمين بالاحتمالات. فالمحافظون الجدد على وجه الخصوص، جنبا إلى جنب مع أنصار الحرب الباردة المتشددين رأوها فرصة جديدة للجهاد ضد السوفييت، ليس فقط في أفغانستان ولكن في المنطقة بأكملها. بعد الغزو السوفييتي لأفغانستان في ديسمبر 1969 كتب زلماى خليل زاد وهو محلل من المحافظين الجدد واستراتيجي من مؤسسة راند والسفير مستقبلا للولايات المتحدة في افغانستان، كتب ورقة تنبأ فيها بالمشاكل التي خلقها نظام الخميني للاتحاد السوفييتي:" لقد خلق نظام الخميني مخاطر جديدة للسوفييت. إن تغيير النظام قد شجع حركات مماثلة في العراق وأفغانستان وقد يؤثر حتى على مسلمي آسيا الوسطى السوفييتية."[509] وأضاف يقول:

" إن الثمن بالنسبة للاتحاد السوفييتي قد يشمل....عدم الاستقرار الاقليمى في هذه المناطق من الاتحاد السوفييتى التى يسميها السوفييت " مستعمراتنا الداخلية" – اى الشعوب الإسلامية فى آسيا الوسطى التى يمكن أن يصل تعدادها إلى 100 مليون نسمة مع سنة2000– حيث برغم المحاولات الرسمية الجارية لاستيعابها، فان الوعي الاسلامى يشكل نوعا من الثقافة المضادة ويمكن إن يكون حساسا لدرجة تستثير المسلمين إذا استمر السوفييت فى حربهم على عقيدتهم وعلى رفاقهم

508– جيرمى أزرائيل مقابلة مع كاثلين كلينتسكى أغسطس 2004

509– زلماى خليلزاد العودة إلى اللعبة الكبرى The Return of the Great Game ملتقى لمناقشة الأمن العالمي والسياسة الخارجية ، ورقة رقم 88 – 1980) ص 41

المسلمين عبر الحدود.... إن العداوة للاتحاد السوفييتي يمكن أن تزيد عموما في البلاد والجماعات الإسلامية."[510] كان هذا بلا شك استنتاجا صحيحا من جانب بينيجسين.

أما هنز رئيس مجموعة عمل القوميات السوفييتية فقد كان هو نفسه منذ أمد طويل احد الدعاة لوجهات نظربنيجسن. كان هنز الذى تتضمن مهنته عملا محددا بوصفه رئيسا للمخابرات المركزية الأمريكية فى تركيا خلال منتصف السبعينات كان يتبنى وجهات نظر راديكالية وشاذة، فقد اكتسب شهرته فى الثمانينات كأحد الذين قادوا الحملة من أجل اعتبار أن المخابرات السوفييتية والبلغارية هى التي كانت وراء محاولة إلصاق تهمة محاولة اغتيال البابا جون بول الثاني بتركي فاشي.[511] فمنذ وقت مبكر سنة 1958 كتب هنز مقالا عن "مشكلة شامل" فأشار إلى ما حدث فى القرن التاسع عشر لقائد مسلم معارض للتوسع الروسي فى آسيا". كان هنز مثل بنجسن تستفزه قضية شامل ويعتقد أن انهيار الاتحاد السوفييتى يمكن إن يبدأ من آسيا الوسطى.

كتب هنز مقالا فى سنة 1958 يقول فيه:

" سيكون من الصعب جدا على الشيوعيين السوفييت أن يستمروا فى سياستهم الفعالة الموالية للعرب " سياسة معاداة الاستعمار" لعدة سنوات دون أن يخاطروا بإثارة القلاقل بين نفس شعوبهم فى القوقاز وآسيا الوسطى. وتتبئ مناقشة شامل بان فئة من المثقفين المعتدّين بوطنيتهم قد ظهروا بين هذه الشعوب.... إن الاتحاد السوفييتى ليس بمؤمّن من ظاهرة تشابه الوضع فى الجزائر أن تصيبه هو نفسه رغم أن هذه الظاهرة لاتزال نسبيا فى مراحلها الأولى ويوم نضوجها لا يزال بعيدا."[512]

فى أواخر السبعينات لم يعد هذا اليوم بعيدا بمثل هذه الدرجة بالنسبة إلى بنجسين وبرجنسكى وهنز. لقد جمعوا قواهم إلى جانب ريتشارد بايبس وهو لاعب آخر بورقة الإسلام كان يكتب عن مسلمي آسيا الوسطى والتهديد الذى يواجهه الاتحاد السوفييتى منذ الخمسينات بما فى ذلك تحليل من جزأين نشر فى جريدة

510- المرجع السابق ص70- 71

511- في سنة 1983 كتب هنز Henze كتابا عن مؤامرة اغتيال البابا تطويرا لنظريته

512- بول هنز Paul B. Henze,The Shamil Problem," in the Middle East in Transition(نيويورك1958)ص 442

الشرق الأوسط سنة 1955 بعنوان" المسلمون فى آسيا الوسطى السوفييتية: الاتجاهات والمستقبل". يكتب بايبس: إن منطقة أسيا الوسطى بكاملها بما فيها تركستان الصينية المرتبطة بها بشكل مستمر، قد تتجه مع الوقت إلى التحرك نحو الاستقلال. انه ليس من غير المتصور أن هذه المنطقة الشاسعة يمكن أن تستوعب فى دولة إسلامية تركية جديدة تتجه نحو الشرق الأوسط."[513] هذا ما كتبه بايبس الذى كان قد كتب من قبل قائلا إن المسلمين السوفييت سوف يتفجرون فى غضبة عرقية ضد موسكو.[514] كذلك كتب بتوسع عن مشكلة الأمم فى آسيا الوسطى السوفييتية. وحينما حل الرئيس ريجان محل كارتر سنة 1984 اعتلى بايبس رئاسة "مجموعة العمل الخاصة بالقوميات". ولكن عددا أخر من الجامعيين والخبراء فى شئون الاتحاد السوفييتى اختلفوا مع بينيجيسين وتابعيه. وعلى اى حال فلم تظهر هذه الثورة الإسلامية ضد السوفييت. والحقيقة إن الإسلام الراديكالي لم يكن من أسباب تفكك الاتحاد السوفييتى بعد البروسترويكا وانهيار حائط برلين وإنشاء جمهوريات آسيا الوسطى فأنظمة وسط أسيا التى ظهرت فى التسعينات لم يكن فيها اى رائحة للإسلاميين. وبدلا من ذلك وجدت هذه الأنظمة نفسها مواجهة بالإسلاميين الجهاديين بدءا من القاعدة إلى حزب التحرير الاسلامى. ويمكن صياغة تعبير يقول: إذا كان قد حدث اى شئ فهو أن مساندة أمريكا للإسلام السياسي فى آسيا قد ساعد على نمو الحركات الإسلامية السرية الإرهابية فى الشيشان وأوزبكستان وغيرها من دول المنطقة.

المخابرات المركزية الأمريكية فى افغانستان قبل 1979

فى سنة 1979 وضعت النظرية التى تقول إن الإسلام قد يقلص الوجود السوفييتى فى آسيا، موضع التطبيق. فالولايات المتحدة وباكستان والعربية السعودية شنوا رسميا الجهاد الاسلامى الذى هدد الحكومة فى كابول ودفع الاتحاد السوفييتى إلى الهجوم على افغانستان وأشعل الحرب الأهلية لمدة عشر سنوات.

513- ريتشارد بايبس مسلمو آسيا الوسطى السوفييتية. الميول والتطلعات-ج2-جريدة الشرق الأوسط – صيف 1955-ص 308

514- ريتشارد بايبس Richard Pipes, Survival Is Not Enough : Soviet Realities and America's Future (New York 1984,p. 185

بالنسبة لبرجنسكى ربطت الحرب الأهلية وجهتي النظر معا. الأولى تتعلق بفكرته بشأن "القوس الاسلامى"فى جنوب غرب آسيا كحاجز ضد الاتحاد السوفييتى، حسبما كتب فواز جرجس مؤلف" أمريكا والإسلام السياسي":

" إن احتواء الشيوعية السوفييتية، كما يقول برجنسكى، يملى علينا تجنب اى شئ يمكن أن يشق المعارضة الإسلامية للسوفييت سيما المجابهة العسكرية بين الولايات المتحدة وإيران:" يبدو لي الآن أن الأكثر أهمية هو إذكاء تحالف اسلامى مضاد للسوفييت " وكما حدث فى خمسينات وستينات القرن العشرين كانت الولايات المتحدة تأمل فى استخدام الإسلام ضد القوى الراديكالية والعلمانية وحليفهم الملحد الاتحاد السوفييتى، يعترف الآن العاملون بإدارة كارتر بالإمكانيات الجديدة للتعاون مع الإسلاميين الجهاديين على أمل إن يسخروا إيديولوجيتهم ومصادرهم المادية ضد التوسع الشيوعي. كانت دروس خمسينات وستينات القرن العشرين حينما تم استخدام الإسلام السياسي كسلاح ايديولوجى فى المعركة ضد القومية العربية والعلمانية، هى التى تحتل الاولوية فى ذهن المسئولين الأمريكان[515]. أما العامل التالي فى الأهمية بالنسبة لهذه الخطة الإستراتيجية فهى المتعلقة بنظرية بنيجسن وبرجنسكى لاستخدام الإسلام كسلاح يوجه إلى ما يرونه نقطة الضعف لضرب الاتحاد السوفييتى تحت الحزام اى فى آسيا الوسطى. ولكن الإسلاميين الأفغان لم يكونوا ليظهروا بهذه الدرجة من النضج من لاشئ. فلمدة كبيرة قبل سنة 1979 كان اليمين الاسلامى قد ظهر كقوة واعدة فى افغانستان، و كان خلال الخمسينات فصاعدا يقاتل مع القوى التقدمية من اليساريين والعلمانيين فى كابول. لقد بدأت اتصالات أمريكا باصوليى افغانستان المرتبطين بالإخوان المسلمين فى وقت مبكر فى خمسينات القرن العشرين وبدأت مساندتها لحركة اليمين الاسلامى فى افغانستان سمنة1973.

برغم أن المخابرات المركزية الأمريكية لم يكن لها وجود كبير فى افغانستان خلال العقود الأولى من الحرب الباردة، إلا انه كان لها بعثة أرسلت إلى هناك من خلال "المنشأة الأسيوية" وهى تنظيم امامى تابع للمخابرات المركزية. خلال الخمسينات والستينات. قامت المنشأة الاسيوية بتقديم مساعدة مميزة لجامعة كابول وكان لديها العديد من المشروعات البسيطة التى تتعامل مع المجتمع الاسلامى المنظم فى افغانستان. حسبما يقول جون و روز بانيجان قام العاملون بالمنشأة الاسيوية الذين كانوا يعملون فى كل من باكستان وافغانستان فى الستينات، ساعدت المنشأة مؤسسة البحوث الإسلامية فى لاهور بباكستان فى نشر كتاب "انسكلوبيديا

515- فواز جرجس أمريكا والإسلام السياسي – كامبردج 1999 ص 68

الإسلام"(دائرة المعارف الإسلامية) باللغة الاوردية. يقول جون بانيجان:" كنا أيضا منخرطين مع الجامعات الأساسية من خلال " إدارة الشئون الدينية الإسلامية". في كل من باكستان وافغانستان عملت أسرة بانيجان مع الجماعات الطلابية من اجل التغلب على التنظيم الطلابي الموالى للسوفييت. كما يقول بانيجان:" كان الطلبة هم هدفنا الأول" وتقول روز بانيجان إن منشأة أسيا أقامت علاقات مع عائلة مجددي وهى عائلة قيادية لرجال الدين الاسلامى، وبالتعاون مع وزارة العدل التى كان يرأسها لفترة احد إفراد عائلة مجددي، أرسلت المنشأة أيضا شفيق كاموى نائب رئيس وزارة العدل إلى سيمينار (مؤتمر)حول الشئون الدولية فى هارفارد. وكما تلاحظ " كان عدد كبير من العاملين فى وزارة العدل بمن فيهم المستشار القانونى لمنشاة آسيا، من الملالى(رجال الدين)"

لم يكن واضحا إلى اى مدى كانت المخابرات المركزية تحتفظ بعلاقات منتظمة مع إسلاميي افغانستان خلال الستينات، حيث لم تكن افغانستان تشغل الاولوية فى سياسة الولايات المتحدة حتى العقد التالي:

" عندما كنت هناك سنة1957 كانت افغانستان قد أصبحت دولة تابعة للسوفييت " حسبما يقول مسئول سابق فى المخابرات المركزية " كانوا يريدون منى إن ابحث عن كل شئ يتعلق بالوجود السوفييتى فى افغانستان لان الرئيس إيزنهاور كان يريد إعداد دراسة عن أهمية هذا البلد بالنسبة لإستراتيجية الولايات المتحدة وتوضيح كل شئ عنها لواشنطن". ولكن الدراسة لم تثبت سوى أن افغانستان ليست بذات أهمية تذكر. وانتهينا إلى انه ليس هناك اى فائدة تذكرحتى إذا استولى عليها الاتحاد السوفييتى فان ذلك لا يمثل خطورة تذكر بالنسبة للولايات المتحدة."[516]

مع ذلك حتى الستينات كانت منشاة آسيا لها وجود فى افغانستان يعمل فيها اثنان أو ثلاثة من الموظفين الأمريكان الدائمين وربما 12 أو اكثر من المستشارين والاستشاريين.[517]

خلال الستينات كانت الحركة الإسلامية فى افغانستان تمر بمرحلة تسييس يجرى ببطء ولكن بانتظام. وبالرغم من أن المجتمع الافغانى كان دائما مجتمعا محافظا وتقليديا نظرا لان الإسلام يلعب دورا مركزيا فان المذهب الاسلامى السائد على الأقل خلال الستينات كان إيمانيا وليس سياسيا. كان الإسلام فى افغانستان

516- مسئول سابق فى المخابرات المركزية الامريكية –مقابلة مع المؤلف مايو 2004

517- روز بانيجان Rose Bannigan – مقابلة مع المؤلف يوليو 2004

مجرد دين وليس عقيدة اجتماعية سياسية. ولكن تحت تأثير النفوذ الديني الخارجي وتحت تأثير المثقفين – خاصة الإخوان المسلمين المصريين وجماعة اسلامى الباكستانية والتنظيم الدولي للإخوان المسلمين الموجود فى جنيف بقيادة سعيد رمضان، بدأ الإسلام الافغانى يتعرض لتغيير جوهرى حيث تم تسييسه وأصبح اكثر جهادية ومعارضا للشيوعية. وإذا بالقادة الأفغان الإسلاميين المنظمين والجامعيين يعودون الى افغانستان قادمين من مصر حيث التقوا خلفاء الحركة التى أسسها حسن البنا. حسبما يذكر أوليفر روى، وهو مستشرق فرنسي وخبير فى الشئون الأفغانية والإسلامية فان مصدر الإسلام السياسي فى افغانستان بدأ مع عصبة شبه سرية يطلق عليها "الأساتذة" الذين تولوا مراكز مرموقة فى افغانستان بعد أن درسوا فى الأزهر فى القاهرة وحيث عاشروا الإخوان المسلمين. ولكن فرض الحظر عليها سنة 1958 بعد إن اصطدم احد القادة الدينيين الجامعيين مع محمد داود ابن عم الملك الذى اصبح فيما بعد رئيسا للجمهورية الأفغانية. قبض على الكثير من الإسلاميين واضطر التنظيم الناشئ إلى العمل سرا وأطلق على نفسه اسم "الجمعية الإسلامية"[518]

فى أواسط الستينات أصبحت الجمعية الإسلامية والتنظيمات المتفرعة عنها تسير على نفس الدرب الذى سبقتها إليه التنظيمات الإسلامية فى مصر وباكستان والعراق وغيرها حيث تعتدي على الطلبة اليساريين والشيوعيين وتستخدم العنف ضد منافسيها السياسيين، يقودها الكثيرون من نفس الأشخاص الذين سيغدون سنة 1979 المنتفعين من سخاء المخابرات المركزية الأمريكية، وبدئوا كذلك فى إثارة الاستفزازات السياسية بشكل مكشوف. يكتب روى:

" اثر (الأساتذة) تأثيرا كبيرا فى تلامذتهم. فى سنة 1965 وهو عام تأسيس الحزب الشيوعي تظاهر الطلبة الاسلاميون علنا ووزعوا منشورات بعنوان....علامات الحرب المقدسة." كانت الفترة من 1965- 1972 إحدى فترات الحراك السياسي فى حرم جامعة كابول....كانوا يعارضون الشيوعيين بشدة ونشبت معارك كثيرة عنيفة فى الحرم الجامعي بينهم وبين الماويين. وبالرغم من أنهم كانوا فى البداية أقل عددا من الشيوعيين إلا أن نفوذهم اخذ ينمو تدريجيا وحصلوا على الأغلبية فى انتخابات سنة 1970 [519].

518- اوليفيير روى Islam and Resistance jn Afghanistan كامبردج 1985 – ص ص 69-70.

519- المرجع السابق ص 71.

فى بدايات يونيو 1970 أرسلت برقية سرية من السفارة الأمريكية فى كـابول تحدد القيادة الدينية الأفغانية بوجه خاص عائلة المجددى الدينية باعتبارها قوة فعالة، وانتهت إلى أن الإثارة التى قام بها الملالى قد" حدت من نفوذ اليسار على الأقل فى الريف وان اليمين الديني المحافظ اخذ يظهر بحيوية لأول مرة منذ سنوات وانه لا يزال القوة التي يجب على الحكومة أن تخشاها، وان الملالى قد وافقوا حسبما أفادت التقارير على أن يستمروا فى المعركة التى تسير بشكل جيد فـى الأقـاليم" وكتـب المسئول السياسي فى السفارة يقول:" هنا فى كابول كانت هناك بعض المجهـودات من اجل إبقاء الشعلة الدينية فى البازار" وأضاف انه ببعض الجهود الصادقة فيمـا يتعلق بالمستقبل " ليس من المحتمل أن يعرف – لبعض الوقت- الكثير عن القـوة التى ما زالت فى يد رجال الدين المجاهدين."[520]

من بين قادة الحركة الإسلامية الأفغانية أوائل السبعينات كان عبـد الرسـول سياف التى كانت منظمته تنتمي إلى الإخوان المسلمين والعربية السعودية، ومـنهم برهان الدين رباني وقلب الدين حكمتيار. كان كل منهم يقود أجزاء هامة من قوات المجاهدين فى الثمانينات. وطبقا لما يقوله روى:" كانت الحركة تعمل على مسـتوى مفتوح بالنسبة لـ "الشباب المسلم"، ومستوى اكثر سرية ويركز على"الأساتذة". كان قائد الأساتذة هو الرجل الذى قاد منظمة الشـباب المسـلم شـبه السـرية وهـو البروفيسور غلام محمد نيازى من كلية رجال الدين فى جامعة كابول وهـو أحـد المنتفعين بالمساعدة التى كانت تقدمها المخابرات المركزية الأمريكية مـن خـلال منشأة آسيا. فى 1972 شكل كل من رباني وسياف ثم حكمتيـار مجلسـا قياديـا للحركة واشرف حكمتيار على جناحها العسكري السري. كانت المنظمـة بأكملهـا تعمل على أساس خلايا من خمسة أعضاء. فى أوائل السبعينات ومرة أخرى حسب النموذج الذى أرساه الإخوان المسلمون فى مصر وباكستان بدئوا يخترقون القوات المسلحة.[521] فى سنة 1972 تكشف وثائق السفارة الأمريكية غير المبوبة عـن إن احد أعضاء الشباب المسلم قابل مسئولا أمريكيا عدة مرات طلبا للمساعدة، وقـدم وصفا مفصلا للأنشطة المناهضة للشيوعية التى تقوم بها جماعته (بما فى ذلك قتل 4 يساريين) وطالب بمساعدة سرية من الولايات المتحدة لشراء مطبعة، ولكن الوقت لم يكن قد حان بعد لتقديم مساعدة مباشرة مما حدا بموظف السـفارة الـى رفـض

520- الوثائق السرية غير المبوبة – الإدارة الأمريكية – 24 يونيو 1970: قلق رجال الدين الافغان.

521- المرجع السابق ص 73

الطلب مع إظهار تعاطفه مع أهداف الجماعة.[522] منذ ذلك الحين بدأت المخابرات المركزية الأمريكية تأخذ موقفا اكثر ايجابية لصالح الإسلاميين الأفغان. قبل ذلك كانت مساعدة المخابرات المركزية متواضعة ومعظمها كان يأتي من خلال منشاة آسيا الى جامعة كابول ومؤسسات أخرى تابعة للقوات الإسلامية. ولكن في سنة 1973 قام الأمير محمد داود بمساعدة الشيوعيين بالإطاحة بالملك وأسسوا الجمهورية الأفغانية. واذ فوجئ الحرس بذلك فقد انقسم على نفسه انقسامات مؤسسة على الهوية والايديولوجية ولكن اليمين الاسلامى لم يتحرك فى اتجاه معارضة داود صراحة وسرعان ما لقي معينا وافرا من الأصدقاء فى الخارج.. سرعان ما تضافرت قوى المخابرات المركزية الأمريكية وباكستان(أولا بقيادة ذو الفقار على بوتو ثم الجنرال الاسلامى ضياء الحق بالإضافة الى شاه ايران وبدؤوا جهودا مكثفة من اجل اضعاف الحكومة الانتقالية الجديدة، وكان ذلك قبل سنوات من الغزو السوفييتى لأفغانستان اى قبل جهاد الثمانينات بمدة طويلة. غيران سحب الحرب الإسلامية المقدسة فى هذه الدولة الاسيوية مقفولة الحدود كانت تتجمع بالمشاركة الكاملة للمخابرات المركزية الأمريكية. بعد سنوات عدة اعترف مسئول سابق بالحكومة الباكستانية كان يعمل مع ابنة بوتو التى كانت فى ذلك الحين رئيسة للوزراء – اعترف بان مساعدة المخابرات المركزية الأمريكية للإسلاميين فى افغانستان بدأت مباشرة بعد انقلاب داود سنة 1973. طبقا لأحد المصادر[523] أن " نصير الله بابار المساعد الخاص لرئيسة الوزراء بناظير بوتو صرح فى مؤتمر صحفي فى ابريل 1989 أن الولايات المتحدة كانت تقوم بتمويل المنشقين الأفغان منذ1973 وإنها أخذت زعيم الحزب الاسلامى قلب الدين حكمتيار تحت مظلتها قبل عدة شهور من التدخل العسكري السوفييتى".

واعتمادا على دييجو كورديفيز و سيلج هاريسون اللذين يعتمدان على الأرشيفات السوفييتية التى كشف عنها حديثا يصفان بالتفصيل الجهود التى بذلتها كل من الولايات المتحدة وإيران والعربية السعودية وباكستان لتعبئة اليمين الاسلامى داخل افغانستان:

---

522 – وثائق السفارة الأمريكية فى كابول – سرية غير مبوبة 29 مايو 1972 الوضع كما صوره شاب متطرف.

523- Robert Wirsing,Pakistan Security under Zia, 1977-1988 (New York:1991) p.73, n. 26, "أمن باكستان فى ظل حكم ضياء الحق".

"كان ذلك فى أوائل السبعينات وكانت أسعار البترول فى صعود حيث اخذ شاه ايران فى محاولة منه لإرضاء طموحه بإزاحة النفوذ السوفييتى فى الدول المجاورة وإنشاء صيغة جديدة من الإمبراطورية الفارسية.... بدأ منذ 1974فى بـذل جهـود كبيرة لجر كابول الى الكتلة الموالية للغرب. كان المجال الذى تركز فيـه طهـران مساعداتها الاقتصادية والأمنية يشمل الهنـد وباكسـتان ودول الخلـيج....وكانـت الولايات المتحدة تشجع بقوة هذه السياسة التجميعية كجزء من شراكتها الواسعة مع الشاه فى المجال الاقتصادي والامنى وكذلك فيما يتعلق بالعمل السري فـى أنحـاء جنوب غرب أسيا.[524]

كان الهدف الامريكى الايرانى الذى تؤيده السعودية وباكستان هو تقوية الجناح اليميني والقوى المحافظة فى حكومة داود المعدلة من اجل جر افغانستان بعيدا عـن الفلك السوفييتى. وطبقا لأقوال كوردفيز وهاريسون:

"كان السافاك والمخابرات المركزية الأمريكية يعملان جنبا الى جنب، أحيانـا فى تعاون مرن مع الجماعات الإسلامية الأصولية الأفغانية التى تشاطرهم أهـدافهم المعادية للسوفييت ولكن كان لها أجندتها الخاصة كذلك. وكان الأفغان الأصـوليون بدورهم على صلة وثيقة كذلك بالإخوان المسلمين فى قاعـدتهم بالقـاهرة وكـذلك برابطة العالم الاسلامى وهى تنظيم قيادي موالى للوهابية الأصولية السـعودية.... وعندما ارتفعت أسعار البترول ارتفاعا هائلا بدأ مبعوثون مـن هـذه الجماعـات الأصولية العربية الجديدة يتدفقون الى المسرح الافغانى ومعهم إيـداعات ضـخمة. ومثلهم مثل السافاك استأجروا مرشدين للكشف عن المتعاطفين مع الشيوعيين فـى الحكومة والقوات المسلحة. ويضـيف المؤلفـان أن المخـابرات الإيرانيـة مـدت الجماعات السرية المرتبطة باليمين الاسلامى بالأسلحة وغيرها مـن المسـاعدات. وبينما كانت المخابرات السرية الباكستانية تساعد فى تنسيق الهجمات على الأهداف الأفغانية، انخرط السافاك والمخابرات المركزية الأمريكيـة وعمـلاء المخـابرات الباكستانية فى دعم المحاولات الانقلابية الاجهاضية التى يدبرها الأصوليون الأفغان ضد داود فى سبتمبر وديسمبر 1973 ويونيو 1974.[525]

فى سنة 1975 شعر الاسلاميون الأفغان أن لديهم القوة اللازمة للقيام بثـورة شاملة ضد داود الذى برغم تردده كان لا يزال حليفا للشيوعيين الأفغان. ولكن تـم

524- دييجـو كـوردفيز و سـيلج هاريسـون Diego Cordovez and Selig Harrison , Out of Afghanistan, 1995, p.15.

525- المرجع السابق ص 16

القضاء على هذه الهبة وقبض على الكثير من المتمردين وتم إعدامهم وهرب آخرون مثل حكمتيار ورباني الى المنافي- باكستان غالبا، حيث بدئوا يتلقون مساعدات هامة من المخابرات العسكرية الباكستانية. خلال السنوات الأربع التالية طورت المخابرات الباكستانية من علاقتها الوثيقة المتزايدة بتحالف المتمردين الأفغان سيما قلبها الاسلامى. يشير تحليل سري للإدارة الامريكيةالى أن الأزمة فى افغانستان سنة 1975 بشكل خاص تربط بين الإخوان المسلمين والمخابرات الباكستانية:

" إن الشئ الذى مر دون أن يلاحظه احد تقريبا فى عملية تورط باكستان الرسمية في افغانستان هو حقيقة إن داود كان يضع حدا لمظاهر" تدويل" الإسلام. لقد كان الأفغان المحليون الذين كانوا قادة الحلقة الداخلية للمقاومة، بالإضافة الى كونهم مضللين بالأهداف المزعومة لباكستان، كانوا حسبما تشير التقارير أعضاء فى الإخوان المسلمين بينما كان الإخوان المسلمون أنفسهم بدورهم أعضاء فى جماعة اكبر يقال أنها أبرمت اتفاقا مع الجنرال جيلاني رئيس المخابرات الباكستانية.[526]

أما فى افغانستان فقد اخذ المتذبذب داود يجنح يمينا متأثرا بضغوط الولايات المتحدة وشاه ايران وباكستان. كان داود خلال الفترة 1970-1978 يراوح موقفه، ويستبعد مسانديه من اليسار ويحتضن الجيش والمؤسسة المحافظة الأفغانية. فى سنة 1976 التقى داود مع الشاه ورئيس الوزراء بوتو وبدأ يستجيب للضغوط فيعين الضباط ذوى الاتجاه اليميني وقادة آخرين موالين للغرب ويضعهم فى وظائف رئيسية. سنة 1978 بدأت فرق الموت الأفغانية التابعة للحكومة تغتال القادة اليساريين والشيوعيين واستبعد اليساريون والشيوعيون من نظام كابول. تدريجيا أخذت القاعدة التي يستند إليها داود تضعف حتى أصبحت حفنة صغيرة من عصبة من غلاة المحافظين إضافة الى القوات المسلحة. وحسبما يورد كوردفيز وهاريسون كان السافاك وحلفاء السعودية، ومنظمة العالم الاسلامى والإخوان المسلمون، من وراء الستار يتولون السلطة[527]. أخذت المشكلة تتفاقم حتى ابريل 1978 حينما قام نور محمد طراقى وهو شيوعي بانقلاب موالى للسوفييت ووقع معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفييتى، فقام اليمين الاسلامى بمساعدة المخابرات الباكستانية بحملة

526- برقية سرية من السفارة الأمريكية فى كابول ، ديسمبر 1975 تقرير آخر العام عن الوضع الداخلي فى افغانستان

527- المرجع السابق ص 23

إرهابية اغتال خلالها المئات من المدرسين والموظفين المدنيين وقام بهجمة مماثلة لتلك التى قام بها بول بوت ضد العلمانيين والمثقفين.

كانت الولايات المتحدة تعلم جيدا أن المنظمات الأفغانية التى تقوم بالحملات الإرهابية ضد السوفييت تنتمي الى الإخوان المسلمين، طبقا للعديد من تقارير وبرقيات السفارة الأمريكية. احد هذه التقارير الصادرة عن اجتماع السنتو(حلف جنوب شرق آسيا) سنة1978 يقول صراحة ان " التهديد الأساسي للنظام الجديد ياتى من جانب القبائل وجماعات أخرى مثل الإخوان المسلمين."[528] ويلاحظ تحليل آخر فى ابريل 1979 ان " المعارضة الصادرة من بعض رجال الدين يمكن ان تكتمل مع الإخوان المسلمين.[529] يلاحظ احد ضباط السفارة الامريكية فى وثيقة محررة فى يونيو 1979 بعنوان" الوضع الحالي للمقاومة فى افغانستان " أن أقاليم بأكملها فى وسط وشرق وغرب افغانستان قد وقعت تحت سيطرة المتمردين" ذكرت ان المتمردين يعرفون بأسماء عديدة مثل المجاهدين والإخوان المسلمين." ولاحظت الوثيقة دونما اى تعليق ان الحكومة الأفغانية كانت تصم المعارضة بأنها "صناعة ملالى لندن."[530]

خلال هذه الفترة حتى بعد قيام الثورة فى ايران 1978- 1979 أصبحت العلاقاتبين باكستان والاسلاميين الأفغان أكثر قوة وكذلك الحال بالنسبة لاسلاميي باكستان أنفسهم. أسس الجنرال ضياء الحق نظاما يقوم على أساس الشريعة الأسلامية وشجع نمو لجماعة الأسلامية بزعامة " أبو الأعلى المودودى ". وبينما كان أية الله الخمينى مشغولا باقامة الجمهورية الأسلامية فى طهران، كان برجنسكى والمخابرات المركزية الامريكية يزرعان جيشهما اليمينى الاسلامى فى أفغانستان. ولكن ذلك لم يكن مجرد استراتيجية أفغانية. لقد كان برجنسكى يركز جهوده للتخطيط لوضع النظرية الكاسحة لمدرسة بنيجيسين الخاصة باستخدام اليمين الأسلامى كسلاح ضد الاتحاد السوفييتى نفسه.

528- برقية إلى السفارات الأمريكية فى الشرق الأوسط ، يونيو 1978- وثائق سرية غير مبوبة " اجتماع المندوبين فى مجلس حلف السنتو .

529- بروس أمستوتز تحليل سرى خاص بالإدارة الأمريكية

530- برقية يونيو 1979 عن الوضع الحالي للمقاومة فى افغانستان

جيش برجنسكى وبيل الاسلامى

فى حديثه مع مجلة لونوفيل اويزرفاتير الفرنسية سنة 1998 يكشف برجنسكى سرا وراء سر، فيقول ان مساعدة المخابرات المركزية للمجاهدين فـــى افغانســـتان بدأت قبل وليس بعد الغزو السوفييتى:

" وفقا للتاريخ المتعارف عليه رسميا بدأت مساعدات المخــابرات المركزيـــة الأمريكية للمجاهدين خلال 1980 اى بعد ان غزا الجيش السوفييتى افغانستان فـــى 21 ديسمبر 1979. ولكن الحقيقة التى نعتبرها من الإسرار حتى الآن تختلف عـــن ذلك تماما. صحيح انه فى يوليو 1979 وقع الرئيس كارتر توجيهه الأول بان نساعد سرا معارضي نظام كابول الموالى للسوفييت. فى ذلك اليوم كتبــت مــذكرة الـــى الرئيس أوضحت فيها وجهة نظري بان هذه المساعدة سوف تدفع السوفييت للقيـــام بتدخل عسكري."[531] غير ان وراء هذا السر بطبيعة الحال يكمن سر آخر، وهو ان الولايات المتحدة أصبحت منخرطة فعلا مع اليمين الاسلامى فى افغانستان والشرق الأوسط خلال السبعينات. وبالإضافة فان الحرب الأفغانية المقدسة بدأت بالفعل ليس سنة 1980 حينما عبرت القوات السوفييتية الحدود وليس سنة1979 حينمـــا بـــدأت مساعدات المخابرات المركزية تتدفق ولكن سنة 1978 حينما بدا اليمين الاســـلامى الافغانى هبة منظمة بمعاونة الباكستانيين بدءا من الشمال الشرقي لأفغانستان. وفى مارس 1979 بدأ النصف الغربي من افغانستان الانفجار سيما فى هيـــرات وهـــى عاصمة إقليمية فى الغرب مجاورة لإيران. إذ قامت منظمة إسلامية متشددة مرتبطة بإسماعيل خان أمير الحرب وبمساندة جمهورية ايران الإسلامية، قامت بذبح أعـــداد كبيرة من موظفي الحكومة الإيرانية كما تعرض للذبح اكثر من 12 من المستشارين الروس و زوجاتهم وأطفالهم. خلال هذه الفترة كانت الولايـــات المتحـــدة تحـــتفظ بعلاقات مع الجيش الايرانى وجهاز مخابراته ومع حكومة ايران الجديـــدة برئاســـة بازرجان وكانت المخابرات المركزية الأمريكية تمد ايران بالمعلومات حول الاتحاد السوفييتى والعراق وافغانستان، كان هناك تعاون عسكري استمر حتـــى الاســـتيلاء على مقر السفارة الأمريكية فى طهران بواسطة عملاء الخميني فى ديسمبر 1979.

فى مارس 1979 أكملت المخابرات المركزيـــة أول عـــرض رســـمي لهـــا بالمساعدة المباشرة لاسلاميى افغانستان فى تزامن مع التمرد فـــى هيـــرات. طبقـــا

531- مقتطفات من حديث برجنسكى إلى صحيفة لا نوفيل ابزرفاتير – 15- 21 يناير 1998

لجيتس كان البعض فى المخابرات المركزية الأمريكية يعتقد ان تورط الاتحاد السوفييتى فى افغانستان سوف يشجع على استقطاب مشاعر المسلمين والعرب ضد الاتحاد السوفييتى" ليس ذلك فحسب. فهناك جانب عملي أيضا فقد مسحت المخابرات المركزية افغانستان بوصفها موقعا يمكن ان يحل محل المواقع الموجودة فى إيران كمراكز استماع للمخابرات الأمريكية حتى سنة 1979 حسبما يقول جيتس.[532] فى بداية 1979 بدأت الولايات المتحدة تدرس إرسال مساعدات فعالة وسرية الى الجهاديين، وطالبت كل من باكستان والعربية السعودية الولايات المتحدة بالمزيد من التدخل." فى العربية السعودية تنبأ احد كبار المسئولين بتراجع الاتحاد السوفييتى فى افغانستان وقال ان حكومته تدرس التقدم بشكل رسمي الى الولايات المتحدة باقتراح تقديم مساعدات الى المتمردين."[533] وبالرغم من ذلك كان بعض المحللين الأمريكيين بمن فيهم بعض العاملين فى المخابرات المركزية، كانوا يرون ان تقديم مساعدات مباشرة من أمريكا لمساعدة الأفغان المتمردين يمكن ان يدفع الاتحاد السوفييتى الى مهاجمة باكستان ونشوب أزمة عالمية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ولكن حكومة الولايات المتحدة مضت قدما. اتصلت المخابرات المركزية الامريكية بالعربية السعودية وباكستان فيما يتعلق بتقديم مساعدة الى المتمردين الأفغان وقام الرئيس كارتر كما يؤكد برجنسكى فى يوليو سنة 1979 بتوقيع القرار الرئاسي الأول أى إيجاد طريقة لتقوم المخابرات المركزية الامريكية بإمداد اليمين الاسلامى بالمساعدات "غير القاتلة" بما فى ذلك أجهزة الاتصال.

فى حديثه الى مجلة لونوفيل اوبزرفاتير يقر برجنسكى انه كان يقصد من وراء كل هذا استفزاز السوفييت ليقوموا بغزو افغانستان، بالرغم من انه بعد ان حدث ذلك، أعرب المسئولون الأمريكان عن صدمتهم ودهشتهم. يقول برجنسكى:" إننا لم ندفع الروس الى التدخل ولكننا عن قصد كنا نزيد من احتمالات ان يفعلوا ذلك".وحينما سئل إذا ما كان له ان يستعيد الماضي، فهل يندم على مساعدته الإسلاميين الأصوليين وعلى إمداد الإرهابيين بالسلاح والتدريب؟ وكانت إجابته:

" ما هو الأكثر أهمية بالنسبة لتاريخ العالم ؟ طالبان ام انهيار الإمبراطورية السوفييتية؟ ان يقوم البعض بإثارة المسلمين أو تحرير أوربا الوسطى ونهاية الحرب الباردة؟ الآن– موجها الحديث الى الرئيس كارتر سنة 1979 – تستطيع ان تعطى الاتحاد السوفييتى الحرب الفيتنامية."[534]

532- جيتس Gates ص 132

533- المرجع السابق ص 144

534- المرجع السابق

مع نهاية سنة 1979 اصبح اكثر من ثلاثة أرباع افغانستان فى ثورة علنيـــة. قبيل عيد الميلاد هاجم الجيش الأحمر افغانستان ليحمى الحكومة الافغانيةالمحاصرة.

واحدة من ألاعيب الجهاد الامريكى فى افغانستان أنها سـمحت منـذ البدايــة للمخابرات الباكستانية وللجنرال ضياء الحق ان يضــبط توزيــع المعونــة علــى المجاهدين الأفغان. كتب ستيف كول وهو صحفي وكتابــه " حــروب الأشــباح" يصف بشكل دقيق الجهاد فى افغانستان. كتب يقول:" كان ضــياء الحــق يريــد ان يجلب المساعدات وان تكون له السيطرة على أسلحة وأموال المخابرات المركزيــة. وأصر على ان كل سلاح وكل دولار مخصص للمجاهدين يجب ان يمر أولا عبــر ابدى باكستانية....هو الذى كان يقرر اى نوع من حــرب العصــابات هــى التــى تفيد....ولكن المخابرات المركزية الأمريكية وافقت على وجهة نظــر المخــابرات الباكستانية بقليل من عدم الرضاء"[535] وقد حدث ان الأمير تركي آل فبصــل الــذى كان يرأس وقتئذ الإدارة العامة للمخابرات السعودية زار وشنطن وقابل برجنســكى والمخابرات المركزية ووافق على ان يدقق مساهمات الولايات المتحدة للجهــاديين الأفغان (على داير مليم). ولكن ما ظهر انه كان هناك تحالف بعد سنة 1980 بــين الجنرال ضياء الحق والإسلاميين فى باكستان من جانب وسلسلة مترابطة تتكون من الحكومة السعودية وشبكة خاصة من المخابرات السعودية ومنظمة العالم الاســلامى الى أسامة بن لادن من جانب آخر. لسنوات عديدة كانت هناك علاقة وثيقــة بــين السعودية وباكستان بما فى ذلك روابط عسكرية وثيقة، قوات باكستانية ومتطوعون أرسلوا للمساعدة فى حماية العائلة المالكة السعودية وتــدريب للقــوات الســعودية وغيرها من دول الخليج، تعود الى الستينات. كان ضباط الجيش الباكســتاني علــى سبيل المثال يدربون جيوش السعودية ودول الخليج. احد هؤلاء الضباط هو الجنرال ضياء الحق."[536] وبالإضافة ففي السبعينات كان بوتو أولا ثم ضــياء الحــق بعــده يعتمدان على المعونة السعودية سيما منذ الزيادات التى طرأت على أسعار بتــرول دول الأوبك خلال الفترة1973-1974 مما تسبب فى نضوب الخزانة الباكســتانية من العملة الصعبة التى تمكنها من شراء البترول. ولكن المساعدة السعودية جــاءت ومعها قيود. أن يكون نمو الإسلاميين فى باكستان مرتبطا بشكل مباشر بالمســاعدة السعودية لإسلام أباد.

535- ستيف كول Steve Coll حروب الاشباح (Ghost Wars (New York 2004 ص63

536- شيرين حنتر مستقبل الإسلام والغرب

بالنسبة للولايات المتحدة كان التحالف السعودي الباكستاني فى صالح الولايات المتحدة ما دام الطرفان حلفاء مخلصين للولايات المتحدة ويمكنها الاعتماد عليهما سيرا على خطاها فى حصار الاتحاد السوفييتي. ولكن الحقيقة ان البلدين وان كان لهما دوافع متماثلة الا أن مشروعاتهما الكبرى كان يتم تجاهلها من قبل إدارة كارتر ثم ريجان اللذين كانا يتطلعان الى إغراق الاتحاد السوفييتى فى معركة افغانستان الدامية أيا كان الثمن. كانت باكستان تهتم دائما بعدوها الرئيسي الهند، وكانت ترى فى افغانستان عمقا استراتيجيا لها وحليفا لها فى شبه القارة الهندية ضد نيودلهي، كما كان الجنرال ضياء الحق يتطلع الى قيام "باكستان الكبرى". أما العربية السعودية فقد كان لها هى الأخرى أهدافها الخاصة وكانت ترى فى الصراع فى افغانستان جزءا من المنافسة الأبعد مدى بينها وبين ايران الذى كان نظامها الشيعي الاصولى يهدد العراق ودول الخليج. كانت العربية السعودية تنظر الى افغانستان واسيا الوسطى كميدان لمعركتها مع إيران وترى دعم الوهابيين والسنة الأصوليين فى افغانستان وما وراءها لتضعف إيران.

احتضن برجنسكي ثم كيزى من بعده المحور الباكستانى- السعودى.

فى باكستان كان قلب الدين حكمتيار الاسلامى الجهادي الذى يطلق على جماعته اسم "الحزب الاسلامى" ويتمتع بسمعة اكتسبها باعتباره متعصبا وحشيا:

"كان قلب الدين حكمتيار محببا الى قلب ضياء الحق والمخابرات الباكستانية. ومثله مثل غيره من قادة المجاهدين كان يعمل مع المخابرات الباكستانية منذ أوائل السبعينات. وعندما بدأت باكستان تساند سرا الطلبة الأصوليين فى جامعة كابول (الذين كانوا يناوئون النفوذ السوفييتى فى الحكومة الأفغانية، فى ذلك الحين كان قلب الدين حكمتيار جزءا حميما من الموجة العالمية للإسلام الراديكالي. بكل الحسابات كان مسئولا عن إلقاء الأحماض على وجوه النساء الأفغانيات اللاتي لم يقمن بتغطية أنفسهن بالشكل اللائق.[537] وكانت هواية حكمتيار هى سلخ السجناء إحياء.[538] سماه المجددى – وهو اسلامى اقل راديكالية- سماه: "وحش حقيقي"[539] يلاحظ شارلس ولسون وهو نائب جمهوري عن تكساس وكان يقود الداعين الى دعم المجاهدين الأفغان فى الكونجرس، يلاحظ ان ضياء الحق" ينتمي كلية لحكمتيارلان ضياء الحق كان يرى ان العالم هو صراع بين المسلمين والهندوس وانه يرى انه يمكن الاعتماد

537- جورج كريل George Crile حرب شارلى ولسون نيويورك 2003 ص 222.

538 – المرجع السابق.

539- المرجع السابق ص212.

على حكمتيار للعمل من اجل وحدة إسلامية شاملة تكون قادرة على مواجهة الهند"[540]

كان حزب حكمتيار الاسلامى واحدا من بين 6-8 أحزاب أفغانية قادت المقاومة ضد السوفييت. كان أكبرها ومشهور عنه ان لديه أشرس المقاتلين وازداد عددا بعد اتصاله بالمخابرات المركزية الأمريكية. يقول احد مسئولي المخابرات المركزية ممن شاركوا فى الإشراف على الجهاد:

" فى البداية لم نكن نظن انه سيهزم السوفييت، ولم نكن نرغب ان نقتل من الروس أكبرعدد ممكن، لكن كان يبدو ان حكمتيار هو الرجل الذى يمكنه ان يقوم بذلك."[541]

"كذلك فان ضباط المخابرات المركزية فى قسم الشرق الأدنى الذين كانوا يديرون البرنامج الافغانى اعتبروا حكمتيار كأفضل واحد من حلفائهم الذين يمكن الاعتماد عليهم وأكثرهم فعالية." وطبقا ل "كل" Coll

"كان حكمتيار على الاقل يعرف من هو العدو- هكذا كان ضباط المخابرات المركزية الأمريكية يطمئنون أنفسهم"[542]

أما بالنسبة لهؤلاء من أمثال كافري وبرجنسكى الذين كانوا يرون ان افغانستان هى مفتاحهم لاختراق الاتحاد السوفييتى فى جمهورياته الإسلامية، فان لحكمتيار جاذبيته هو الآخر سيما وانه يريد ان يمد الحرب الى ما وراء افغانستان. يرى " ديليب هيرو" ان حكمتياريتحدث عن القيام بهجمات فيما وراء" نهر اوكساس" فى وسط آسيا السوفييتية وان يهزم الشيوعية بتحرير الارض الإسلامية فى بخارى وطشقند ودوشانبي"[543]

أما الشخص المحبب لدى السعودية فهو عبد الرسول سياف قائد الإخوان المسلمين الأفغان.

مع تطور الحرب يبرز حكمتيار وسياف باعتبارهما القادة الأفغان الأشبه بالفرق الأجنبية ومعظمهم من العرب المقاتلين الذين انطلقوا الى افغانستان للحاق بالجهاد. بنهاية ثمانينات القرن سيكون هناك من يطلق عليهم "الأفغان العرب"الذين

540- كوردوفيز وهاريسون Cdovez and Harrison162

541- مسئول سابق فى المخابرات المركزية الامريكية -مقابلة مع المؤلف مارس 2004

542 - Coll كول ص ص 120-121

543- ديليب هيرو الحروب المقدسة - نيويورك 1989 ص259

يتخرجون ليكونوا قادة الميليشيات والإرهابيين الإسلاميين في مصر والجزائر والعربية السعودية والعراق وغيرها بما في ذلك الشيشان وأوزبكستان. وبرغم ان حكمتيار وسياف ليسا حلفاء إلا إنهما قريبان من بن لادن، الذى بدأ صعوده الى القمة منذ 1979–1980 حينما تم تسجيله في الجهاد الافغاني:

حينما كان حكمتيار في المنفى في باكستان، جمع حوله اكثر الإسلاميين راديكالية ومعاداة للغرب بالإضافة الى الإسلاميين الامميين المنخرطين في الجهاد بمن فيهم بن لادن وغيره من العرب الذين جاءوا متطوعين."[544]

وهكذا تم إعداد المسرح للمواجهة الكبرى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في افغانستان. في باكورة الثورة الإيرانية مضت الولايات المتحدة قدما في حلمها الشيطاني بحشد الكتلة الإسلامية ضد الاتحاد السوفييتي، موجهة باكستان والعربية السعودية ومصر الى معركة في جبال آسيا الوسطى المنعزلة. وهرع مئات الألوف من الجهاديين مفعمين بنار الحرب المقدسة الى المعسكرات عبر الحدود الأفغانية الباكستانية قادمين من شتى أنحاء الارض. لم يكن لدى الولايات المتحدة سوى القليل من الإدراك بنوعية القوى التي تطلقها. ولكن هذا لم يمنع إدارة ريجان من دفع الحرب في افغانستان الى داخل الاتحاد السوفييتي نفسه ومحاولة ان تدرج الخميني في ايران على قائمة الجهاد.

*

---

544 – كول ص 119.

الفصل الحادى عشر

الجهاد الثاني : داخل آسيا الوسطى

حينما بدأ الجهاد فى افغانستان سنة 1979 برعاية الولايات المتحدة فإنه كان يأخذ مكانه خلال اكثر فترات التحول حرجا فى تاريخ الإسلام السياسي .

منذ 1945 حتى 1979 بدا اليمين الاسلامى ملتصقا بالغرب وضد الشيوعية فى معسكر الحرب الباردة. خلال هذه الفترة كان من المفهوم لدى الكثير من المحللين أن يروا الإسلام السياسي شيئا لطيفا وانه إذا لم يكن مواليا لأمريكا فانه على الأقل يتعاطف مع السياسة الأمريكية وأهدافها الاقتصادية فى المنطقة. فى جبال افغانستان كان الملالى الشرسين يعبرون عن كراهيتهم للشيوعية، فى الصحراء السعودية كانت المؤسسة الوهابية تهدر ضد قوى اليسار والقومية، فى شمال إفريقيا والشرق الأوسط وباكستان وفى الحرم الجامعي فى كابول وإسلام أباد الى بغداد والقاهرة كان الإخوان المسلمون يشتبكون مع العلمانيين ويخطبون ضد الماركسية.

منذ سنة 1979 بدأت الأشياء تتغير. كانت ثورة آية الله الخميني فى إيران تتحدى المصالح الأمريكية فى الجبهة الأمامية. وأكثر من هذا أن اليمين الاسلامى اخذ ينشر الهجمات الإرهابية المميتة التي تهاجم مصالح الولايات المتحدة والقادة الموالين للغرب بدءا من الجامع الكبير فى مكة الى أنور السادات الى الاستعدادات الإرهابية لحزب الله فى لبنان.

كانت الولايات المتحدة جد بطيئة فى استخلاص الدروس من هذه التطورات. فاولا فشلت فى تركيز الموارد على الإرهاب الاسلامى بعد 1979 بالرغم من النداءات التي وجهها بعض الزعماء العرب مثل الرئيس المصري حسنى مبارك. والأكثر أهمية أن الولايات المتحدة فشلت فى أن تدرك الدرس الأكبر وهو: أن اليمين الاسلامى لم يكن فقط معاديا للشيوعية ولكنه معارض اصولى للغرب ولأقرب شركائه فى الشرق الأوسط اى العلمانيين والوطنيين الديمقراطيين.

وبالرغم من تصاعد الشواهد على آن اليمين الإسلامي لم يكن فقط معاديا للشيوعية ولكنه معارض اصولى للغرب ولأقرب شركائه فى الشرق الأوسط اى العلمانيين والوطنيين الديمقراطيين.

وبالرغم من تصاعد الشواهد على أن اليمين الاسلامى كان حليفا شيطانيا خطرا فان إدارة ريجان شاركت فى الجهاد.

لعله من الصعب تصور مجال التحالف الاميركى الاسلامى الآن فى غمرة ما تطلق عليه إدارة بوش الحرب على الإرهاب ضد القاعدة وأمثالها، ولكن مثلما حدث سنة 1953 حينما دلف سعيد رمضان عضو الإخوان المسلمين الى المكتب البيضاوي ليقابل الرئيس أيزنهاور، وفى سنة 1981 حينما تابع مسئولو الأمن القومي ومحترفو المخابرات التابعين لريجان ضيقو الأفق الذين ينتمون فى غالبيتهم الى المحافظين الجدد – حينما اقتفوا مدفوعين بروح الثأر خطى الجهاد الافغانى، نفس هؤلاء المحافظين الجدد هم الذين يقودون اليوم هجمة " الصدام بين الحضارات" بنفس أسلوب الحرب على الإرهاب ويضغطون بأقصى ما وسعهم من جهد من اجل التحالف مع الإسلاميين الأفغان وفى نفس الوقت يحاولون مرارا التوصل الى صفقة مع آيات الله فى طهران.

إن تحالف الولايات المتحدة مع اسلاميى الثمانينات كان ينظر إليه باعتباره حصافة. فى الفترة من 1979-1982 اعتبرت إدارتا كارتر وريجان انه يوجد تهديد من جانب اليمين الاسلامى ولكنها قررت أن تتجاهله.

بعد الثورة الإيرانية عقد موظفو إدارة ريجان اجتماعا موسعا لتحليل الإسلام السياسي، كان يجمع اخصائيى الإدارة ومحللي الاستخبارات وبعض السفراء من الشرق الأوسط." كان هناك مجهود تحليلي كبير"كما يقول هارولد سوندرز الذى كان سكرتيرا مساعدا لشئون الشرق الأدنى فى الإدارة الأمريكية وكان يركز على الدول العربية المحافظة والنظم الملكية:

" كان التركيز الأساسي هو أن نتفهم ما إذا كان ممكنا أن يحدث ذلك فى الأردن أو مصر أو السعودية أم انه أمر يخص إيران وحدها." طبقا لسوندرز وغيره من المسئولين و من ضباط المخابرات، فان ما يمكن استخلاصه هو أن هذا الإسلام السياسي ليس أمرا يخشى تهديده. يقول سوندرز:" لقد أدركنا انه سوف يكون هناك تضبيط للإسلام السياسي" إن المسألة هي ما إذا كان ممكنا للحكومات القائمة أن تتعامل معه؟ وقد قمت بالضغط بشدة على السعودية ولم استطع أن أجد من يقول لي أن العربية السعودية سوف تسقط. فى نفس الوقت كنا نعتقد بالنسبة لمصر أن السادات يمكنه أن يتعامل مع هذا الأمر." [545]

545- مقابلة مع المؤلف مارس 2004 هارولد سوندرز Harold Saunders.

بالتأكيد لم يبذل اى مجهود لإثناء السعودية عن الاستمرار فى سياستها الخارجية طويلة الأمد التي تعتمد على اليمين الاسلامى. ولم يبذل اى جهد لإثناء السادات عن استرضاء الإخوان المسلمين. ولم يبذل اى جهد لإثناء إسرائيل والأردن عن الاستمرار فى سياستهما المساندة لحملة الإخوان المسلمين الإرهابية ضد سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية. وبطبيعة الحال فان الولايات المتحدة استسلمت للجنرال ضياء الحق فى باكستان الذى كان نظامه مرتبطا بالإخوان المسلمين والمخابرات الباكستانية وكانوا ينظمون الجهاد الافغاني. يقول سوندرز:" جملة القول أن حركة الإخوان المسلمين كان ينظر إليها بوصفها قوة يمكن أن تحتويها الحكومات القائمة. ولم يبذل اى جهد حقيقي لإدراك أن هذه الحكومات قد يمكن تغييرها أيا كان تأثير ذلك على المجتمعات التي تسيطر عليها هذه الحكومات، ولا كيف أن هؤلاء الإسلاميين منظمون عبر الحدود الدولية. واستمر واضعو السياسة فى اعتقادهم بان الإسلاميين على قدر من التفرق بما لا يستدعى معاملتهم على أساس عالمي وأصروا على التعامل معهم على أساس كل حالة على حدة تختلف من بلد الى آخر. حسبما يذكر سوندرز:

" لقد انتهينا الى نتيجة انه لا يمكن أن تكون لنا سياسة تجاه الإسلام السياسي"[546]

فى بداية الثورة الإيرانية كانت هناك توجيهات مختصرة من واشنطن الى فروع المخابرات المركزية فيما وراء البحار لتقدم تقييما لآثار الثورة الإيرانية. وكان تحليل الانطباعات الذى أجرى فى المخابرات المركزية وفى الإدارة يدور حول البلاد التي يمكن أن تتهددها ثورة الخميني وانتهت الى أن احتمالات هذا التهديد تبدو ضعيفة. وطالما أن الأنظمة الموالية للولايات المتحدة ليست فى خطر، فما من احد من المسئولين عنى بان يدق جرس الإنذار لينبه الى القوة المتنامية لليمين لإسلامى وآثار ذلك بالنسبة للدول التي ابتليت به أو الى احتمال تحول الإسلاميين الأصوليين ضد الولايات المتحدة. يقول احد مسئولي المخابرات المركزية الذى كان يعمل فى المغرب:" فى البداية كنا نظن انه سوف ينتشر وانه سوف يغزو المغرب والأردن والعربية السعودية حيث كانت الأنظمة الملكية قد تخطاها التاريخ ولكن عندما ذهبت الى المغرب لم أجد شيئا من هذا. كانت هناك حركة إسلامية صغيرة." فى الكتيب الارشادى عن المغرب الذى أعدته المخابرات

546- المرجع السابق

المركزية وجدت ثماني صفحات عن الإسلام والسياسة. سأعرض الأمر على مرؤوسي من الضباط. سأقول لهم خذوا الأمر ببساطة، وعندما تتحدثون مع احد الإسلاميين قولوا له:لا افهم هذا أو ذاك ثم استمع."[547]كانت النتيجة التى توصلنا إليها فى المغرب مثلما كانت فى أماكن أخرى، انه ليس هناك ما يخشى منه.

فى المخابرات المركزية الأمريكية، تعتبر مارتا كيسلر احد المحللين القلائل الذين يثابرون على الاهتمام بالإسلام السياسي والإخوان المسلمين. وهو الأمر الذى يفتقده،حسبما تقول كثير من العاملين بهذا الجهاز أثناء عملهم الميداني، ذلك أن معظم الإسلاميين الجهاديين يباشرون نشاطهم التنظيمي تحت المراقبة الرادارية." كان لدينا نظام يعود الى زمن الحرب العالمية الثانية لا يسعف موظفينا إلا فى حدود المدن الرئيسية، ولكن الحركة الإسلامية لم تكن تعمل فى هذه المدن وإنما تباشر نشاطها فى الأقاليم وفى المدن الصغيرة" وكان من رأيها أن هذه الحركة تأخذ طابعا معاديا للولايات المتحدة. فى ذلك الوقت كتبت تحليلا تحذر فيه بأنه إذا قامت حكومات بلدان مثل مصر والسودان وباكستان باللعب مع الإسلاميين فان العواقب ستكون وخيمة. " لقد ذكرت انه إذا أخذت الحكومات فى المنطقة تعمل من اجل التعاون مع الإسلاميين فان ذلك سوف يؤدى الى تغيير سلوكيات هذه الحكومات،" وتضيف" لقد كنت من المدرسة التي تقول بان هذا من شانه إن يجعل لهجتها معادية للغرب."[548] غنى عن البيان أن تحليل كيسلر لم يثن واضعي السياسة الأمريكية عن تأييد الجهاد الافغانى.

نفس وجهة النظر هذه كانت هي السائدة بين المحترفين من المسئولين الحكوميين المناهضين للإرهاب. يذكر روبرت باير وهو مسئول تنفيذي سابق بالمخابرات المركزية:"بعد اغتيال السادات كنت فى مركز مقاومة الإرهاب، وعثرت على بعض الوثائق، بعض مخطوطات محاكمة قتلة السادات، وبدأت أتساءل: من هم هؤلاء الناس ؟ ما هو برنامجهم؟ ما هي اتصالاتهم ؟ وبدأت ابحث الوثائق المتعلقة بالإخوان المسلمين.ولكن لم يكن فى ذهننا أن نتابع هؤلاء الأشخاص.[549]

كان السادات يستخدم الإخوان المسلمين ومواردهم المالية من شبكة البنوك الإسلامية ليحكم قبضته على السلطة بعد أن اصبح رئيسا لمصر سنة1970، كان اقل الناس حذرا من مدى خطورة اليمين الاسلامى. والتحق السادات بحماس، بعد

---

547 – مسئول سابق بالمخابرات المركزية الأمريكية 0 مقابلة مع المؤلف مارس 2004

548 – مارتا كيسلر – مقابلة مع المؤلف – ابريل 2004

549 – روبرت باير – مقابلة مع المؤلف مارس 2004

أيام قليلة من الغزو السوفييتي لأفغانستان، التحق بالولايات المتحدة والعربية السعودية وباكستان بإرسال المجاهدين الى يشاور والحرب. وهكذا اتسع الجهاد فى افغانستان ليأخذ مداه كحرب شاملة. وقام فريق ريجان المشغول بالحرب الباردة بعقد صفقة مع آيات الله فى إيران سنة1980. وغض الطرف عن قيام إسرائيل بإمداد إيران بالسلاح من 1980- 1987 وأعطى نظام الخميني سرا معلومات استخباراتية عن اليسار الايرانى وأخيرا فى محاولة منه للعثور على إسلاميين معتدلين باع إيران صفقة أسلحة أمريكية- فيما يعرف بمسألة إيران- كونترا.

العرب الأفغان

الحرب فى افغانستان قام بها فى معظمها المجاهدون من تحالف مشكل من قوى متعددة بمساعدة باكستان وجرت فى معظمها بأسلوب حرب العصابات ذات العلاقة بأربع من المنظمات الأصولية. يقول مسئول سابق فى المخابرات المركزية الأمريكية ممن كانوا مكلفين بالقيام بعمليات سرية:" فى افغانستان كان يوجد حوالي 300الف مقاتل كلهم – باستثناء 15 ألفا من المعتدلين- كانوا إسلاميين."[550] كانت غالبتهم العظمى من الأفغان ولكن بعضهم كان من الجهاديين الذين توافدوا الى المعركة من أجزاء مختلفة أخرى من العالم سيما من مصر والأردن والعربية السعودية ودول الخليج. كان هؤلاء هم "الخامة" بالنسبة لأسامة بن لادن وتنظيم القاعدة الذى نشأ من بطن الجهاد. وهؤلاء الذين يطلق عليهم " العرب الأفغان" يضمون بن لادن نفسه وأيمن الظواهري من الجهاد الاسلامى وهو الشخصية الثانية فى تنظيم القاعدة وعشرات الآلاف من الجهاديين من الدول العربية واندونيسيا والفلبين والشيشان وآخرين من كافة أرجاء العالم الاسلامى.

كانوا هم الذين شكلوا بنية حرب العصابات، الذين بعد انتهاء الحرب الأفغانية عادوا الى مواطنهم الأصلية فى الجزائر ومصر ولبنان والسعودية وآسيا الوسطى لمتابعة الجهاد بعد أن تعلم الكثيرون منهم بطبيعة الحال فنون الإرهاب – الاغتيال، اسر الرهائن، السيارات المفخخة على يد مدربين من الولايات المتحدة وحلفائها.

فى يناير 1980 زار برجنسكى مصر ليحشد التأييد العربى للجهاد. فى خلال أسابيع من الزيارة أذن السادات بالمشاركة الكاملة لمصر فى الجهاد وأعطى الإذن

550- مسئول سابق بالمخابرات المركزية الأمريكية 0 مقابلة مع المؤلف مارس 2004

للطيران الحربي الامريكي باستخدام مصر كقاعدة لتوريد شحنات كبيرة من الأسلحة الى المتمردين وتجنيد وتدريب وتسليح نشطاء من الإخـوان المسـلمين للمعركـة. وطبقا ل "جون كولى" اصبح السادات وحكومته لفترة،_ جاويشية وقـادة وحـدات للجيش السرى من المتحمسين الذين حشدوا لمحاربة السوفييت فى جنـوب ووسـط آسيا"[551] وقامت طائرات الشحن الأمريكية من قنا وأسوان فى مصر تحمل المـؤن الى قواعد المجاهدين فى باكستان. وطبقا لجون كولى " أدخلت تعـديلات مصـرية على الأسلحة السوفييتية السابق إرسالها الى مصر حتـى يتسـنى إرسـالها الـى المجاهدين. فى الحال حول مصنع قديم للأسلحة فى حلوان لإمداد المجاهدين بهـذه النوعية من الأسلحة."[552]

ولكن مصر وغيرها من البلاد العربية لم تكن ترسل إمدادات الأسلحة فقـط، فعدد من بلاد العالم الاسلامى رأت أنها سوف تكون سـاذجة إذا أرسـلت مجـرد مجاهدين إسلاميين ليحاربوا فى افغانستان، ربمـا ظنـوا أنهـم سـوف يصـيبون عصفورين بحجر واحد فمن ناحية يحوزون على رضاء الولايات المتحدة ألتى كانت تبحث عن مجندين ومن ناحية أخرى فإنها سوف تتخلص من بعـض المشـاغبين. والسادات مثله مثل غيره من القادة ربما شعر أن معظمهم سوف يلقى حتفه أثنـاء الجهاد:" أخلت ألحكومات الإسلامية سجونها وأرسلت هؤلاء الأولاد الأشرار الـى هناك."[553] غير أنهم لم يشحنوا على الطائرات وعلى ظهر السفن الـى افغانسـتان فحسب بل وتلقوا تدريبات متخصصة على يد خبراء القوات الخاصـة الأمريكيـة. يكتب كولى:" بنهاية سنة 1980 أرسل الى مصر مدربون عسكريون لنقل خبـرات القوات الأمريكية الخاصة الى هؤلاء المصريين الذين بدورهم سوف ينقلـون هـذه الخبرات الى المتطوعين المصريين الذين سـيطيرون لمسـاعدة المجاهـدين فـى افغانستان."[554]

أما البريطانيين فقد كانت افغانستان بالنسبة لهم ملعبهم الذى مارسوا فيه لعبتهم الكبرى فى القرن التاسع عشر وكانت لهم علاقات كولونيالية قديمة بباكستان ولهـم تاريخ طويل فيما يختص بالتعامل مع القبائل والقادة الاثنيين فى منطقة باكسـتان-افغانستان.

551- جون كولى الحروب غيرالمقدسة ص ص 31-32

552- المرجع السابق ص 32

553- مسئول سابق بالمخابرات المركزية الأمريكية 0 مقابلة مع المؤلف يونيو2004

554- كولى ص 32

جس افراكوتوس احد المسئولين فى المخابرات المركزية الأمريكيــة الــذين عملوا عن قرب عديدا من السنوات مع المجاهدين فى افغانستان، اعد تقريرا يــذكر فيه:" لدى البريطانيين أشخاص عديد ون عاشوا هناك لمدة عشرين عاما كصحفيين ومؤلفين أو زراعا للتبغ، وحينما هاجم الســوفييت افغانســتان قامــت المخــابرات البريطانية بتفعيل هذه الشبكة القديمة." ويضيف قائلا:

" كان البريطانيون قادرين على أن يشتروا ما لم نكن قادرين على شرائه لأنه يتعلق بأشياء محرمة دينيا أو أخلاقيا كالجرائم، الاغتيالات، التفجيرات. كان يمكنهم شراء بنادق مجهزة بكاتم الصوت مثلا وهو ما لم يكن بإمكاننا شــراءه لان كــاتم الصوت يعنى الاغتيال-والعربات المفخخة التي حرمتها تعاليم السماء!. لــم يكــن هناك ثمة ما يقترح ولكن كان يمكنني أن أقول للبريطانيين:" فضل الله القائد الشيعي الراديكالي فى بيروت كان فعالا هذا الأسبوع فقد فجر سيارة مفخخــة قتلــت 300 شخصا." يمكنني أن أعطى المخابرات البريطانية ام آى6 درسا فى العقيدة أما مــا يفعلونه بها فهو شانهم الخاص."[555]

كثير من هذه التدريبات على الاغتيالات والسيارات المفخخة وأمثالها وجــدت طريقها الى المتطوعين العرب الذين سرعان ما أصبحوا الأساس الذى قــام عليــه تنظيم القاعدة. بعض المجاهدين كانوا مدربين على تنظيم التقنيات البســيطة مثــل النوع الافغانى من العربات المفخخة. يشير" ستيف كــل" الــى انــه "تحــت إدارة المخابرات الباكستانية تلقى المجاهدون تدريبات على استخدام المتفجرات فى الطرق لتدبير الهجمات فى المدن التي يحتلها السوفييت بعربات أو حتى بجمــال مفخخــة مصممة لقتل الجنود والقادة السوفيت. وبارك كيزى (مدير المخــابرات المركزيــة) هذه التقنيات برغم الاعتراض المهني من جانب بعض الضباط فــى المخــابرات المركزية."[556] على أن ضحايا هذه التفجيرات لم يكونوا الجنود السوفيت فقط. على سبيل المثال قام المجاهدون بتوسيع المعارك التي طالــت جامعــة كــابول خــلال الستينات والسبعينات وانفجرت حقيبة مفخخة تحــت مائــدة فــى حجــرة الطعــام بالجامعة."[557] وكان تعليق كيزى" انه مجرد عمل صرف، إذا كنا نخشى أن نضرب الإرهابيين لأن شخصا ما سوف يصيح (اغتيال) فان هذا لن يتوقف."[558] وســرعان

555- جورج كريــل- Geoege Crile , Charlie Wjlson's War (New York ,2003),pp.197-201

556 – ستيف كول Steve Coll, GhostWars , New York ,2004 ,p129

557- المرجع السابق ص 132

558- المرجع السابق ص 129

ما أخذت المخابرات المركزية والمخابرات الباكستانية تمد المجاهدين بأجهزة التفجير المفاجئة بما فيها قنابل على شكل أقلام وساعات وولاعات وأشرطة تسجيل.[559] طرح افراكوتوس السؤال: هل يتعين على أن آمر بوضع دراجات مفخخة و"تجريجها" أمام مقر رئاسة الضباط؟" وكانت الإجابة: "نعم فهذا هو ما يثير الرعب "![560] من الاماكن التي استهدفتها قنابل المجاهدين أماكن لطيفة مثل دور السينما فى كابول ودور العرض الثقافية. وبالرغم من أن المجاهدين الأفغان رفضوا فكرة الهجمات الانتحارية، فان المتطوعين العرب لم يفعلوا:

"بعض المتطوعين العرب من العربية السعودية والأردن والجزائر وغيرها تلقوا ثقافة مختلفة كليا. كانوا يتحدثون بلغتهم الخاصة ويلقون خطبهم وفقا لتفسيرهم الخاص للإسلام بينما يقاتلون بعيدا عن ديارهم وعائلاتهم، وهم الذين استقدموا الهجمات الانتحارية. أما المجاهدون الأفغان الذين نشئوا فى عائلات وقبائل وشبكة من العلاقات الإقليمية والاجتماعية فإنهم لم يحتضنوا أبدا عددا كبيرا من الهجمات الانتحارية.[561]

كذلك تدرب المجاهدون الأفغان فى الولايات المتحدة بدءا من سنة 1980 برعاية برجنسكى فى أماكن عديدة معدة لهذا الغرض على الساحل الغربي بواسطة ذوى القبعات الخضراء والضفادع البحرية وأتيح للمحاربين الأفغان المتدربين الاطلاع على أسرار مميتة بلغ عددها 60 شملت استخدام محفزات التفجير ومؤقتات ومتفجرات وأسلحة أوتوماتيكية تطلق ذخيرة قادرة على اختراق الدروع وأجهزة التحكم عن بعد لتفجير الألغام والقنابل (تم استخدامها فيما بعد فى أوطان المتطوعين وضد إسرائيل) والاحتجاز الاستراتيجي للرهائن وعمليات التدمير والإحراق المتعمد.[562]

مرت الحرب الأفغانية فى عدة مراحل. بدأت ببطء. وخلال السنوات الخمس الأولى لم تكن أهداف الولايات المتحدة كسب الحرب ولا هزيمة الاتحاد السوفييتي وإجباره على الانسحاب وإنما ببساطة أن تستنزفه وان تربكه وان تكسب نقاطا دعائية. فى سنة 1984 تحت ضغوط بنجسين حث السناتور الجمهوري شارلي ويلسون وبمساندة كيزى الماسية تصاعدت الحرب بفضل ازدياد تمويل المخابرات

559- المرجع السابق ص132

560- المرجع السابق ص 136

561- المرجع السابق ص 134

562- Cooley, pp.88-89.

المركزية والمنح المعادلة التي قدمتها السعودية. وبلـغ التمويـل سـنة1984 مـا يقارب285 مليون دولار اى ما يعادل ما انفق على الحرب فى السنوات السابقة.[563] واستمرت تتصاعد حتى بلغت 470 مليونا سنة 1986 ثم 630 مليونا سنة1987. وجاهدت الولايات المتحدة كذلك لإشراك دول أخرى بما فيها الصين. وطبقا لما ذكر تشارلس فريمان الذى كان سفيرا للولايات المتحدة لدى الصين:" فـى الفتـرة مـن 1981- 1984 دفعت بكين ما يعـادل 600 مليـون دولار مـن الأسـلحة الـى افغانستان."[564]

ولكن كيزى لم يوسع تمويل الحرب فقط ولكنه ازداد طموحا من اجل تحقيـق أهدافه، والتماسا للنصر اخذ يبحث تزويد المجاهدين بالمزيد من الأسلحة الحديثة بما فيها صواريخ ستنجر ارض-جو التي كان لها تأثير حاسم على المجال العسكري من الصراع[565].

باتساع الجهاد أهدافا ومجالا أمكن جلب المزيد من حشود العرب والأجانـب الى الحلبة. وقامت بلدان عديدة منها مصر والسعودية ومنظمات دوليـة مرتبطـة باليمين الاسلامى مثل الإخوان المسلمين ورابطة العـالم الاسـلامى و"المنظومـة الإسلامية العالمية لتقديم المساعدات" والمنظمة الإسلامية للدعاة و"تبليغى جامات "- قامت بحملات من اجل جلب المتطوعين للجهاد. كان هذا هو حلم بـن لادن الـذى تحقق: الجماعات الإسلامية الأصولية تحتشد معا على نطاق العالم لتجـد المقـاتلين المجاهدين وتجمعهم معا فى باكستان ثم تقوم بتسريبهم الى افغانستان للجهاد. يـذكر كولى:" عرض على الكثيرين القيام برحلات الى باكستان ثم تهريبهم الى افغانستان للجهاد، وكثير عرض عليهم القيام برحلات الى باكستان للقيام بدراسات دينية. خلال حوالي ستة أسابيع من الدراسات الدينية، لم يكن القادمون الجدد يعرض عليهم فورا القيام بتدريبات عسكرية أو حتى يذكر لهم باختصار الجهاد ضد الروس والشيوعيين أعداء الله". كان هذا يحدث فى نهاية فترة الأسـابيع السـتة حيـث يتقـدم ضـابط

---

563 -Coll, pp.102,151

564- تشارلس فريمان -مقابلة مع المؤلف - ابريل 2004

565- يرى بعض المحللين أن الاتحاد السوفييتى كان يبحث عن طريقة للخروج من افغانستان وكان يضع الخطط للانسحاب ، فى ظل حكم جورباتشوف بعد ظهور صـواريخ سـتنجر وبعـد أن اتضـح أن الصواريخ تاثيرها محدود اصبح تدفق الصواريخ يشكل مشكلة كبيرة بالنسبة للمخـابرات المركزيـة الأمريكية بعد انتهاء الحرب وفضلت الوكالة أن تعيد بيع الفائض حتى لايقع فى ايدى الارهابيين فى مختلف بقاع العالم

المخابرات الباكستاني فى هيئة المفتى ويعرض فرصا للتدريب. وقد تم تدريب الآلاف من الجزائريين والمصريين والسودانيين والسعوديين وغيرهم[566].

حسبما ذكر احمد راشد وهو صحفي باكستاني ومؤلف"طالبان "انه فيما بين 1982-1992 قاتل 35 ألفا من الإسلاميين الراديكاليين من 43 بلدا الى جانب المجاهدين فى الحرب وملحقاتها بالإضافة الى عشرات الآلاف من الجهاديين الآخرين الذين تلقوا تدريبا فى المدارس التى أنشاها الجنرال ضياءا لحق على طول الحدود الباكستانية الأفغانية " اى أن اكثر من 100القامن المسلمين الراديكاليين كان عليهم أن يتصلوا بالباكستانيين والأفغان وان يتأثروا بالجهاد"[567]

بعض عمليات التجنيد لصفوف المجاهدين تمت فى الولايات المتحدة وفى المجتمعات العربية والإسلامية. فى مركز الكفاح للاجئين الأفغان فى بروكلين وقسع الكثير من العرب طلبات الجهاد. كانت الحقائب المكدسة بالمال مما يصعب تتبعه وعدد الشيكات يصعب عدها ومحررات بنكية من رابطة العالم الاسلامى،و تبليغى جامات وغيرها من جماعات ا لدعوة والمنظمات الخيرية الموجودة فى باكستان."[568]

عبد الله عزام احد الذين كانوا منخرطين فى جهود التجنيد للجهاد فى أواسط الثمانينات. وهو فلسطيني راديكالي اسلامي، كان احد أساتذة بن لادن واحد المشاركين فى تأسيس التنظيم السابق على تنظيم القاعدة اى مكتب الخدمات الذى شارك فى تأسيسه بن لادن وعزام فى يشاور فى باكستان سنة 1984، ولعب هذا المكتب الذى اطلقت عليه التسمية البريئة (مكتب الخدمات)لعب دورا مركزيا فى نقل المجاهدين الأجانب الى ساحة الحرب.

ولد عزام فى جنين فى فلسطين سنة 1941 والتحق بالإخوان المسلمين كواحد من الشباب الفلسطيني فى سوريا حيث درس الشريعة الإسلامية أوائل الستينات حينما كان الإخوان المسلمون يقودون حركة المعارضة لناصر فى العالم العربى.[569] وبالرغم من انه كان ينتمي الى منظمة التحرير الفلسطينية إلا انه انفصل عنها خلال الصدام مع الملك حسين فى أيلول الأسود (سبتمبر)1970 حينما ساند الاخوان النظام

566- Cooley , p.85

567- أحمد راشد طالبان: الأسلام الجهادى و البترول والاصولية فى آسيا الوسطى ، نيوهافن 2000 ص 130

568- المرجع السابق ص 87

569- قصة عزام مقتبسة من مؤلف جيلز كيبيل : الجهاد : درب الإسلام السياسي كامبردج 2002ص ص 144- 147

الملكي الاردنى. قضى عزام بعض الوقت فى جامعة الأزهر بالقاهرة فى الوقت الذي كان فيه أنور السادات يعيد الإخوان الى مصر وانتهى به المطاف أستاذا للشريعة فى جامعة الملك عبد العزيز فى العربية السعودية حيث كان بن لادن تلميذا له. وتعاقدت معه رابطة العالم الاسلامى ليرأس قسمها التعليمي. وفى 1980 سافر بادئ ذى بدء الى باكستان، وفى سنة 1984 أسس – بالإضافة الى مكتب الخدمات مجلة الجهاد وكتب باستفاضة عن واجبات المسلمين. وكان سباقا فى وضع خارطة الطريق لبيان خطته من اجل الجهاد العالمي. وأطلق عزام نداءه الذي ستتردد أصداؤه باللجوء الى السلاح قائلا:" أن الجهاد سيظل فريضة على كل فرد مسلم حتى تتحرر كل الاراضى التى كانت سابقا اسلامية وتعود لنا ويحكم الإسلام فيها مرة أخرى. أمامنا مهام تحرير فلسطين وبخارى ولبنان وتشاد واريتريا والصومال والفلبين وبورما واليمن الجنوبي وطشقند والاندلس.." [570] ومن اجل أن يجعل الأمر مقبولا لدى المجندين المحتملين للجهاد أعلن عزام أن بن لادن سوف يمنح كل من يريد القتال فى افغانستان من العرب300 دولار شهريا.

كتب مايك شويير وهو مسئول فى المخابرات المركزية الأمريكية وسوف يغدو المسئول عن جهود الولايات المتحدة لاصطياد بن لادن، تحت عنوان " بالاجماع من خلال عيون أعدائنا" كتب شويير سنة2002 تقريرا مفصلا عن صعود بن لادن والقاعدة وذكر فى هذا الكتاب دور مكتب الخدمات المعروف اختصارا بحروف م. ا.ك.:

"عرف بن لادن عندما شارك الشيخ عزام فى تأسيس مكتب الخدمات م.ا.ك. فى يشاور فى أواسط الثمانينات، وكان هذا المكتب يمد ضحايا الحرب الأفغانية بالمساعدات وفى نفس الوقت ينظم ويرسل المتطوعين والسلاح والأموال التى تنهال من إنحاء العالم الاسلامى الى المجاهدين فى افغانستان. حسبما جاء فى مجلة الوطن العربى انه بين 1979- 1989 أرسل 600 مليون دولار الى تنظيم بن لادن من خلال المؤسسات الخيرية فى دول الخليج العربى خاصة السعودية والكويت وعمان والإمارات والبحرين وقطر.[571]. طبقا لما يقوله شويير كان كل من بن لادن وعزام مرتبطا بشكل جيد بجملة من المؤسسات الخيرية اليمينية الإسلامية بما فى ذلك هيئة الإغاثة الإسلامية ورابطة العالم الاسلامى. طبقا للمسئولين فى المخابرات المركزية

570 – المرجع السابق ص 147

571 -Anonymous, Through Our Enmies Eyes (Washington , D.C.Brassey's ,2002), p.41

الأمريكية المنخرطين مع الجهاد لم تشارك المخابرات المركزية بشكل مباشر عزام وبن لادن فى تجنيد المتطوعين العرب ولكنها لم تعترض على جهودهم. ويكشف جيتس رئيس المخابرات المركزية فى ذلك الحين أن المخابرات المركزية درست الطرق لزيادة مشاركتها " بالرغم من أنها أيضا لم تقم بأى مجهود " لإثناء الأفغان العرب"[572]

عندما بدأت ـ المخابرات المركزية – بعد فترة طويلة من الجهاد الافغانى تقييمها، وجدت أن التمويل المشترك لهذه الحرب لم يكن المورد الوحيد للأموال النقدية التى تدفقت على المجاهدين، فالتبرعات الفردية وشبه الفردية من الإخوان المسلمين وأجهزتهم كانت تصب فى الجهاد ولم يكن أيا منها عرضة حتى لأدنى مراجعة من جانب المخابرات الباكستانية التى كانت تتولى توزيعها.

حسبما يورد كتاب " افغانستان: مصيدة الدب" وهو تقرير خاص عن الجهاد كتبه ضابط المخابرات الباكستانية السابق محمد يوساف، كان هناك نظام موازى للتمويل ينمو خارج القنوات الرسمية نموا كاملا، وجزء كبير منه يتم بواسطة التبرعات العربية. كتب يوساف:" كانت الأموال العربية هي التى أنقذت النظام واعني الأموال العربية النقدية التى وصلت من الإفراد الأغنياء أو من المنظمات الخاصة فى العالم العربى وليست أموال الحكومة السعودية. لولا هذه الأموال الإضافية التى وصلت الى المجاهدين لوصل تدفق السلاح المتجه إليهم الى الحضيض. المشكلة انها وصلت كلها الى الأحزاب الأربعة الأصولية ولم تصل الى المعتدلين.[573]

وأشار يوساف الى أن جزءا كبيرا من هذه الأموال ذهب الى عبد الرسول سياف عضو الإخوان المسلمين الرئيسي فى افغانستان واحد الأساتذة الإسلاميين الذين ساعدوا على تنظيم الجمعية السرية التى ظهرت فى الستينات والسبعينات من القرن العشرين. كان سياف بالإضافة الى حكمتيار قائد المجاهدين المتعصب الذى كان حزبه اكبر وأشرس التنظيمات الإسلامية فى الجهاد وأقربهم الى بن لادن. حصل سياف وحكمتيار وغيرهم من الأصوليين على نصيب الأسد من هذه الأموال العربية لأن جزءا كبيرا منها تم تحويله الى المجاهدين عن طريق الجماعة الإسلامية الباكستانية المرتبطة بالإخوان المسلمين التى أسسها ابو الأعلى

---

572 –Coll , pp. 135.

573– محمد يوساف و مارك أدكين افغانستان: مصيدة الدب ، بنسلفانيا 1992 ص 106

المودودى.[574] يذكر أن الجماعة الإسلامية تأسست فى باكستان سنة 1940وقضت معظم فترة الخمسينات والستينات تحارب اليسار والعلمانيين الباكستانيين. فى السبعينات أصبحت الجماعة الإسلامية هي الأقوى واستطاعت أن تمتص فائض أموال البترودولار التى وجدت طريقها إليها عن طريق دول الخليج العربية وساعدت على دفع باكستان الى اليمين فى السبعينات تحت حكم رئيس الوزراء ذو الفقار على بوتو ثم الجنرال ضياء الحق. " كان الإخوان المسلمون ينثرون أموالهم حولهم" كما يقول سليج هاريسون وهو خبير فى شئون جنوب آسيا واحد مؤلفي" خارج افغانستان". طبقا لهاريسون كان زعيم الجماعة الإسلامية احد أقرباء ضياءالحق وعمل قريبا منهم وساعدهم. وكثير من اللاعبين فى المخابرات الباكستانية والجيش كانوا أعضاء فى الجماعة الإسلامية. ومن خلال رابطة العالم الاسلامي وعناصر أخرى من الإخوان المسلمين فى دول الخليج العربى بدأت الأموال تتدفق الى "كفلاء" المجاهدين حتى قبل الغزو السوفييتي لأفغانستان كما يقول هاريسون:" كان كل شيء يتم من خلال باكستان بمساعدة الرابطة(رابطة العالم الاسلامى) والجماعة الإسلامية التى أصبحت غنية أيضا."[575]

فى ذلك الوقت لم يفطن احد الى أهمية بن لادن وعزام وبدا كما لو أن المتطوعين للجهاد من غير الأفغان يلعبون دورا ثانويا فى تجنيد مئات الآلاف من الأفغان المجاهدين. وكانت المخابرات المركزية الأمريكية قد بلغت من التركيز على الجهاد فى الحرب الباردة الى الدرجة التي جعلتها غير قادرة على التريث لتقدير عواقب تقوية قوة إسلامية عالمية مسلحة. فى هذه الأثناء كان كيزى مشغولا بفتح جبهة ثانية، ضاغطا بقوة من اجل توسيع الحرب الأفغانية لتصبح حربا فى أسيا الوسطى ولها موارد ما كانت لتخطر ببال برجنسكى وبنجسين منذ سنوات قلائل.

عبر نهر آمو

بنقل الجهاد الافغانى الى داخل اراضى الاتحاد السوفييتى نفسه، كان كيزى يستعرض مذهبا من معاداة الشيوعية مدفوعا بعقيدته الدينية المسيحية من جانب وبنوع من المغامرة الخطرة فى معالجته للسياسة الخارجية من جانب آخر. فى

---

574 – كيبيل ص 142

575- Slig Harrison مقابلة مع المؤلف يونيو 2004

داخل ادارة ريجان كانت توجد على الاقل مدرستان متنافستان فكريا.. الاولى مستوحاة من القواعد التقليدية للدبلوماسية الامريكية التى ترى فى الاتحاد السوفييتى منافسا قويا يجب مواجهته عالميا من اجل منعه من إحراز أية مكاسب، والمدرسة الأخرى تشمل المحافظين الجدد وكيزى التى تدعو الى سياسة من شانها دفع الاتحاد السوفييتى الى الخلف فى العالم الثالث وأوربا الشرقية ووسط آسيا. يقول هربرت ماير الذى كان يعمل رئيسا لهيئة العاملين تحت ادارة كيزى فى الثمانينات:" إن الانقسام الحقيقي كان بين هؤلاء الذين يريدون ألا يخسروا الحرب الباردة وأولئك الذين كانوا يريدون كسبها"[576] وكان كيزى من المعسكر الأخير وكان يرى أن افغانستان هي المفتاح.

من اجل كسب الحرب كان كيزى يرى ضرورة وجود تحالف قوى بين البلاد التى أطلق عليها مسمى"قوس الإسلام" وتشمل مصر وباكستان والسعودية، وأعطى كيزى اهتماما خاصا للسعودية باعتبارها محور المجهود. كان كيزى يرى أن السعودية ليست مجرد مورد تمويلي لمساعدة الجهاد. كان يرى أنها اكثر من مركز للإسلام الاصولي الأكثر تطرفا. وطبقا لماير كان كيزى يرى أيضا ضرورة حشد بترول السعودية كسلاح ضد الاتحاد السوفييتى. يقول ماير:" كان السعوديون متعاونين معنا جدا فى كسب الحرب الباردة، ونظرا لأن الاتحاد السوفييتى كان يعتمد على البترول فى صادراته لجلب العملة الصعبة، فقد طلب كيزى من السعودية أن تضاعف إنتاجها وان تخفض أسعار البترول تخفيضا كبيرا. لقد لعب بيل(كيزى)دورا حاسما فى العمل مع السعودية من اجل تخفيض سعر البترول. كانوا يكرهون السوفييت" وعمدت السعودية الى مضاعفة الإنتاج فانخفض سعر البترول الى مستويات تاريخية من 28 دولارا للبرميل الى 10 دولارات للبرميل فى ظرف أسابيع معدودة وهبط دخل الاتحاد السوفييتى هبوطا شديدا. كانت ضربة قاصمة للسوفييت، بمثابة الضغط على أنبوب الأكسيجين."[577]

كان كيزى كاثوليكيا مؤمنا جمع بين إيمانه العميق بقوة وأهمية الدين من جانب والسياسة المكيافيلية فيما يتعلق بالاستخدام السياسي للعقائد الدينية. من جانب آخر " كان رجلا عميق التدين وكان لديه علاقة عمل طيبة مع البابا." كما يقول ماير. ويقول "كل" فى كتابه "حروب الأشباح: كان كيزى يرى فى الإسلام السياسي والكنيسة الكاثوليكية حليفين طبيعيين فى الإستراتيجية المضادة الواقعية باستخدام

576- Herbert Meyer مقابلة مع المؤلف اكتوبر 2004

577- المرجع السابق

العمل السري الذى كان يدعو إليه فى المخابرات المركزية الامريكية من اجل الإطاحة بالامبريالية السوفييتية."[578] هذه الرؤية لقيت تشجيعا من جانب المستشار الرئيس للمخابرات المركزية فى الشرق الأوسط روبرت أيمس وهو الخبير الرئيس للمخابرات المركزية فى شئون المنطقة. وفى إحدى خطبه أشاد كيزى بأيمس لأنه أكد له أهمية الجهود المبذولة من جانب الاتحاد السوفييتي وحلفائه فى العالم الاسلامى لاستئصال الدين المنظم لأنه يشكل تهديدا للأحزاب الشيوعية أو الوطنية التى يسيطر عليها. إن الشيوعيين يريدون أن يقتلعوا أو يغيروا بالكامل العناصر التقليدية الرئيسية للمجتمع. هكذا قال كيزى وهو يقتبس من أيمس" كان هذا يعنى الحط من نفوذ الدين وبأخذ الشباب من آبائهم لتعلمهم الدولة" لهذا السبب على العقيدتين العالميتين الكبيرتين أن تتعاونا " لان السوفييت كانوا يرون فى كل العقائد الدينية عقبات فى طريقهم فقد كانوا يقمعون الكنائس والمساجد على السواء." كان كيزى مقتنعا بان الإسلام الجهادي والمسيحية الجهادية يجب أن يعملا معا من اجل الهدف المشترك."[579]

كان كيزى داخل المخابرات المركزية الامريكية يثير زملاءه المحترفين بوجهة نظره غير المرحب بها عن القوة الصاعدة للإسلام السياسي. يقول ريتشارد كرويجر وهو من العاملين التنفيذيين بالمخابرات المركزية قضى فترة السنوات الأخيرة من حكم الشاه يعمل بشكل مباشر داخل مكتب الشاه نفسه:" بعد الثورة حضرت مع كيزى وكل رؤساء الادارارات فى المخابرات المركزية فى كامب برى – معسكر برى – دورة تدريبية لتحليل الحركة الإسلامية ". طبقا لكرويجر أن مكماهون نائب كيزى اصطدم به بخصوص هذا الموضوع. يتذكر كرويجر:" اننى اذكر الكثير والكثير من الخلافات الحادة بينهما حول التداعيات بعيدة المدى للثورة الإسلامية حيث كان مكماهون يتخذ موقفا متحفزا بينما يتخذ كيزى موقفا يتسم بعدم إعطاء الأمر أهمية كبيرة" ويتذكر كرويجر:" كان كيزى يريد مجرد تأجيل الموضوع فإذا بمكماهونيقفز بشكل غير مألوف. كان مستثارا واخذ يتحدث كيف أن الإسلام الاصولى سوف ينتشر فى اندونيسيا والفلبين. كان يعتقد انه من الطبيعي أن تأخذ الحركة (الأصولية الإسلامية) طابعا أمميا من خلال كل أشكال ارتباطاتها العقائدية والاجتماعية وأنها كما يبدو ليست مما يقبل بإشراف الدولة." ولكن كيزى لم يوافقه على هذا."[580]

---

578 – Coll, p.97

579 – المرجع السابق ص 98

580 – ريتشاردكرويجر مقابلة مع المؤلف مارس 2004

كانت آراء كيزى حول العقيدة والسياسة تتفق مع العقيدة الراسخة للرئيس ريجان ولم يريا ما يمكن أن يتسبب فى اى متاعب من جانب الجهاد الافغانى باعتبار الأمر حربا دينية يتحالف فيها معا المسيحية والإسلام ضد الاتحاد السوفييتى الملحد.يكتب فواز جرجس أن ريجان استمر فى الموقف التقليدي للولايات المتحدة الذى يساند القوات الإسلامية المؤمنة فى الشرق الأوسط:

" استمرت سياسة الولايات المتحدة تحت حكم ريجان على دعمها للعناصر الدينية المحافظة ضد العلمانيين والاشتراكيين والقوى الوطنية فى العالم الثالث. وبينما كانت بيانات الإدارة عموما معادية بشكل استثنائي إلا انه لم يطرأ عليها تغيير تجاه الإسلاميين الجدد....إن انعطاف ريجان تجاه فصائل المجاهدين الإسلاميين فى افغانستان يجب وضعه فى إطار المرحلة الثانية من الحرب الباردة، ومثله مثل سابقيه فى الخمسينات والستينات قام ريجان بإنشاء التحالف بين الولايات المتحدة والجماعات والدول الإسلامية: افغانستان والعربية السعودية وباكستان من اجل هزيمة ما أطلق عليه " إمبراطورية الشر" وعملائها فى العالم الثالث.[581]

فى بعض الأحيان كانت رغبة كيزى فى تشجيع الإسلام السياسي تبدو فى منتهى الخبث. كان ذلك صحيحا تماما بشكل خاص حينما يتعامل كيزى مع الملك فهد ملك العربية السعودية. يحكى جاس افراكوتوس قصة حوار جرى حول رحلة كيزى الى السعودية من اجل تسوية مساهمة السعودية فى مخصصات الجهاد عن ذلك العام. " طلبت من كيزى أن يتحدث مع الملك بشان " إخوانك المسلمين" لاستخدام الأموال من اجل تزويد العائلات بالطعام والملابس والأسلحة ومن اجل إصلاح المساجد. يجب أن تتحدث معه بشأن أن يكون "راعيا للعقيدة" فأجاب كيزى:" ياللمسيح. اننى أحب ذلك – راعى العقيدة "[582] وقد أكد هذه القصة مسئول سابق بالمخابرات المركزية كان ضالعا فى الجهاد." سوف نقول للسعوديين أنه لشيء جيد للغاية أن يقوم المؤمنون الأفغان بطرد الشيوعيين الملحدين" ويضيف: هذا هو الموضوع السياسي الذى ينبغي أن نتحدث فيه مع الملك فهد."[583]

بدءا من 1984 سوف يضغط كيزى على التحالف السعودي الباكستاني ليأخذ على عاتقه مهمة إستراتيجية اكثر تأثيرا وهى شن عملية تخريبية دعائية وأنشطة حرب عصابات عبر نهر آمو داخل جمهوريات الاتحاد السوفييتى الإسلامية"

581- فواز جرجس امريكا والاسلام السياسي، كمبردج 1999 ص 71

582- كريل Crile, pp 340-341

583- مسئول سابق بالمخابرات المركزية الأمريكية 0 مقابلة مع المؤلف مارس 2004- بطبيعة الحال قد يكون لفهد بوصفه لاعبا متمرسا تفسيره الخاص لدوره " كحامى حمى العقيدة

"الحدود داخل هذه المنطقة من نوع الحدود الرخوة " حسبما يقــول مــاير مســاعد كيزى. " وهكذا يمكن أن تحدث أشياء كثيرة مثيرة للإعجاب."[584] يقول احد مسئولي المخابرات المركزية ممن كانوا يعملون مع كيزى فى ذلك الوقت:" اندلعت مناوشات داخل الاراضى السوفييتية بين حين وآخر جعلت موسكو تخرج عن طورهــا."[585] بالإقدام على مثل هذه الخطوات الاستفزازية كشف كيزى الغطاء عن خطط تنفيذية جرى تطويرها أصلا خلال ادارة كارتر ولكنها كانت قد رفضــت آنــذاك بســبب الخطورة التى قد تنجم عنها مثل إقدام الاتحاد السوفييتى على هجوم مضاد بأشــكال لا يمكن التنبؤ بها بما فى ذلك إمكانية توجيه ضربة مباشرة الى باكستان أو اللجوء الى إشعال الثورة فى إقليم بلوشستان المضطرب الذى يعانى من عدم الاستقرار.

يورد رجل المخابرات الباكستانية يوساف بيانات مفصلة عن تحركات الجهــاد عبر حدود افغانستان الشمالية. " فالشعوب على جانبي الحدود كانت مــن الاوزبــك والطاجيك والتركمان ويشتركون معا فى الهوية الاثنيــة، وبــالرغم مــن القبضــة السوفييتية على الأنشطة الدينية، فقد كانت تجمعهم معا نفس العقيــدة،الإســلام."[586] وحسبما يقول يوساف أعلن كيزى أن هذه المنطقة الرخوة تعتبر منطقة تحت الحزام بالنسبة للاتحاد السوفييتى". خلال زيارته للإدارة العامة للمخابرات الباكستانية، كان كيزى أول مسئول امريكى يقدم بشكل جاد مقترحات بشان القيــام بعمليــات ضــد الاتحاد السوفييتى من داخل الحدود السوفييتية نفسها.... كان مقتنعا بان إثارة القلاقل فى هذه المنطقة سوف يوجه بكل تأكيد ضربة موجعة تحت الحزام للدب الروسي." فى البداية اقتصر الأمر على تهريب مواد دعائية الى داخل جمهوريــات الاتحــاد السوفييتى الإسلامية فى محاولة لإثارة الحماس الديني. خلال الثمانينات تــم طبــع الآلاف من نسخ القرآن بلغــات آســيا الوســطى وتــم إدخالهــا عبــر الحــدود الأفغانية.طبعت بعض النسخ فى العربية السعودية وقامــت المخــابرات المركزيــة الامريكية بطبع عدد آخر منها مستخدمة اتصالاتها الإسلامية فى أوربا الغربية.

كانت السعودية مهتمة بآسيا الوسطى لان إيــران كانــت هنــاك ولأن نظــام الخميني الجديد كان هناك باعتباره منافسا يحاول أن ينشر مفهومه الخــاص عــن الأصولية الشيعية الى داخل آسيا الوسطى فى مقابل المــذهب الســعودي النصــي

---

584 – Meyer مقابلة مع المؤلف

585– مسئول سابق بالمخابرات المركزية الأمريكية 0 مقابلة مع المؤلف يونيو 2004

586– يوساف و أدكين ص 47

المتطرف أو المذهب السني بمفهومه الوهابي. يذكر مسئول عمليات سابق بالمخابرات المركزية كان يعمل بارتباط وثيق مع العربية السعودية، أن ضباط المخابرات السعودية أخطروه بفكرتهم حول" السيطرة على ال....ستان"(المقصود الدول او المناطق السوفييتية التي ينتهي اسمها ب: ستان مثل تركستان، طاجيكستان،أوزبكستان.......الخ – المترجم)

" إنهم يريدون أن يدخلوا هناك ويحرزوا قصب السبق على الإيرانيين ويقطعوا الحدود الروسية ويتأكدوا أن الإسلام السني سوف يحقق الفوز على الإسلام الشيعي، إن السعوديين مستعدون إن يقوموا بذلك وهم يقولون: إن علينا أن نذهب الى هناك، إلى ال....ستان، وكان علينا أن نعمل معا وان نستخدم الإسلام لتحطيم القبضة الشيوعية على كازاخستان وأوزبكستان وما بينهما." كانت المنطقة خالية، ويمكن لمختلف الأمراء السعوديين ورجال الدين أن يتوجهوا الى هناك أو يرسلوا إغراضهم من المصاحف وغيرها إلى هناك،."[587]

على كل حال بدءا من 1984 لم يعد الأمر مجرد إرسال مصاحف وكتب إسلامية ومواد دعائية ". شحنت الولايات المتحدة كل ما كان من شانه أن يؤدى الى تصاعد كبير فى الحرب التى ستخيم خلال السنوات الثلاث التالية فى صورة غارات عديدة وبعثات تخريبية عبر الحدود شمال نهر آمو.كتب محمد يوساف:" خلال هذه الفترة كان علينا أن ندرب بشكل خاص ونرسل مئات المجاهدين الى عمق يصل الى 25 كيلومترا داخل الاتحاد السوفييتى. وربما كانت هذه اكثر عمليات الحرب سرية وحساسية." وأضاف أن اكثر ما كان يشكل مصدر قلق خاص للسوفييت هو نشر الأصولية ونفوذها بين مسلمي آسيا الوسطى السوفييتية."[588] كانت المخابرات الباكستانية على استعداد" لإرسال فرق عبر النهر لنقل الهجمات الصاروخية وبث الألغام وخلع قضبان السكك الحديدية ونصب الكمائن."[589] وحاولت الفرق التى عبرت حدود الاتحاد السوفييتى أن تقيم علاقات بين نشطاء المسلمين فى هذه المنطقة." لقد تأثرت بعدد من التقارير الواردة من بعض الناس الذين يريدون المساعدة." كتب يوساف " أراد البعض أسلحة وأراد البعض الآخر أن يلتحق بالمجاهدين في افغانستان، وغيرهم أراد المشاركة فى عمليات داخل الاتحاد السوفييتى."[590] حسبما ذكر يوساف:

587- مسئول سابق بالمخابرات المركزية الأمريكية 0 مقابلة مع المؤلف يوليو2004

588- يوساف وأدكين ص ص 189-190

589- المرجع السابق ص 193

590- المرجع السابق ص195

" وصلت الضربات الموجهة عبر الحدود أعلي مستوياتها سنة1986. عشرات الهجمات شنت عبر نهر آمو من ناحية أقاليم جوزجان الى إقليم باداكشان. وشـارك أحيانا كثير من المواطنين السوفييت فى هذه العمليات أو عادوا الى افغانستان للحاق بالمجاهدين ولا أدل على أننا كنا نضرب فى المناطق الحساسة من ردود الفعل بالغة العنف التى كان يقوم بها السوفييت. فسرعان ما كانت كل غارة نقوم بها تثير قصفا جويا عنيفا بالقنابل والسفن الحربية فى الهجوم على القرى الواقعة الى الجنوب مـن النهر على المناطق القريبة من مصادر ضرباتنا."[591] كان ذلك العمل بكـل تأكيـد عملا هجوميا يمكن أن يؤدى ليس فقط الى مخاطرة تؤجج مشاعر المسلمين داخل الاتحاد السوفييتى فحسب بل الى استفزاز موسكو للإقدام على عمل انتقـامي ضـد باكستان نفسها وهو ما يمكن أن يؤدى بدوره الى إشـعال مواجهـة عالميـة بـين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى، والانكى من ذلك أن يحدث ذلك كله سرا دون معرفة الشعب الامريكى. طبقا لمصادر مختلفة حول الصراع الافغانى وطبقا لشهادة يوساف نفسه استعادت الأوساط الأكثر عقلانية فى واشنطن زمام المبادأة وأوقفـت الهجمات عبر الحدود. يندب يوساف الموقف قائلا:"من الواضح انه فى سنة 1985 وضعت الولايات المتحدة يدها فى الماء البارد، ويبدو أن هناك شخصا ما فى قمـة الإدارة الامريكية قد أدركه الخوف." ولكنه يؤكد أن المخابرات المركزية الامريكية وآخرين غيرها شجعونا بشكل غير رسمي على أن نستمر فى نقل الحرب الي داخل الاتحاد السوفييتى."[592]

فى نهاية الأمر فشل الهجوم الذى شـنه كيـزى بالتعـاون مـع المخـابرات الباكستانية على الاتحاد السوفييتى فى التحريض على قيام ثـورة إسـلامية داخـل الاتحاد السوفييتى. وثبت أن النظرية المشتركة لبرجنسكى وبنجسين بان الجمـاهير الإسلامية الموجودة داخل الاتحاد السوفييتى تتشوق للقيـام بثـورة ضـد الأمـراء السوفييت وان الولاء الذى تكنه للشبكة السرية من المتصوفة الإسلاميين هو علـى اقل تقدير أمر مبالغ فيه. ولكن الذى لا شـك فيـه أيضـا أن تصـرفات كيـزى والمخابرات الباكستانية ساعدت على نمو شبكة من الجناح اليميني من الإسـلاميين المتطرفين الذين لا يزالون حتى يومنا هذا مصدر إزعاج لحكومات الجمهوريـات السوفييتية السابقة، وبشكل خاص فان الحركة الإسلامية فى أوزبكسـتان وحـزب التحرير الاسلامى والجماعات القوية فى الشيشان وداغستان بالإضافة الى الغموض

591- المرجع السابق ص200

592- المرجع السابق ص195

الذى يكتنف تواجد القاعدة فى آسيا الوسطى، كل هذه الجماعات اكتسبت المبادأة فى الثمانينات بفضل فيض الجهاد الافغانى.

جهاد بلا نهاية

لم ينته الجهاد الافغانى بانسحاب القوات السوفييتية. لم يكن للولايات المتحدة إستراتيجية للانسحاب كما لم يكن لديها خطة لأفغانستان عند بدء الحرب. كان معظم واضعي السياسة الامريكية يعتقدون أن الحكومة الضعيفة الممالئة للسوفيت التى تركوها وراءهم في كابول سوف تسقط بعد مدة قصيرة، ولكن ذلك الأمر تباطأ، أما المجاهدون الذين انقسموا على أنفسهم وحارب بعضهم بعضا بعد الحرب فقد استمروا يتقاتلون. أما باكستان التى كانت ترى فى افغانستان شريكا لها فى تحالف ضد الهند فقد ساندت الإسلاميين بقوة فى هذا البلد الممزق.

ولكن شيئا من ذلك فيما يبدو لم يكن يعنى أحدا من المسئولين الأمريكيين حينذاك، حسبما يقول كاسبار وينبرجر سكرتير الرئيس ريجان لشئون الدفاع فى ذلك الوقت:" كنا نعلم أنهم ليسوا أناسا طيبين جدا. ولم يكونوا جميعا ممن يعنون بالديمقراطية. ولكن كان لدينا مشكلة صعبة فى تحديد خياراتنا....ولنتذكر مقولة تشرشل: إذا غزا هتلر الجحيم فليس امامى سوى الشيطان على الاقل ليكون مرجعي المفضل أمام مجلس العموم."[593] كان هذا معلما مميزا لقابلية السياسة الامريكية للتغيير تجاه افغانستان واسيا الوسطى.،" قوس الإسلام " فى الثمانينات.

مما لاشك فيه أن مساندة الولايات المتحدة للمجاهدين التى ذهب معظمها الى الإسلاميين الأكثر تشددا هو خطأ كارثى فى حساباتها. لقد أدى ذلك الى تمزق افغانستان نفسها كما أدى الى انهيار حكومتها وأدى الى ظهور إقطاعيات واسعة يسيطر عليها أمراء الحرب الإسلاميين وغيرهم وخلق شبكة واسعة عالمية من الإسلاميين المحاربين المدربين من العديد من البلدان الذين ارتبطوا معا وغدوا ينتمون الى التنظيم الذى سوف يقيمه بن لادن بعد ذلك ويطلق عليه اسم تنظيم القاعدة، وترك وراءه امة ممزقة قامت بدور المضيف للقاعدة والتشكيلات الإرهابية الأخرى المماثلة كما خلق البيئة التي يمكن فى إطارها أن تقوم المخابرات الباكستانية بتشجيع حركة طالبان فى التسعينات.

593- المرجع السابق ص164

ومع ذلك فان دعاة الجهاد بمن فيهم هؤلاء الذين فى سنة 2005 كانوا اشد دعاة الحرب العالمية على الإرهاب الموجهة ضد المنظمات الإسلامية، لا يزال هؤلاء يؤكدون أنها كانت سياسة سليمة. يقول دانيال بابيس داعية شن الحملة ضد الإسلام السياسي وهو ابن ريتشارد بابيس الذى قام بتنسيق " جماعة العمل مع القوميات" فى بواكير السنوات الاولى من ادارة ريجان، خلال هذه السنوات كان دانيال بابيس هو المسئول عن الإدارة وعن جماعة العمل مع القوميات، يقول:"لقد ساندنا ستالين ضد هتلر" على هدي نظرية وينبرجر فى التعامل مع الشيطان:" هذه اختبارات دنيوية حقيقية " فالأكثر نضالية بين المجاهدين كانوا هم أفضل المقاتلين وفقا لبابيس." وإذا كان من ثمة شيء يقال فهو أن الإسلاميين الراديكاليين كانوا – حسبما نراهم – الأكثر حماسا بين المعادين للسوفيت."[594] هذا الرأي ردده أيضا العديد من خبراء الحرب الأمريكان فيما يتعلق بالحرب الأفغانية بمن فيهم العديد من مسئولي المخابرات المركزية الامريكية وواضعي السياسة الأمريكية." لقد كنا نساند أردأ الناس، الأكثر تعصبا بين المجاهدين." حسبما يقول ستيفن كوهن الذى كان على رأس الإدارة فى الثمانينات." إذا كنت تريد أن تنتصر فى الحرب الباردة وتهزم السوفييت فى افغانستان فانه لا يمكنك أن تستخدم (جيش الخلاص)."[595]

غنى عن البيان أن (الأنواع المتعصبة) لم تختف فور اعتزام الاتحاد السوفييتى الانسحاب من افغانستان بالرغم من أن دعاتهم قد تغيروا بشكل درامي: بيل كيزى توفى. الجنرال ضياء الحق ورئيس المخابرات الباكستانية قتلا فى حادث تحطم طائرة لم يكشف النقاب عنه، غير أن اليمين الاسلامى كان قد تمترس فى كل من افغانستان وباكستان. كانت الجماعة الإسلامية فى باكستان غنية وقوية وعلى صلة وثيقة بشبكة الإخوان المسلمين الممتدة فى كافة إنحاء العالم. ومعظم الذين يتواجدون حاليا فى قمة جهاز المخابرات الباكستانية اصبح مؤكدا الآن أنهم إسلاميون مرتبطين بالإخوان المسلمين. ومن جهة أخرى فان الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية يرتبطون بدورهم برباط وثيق مع قلب الدين حكمتيار وغيره من المجاهدين الإسلاميين فى افغانستان ومع شبكة المجاهدين الناشئة فى العشرات من الدول الأخرى الذين كانوا يغدون ويروحون بحرية من خلال" نظام المدرسة". وقد تم الاحتفاء بانسحاب الاتحاد السوفييتى باعتباره نصرا مدويا للمخابرات المركزية الامريكية والبنتاجون وسارعوا فى معظم الأحوال الى مغادرة افغانستان وفى

594- دانيال بابيس – مقابلة مع المؤلف ابريل 2004

595- مقتبس من Omaha World Herald 16 سبتمبر 2001

تقديرهم أن النظام الموالى للسوفييت الذى لا يزال يباشر الحكم فى كابول بقيادة الرئيس نجيب الله سرعان ما سيسقط، فقد استخلصت المخابرات المركزية درس فيتنام حيث سرعان ما انهارت حكومة فيتنام الجنوبية بعد انسحاب الولايات المتحدة وهكذا استخلصوا أن حكومة نجيب الله سوف تسقط هي الأخرى فى المدى القصير. ومع ذلك ففي دوائر الحكومة الامريكية اخذ ينتشر نوع غريب من الاضطراب يشبه غثيان ما بعد الصباح الذى ينتاب الإنسان.

فى الإدارة الامريكية وحتى فى المخابرات المركزية الامريكية كان ثمة قلق مما يمكن أن يؤول إليه الموقف بعد أن يتغلب حكمتيار وغيره من الأصوليين فى افغانستان. كان المسئولون السوفييت من بين الذين حذروا واشنطون من مغبة الأخطار الكامنة فى الحركة الإسلامية. وحاول وزير الخارجية السوفييتى ادوارد شيفرنادزة أن يصل مع جورج شولتز سكرتير الدولة للشئون الخارجية الامريكية الى إمكانية التوصل الى اتفاقية ودية بين الدولتين تقضى بالانسحاب السوفييتى من افغانستان و"طالب الولايات المتحدة بالتعاون فى وضع حد لانتشار الأصولية الإسلامية ". على أية حال بغض النظر عن شولتز كانت الإدارة الامريكية غير متعاطفة مع هذا الاقتراح. ولم يكن احد من قيادات ادارة ريجان يعطى أى اهتمام لهذه المسألة. إنهم أبدا لم يحاولوا الضغط على المخابرات الباكستانية لإبعاد مساندتها عن الإخوان المسلمين والأطراف الأخرى المتصلة بهم. كانت موسكو تشعر بقلق متزايد من الأصولية الإسلامية التى أخذت تضرب بجذورها على طول حدودها الجنوبية، حتى أن فلاديمير كرويتشكوف الذى كان يرأس المخابرات السوفييتية جلس الى جيتس مدير المخابرات المركزية الامريكية ليوضح له أسباب خشية القادة السوفييت من صعود حكومة أصولية أخرى الى السلطة فى افغانستان فتكون مكملا سيئا لإيران الشيعية[596] ولكن بلا جدوى.

بحكم العادة سمحت الولايات المتحدة لباكستان والمخابرات الباكستانية أن تتحكم فى مفاتيح السياسة الأفغانية. كان المركز الرسمي للمعونة النقدية السعودية قد أغلق أبوابه، ولكن ظلت المنافذ الأخرى غير الرسمية تتدفق من خلالها الأموال التى يصبها الأمراء الأثرياء المتعددون من خلال منظمة العمل الاسلامى ومن خلال شبكة الإخوان المسلمين. طبقا لأقوال اثنين من السفراء الأمريكيين الذين عملوا فى السعودية فى ذلك الوقت كانت الولايات المتحدة سيئة التدبير فى تعاملاتها مع هذه الحرب. " حيثما كنت اعمل لم يكن احد يمعن التفكير فيما يمكن أن يحدث لهؤلاء

596 -Coll , pp,168-169

المقاتلين فى حالة البطالة." حسبما يقول وولتر كتلر سفير الولايات المتحدة فى السعودية خلال معظم الثمانينات." اننى لا أتذكر اى مناقشة حول ذلك الأمر. كنت أقول له (جيلز):" جى اننى أتعجب ما إذا كان فى إمكان هؤلاء الناس أن يشكلوا تهديدا ما؟ إننا فى الحقيقة لم نركز كثيرا على الإسلام السياسي، فقد كانت هناك الحرب الباردة. حقيقة أن لديك هؤلاء المتحمسين المدربين والمسلحين بصواريخ ستينجر. هذه الفكرة لم تخطر على البال."[597] لقد بدأنا الحرب دون أن نضع فى اعتبارنا كيف ننهيها " يقول تشارلس فريمان سفيرنا لدى السعودية فى نهاية الثمانينات وخلال حرب الخليج الاولى سنة 1991 كانت افغانستان تنزلق خلسة باتجاه الحرب الأهلية ولكننا أساسا لم نعط ذلك أهمية تذكر، يضيف فريمان:

" لم يتوقف الجهاد الافغانى. كان البعض منا وانأ منهم مهتمين بذلك، وكذلك كان اوكلى(سفير الولايات المتحدة فى باكستان) الذى كان مشغولا بالمخابرات الباكستانية وما تقوم به فى افغانستان وكشمير وضلوع السعودية فى هذا الأمر. ولكنك لن تستطيع فى الحقيقة أن تعرف ما إذا كانت السعودية قد استخدمت من جانب المخابرات أم أنها تلجا للخداع. لقد تحدثت فى هذا الأمر مع الأمير تركي رئيس المخابرات السعودية والى المخابرات المركزية الامريكية وكانت رسالتي أساسا هي: إننا يجب أن نبدأ التفكير فى تخليص أنفسنا. ولكن كانت هناك بعض التساؤلات حول ما إذا كانت المخابرات السعودية قد أصبحت أسيرة للمخابرات الباكستانية. كانت المخابرات الباكستانية تأخذ أموالهم وتقوم هي بالتصرف فيها. ولم نكن نعرف ماذا نفعل. من المؤكد أن الكثير من أموال السعودية كانت تذهب الى حكمتيار، ولكننا لم نكن نعرف حقيقة أهداف السعودية. كان هناك ما يربو على ثلاثة بلايين دولار تتدفق سنويا على الحرب من الولايات المتحدة والسعودية وغيرها، انك لن تستطيع أن تغلق صنبور الأموال المتدفقة بين عشية وضحاها. كلانا نعرف أنا وبوب ونعتقد انه كان يتعين علينا أن نجرى حوارا حول هذا الموضوع. ولكننا لم نجد أحدا غيرنا مهتما بذلك، بمن فيهم جيتس و وبستر وكلاهما كان مديرا للمخابرات المركزية الأمريكية. هذا الموقف فى واشنطن يعود جزئيا الى مقولة البعض:" لماذا نذهب خارج بلادنا ونتحدث الى أناس لا يعنيهم الأمر. ومن ثم فأننا لم نفعل شيئا.."[598]

597- وولتر كاتلر مقابلة مع المؤلف مايو 2004.

598- فريمان مقابلة المؤلف

طبقا لما ذكره يوساف الذى كان له عينا صقر فيما يتعلق بنهاية الحرب بحكم عمله فى المخابرات الباكستانية بعد أن انجاب غبار الحرب فى افغانستان، بدأ بعض الأمريكيين يشعرون بالقلق حول ما سيؤول إليه أمر حكمتيار ورفاقه الأصوليين عندما يستولون على السلطة " بدأ الأمريكان ينظرون الى افغانستان بدون الجيش الأحمر وما رأوه كان نذيرا لهم" ولكنه ذكر أن الجنرال "اختار عبد الرحمن خان" مهندس المخابرات الباكستانية للشئون المتعلقة بالجهاد حاول أن يواجه جهود الولايات المتحدة غير المجدية من اجل تقوية إمكانيات الجماعات الأفغانية غير الأصولية بما فى ذلك القوات الموالية للملك المنفى زاهر شاه والأمراء والجماعات الإسلامية الاقل تطرفا." لقد أدرك الجنرال اختار أهداف الأمريكان وأساليبهم وعارض كل حركة يقومون بها."عارض اختار كذلك ما أطلق عليه يوساف " فكرة الأمريكان اللامعة بإعادة الملك المنفى منذ مدة طويلة ليترأس حكومة المصالحة الوطنية."[599]

لكن حتى لو أرادت الولايات المتحدة أن تأخذ على عاتقها تحجيم قوة الإسلاميين بعد الحرب وان تحفز قوة المعتدلين والوسطيين والعلمانيين فان ذلك سوف يكون مسالة صعبة لسبب بسيط هو أن معظمهم قد مات. كما ان العدد الكبير من المجاهدين الإسلاميين الذين كانوا يقاتلون السوفييت كانوا يقتلون فى نفس الوقت المعارضين الأفغان الذين يحتمل أن يواجهوهم بعد الحرب، كانوا يقتلونهم بالآلاف فى المواجهة الثانية للجهاد التى لا يعرف عنها سوى القليل والتي كانت موجهة ضد الأفغان غير الشيوعيين." تقول شيريل بنيارد وهى خبيرة بمؤسسة راند لشئون الإسلام السياسي وزوجة زلماى خليل زاد الذى عمل سفيرا للولايات المتحدة فى كابول:" فى البداية كان الجميع يظن انه لا سبيل لهزيمة السوفييت، ومن ثم فكل ما كان علينا أن نفعله هو أن نقذفهم بمن كنا نعتبرهم الأكثر جنونا من الناس. وكان هناك الكثير من الخسائر غير المباشرة. كنا نعرف بالضبط من يكون هؤلاء الناس وعلى اى شكل كانت تنظيماتهم ولم نعبأ بغير ذلك." وتضيف:" ومن ثم فقد سمحنا لهم بالتخلص من وقتل كل القيادات المعتدلة من هذه العناصر. إن السبب فى انه ليس لدينا الآن قيادات معتدلة فى افغانستان هو أننا تركنا هؤلاء المجانين يقتلونهم جميعا. لقد قتلوا اليساريين والمعتدلين والوسطيين لقد قضى عليهم خلال الثمانينات وفيما بعد."[600]

599- يوساف و أدكن ص 208- 209.

600- Cheryl Benard مقابلة مع المؤلف يوليو 2004

الصفقات السرية مع آيات الله

لو قدر النجاح للمبادرات التى أطلقتها ادارة ريجان تجاه إيران خلال الفترة من 1980- 1986 لأصبح الدمار الذى حل بأفغانستان أفدح كثيرا مما حدث فعلا. فيما يتعلق بإيران كانت هناك 3 مراحل سارت بالتوازي مع التحالف الامريكى – الاسلامى الاصولى فى افغانستان: أولاها ما أطلق عليه مفاجأة أكتوبر 1980 والثانية تتعلق بالعلاقة السرية بين إسرائيل وإيران فى الثمانينات – والثالثة المحاولات السرية لإدارة ريجان للتقارب مع آية الله الخميني فى إيران.

فى سنة 1980 بينما كان المسئولون فى ادارة كارتر يحاولون قدر جهدهم أن يفكوا اسر الرهائن الأمريكيين فى إيران، فان بعض أعضاء حملة ريجان الانتخابية بمن فيهم كيزى كانوا قد أقاموا علاقات مع المسئولين الإيرانيين وحاولوا فيما يبدو أن يؤجلوا الإفراج عن الرهائن الى ما بعد الانتخابات.

وقد خلص جارى سيك وكان ضابطا بالبحرية الامريكية خدم فى مجلس الأمن القومي تحت ادارة فورد وكارتر وريجان، خلص بعد عدة سنوات الى أن حملة ريجان- بوش الانتخابية دخلت فى حقيقة الأمر فى محادثات سرية مع بعض القادة الإيرانيين للحيلولة دون الإفراج عن الرهائن والوعد بشحن أسلحة أمريكية وإسرائيلية الى إيران سنة 1981.وقد كتب تقريرا مفصلا عما أسفرت عنه أبحاثه فى كتابه(مفاجأة أكتوبر: الرهائن الأمريكيين فى إيران وانتخابات رونالد ريجان). ويخلص فى هذا الكتاب الى أن " حملة ريجان بوش الانتخابية قامت على عملية مخابراتية احترافية منظمة من شانها تخريب مسار العملية الديمقراطية فى أمريكا."[601]

كان سيك يشك فى أن أساس المفاوضات بين الحزب الجمهوري الامريكى وإيران يقوم على أساس وعد من الإدارة الجمهورية بان توافق على شحن أسلحة إسرائيلية وغير إسرائيلية الى إيران بحيث تشمل شحنات الأسلحة التى كان الشاه قد طلبها وسدد ثمنها. كانت إيران فى اشد الحاجة الى هذه الأسلحة من اجل معركتها مع العراق التى اندلعت فى سبتمبر 1980 كحرب شاملة. وكانت إسرائيل التى تربطها علاقات عسكرية ممتدة مع إيران تعود الى الصفقة العسكرية الأساسية التى

601- جارى سيك مفاجأة اكتوبر: الرهائن الامريكيين فى طهران وانتخاب رونالد ريجان نيويورك 1991 ص 226

ابرمها البلدان سنة 1966، كانت متعطشة لإمداد النظام الديني فى إيران بالأسلحة رغم أزمة الرهائن." كانت مجهودات إسرائيل الدعوبة من اجل إعادة العلاقات العسكرية مع إيران قد أحبطت من جانب الرئيس كارتر الذى رفض بإصرار إجازة أو حتى الإشارة الى شحن اى أسلحة إسرائيلية الى إيران قبل الإفراج عن الرهائن."[602] حسبا ذكر سيك. ومما هو جدير بالملاحظة أن الوسيط الأساسي فى المحادثات الإسرائيلية الإيرانية حول الأسلحة هو احمد كاشانى ابن آية الله سيد ابو القاسم كاشانى رجل الدين الذى تلقى أموالا سنة 1953 من المخابرات المركزية الأميركية من اجل تنظيم الدهماء الذين تظاهروا مطالبين بإسقاط مصدق وعودة الشاه. وقد زار كاشانى إسرائيل سنة 1980 حسبما ذكر سيك الذى قال أيضا أنه " كانت هناك ثمة قنوات مفتوحة بين إسرائيل وإيران كانت تعمل قبل وصوله بزمن طويل." فى ربيع سنة 1980 وصلت الى إيران حمولة سفينة صغيرة من الأسلحة الإسرائيلية."[603]

يورد سيك بيانا مفصلا عن الاتصالات والمقابلات التى تمت بين كيزى وغيره من المسئولين السابقين لريجان وبين مجموعة من الوسطاء الإيرانيين تبين فيما بعد أن العديد منهم كان ضالعا فى فضيحة إيران- كونترا خلال الفترة 1984-1986 [604] والبعض الآخر كان له بدوره علاقات وثيقة مع إيران، فقد بدأت إسرائيل وإيران التعاون العسكري فيما بينهما أواخر الثمانينات بما فى ذلك بالتحديد الغارة الإسرائيلية على مفاعل اوزيراك النووي العراقي فى 7 يونيو 1981 التى دمرت هذا المفاعل قبل بضعة أيام فقط من نشوب الحرب العراقية الإيرانية." قامت إسرائيل بإمداد إيران بالأسلحة والمعلومات الخاصة بكيفية الهجوم على المفاعل النووي العراقي....ولكن سلاح الدفاع الجوى العراقي كان اكثر كفاءة من نظيره الايرانى."[605] هكذا يقول سيك. وهكذا فعلتها إسرائيل.

يضيف سيك أن كيزى ساعد إيران على كسر الحصار الذى فرضته الولايات المتحدة على إمدادات الأسلحة الإسرائيلية الى إيران. لقد فعل وليم كيزى الصواب

602- المرجع السابق ص 59

603- المرجع السابق ص ص 69-71

604- لمتابعة المزيد من التفاصيل بشأن وقائع المبادرة الجمهورية تجاه أيران خلال ازمة الرهائن وجمعها الصحفى روبرت بارىRobert Parry فى مؤلفه: خداع الخيانة: مفاجأة اكتوبر الغامضة (نيويورك 1993).

605- المرجع السابق ص 115

حينما قام بتحديد نوع الصفقة غير متأثر بالعواطف مع هيئة رجال الدين الإيرانيين، تلك الصفقة التى طالما تطلع إليها اللوبي الايرانى فى إسرائيل." كما ذكر سيك" إن المقاربة التى تمت مع إسرائيل فى أغسطس لم يقم بها كيزى فقط ولكن أيضا مسئولون آخرون فى المخابرات المركزية ساعدوا إسرائيل على التعاون مع مبادرة الجمهوريين لتحرير الرهائن."[606] كان سيك يتلقى فى هيئة الأمن القومي رسائل تفيد قيام إسرائيل بإمداد إيران بالأسلحة فى تحد صارخ لمعارضة كارتر."لقد قامت الإدارة الإسرائيلية فى اعلي مستوياتها بإدارة ظهرها كلية وبكل احتقار لإدارة جيمى كارتر."[607] وأخيرا تم تحرير الرهائن، ولكن فى 20 يناير 1981 قبل دقائق من قيام الرئيس ريجان بحلف اليمين بوصفه الرئيس الأربعين للولايات المتحدة." قليلون هم الذين تشككوا فى الأمر." كما ذكر سيك الذى أضاف بان تحرير الرهائن كشف بوضوح سر المؤامرة التى كانت قد حيكت خيوطها قبل ذلك بعدة أشهر من جانب وليم كيزى."[608]

كانت اتصالات كيزى- ريجان السرية مع إيران خلال الفترة 1980-1981 إيذانا بالجهود التى بذلت خلال ادارة ريجان لإنشاء علاقات سرية مع آيات الله فى إيران. بعض مسئولي الولايات المتحدة كان ينظر الى إيران بوصفها حليفا للولايات المتحدة فى الحرب الناشبة فى افغانستان بحكم أن الخميني يعادى الاتحاد السوفييتى بمرارة وكان يرى إن نفوذ إيران يجب إن يمتد الى افغانستان ووسط آسيا، وآخرون كانوا يرون فى إيران معادلا للعراق لسببين أولهما أن الاتحاد السوفييتى له علاقات وثيقة مع بغداد والسبب الثاني الأكثر أهمية أنهم يرون إن عراقا قويا يمثل تهديدا لإسرائيل.

خلال الحرب العراقية الإيرانية اتبعت الولايات المتحدة سياستين فى نفس الوقت. كان الاتجاه الأساسي لواشنطن هو إظهار الميل نحو العراق خلال حربها مع إيران، المسئولون الذين كانوا يميلون الى العراق كانوا يرون عن حق أن إيران هي مصدر التهديد الرئيس للمصالح الامريكية فى المنطقة نظرا لان هزيمة العراق على يد النظام الايرانى الاصولى سوف يفتح الباب لسيطرة إيران على كامل الخليج الفارسي، بما فى ذلك الكويت والعربية السعودية. وفى الحقيقة فان كل العالم العربى كان يساند العراق فى حربها ضد إيران، واكتفت الولايات المتحدة بمساندة محدودة

606- المرجع السابق ص142

607- المرجع السابق ص167

608- المرجع السابق ص192

للعراق بما فى ذلك المعلومات المخابراتية حول إمكانيات إيران وحشودها العسكرية.

ولكن إسرائيل، بالإضافة الى المسئولين فى الإدارة الامريكية من المحافظين الجدد بمن فيهم كيزى كانت لهم وجهة نظر أخرى. منذ 1970-1987 حتى حينما كانت الولايات المتحدة تساند العراق رسميا كانت إسرائيل تمد إيران بسيل متدفق من الأسلحة والذخائر وقطع الغيار. سواء كان الأمر جزءا من صفقة سرية بين كيزى وإسرائيل وإيران أم انه لم يكن كذلك فان ادارة ريجان لم تفعل شيئا لوقف إمدادات الأسلحة الإسرائيلية الى آيات الله. بقيامها بذلك كانت تستعيد علاقاتها السابقة العتيدة مع إيران الى ما كانت عليه فى عهد الشاه. حينما سقط حكم الشاه استمرت إسرائيل فى التعامل مع الجيش الايرانى وضباط المخابرات الذين كانت تعرفهم من قبل بالرغم من أن ضباط المخابرات المركزية الامريكية كانوا يتعاملون الآن مع الملالى وآيات الله. كانت علاقات إسرائيل بإيران الخميني متعددة الوجوه. كانت لديهم علاقات مع القوات المسلحة الإيرانية ومع الأجهزة التى خلفت مخابرات الشاه السرية، وبالإضافة كان آلاف اليهود المقاتلين المتعاملين مع طبقة البازار التجارية التى هاجر الكثيرون منهم الى إسرائيل ولكنهم احتفظوا بروابطهم مع إيران بما فى ذلك علاقاتهم مع عائلات آيات الله المحافظين الأكثر ثراء واستثمرت إسرائيل كل هذه العلاقات أيضا.

"كانت إسرائيل تتعامل مع النظام الايرانى بوصفه شبه حليف " حسبما يقول باتريك لانج الذى كان يرأس قسم الشرق الأوسط فى وكالة المخابرات التابعة لوزارة الدفاع الامريكية.[609] كانوا يتعاملون مع نفس الأشخاص الذين سبق لهم التعامل معهم فى ظل الشاه. خلال هذه السنوات كان الإسرائيليون يعقدون اجتماعات مرة شهريا على الاقل فى أوربا مع أشخاص من القوات الجوية الإيرانية." وطبقا للانج فان هذه المقابلات الإسرائيلية الإيرانية كانت تعقد لعدة سنين. وأضاف أن إسرائيل كانت تسال إيران اى أنواع من الأسلحة تحتاجها ثم تأخذ قائمة الأسلحة المطلوبة لترى ما الذى يمكن إن تعطيه لطهران. فى ذلك الوقت أقامت ادارة ريجان ما أطلقت عليه (عملية الوفاء) سنة 1984 لقطع إمدادات السلاح عن إيران والعراق. ولكن الإسرائيليين سخروا منها ولم يستخدم ريجان إطلاقا نفوذ أمريكا على إسرائيل ليجعلها توقف إمدادات السلاح الى إيران. " كان الإسرائيليون يقومون بذلك طوال الوقت " حسبما يقول لانج:" فى وكالة المخابرات التابعة لوزارة الدفاع

609- باتريك لانج مقابلة ع المؤلف مارس 2004.

اكتشفنا كل شئ عن ذلك،حينما قام احد ضباط سلاح الجو الايرانى – وهو برتبة كولونيل– بإبلاغنا بالأمر وأخطرنا بكل من له علاقة به." ولكن – كما يقول لانج– كان فريق ريجان ينظر الى الناحية الأخرى." كان انطباعي أننا لم نبذل محاولة جادة لوقف ذلك." وبمجرد تحرير الرهائن سارعت إسرائيل بإمداد إيران بما قيمته 300 مليون دولار من المعدات العسكرية. واحتوت الشحنات التى أقلتها السفن على قطع غيار للطائرات الامريكية فـ4 للنقل الجوى ودبابات آم 48 وحاملات جنود مدرعة أم 113 [610].

فى سنة 1983 حدثت حادثة تكشف الى اى مدى عملت المخابرات المركزية الامريكية تحت ادارة كيزى مع المخابرات الإيرانية حينما كان من مصلحة البلدين المتبادلة أن يفعلا ذلك. فى سنة 1983 كشف فلاديمير كيزيشكين الذى كان يعمل رئيسا لفرع المخابرات السوفييتية فى إيران وسرّب لبريطانيا ما يعرفه. خلال الثورة كان كيزيشكين يمثّل بكفاءة مصالح الاتحاد السوفييتى فى إيران، ولكن الحضور السوفييتى فى إيران كان فى حقيقة الأمر صغيرا جدا ولا يهدد لا الولايات المتحدة ولا الشاه. طبقا لكوزيشكين الذى ألف فيما بعد كتابا عن خبرته، كان للمخابرات السوفييتية عميلان كبيران فى الحكومة وفى الدوائر الرسمية الإيرانية. كتب يقول:"لم استطع ان اصدق عيناي، ولكنها كنت حقيقة والحقائق لا تذهب هباء. لقد فوجئت بالعدد الصغير من العملاء فى إيران."[611] وكتب كوزيشكين أيضا ان الاتحاد السوفييتى كان يثمن الاستقرار فى إيران فى ظل نظام الشاه وان موسكو لم يكن لديها اى اتصالات سواء بالثوار الإسلاميين أو ما يطلق عليهم الجماعات الإسلامية الماركسية التى وجدت لها قضية مشتركة مع الخمينى [612]. ولكن فرع المخابرات السوفييتية فى إيران لم يساند حزب تودة الشيوعي الصغير حجما والضعيف تأثيرا. وعندما ارتد كوزيشكين قرر آن يكتسب عطف الدوائر الانجلو أمريكية عن طريق تسليم المخابرات البريطانية والمخابرات المركزية الامريكية كل ما يعرفه عن حزب توده وأعضائه. " زود البريطانيين بقائمة تتضمن عدة مئات من أسماء العملاء السوفييت فى إيران." حسبما ذكر جيمس بيل، وسرعان ما قامت المخابرات البريطانية والمخابرات المركزية الامريكية بتسليم المعلومات التى أفضى بها كوزيتسكين الى المخابرات الإيرانية:

610– سيك ص 200

611– فلاديمير كوزتشكين من داخل المخابرات السوفييتية السرية(نيويورك 1990) ص ص104– 105

612– المرجع السابق 200– 201

" شاطرت السلطات الإيرانية المعلومات التي أفضى بها كوزيتسكين وقامت بالقبض على 1000 من أعضاء حزب تودة وكان الكثير منهم موضوعين فعلا تحت المراقبة. ومن ضمن الذين القي القبض عليهم نور الدين كيا نورى (زعيم حزب تودة الذى أدلى باعترافات) تفيد انه كان على علاقة مع العملاء.[613] السوفييت منذ 1945، وكان تحطيم حزب تودة سنة 1983 مكملا لتفكيك اليسار الايرانى ".

بطبيعة الحال لم يعلن شئ من ذلك على الجمهور فى ذلك الوقت. الأمريكان العاديون لم يعلموا شيئا عن تعاون المخابرات المركزية الامريكية مع أيران الخومينى، ولم يعلموا شيئا عن امدادت الأسلحة الإسرائيلية الى إيران، وفيما بعد لم يعلن شئ عن مبادرة إيران-كونترا الى أن قامت صحيفة لبنانية بالكشف عنها. يؤكد ميل جودمان وهو محلل سابق فى المخابرات المركزية الامريكية كان يرأس فريق الوكالة المختص بتحليل السياسة السوفييتية فى العالم الثالث. يؤكد أن المخابرات المركزية الامريكية كانت طرفا فى اتصالات كوزيتسكين – المخابرات البريطانية مع إيران. يقول جودمان" أن المخابرات المركزية الأمريكية كانت متورطة فى ذلك أيضا. كانوا يتعاونون مع آية الله فى وضع حزب تودة داخل الكفن. وكانت هناك اتصالات عديدة وبرقيات بشأنه. لم يكن كوزيسكين سوى أداة فى يد البريطانيين وأمدهم بكثير من المعلومات."وحسبما يقول جودمان:" إن المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات البريطانية كانا يعملان مع العاملين فى المخابرات الإيرانية الذين كانوا من قبل جزءا من تنظيم السافاك القديم الذى ببساطة حول ولاءه الى الجمهورية الإسلامية الجديدة."[614]

يعتبر حسين فردوست هو الأكثر شهرة بين مسئولي السافاك السابقين الذين يتعاونون الآن مع النظام الجديد. كان فردوست صديق طفولة الشاه حيث كانا معا فى المدرسة السويسرية، وكان معهما ريتشارد هيلمز مدير المخابرات المركزية الامريكية فيما بعد. يشغل فردوست حاليا مركزا مرموقا فى المخابرات الإيرانية منذ سنة 1970 واصبح سنة 1976 رئيسا لمنظمة التفتيش الامبراطورى التى أعاد الشاه تنظيمها. فى مذكراته يصف الشاه هذه المنظمة بأنها " صيغة جديدة لما كان الفرس القدامى يطلقون عليه " عيون وآذان الملك"[615] كانت مهمتها تتبع التيارات السياسية فى البلاد بما فى ذلك رجال الدين، ولكن فردوست التحق سرا بالمعارضة الموالية للخمينى. تذكر الأميرة اشرف شقيقة الشاه وهى داهية لا ترحم، تذكر أن فردوست

613- جيمس بيل النسر والأسد -ط 1988 ص 273

614- ميل جودمان Mel Goodman مقابلة مع المؤلف مارس 2004

615- محمد رضا بهلوى إجابة على تساؤلات تاريخية – ط 1980 ص 125

السافاك اخفق بشكل كامل فى إخطار الشاه بتصرفات الملالى:" من الغريب أن السافاك المفترض فيهم أن يكونوا مصدر كل ما يعرف وما يجرى لم يقدموا اى تقرير عن مدى وكيفية استخدام الملالي لمنابرهم المشرفة من اجل الحط من شأن الشاه. كان آخى يلتقي يوميا مع فردوست....نفس فردوست صديق الطفولة الذى كانت مهمته جمع وتقييم واستقصاء كل تقارير المخابرات.... اننى متأكدة أن فردوست حجب معلومات هامة عن الشاه، وكان فى واقع الأمر يقوم بمفاوضات مكثفة مع الخميني خلال السنوات الأخيرة للنظام. اننى اعتقد أن الأحداث التى تلت قيام الثورة تؤكد وجهة نظري، فى وقت كان فيه كل فرد على علاقة ولو بعيدة بالشاه يتم إعدامه، ببساطة بقى فردوست حيا وفى وضع جيد يحقق النجاح فى ظل الإدارة الجديدة باعتباره احد قيادات السافاما(الاسم الذى أطلقه الخميني على السافاك)[616]

سواء كان الأمر متعلقا بفردوست الغامض أو بغيره فان كلا من المخابرات المركزية الامريكية والمخابرات الإسرائيلية كان لكل منهما قنواته الخاصة فى المخابرات الإيرانية منذ أول يوم للثورة وحتى بداية مؤامرة كيزى –نورث فى أواسط الثمانينات. ومن هذه الزاوية فان فضيحة إيران كونترا لا تعتبر انحرافا ولكنها ببساطة امتداد لعلاقة قديمة تعود الى سنة1979. داخل ادارة ريجان كانت هناك عصبة صغيرة من المحافظين والمحافظين الجدد ممن تورطوا فى فضيحة إيران– كونترا خاصة من المسئولين والمستشارين الذين كانوا اقرب للمؤسسة العسكرية الاسرائيلية ومؤسسة المخابرات.

إن سجل الشئون الايرانية قد حكي وأعيدت حكايته فى العديد من الكتب والمذكرات والتقارير الحكومية الرسمية.[617] والعملية كلها كانت معقدة وذات أبعاد متعددة وتربط مابين الولايات المتحدة وصفقة الأسلحة الإسرائيلية التى تم شحنها الى إيران عن طريق البحر بدعم مالي سرى لحرب العصابات فى نيكاراجوا التى ساندتها ادارة ريجان. يربط منتقدو طريقة معالجة الولايات المتحدة للمسالة الإيرانية باتهام ادارة ريجان ومستشاريه بأنهم اتخذوا من مسالة بيع الأسلحة لإيران ذريعة لإطلاق سراح الرهائن الأمريكيين فى لبنان الذين تم أسرهم بمعرفة حزب الله وهو مخلب القط بالنسبة لإيران. وفى الحقيقة فانه بالنسبة للرئيس ريجان نفسه كانت

616- أ شرف بهلوى – وجوه فى مرآة: مذكرات من المنفى ط 1980 ص ص 195-196

617- ينظر على وجه الخصوص تقرير لجنة الكونجرس المكلفة باستقصاء مسألة إيران – كونترا نوفمبر 1987؛ تقرير لجنة تاور الذي أعدته اللجنة الخاصة التي شكلها الرئيس برئاسة السناتور جون تاور (نيويورك 997)

الصفقة مع إيران تبدو ببساطة مجرد مجهود بذل للإفراج عن الرهائن، بالرغم من أن ريجان(فى شهادته الأخيرة)قال انه لا يتذكر انه وافق على نقل الأسلحة الى إيران. أما بالنسبة لمستشاريه بوجه عام – خاصة المحافظين الجدد بالإضافة الى كيزى فقد كان لها هدف اكثر اتساعا– اى أنها كانت محاولة لإعادة العلاقات مع إيران فى تعارض مباشر مع سياسة الولايات المتحدة الرسمية بمساندة العراق فى مقاومتها للتوسع الايرانى.

إن الذريعة التى تذرع بها كيزى ونورث للتقارب مع إيران هي إعادة التقييم لسياسة الولايات المتحدة تجاه إيران التي قام بها مجلس الأمن القومى سنة 1984. إن إعادة التقييم هذه كان وراءها عصبة صغيرة من موظفي الولايات المتحدة المعارضين للتوجه الامريكى لصالح العراق خلال الحرب الإيرانية العراقية فقد أمر روبرت ماكفرلين، وهو مستشار الأمن القومي بمراجعة وجهة النظر المشار إليها ومن ثم بدأ العديد من العاملين بمن فيهم هوارد تيتشر ودونالد فورتير من هيئة الأمن القومي وجراهام فوللر من المخابرات المركزية وغيرهم،بدأوا حملة لمدة سنتين من اجل تغيير سياسة الولايات المتحدة لصالح إيران، ولاقت جهودهم نجاحا طيبا وتلاقت مع جهود إسرائيل لعزل العراق والارتباط بإيران فى الوقت الذى كانت فيه إسرائيل تمد إيران بالسلاح وتساند صعود اليمين الاسلامى فى المناطق المحتلة والثورة الإسلامية فى افغانستان.

فى سنة 1985 قام فوللر بالتعاون مع تيتشر وفورتير بعمل التقييم سئ السمعة للأمن القومي الذى كان يدعو الولايات المتحدة لإمداد آيات الله بالسلاح واعد ورقة عمل تدعو الولايات المتحدة الى تشجيع حلفائها الغربيين وأصدقائها الى مساعدة إيران واستيراد احتياجاتها....بما فيها احتياجاتها من بعض المعدات العسكرية المختارة."[618] عارض الفكرة بكل شدة كل من جورج شولتز سكرتير الدولة للشئون الخارجية و وينبرجر وزير الدفاع ولكن كيزى مدير المخابرات المركزية الامريكية أيدها. أثناء هذه المعركة الداخلية، تدخلت إسرائيل، مستخدمة الوسطاء مقترحة القيام بجهود أمريكية إسرائيلية مشتركة للتقارب مع إيران وبيعها الأسلحة. تولى مايكل ليدن وهو من المحافظين الجدد ومستشار هيئة الأمن القومي – تولى الاتصالات فيما يتعلق بخطة المخابرات الإسرائيلية وكلفه ماكفرلين بالسفر الى إسرائيل لمناقشة هذه الخطة. كانت إسرائيل بوجه خاص تريد أن تشحن صواريخ هووك المضادة للطائرات وقذائف تاو المضادة للدبابات الى الإيرانيين وهى من الأسلحة التى تعد

618- تقرير لجنة تاور ص 21

حاسمة فى حرب إيران ضد العراق بالإضافة الى تعهدات أمريكية بإعـادة إمـداد إسرائيل بهذه القاذفات بمجرد إرسالها. كانت الحجة التى تذرعت بها إسرائيل هـي الإفراج عن الرهائن الأمريكيين، غير أن اسرئيل بطبيعة الحال – وكذلك عناصـر أخرى داخل الإدارة الامريكية كان لها أهدافها الإستراتيجية الأخرى الأبعـد مـدى من اجل تلبية الاحتياجات الإيرانية الاستراتيجية ولا علاقة لها بالرهائن الأمريكيين.

أيد تيتشر بوجه خاص بحماس المبادرة تجاه إيران. فى سـنة 1980 حينمـا نشبت الحرب بين إيران والعراق كتب تيتشر فى مذكراته:" جددت حملتي ضد هـذا الاتجاه المستجدى إزاء العراق." وأضاف أن بعض المسئولين الأمريكيين يريـدون الحرب كوسيلة لتحجيم التهديد الايرانى الذى كان فى ذلك الوقت يتمثل فى احتجـاز 53 من الرهائن الأمريكيين.إن العاملين فى الحكومة الامريكية المختصين بالشئون العربية يرون أن الهجوم العراقي هو فرصة للقضاء علـى التهديـد الـذى تمثلـه الأصولية الإسلامية التى ترعاها إيران."[619]

عرض الداعون الى بيع الأسلحة الى إيران باستفاضة وجهتي نظر جـادتين. الاولى انه يوجد معتدلون داخل إيران يريدون أن يتعاملوا مع الولايـات المتحـدة ويستبشرون بعروض الولايات المتحدة الطيبة بتجديـد ترسـانة إيـران الحربيـة المتهالكة، ووجهة النظر الثانية التى تقول بان إيران ضعيفة داخليا وغير مسـتقرة وآيلة للسقوط فى يد الاتحاد السوفييتى مما يمكنه أن يأتي الى منطقة الخليج. كل من وجهتي النظر المشار إليهما غير صحيحة تماما. وكذلك الاعتقاد بان شحن الأسلحة الى إيران كبادرة حسن نية يمكن أن تساعد على تحرير رهائن الولايات المتحدة فى لبنان. فى بداية المبادرة قال احد مسئولي المخـابرات الإسـرائيلية لمـاكفرلين أن" الإسرائيليون يخططون لإمداد المعتدلين فى إيران الـذين سـوف يقفـون موقـف المعارضة من الخميني ببعض الأسلحة" كانت الفكرة القائلة بـان بعـض أجنحـة المعارضة الإيرانية المعتدلة سوف تظهر لتحيي الولايات المتحدة وإسرائيل وتفـتح لهما ذراعيها وتقوم بالعمل ضد الخميني، هذه الفكرة أسرت الكثير من الأمـريكيين المشاركين فى مسألة إيران– كونترا بمن فيهم كيزى نفسه ولكنهـا كانـت مجـرد سراب. حسبما ذكر احد المسئولين الكبار فى المخابرات المركزية فان إقناع كيـزى بان المعتدلين المزعومين ليسوا سوى وهم وليس لهم وجود، إن إقناع كيزى بوجهة النظر هذه سبق أن اخذ مجهودا كبيرا فى أواسط الثمانينات، ويضيف هذا المسـئول

619- هوارد تييتشر و جايل رادلى تييتشـر – , Howard Teicher and Gayle Radley Tejcher
Twin pillars to Desert Storm نيويورك 1993 ص ص 102– 103

انه لم يكن هناك معتدلون يمكن التحدث إليهم سنة1986."حينما كان كل من أولـى نورث Ollie North وماكفرلين McFarlane وغيرهم من المسئولين الأمـريكيين يخططون للقيام بزيارة سرية الى إيران لمحاولة إبرام اتفاق، أراد كيزى الذى كـان قد وافق على الخطة، أراد أن يعرف ما إذا كانت الخطة قابلة للتنفيـذ." اسـتدعاني كيزى وسالنى ما إذا كنت اعتقد أن هناك ثمة فرصة لنجاح هذه المهمة "؟ فأجبته: ليس كثيرا. وفى الحقيقة لم تكن هناك ثمة فرصة للنجاح.". وسـئل عمـا إذا كـان كيزى يعتقد أن الإيرانيين المعتدلين سوف يقومون فى النهاية بالاسـتجابة لمنـاورة الولايات المتحدة هذه بشكل ايجابي فكان ردى على ذلك المسئول" بعـد أن تحـدثوا معى فإن هذا الأمر ليس محتملا."[620] يقول و. باتريك لانج وكان فى ذلك الحـين يشغل وظيفة مدير قسم الشرق الأوسط فى وكالة المخابرات فى الشـرق الأوسـط التابع لوزارة الدفاع:" كانت وجهة نظرهم أن هناك العديد من المعتدلين فى إيـران الذين ليسوا على النحو الذى يظهرون به وهو أنهم مجموعة من الجحوش. وصدقت على كلامه قائلا: بالضبط هم كذلك– مجموعة من الجحوش."

أما بخصوص الافتراض الهام بان إيران قد تسقط فى يد الاتحـاد السـوفييتى فهو واضح الخطأ. فقد كان الاتحاد السوفييتى يقاتل المتمردين فى افغانستان ولم يكن له سوى القليل من الأرصدة وربما لم يكن له أرصدة على الإطلاق داخل إيران، ولم يكن لدى القادة السوفيت اى نية لعبور الخط الأحمر فى الخلـيج الفارسـي وهـى المنطقة التى أعلنها أيزنهاور وكارتر منطقة سيطرة أمريكية. ومع ذلك ففي مـايو 1985 فى مذكرة الى كيزى بعنوان" نحو وضع سياسة تجاه إيران" حـاجج فـوللر (من المخابرات المركزية الامريكية) بان" نظام الخمينـي يتـرنح....إن الولايـات المتحدة لا يكاد يكون لديها أوراق تلعب بها، بينما لدى الاتحاد السـوفييتى الكثيـر منها.". طبقا لفوللر كان محللو المخابرات المركزية الامريكية يشعرون بان موسكو تحرز" تقدما فى تطوير فعالياتها فى طهران" وان سياسة الولايات المتحدة بحظر بيع الأسلحة الى إيران قد تخدم الاتحاد السوفييتى وتسهل مصالحه اكثر مما تقـدم لنـا" ويضيف:

ربما نبدو عمليين اكثر إذا فكرنا فى إطار اكثر جرأة – وربما اكثر مغامرة- بسياسة تفرض إن تكون الولايات المتحدة لديها صوت على الاقل فى الوضع الـذى اخذ يتكشف الآن. فنحن الآن–إلا إذا كنا محظوظين حقا– نقـف موقفـا لا يجعلنـا

620– – مسئول سابق بالمخابرات المركزية الأمريكية 0 مقابلة مع المؤلف يوليو2004

نكسب شيئا ونخسر المزيد فى مجرى التطورات الراهنة فى إيران التى تقع كلها خارج سيطرتنا."[621]

كان فوللر يطور وجهة نظر من شانها إن تجعله يزداد تعاطفا مع الأصوليين الإسلاميين. فى شهادته أمام لجنة تاور المشكلة من ثلاث شخصيات اختارها الرئيس ريجان ويقودها السناتور جون تاور من تكساس شكلت لتقوم باستقصاء دور هيئة الأمن القومي فى فضيحة إيران- كونترا ذكر فوللر إن ثمة إشكالية تتمثل فى إن النظام الايرانى ينظر إلينا كأعداء نكن الحقد على الجمهورية الإسلامية بصفة مبدئية"[622] ويصر فوللر فى تقريره المثير للجدل وفى تحليلاته الأخرى إن الولايات المتحدة سوف تدفع بإيران الى المعسكر السوفييتى ما لم تسمح لإسرائيل وغيرها بتسليح الملالى ويرى بأنه الى الحد الذى يمكن لحلفاء الولايات المتحدة بمن فيهم إسرائيل إن تملأ الفراغ العسكري فى إيران فان ذلك سوف يكون مقياسا لقدرة الغرب على تحدى الاتحاد السوفييتى[623]

حظي تحليل فوللر بمناقشة ساخنة من قبل مسئولين آخرين فى المخابرات.يقول تقرير فوللر إن " الثورة الإيرانية كانت زيفا وكان يقودها شلة من الإصلاحيين الزراعيين الذين لا يعنيهم الإسلام حقيقة وانهم سوف يصلون الى تفاهم مع الاتحاد السوفييتى." حسبما يذكر لانج " لقد حصلت على تقرير أخر جديد صدر بعد خمسة أشهر، وانتهى الى العكس تماما ولكنه لم يحدث نفس التأثير" فى خلال ذلك كان فوللر وتيتشر وغيرهما مستمرين فى الضغط لوضع تقرير فوللر فى إطار السياسة الامريكية محاولين استصدار مشروع قرار رئاسي يدعو الى:"سياسة عنيفة ترمى الى الحيلولة دون اى تقدم سوفييتي فى المدى القصير بينما تجرى محاولة استعادة وضع الولايات المتحدة فى إيران الى ما كانت عليه أيام الشاه." إن الدافع وراء ذلك يكمن فى ظروف الحرب الباردة التى كانت موجهة ضد الاتحاد السوفييتى بما فى ذلك الدعوة الى قيام تحالف مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية التى تتضمن " مقاومة مستمرة من جانب إيران للتوسع السوفييتى (بوجه خاص فى افغانستان)." ويشجع مشروع القرار إسرائيل وغيرها من حلفاء الولايات المتحدة على تسليح إيران ودعوة الولايات المتحدة الى" إنشاء اتصالات مع إيران ومساندة القادة

621- تقرير لجنة تاور ص 112-113

622- المرجع السابق ص114

623- المرجع السابق ص 115

الإيرانيين الذين يستجيبون لتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة " ويطالب أيضا إذاعة" صوت أمريكا " بزيادة جهودها من اجل فضح ادعاءات موسكو الإسلامية"

يكتب تيتشر:" مازالت إيران تمثل الهدية الإستراتيجية فى اللعبة الكبرى الجديدة " ويتفق ماكفرلين مع تحليل فوللر ويوجهني ومعي فورتير لإعداد مشروع قرار خاص بتوجيهات الأمن القومي. ويستند المشروع الى تحليل فوللر ويناقش مسالة....إن الولايات المتحدة يجب إن تقيم حوارا مع القادة الإيرانيين. ويتضمن الاقتراح إمداد إيران بمعدات عسكرية مختارة طبقا لمتطلبات كل حالة على حدة."[624] ومضت هذه المبادرة الخاصة بإيران فى طريقها ولكنها ضربت فيما بعد من قبل شولتز و وينبرجر. اشر الأخير على مشروع تيتشر بكلمة:" عبث" وذكر وينبرجر انه أضاف تعليقا يقول:"انه يشبه الدعوة الموجهة الى القذافى لحضور مأدبة عشاء فاخرة"[625]وحسبما يذكر تيتشر فان نائب الرئيس بوش وكذلك كيزى مدير المخابرات المركزية الامريكية قد أيدا المشروع بقوة"[626]

بنهاية ادارة ريجان أصبحت مبادرة إيران- كونترا تحت الأضواء، وتم استقصاؤها من قبل بعض الصحفيين ومن مدع خاص ومن لجان برلمانية. لقد سقط غصن الزيتون الذى لوحت به الإدارة الامريكية للإيرانيين لم يفرج سوى عن رهينة واحدة خلال المبادرة ولم يكن الإفراج بالضرورة نتيجة لها. ولم يتحدث احد من الإيرانيين المعتدلين، أما هؤلاء الذين تعاونوا مع ادارة ريجان واسرائيل سرا مثل على اكبر هاشمى رفسنجانى الذى سيغدو رئيسا لإيران فقد تخفوا تحت مظهر الأكثرين تشددا.

مع انسحاب القوات السوفييتية انتهى الجهاد الافغانى أو هكذا بدا الأمر. ولكن يظل مستمرا مدى مشروعية هذا الصراع، بما فى ذلك منفذي العمليات الإرهابية المدربين جيدا والآلية الإسلامية المنتشرة فى ربوع العالم كمصدر قلق للولايات المتحدة والغرب.

وتسقط افغانستان فى يد حركة طالبان الوهابية وتداهم الجزائر بحرب أهلية مع اليمين الاسلامى. ويشن الإرهابيون الاسلاميون هجمات مدمرة فى مصر

624- تيبتشر و تيبتشر ص ص 331-332

625- تقرير لجنة تاور ص 119

626- تيبتشر و تيبتشر ص 332

والعربية السعودية ولبنان ويوحد بن لادن القاعدة. فى خلال ذلك تجاهد الولايـــات المتحدة لتبنى سياسة متماسكة تجاه الإسلام السياسي. ويكون من نتائج فشلها فى ذلك واستمرار نظرتها المعتدلة تجاه اليمين الاسلامى ما أسفرت عنه بشكل مؤلم أحداث 11 سبتمبر 2001.

*

الفصل الثاني عشر

صـــــــدام الحضـــــارات ؟

انتهت الحرب الباردة سنة 1991. ولكن إذا كانت الحرب الباردة هي الحرب العالمية الثالثة، فهل يعنى هذا كما يجادل بعض المحافظين، أن الولايــات المتحــدة متورطة حاليا فى الحرب الرابعة، ولكن هذه المرة ضد الإسلام؟ هــل الأصــولية الإسلامية هي الشيوعية الجديدة؟ هل الحرب على الإرهــاب فــى القــرن الواحــد والعشرين يعادل الحرب ضد الاتحاد السوفييتى؟ والى اى حد فى الحقيقة كان تهديد الإرهاب الاسلامى خطيرا؟ وكيف تغيرت – إذا كان ثمة تغيــر علــى الإطــلاق- علاقة أمريكا بقضية الإسلام السياسي فى نهاية الحرب الباردة؟

إن الموضوع الأساسي لهذا الكتاب هو أن الإسلام السياسي كان ينظــر إليــه باعتباره حليفا ثمينا للولايات المتحدة أثناء الحرب الباردة. هل صار هذا التحــالف باطلا أو غير ذي جدوى بعد اختفاء الاتحاد السوفييتى بوصــفه منافســا للولايــات المتحدة؟ هل يوجه اليمين الاسلامى غضبته الى شياطين الغرب العلماني بعد القضاء على العدو الشيوعي؟ هل تواجه الولايات المتحدة الآن عدوا على النطاق العــالمي، وحشا مثل الهيدرا متعدد الرؤوس مرتبطا بشبكة من الدول – إيران، سوريا، ليبيــا، السودان، والعربية السعودية الذين يطلق عليهم مايكل ليدن، بطل إيران كونترا اسم " أرباب الإرهاب"؟

منذ 11 سبتمبر 2001 اكتسب الإحساس بــان الولايــات المتحــدة والعــالم الاسلامى يقفان على شفا صدام، اكتسب هذا الإحساس مصداقية، وإذا كانت الحرب العراقية الاولى سنة 1991 قد شهدت بداية النظام العالمي الجديد التى لم تدم ســوى لفترة قصيرة فهل ترمز الحرب العراقية الثانية (سنة2003) الى عصــر مختلــف تماما: عصر الصدام بين الحضارات؟

إن أصحاب هذه النزعة التى اكسبها الشعبية كل من برنارد لويس وصــمويل هنتنجتون – يرون أن حرب الرئيس بوش على الإرهاب ليست مجرد حرب علــى القاعدة وحلفائها الأصوليين وإنما هي معركة هائلــة تضــع الحضــارة المســيحية اليهودية على شفا جرف هار من الصراع الجهنمي مع العالم الاسلامى، واتساقا مع

هذا المفهوم جاء تعبير الحرب على الإرهاب المعروفة فى البنتاجون اختصارا بالحروف الاولى من Global War on Terrorism= G.Wot (gee what) فى تناغم مع كلمة "جهاد"."jihad"

ومن هنا كانت تصريحات شخصيات قيادية مثل جيمس وولسي المدير السابق للمخابرات المركزية الامريكية والمعلق نورمان بود هورتز بان المعركة ضد الإسلام هي فى حقيقة الأمر حرب عالمية رابعة، ويلحق بهم فى هذا الاتجاه عدد من الشخصيات الأساسية فى ادارة بوش الذين يضعون قوة اليمين الاسلامى وأحيانا قوة العقيدة الإسلامية نفسها موضع المقارنة مع الفاشية أو الشيوعية. أنها، حسبما يقولون، منافس عبر العالم يشكل وجوده خطرا يهدد الوجود الامريكى، ولذلك فانه يجب القيام بإجراءات لم يجر التفكير فيها من قبل. إن خوض غمار الحرب العالمية الرابعة يتطلب نظرية جديدة لحروب وقائية شاملة، يتطلب وضعا هجوميا يتضمن حروبا ضد افغانستان والعراق ودول أخرى وزيادات كبرى فى موازين القوة العسكرية والمخابراتية. أنها تعنى خلق حالة من المراقبة فى الداخل بالتعاون مع ادارة الأمن الداخلي وقانون الأمن الوطني وقيادة شمالية للبنتاجون لتحريك القوات المسلحة الى داخل الولايات المتحدة وأحكام جديدة لإدارة وزارة العدل تعطى المباحث الفدرالية والبوليس والقوات المشتركة لمحاربة الإرهاب موزعة على 53 مدينة من المدن الامريكية تعطيها سلطات خاصة جديدة.

غير انه بالفحص الدقيق لمقولة تصادم الحضارات نجد أن الحرب على الإرهاب وحملة بوش من اجل إعادة هيكلة الشرق الأوسط، نجد أنها تعج بالأوهام المتنافرة والتناقضات والأكاذيب المفضوحة. فالعدو الذى هاجم الولايات المتحدة فى 11 سبتمبر 2001 لم يكن هو الإسلام ولا الأصولية الإسلامية ولا الإخوان المسلمون ولا حزب الله ولا حماس ولا اى جماعة أخرى من الجماعات الإسلامية الميالة للعنف المنتمية الى اليمين الاسلامى، ولكنها كانت القاعدة. إن تنظيم أسامة بن لادن ليس قوة دولية وهو لا يشكل تهديدا للولايات المتحدة. إنه جماعة من المتعصبين يحكمه بناء محكم التنظيم والإدارة يتطلب ما هو أشبه بأسلوب المافيا أو الولاء القائم على قسم الدم، وهجومه على نيويورك وواشنطن سنة2001 اغضب العالم كله. والهجوم المضاد الفعال باستخدام المخابرات والإجراءات القانونية والضغط الدبلوماسي والضربات العسكرية المحكمة يمكن أن يضعفه ثم يقضى عليه. ومما لا شك فيه أن القضاء على القاعدة كان يمكن أن يتم بدون الحرب فى افغانستان وبدون الحرب على العراق وبدون"الحرب على الإرهاب". غير ان ادارة

بوش بالغت كثيرا فى التهديد الذى تمثله القاعدة نفسها. ومن المؤكد أن جماعة بـن لادن تستطيع أن تسبب دمارا شديدا. فمنذ 9/11 ضـربت أهـدافا فـى العربيـة السعودية واسبانيا وتركيا وأماكن أخرى. وبالرغم من أن الادعاء غيـر المؤسـس للمدعى العام اشكروفت سنة2001 بان الآلاف من ناشطى القاعـدة قـد اخترقـوا الولايات المتحدة، على الرغم من ذلك لم يحدث طيلة أربع سنوات من 2001/9/11 لم يحدث حادث عنيف واحد من جانب القاعدة فى الولايات المتحـدة. ولا يوجـد هناك اى دليل على أن القاعدة حصلت أو على وشك الحصول على أية أسلحة نووية أو بيولوجية أو كيماوية. باختصار فانه بينما يمكن لـبن لادن أن يوجـه ضـربات إرهابية وقد يمكنه أن يفعل ذلك مستقبلا فان التهديد الحقيقي الذى تمثله القاعدة يمكن أن يجهض ويمكن التعامل معه. إن الكثير من الدول الأخرى بما فى ذلك إسـرائيل وايرلندا وايطاليا قد مرت عبر تهديدات إرهابية اكثر خطورة خلال سنوات عديدة.

كذلك فانه لا القاعدة ولا رفاقها فى الايدولوجيا ولا اليمين الاسلامى كلـه ولا العالم الاسلامى يمثل هذا التحدي للسيطرة الامريكية التى كـان يمثلهـا بوضـوح الاتحاد السوفييتى، وليس هناك اى نوع من التوحـد بـين دول الشـرق الأوسـط ومعظمها يعانى من الإفقار والعنف وتضربها الانقسامات الداخليـة ولا يمكنهـا أن تشكل تهديدا للولايات المتحدة على النحو الذى يبرر الإقدام على ما يطلـق عليـه " الحرب العالمية الرابعة". غير أن إطلاق صفة التهديد الاسلامى بهذه المبالغة الشديدة مقصود به اصطناع حجة تستند إليها ادارة بوش وحلفاؤها من المحـافظين الجـدد لتوسيع التواجد الامريكى فى الشرق الأوسط الكبير الذى يشـمل باكسـتان واسـيا الوسطى ومنطقة شرق البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والمحـيط الهنـدي. يحق لنا أن نتساءل ما إذا كان الاحتلال الامريكى للشرق الأوسط يعود الى أهـداف أخرى غير مناهضة الإرهاب، وما إذا كان المقصود به محاولة المحافظين الجدد أن يبسطوا السيطرة العالمية للولايات المتحدة وزرع العلم الامريكى فى هذه المنطقـة الحيوية برغم أنها تعانى من عدم الاستقرار؟ أم هل يحدث ذ لك لان حـوالي ثلثـي بترول العالم يوجد فى العربية السعودية والعراق ؟ أم بسبب أن الولايات المتحـدة أقامت هذه العلاقات الحميمة مع ارييل شارون واليمين الاسرائيلى؟

إن تصوير الأمر على أن الإرهاب الاسلامى هو الهدف الحقيقـي للولايـات المتحدة يتناقض مع الأهداف السياسية لإدارة بوش فى الشرق الأوسـط. وإذا كـان العدو حقا هو الإرهاب الاسلامى فلماذا توجه الإدارة كل هذه الجهود ضد العـراق وسوريا ومنظمة التحرير؟ فكل من رئيس سوريا بشار الأسد ورئيس منظمة التحرير

الفلسطينية الراحل ياسر عرفات كانا منافسين لدودين للإخوان المسلمين بل لقد وجدا نفسيهما يضافان بلا مناسبة لقائمة حلفاء القاعدة. كذلك اختارت ادارة بوش بمهاجمة العراق هدفا غير مناسب. فمنذ توليه السلطة سنة 1968 كان صدام حسين عدوا لدودا للإسلاميين بدءا من إيران الخومينى الى الجماعات الإرهابية الشيعية وحتى القاعدة نفسها. وكان حزب البعث العربى الاشتراكي فى كل من العراق وسوريا علمانيا مؤكدا وكانت جهود ادارة بوش لإلحاق العراق بالقاعدة موضع سخرية من جانب المخابرات المركزية الامريكية ومن جانب ادارة الدولة. وفى الحقيقة فانه بمهاجمة العراق خلق الرئيس بوش قضية مشتركة مع اليمين الاسلامى: فقبل وأثناء وبعد الغزو ساندت الولايات المتحدة التحالف الموجود فى المنفى المسمى المؤتمر الوطني العراقي الذى كان يلعب دورا أساسيا، إذ يضم حزبين شيعيين أصوليين هما المجلس الأعلى للثورة الإسلامية فى العراق وحزب الدعوة الاسلامى.؟وكل من هذين الحزبين له ارتباطات وثيقة بجمهورية إيران الإسلامية وعمل كلاهما مع آية الله على السيستانى.

إن ادارة بوش لم تنتق فقط الأهداف الخاطئة بل إن حربها العسكرية على الإرهاب تمت كذلك بالطريقة الخاطئة التى تتبعها للحد من دعاوى اليمين الاسلامى. فوضع القاعدة والجهاد الاسلامى ومثيلاتها من الجماعات الإرهابية فى جانب وتكديس جماعات اليمين الاسلامى الأخرى الأكثر اتساعا فى المؤسسات والأحزاب السياسية فى العالم الاسلامى إنما يمثل فى الواقع تهديدا خطيرا ليس فقط لأمن الولايات المتحدة وإنما للحكومات والمثقفين والتقدميين والمفكرين الأحرار فى مجموعة الدول التى تمتد من المغرب الى اندونيسيا. ولكن هناك تهديدا حقيقيا آخر فى الشرق الأوسط يتمثل فى جبهة الخلاص الإسلامية فى الجزائر والإخوان المسلمين فى مصر الى حماس فى فلسطين الى الأصوليين الشيعة فى العراق الى حزب الجماعة الإسلامية فى باكستان وجميعهم يساندهم رجال الدين الوهابيون النصوصيون فى العربية السعودية، بالإضافة الى منظمات أخرى مثل رابطة لعالم الاسلامى والبنوك الإسلامية. ولكن هذا التهديد ينبغي ألا يتم التعامل معه بالوسائل العسكرية. وفى الحقيقة فان الأمر سوف يزداد سوءا بالتناسب مع التدخلات السياسية والعسكرية الاقتصادية فى شئون المنطقة. إن الولايات المتحدة لن تستطيع التغلب على الغضب والقمع والرفض الذى يغذى الجماعات الإسلامية إلا بالانسحاب السريع من افغانستان والعراق وخفض التواجد الصلف للولايات المتحدة فى العربية السعودية والخليج وتوجيه المساعدات الامريكية الى الوطنيين الفلسطينيين بدلا من إسرائيل. ويجب أن تكف الولايات المتحدة عن مساندة المعارضة العدوانية من

جانب إسرائيل للقضية الوطنية الفلسطينية. هذا هو الموقف الذى تستطيع الولايات المتحدة أن تتخذه لتطفئ نار الغضب والكبت والرفض الذي يثير ثائرة الإسلاميين.

إن تحجيم التدخل الامريكى فى الشرق الأوسط يتناقض مع سياسة الإدارة الامريكية المتبعة حاليا فى الشرق الأوسط. ولكن الإدارة طرحت ربما بخبث شديد فكرة المعركة الواسعة ضد الإرهاب لتواصل سياستها الرامية الى إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط بكامله. إن المحافظين الجدد الراديكاليين أو"المثاليين" من مسئولي الإدارة الامريكية الى المتربعين على كراسيهم من الاستراتيجيين فى "مواقع إعداد الأفكار "(مثل المؤسسة الامريكية للمشروعات الرأسمالية ومؤسسة هدسون ومشروع القرن الامريكى الجديد) الذين أعلنوا أن الحروب فى افغانستان والعراق هي أولى الخطوات التحريرية الجامعة ضمن خطة كاسحة للسيطرة على إيران وسوريا والعربية السعودية ودول الخليج بل وأكثر من هذا أن أغلبية المسئولين فى ادارة بوش فى نفس الوقت الذى يتجنبون فيه عرض وجهات نظر المحافظين الجدد يؤيدون فكرة اكبر وجود امريكى عسكري فى المنطقة من شمال إفريقيا الى اندونيسيا.

ويجادل المفكرون الجادون المنتقدون لسياسة بوش الحالية التي تقوم على محاربة الإرهاب بالقوة المسلحة وادعاءاته الامبريالية – يجادلون بأنها تمثل إستراتيجية لضمان الرد المسلح وإنها مخططة لخلق المزيد من الإرهابيين اكثر منها لقتلهم. إن الغضب الناجم عن احتلال العراق وأفغانستان من شانه أن يجذب المزيد من الجهاديين الى المعركة فى هذين البلدين وان هذا الصراع يمكن أن يمتد الى باكستان والعربية السعودية حيث يمكن أن يتسبب فى إسقاط الحكومات المحافظة التى تلتحف العباءة الإسلامية ليخلفها فى الحكم جماعات متأسلمة متضاربة منشقة اكثر راديكالية مرتبطة ببن لادن والمجاهدين وطالبان والوهابيين الأكثر تطرفا وتعمل سرا.

ثمة وجه آخر لسياسة ادارة بوش الشرق أوسطية التى يمكن أن تؤدى الى نتائج لا تقل ضررا، وهى دعوته المتبجحة من اجل إجراء إصلاح ديمقراطي.

إن مساندة ادارة بوش لدعوى الديمقراطية فى المنطقة هي على الاقل السطح الظاهر من سياسته الصادمة ذات الوجهين – فلعدة سنوات، خاصة خلال الحرب الباردة كانت الولايات المتحدة تساند الدكتاتوريات التى قفزت الى السلطة نتيجة الانقلابات سواء كانت ملكية أو إماراتية أورؤساء جمهوريات مدى الحياة فى المنطقة وحول العالم، فى العربية السعودية والأردن ومصر والخليج واستمر الكثير

فى الحكم جزئيا بفضل تحالفهم مع اليمين الاسلامى،وبتأييد واضعي السياسة الامريكية وخلال هذه السنوات كانت المعارضة للأوتوقراطية اللصوصية وللأنظمة اليمينية الحاكمة تأتى أساسا من اليسار ومن اللبراليين الأمريكيين ومن اليسار الاوربى ومن الاتحاد السوفييتى. مما لاشك فيه أن القضاء على الدكتاتورية وقيام الديمقراطيات الناشئة فى العالم العربى وإيران وباكستان وأفغانستان وإفريقيا الإسلامية ينبغي أن يقيّم بوصفه هدفا نبيلا. ولكن النص الديمقراطي الذى تقدمه ادارة بوش أمر مشكوك فيه- أولا لأنه انتهازي فالدافع لإدارة بوش للتركيز على الإصلاح الديمقراطي العربى إنما جاء لان غزو العراق سنة 2003 تم بزعم العثور على أسلحة دمار شامل أعدها صدام حسين ولكشف علاقاته المزعومة بتنظيم القاعدة. وعندما تكشف كذب هذين الادعاءين تحول بوش الى ذرائع جديدة وهى أن هدف الحرب هو استحضار الديمقراطية للعراق. وثانيا لان ادارة بوش تفرق بخبث بين الدكتاتوريات الموالية لأمريكا فى الشرق الأوسط والديمقراطيات المعارضة لها فتركز ضغوطها على النوع الثاني. وبخصوص سياسة ادارة بوش الامبريالية فى الشرق الأوسط فان مطالبتها بتطبيق الديمقراطية ليست فى الواقع سوى رأس حربة لمزيد من تكثيف التدخل السياسي والعسكري فى المنطقة. إن الديمقراطيات الحقيقية فى الدول المنتجة للبترول يجب أن تتبع سياسة جريئة ومبادرات وطنية، وهذا هو الضمان الوحيد لكشف خطط بوش الطائشة طويلة الأمد تجاه المنطقة. إن الاعتقاد الساذج بان الولايات المتحدة باستمرارها فى إتباع إستراتيجية تغيير الأنظمة فى جزء من العالم يحوى ثلثي بتروله يتطلب ظهور حكومات قد تقاوم السيطرة الإقليمية للولايات المتحدة. من المؤكد أن ادارة بوش لا تفضل التطور الديمقراطي فى البلاد العربية أو إيران مما يمكن أن يؤدى الى توثيق الروابط مع دول مثل روسيا والصين على حساب الولايات المتحدة الامريكية ومن هنا فهى تنادى بدلا من ذلك بتغيير ديمقراطي فى الشرق الأوسط يسمح لإدارة بوش أن تمارس الكثير أو القليل من الضغوط حسبما ترى على حكومات المنطقة من اجل تحقيق أهداف معينة تتعلق بأمنها القومي.وهكذا يتم حاليا عصر سوريا بين إسرائيل من ناحية والعراق المحتل وأفغانستان الذى تحكمه قوات الناتو(حلف شمال الاطلنطى)،من ناحية أخرى. وقد حققت الولايات المتحدة منذ سنة 2001 وضعا متفوقا لم يسبق له مثيل فى المنطقة ولا يرغب المحافظون الجدد الذين سعوا من اجل نشوب الحرب فى العراق ونجحوا فى ذلك، لا يرغبون فى اكثر من جهود أمريكية متزايدة من اجل فرض تغيير النظام بالقوة فى سوريا وإيران وإيجاد تكتل من الدول الجديدة تتعاون مع إسرائيل وتركيا وباكستان ولكنها تنظم وتدار تحت الهيمنة الامريكية.

ولكن ماذا عن الأوتوقراطيات الموالية لأمريكا كالعربية السعودية والأردن ومصر؟ هنا يجب أن توزن الجهود المبذولة بميزان الذهب الى الحد الذى يمكن فيه للرئيس بوش أن يوسع ضغوطه من اجل ديمقراطية امبريالية فيما وراء العراق وسوريا وإيران ومنظمة التحرير الفلسطينية الى الدول الموالية للغرب فى المنطقة لأنها تتشكل من مكونات لها تطلعات مختلفة ورؤى مختلفة. وقد أرسلت الإدارة الامريكية إشارات مختلفة الى حليفتيها العربيتين الأكثر أهمية. يريد التيار الأساسي من واضعى السياسة الامريكية والمسؤولون فى المخابرات المركزية الامريكية والإدارة الامريكية وحلفاؤهم ممن لهم استثمارات فى المنطقة كشركات البترول والبنوك ومقاولو الدفاع، يريدون من ادارة بوش إن توالى الضغوط على مصر والرياض من اجل التغيير بينما يحاول غيرهم الذين يبدو أنهم يسيرون طبقا لمزيد من التوجهات الإيديولوجية، أن يستعرضوا عقيدتهم المسيحية بان تجربة العراق ينبغي أن تفرض بالقوة فى كل من مصر والسعودية. وبعض المحافظين الجدد الراديكاليين من أمثال ريتشارد بيرل ومايكل ليدين يضع العربية السعودية مع سوريا وإيران فى كومة واحدة كمساندين للقاعدة ويطالب بإضافة السعودية الى قائمة محور الشر التى يصنفها الرئيس كأعداء وجميعهم تجاهلوا أن مصر والسعودية كلتاهما كانتا تحت ضغوط داخلية وخارجية استمرت عدة عقود من اجل لبرلة (تحرير) أنظمتهما وان كلا منهما كان يقوم من حين لآخر وبحرص ببعض الإصلاحات الديمقراطية ثم لا يلبث أن يتراجع. أن الحاجة الى استخدام الأساليب الناعمة مع هذين البلدين عادة ما يغيب عن شركاء بوش فى الإدارة، الأكثر تعلقا بالاعتبارات الإيديولوجية.

غير انه فى سياق اختبار سياسة الولايات المتحدة تجاه اليمين الاسلامى فإننا نجد أن الحالتين التوامتين لمصر والسعودية محفوفة باحتمالات خطيرة. فالضغوط الزائدة من اجل "اللبرلة" فى اى منهما قد تؤدى الى وقوع السلطة فى ابدى اليمين الاسلامي. وكما حدث أثناء الحرب الباردة مثلا حينما فضلت الولايات المتحدة الاتجاهات الإسلامية على القومية العربية. وعبرت ادارة بوش وحلفاؤها من المحافظين الجدد أيضا عن تفضيلها لليمين الاسلامى. وإذا اضطرت الولايات المتحدة أن تختار بين الأنظمة فى مصر والسعودية، وأيها تفضل: القومية العربية ذات التوجه اليساري أو اليمين الذى يستند الى الإسلام فان واشنطن سوف تفضل الإسلام كل مرة برغم دعاويها وبياناتها البليغة بشان الصدام بين الحضارات. إن ادارة بوش لم تتردد إطلاقا فى البحث عن حلفائها فى اليمين الاسلامى. فى العراق وجدت نفسها بعد الحرب فى شراكة مع آية الله السيستانى وحزبان إيرانيان

متصلان معا والقوى المنظمة للشيعة الأصوليين. كذلك فضل القادة من المحافظين الجدد مساندة اليمين الشيعي فى أماكن أخرى بما فى ذلك داخل السعودية نفسها حينما تجاوزوا الشعارات المنادية بالإصلاح الديمقراطي ليطالبوا بتقسيم العربية السعودية، وإنشاء دولة شيعية فى الإقليم الشرقي للسعودية حيث يشكل الشيعة الأغلبية. وفى غزة والضفة الغربية مضى اريل شارون يتلاعب باستخدام حماس والجهاد الاسلامى وحزب الله ليقطع أوصال منظمة التحرير الفلسطينية. وفى سنة 2005 ظهرت حماس كأقوى قوة انتخابية فى غزة. ويبدو انه حتى هؤلاء الذين يصدرون اشد التحذيرات حول معركة هائلة بين الإسلام والمسيحية جاهزون لمحاولة البحث عن توافق مع الجناح اليميني للإسلاميين.

ومع ذلك وبهدف كسب الرأى العام تكتفي ادارة بوش بتصوير سياستها فى الشرق الأوسط على أنها تقوم على أساس تصادم الحضارات ويقوم بعض حلفائها وخاصة اليمين المسيحي بالحط من قدر الإسلام وتصويره كعقيدة للشر والعنف. والادعاء بان الأصوليين الإسلاميين وبن لادن يكرهون ما نتمتع به من حريات اكثر مما يكرهون سياساتنا. ان بوش فى واقع الأمر يعد مسرح الحرب على الارهاب بأشد التعبيرات صرامة حيث يصور أمريكا بأنها بلد يخشى الله فى مواجهة محور الشر. وبالرغم من الادعاءات المتناقضة بشأن الحرب على الارهاب فانه يمكننا القول بان الملايين من شعب الولايات المتحدة قد تم بيعهم لفكرة أن العالم المسيحي والعالم الاسلامى لا مجال أمامهما فى النهاية سوى ان يحارب أحدهما الآخر.

ماذا حدث خلال الفترة من 1991- 2001 ليتحول الإسلام من حليف الى عدو لدود. الإجابة السهلة تلقى اللوم على الصدمة التى تلت هجمات القاعدة سنة 2001. ومن اجل متابعة التحول من النظام العالمي الجديد الى تصادم الحضارات يجب أن نشير الى ثلاث أزمات للإسلام السياسي خلال التسعينات: الجزائر، مصر وصعود طالبان. كانت السنوات الاثنتى عشر بين الحربين العراقية الاولى الى الحرب العراقية الثانية، كانت مرحلة من التغييرات المذهلة بالنسبة للشرق الأوسط. ففي الجزائر دفع الإسلام اليميني البلاد الى حرب أهلية وحشية حينما أنكر عليه حقه فى الانتصارات التى حققها فى انتخابات 1991. وفى مصر كادت حركة سرية إرهابية يؤيدها الإخوان المسلمون سرا أن تسقط مبارك فى منتصف التسعينات. بعد ذلك ساندت باكستان حركة طالبان التى سيطرت على كابول وفرضت على البلاد اكثر الأنظمة الثيوقراطية صرامة.

خلال هذه الأزمة فشلت ادارة بوش وبيل كلينتون فى تطوير سياسة متماسكة تجاه الإسلام السياسي. وبالرغم من أن الإخوان المسلمين واليمين الاسلامى السياسي سيطروا على إيران وأفغانستان وباكستان والسودان وهددوا مصر وسوريا والجزائر والسلطة الفلسطينية لم يستطع أيا من كلينتون أو بوش أن يدرك النتائج والتداعيات، ولم يتنبه نظام المخابرات المركزية الامريكية المزهو بنفسه وآلياته المضادة للإرهاب لم يتنبه بادئ ذي بدء الى ظهور القاعدة، ثم وبعد أن تمكنت المنظمة من إثبات تواجدها بسلسلة من الهجمات التى قامت بها أواخر التسعينات، فشلت (المخابرات الامريكية) فى وقفها. ولو أنها تجاوبت بشكل مختلف وفيما لو تمكنت من إدراك مغزى الحركة الإسلامية فى ذلك الحين، وفيما لو تمكن محللو المخابرات المركزية والعاملين فيها من تتبع التنظيمات العديدة التى خرجت من عباءة الإخوان المسلمين وطالبان فلربما تغير مجرى أحداث سنة 2001، وما كان ليحدث ما حدث بعدها. وبالتأكيد لو كانت الولايات المتحدة قد وضعت سياسة متماسكة تجاه الإسلاميين خلال التسعينات لأصبح الادعاء بوجود خطر يواجه أمريكا فيما يطلق عليه تصادم الحضارات، ما كان ليكتسب ما يتمتع به الآن من جاذبية.

بنهاية الحرب الباردة تباينت ردود الفعل فى الولايات المتحدة - إزاء حركة إعادة البعث الإسلامية بين الاتجاهات الأكاديمية والهيئات المختصة برسم السياسات. فالبعض كان يرى تطوير سياسة عقلانية تجاه الإسلاميين، وآخرون كانوا يريدون التعامل معهم على أساس كل حالة على حدة اى تختلف من بلد الى آخر. كان البعض يرى ضرورة مجابهة الإسلاميين والبعض الآخر يرى ضرورة التعامل معهم أو مهادنتهم. كان البراجماتيون يرون أن سياسة الولايات المتحدة يجب أن تظل قائمة على مساندة الأنظمة الحالية الموجودة فى مصر وعمان والجزائر وغيرها. ولكن ذوى الفكر المثالى كانوا يرون انه ينبغي تأييد الفكرة القائلة بضرورة إتاحة الفرصة للديمقراطية كي تزدهر فى المنطقة حتى لو كان الاسلاميون فى وضع يمكنهم من كسب الانتخابات. خلال الفترة من 1991-2001 كانت سياسة الولايات المتحدة إزاء اليمين الاسلامى مرتبكة ومتناقضة فى حالة عدم تجاهلهم، كان الجميع متفقين على أن الارهاب الاسلامي شئ سئ، ولكن يتوقف اتفاقهم عند هذا الحد.

إن انتهاء الصراع الامريكى السوفييتى فى الشرق الأوسط ترك الولايات المتحدة تواجه منطقة كان الإسلام السياسي هو اللاعب الأساسي فيها. ويشمل الإسلام السياسي اطيافا من الأنظمة المحافظة فى باكستان والعربية السعودية الى

الأنظمة الراديكالية فى إيران والسودان الى منظمات متطرفة فى إطار حكومي مثل الإخوان المسلمين وطالبان وحزب الله الى خلايا إرهابية تنتمي الى اليمين الراديكالي(الاصولى) مثل القاعدة، كان بعضها حليفا والبعض الأخر يشكل تهديدا غامضا وغيرها كان عدوانيا بشكل خطير. فكيف التمييز بين العدو والصديق؟

ثلاث أزمات فى التسعينات

خلال التسعينات تعاملت الولايات المتحدة بشكل يشوبه التردد مع اليمين الاسلامى المشتعل غضبا أولا فى الجزائر ثم فى مصر ثم فى افغانستان. فى الحالات الثلاث كان الاسلاميون قادرين على التقارب مع المقاتلين الذين صقلتهم المعارك فى عمليات الجهاد الافغانى التى تمت برعاية الولايات المتحدة وطبقوا فيها المهارات التى اكتسبوها فى الحرب بما فى ذلك صناعة القنابل والهجمات الانتحارية والهجمات الخاصة بحرب العصابات.

عندما رحل السوفييت عن افغانستان بدأ اليمين الاسلامى يظهر مهددا الاستقرار والأمن ومصالح الولايات المتحدة. بعد عام واحد من قيام الثوار الإسلاميين بإسقاط الحكومة الشيوعية فى افغانستان –أخذت أصداء الحرب الأفغانية تتردد فى أنحاء العالم الاسلامى، بعد أن امتشق المجاهدون الذين كانوا فى المعركة السلاح فى محاولة لإسقاط الحكومات فى الجزائر ومصر وغيرها من الدول العربية...وحسبما جاء فى تقرير لمراسل نيويورك تايمس سنة 1993 يقول الدبلوماسيون الغربيون والمسئولون العرب أن الآلاف من المجاهدين الإسلاميين انخرطوا فى حملات سرية عنيفة لإسقاط الحكومات فى الجزائر ومصر واليمن وتونس والأردن وتركيا وغيرها من البلاد الإسلامية القائمة وأنهم يستخدمون افغانستان كقاعدة لهم.[627] ومشبعين بوعي جديد وإيمان أن تمردهم قد مكنهم من هزيمة قوة عظمى فى افغانستان،اخذ اليمين الاسلامى يختبر أبعاد قوته الجديدة.

627- كريس هدجز الجهاديون الاسلاميون يشاركون الخط الافغانى – صحيفة نيويورك تايمس -28 مارس 1993 ص14

الجـــزائر

فجرت أزمة 1992- 1999 فى الجزائر أول مراجعة حكومية مـن جانـب الولايات المتحدة لسياستها الخارجية تجاه الإسلام السياسي منذ الثـورة الايرانيـة. خلال سبع سنوات من الحرب الأهلية فى الجزائر كانت سياسة الولايـات المتحـدة تتذبذب فى هذا الاتجاه أو ذاك طبقا لوجهات نظر متعارضة وسـط اتهامـات فـى باريس وغيرها من دول أوربا بأن واشنطن تميل فـى سياسـتها الخارجيـة الـى الإسلاميين الجزائريين من اجل مصالحها الخاصة فيما يتعلـق بـالبترول والغـاز ومصالحها الصناعية فى شمال إفريقيا على حساب أوربا. كان الموقف الذى تتخذه الولايات المتحدة فيما يتعلق بالجزائر مشكلة محيرة، إذ هو الاختيار بين المتمـردين الإسلاميين الذين استطاعوا إحراز مكاسب انتخابية وبين حكومة متمترسة يسـيطر عليها العسكريون ولكن نظامها علماني وأوقفت الديمقراطية لمنع الإسـلاميين مـن تحقيق الفوز. لم تكن المسالة المطروحة هي ما إذا كان على الولايات المتحـدة أن تتدخل بشكل مباشر، فلا احد من الجانبين يريد ذلك، ولم يكن ذلك على أيـة حـال امرأ عمليا، ولكن كان على واشنطن الاختيار بين أن تؤكد مساندتها لتجربة الجزائر فى الديمقراطية وهذا يصب فى مصلحة الحركة الإسلامية الراديكالية (الأصولية) أو أن تقف الى جانب الجيش الجزائري. وبالرغم من أن واشنطن كانت تبحث عن حل وسط فإنها فى نهاية الأمر تسامحت فعلا تجاه قمع الجيش للإسلاميين. ولم تكن هذه نتيجة سعيدة بالمرة. غير انه لو أن الولايات المتحدة أدانت النظام الجزائري وألقت بثقلها الى جانب اليمين الاسلامى لأصبحت النتائج فى الجزائر وعلى نطاق المنطقة كارثية.

بدأت الأزمة الجزائرية سنة 1989 بتاسيس جبهة الخلاص الاسلامية. وفـى يونيو 1990 حققت الجبهة انتصارا مدويا فى الانتخابات المحلية. ثم- فى ديسـمبر 1991 صدمت الجبهة الحزب الحاكم (جبهة التحرير الوطني) حيث فـازت ب118 مقعدا مقابل 16 مقعدا للحزب الحاكم. ولكن قبل أن تبدأ الجولة الثانية وقبل أن تأخذ جبهة الخلاص الإسلامية السلطة تدخل الجيش فألغى التصويت وتم القـبض علـى عشرة آلاف من أعضاء الجبهة ومؤيديها. وإذ أنكر على جبهة الخلاص فوزها شنت حملة من الارهاب وتم اغتيال رئيس الجمهورية وأطلقت على الوزراء القنابل وقتل المئات من موظفي الأمن والشرطة بواسطة مسلحي جبهة الخلاص وبدأت الحـرب الأهلية. وخلال عقد ظهرت منظمة أخرى تسمى " الجماعة الإسـلامية المسـلحة"

تربطها علاقة ضبابية بجبهة الخلاص. وعندما ازداد العنف كثافة بدا استخدام شرطة محلية تابعة للإسلاميين وظهرت جماعات ظل برلمانية وبدأت حملة من الذبح وهدم القرى وتعذيب وذبح النساء والأطفال ومات عشرات الآلاف.[628] غيران جبهة الخلاص لم تظهر فجأة سنة1989. فكما حدث فى باكستان ومصر وسوريا والسودان وأفغانستان خلال الحرب الباردة قام اليمين الاسلامى ببناء قوته فى المعركة ضد اليسار والوطنيين الجزائريين خاصة فى حرم الجامعات. وكما حدث فى افغانستان حيث ارتبط " الأساتذة" بالإخوان المسلمين فى مصر، وقاموا ببناء جمعية سرية من الإسلاميين فى كابول في الستينات والسبعينات، ظهرت فى الجزائر مجموعة من الأساتذة والمدرسين من مصر كان الكثيرون منهم من الإخوان المسلمين الذين كانوا قد تعلموا فى الجامعات السعودية واستقدموا الى الجزائر لتعليم اللغة العربية للجزائريين الذين يتحدثون الفرانكفونية. كان هذا الكادر بالإضافة الى إسلاميين آخرين منهم الشيخ محمد الغزالي والشيخ يوسف القرضاوى وهما من قادة الإسلاميين فى مصر الذين لجئوا الى دول الخليج وكانوا رفاق طريق للإخوان المسلمين ويحبون كثيرا ملوك البترول أو الذين شجعوا الصحوة الإسلامية أثناء عملهم بالجزائر فى أواسط الثمانينات. [629] خلال الثمانينات قام هذا الكادر من الناشطين من اليمين الاسلامى بجملة من الهجمات الإرهابية ضد الحكومة الجزائرية. كثير من هؤلاء الإرهابيين المتورطين كانوا فى افغانستان أو كانوا يذهبون ويعودون من والى الجهاد. احدهم يدعى عبدا لله انسي، التحق بقوات بن لادن وعزام فى تنظيم مناضلي القاعدة (مكتب الخدمات) وحينما اغتيل عزام حل محله أنسي.

فى الوقت الذى أنشئت فيه جبهة الخلاص الاسلامى كانت تسيطر على آلاف المساجد فى كافة أنحاء البلاد وأنشأت جهازا سياسيا دينيا. ومثلها مثل طالبان كانت حيثما تسيطر على حكومات إقليمية أو محلية تخلق ما يناسبها من المحرمات الثقافية الإسلامية مجبرة النساء على ارتداء الحجاب وتغلق مخازن الشراب وأندية الفيديو وعادة ما تعاقب هؤلاء الذين لا يخضعون لتعليماتها. أدانت جبهة الخلاص الاسلامى المتعلمين الجزائريين والطبقات الوسطى العلمانية وأعلنت عن نيتها " لمنع فرنسة

628- من اجل متابعة الحرب الاهلية فى الجزائر بتعقيداتها خلال الفترة من 1992-1999 ينظر الفصل 11 من " منطق المذابح فى الحرب الجزائرية الثانية " من مؤلف Gilles Kepel : الجهاد : فريضة الإسلام السياسي" كامبردج 2002 ص ص 254-275 - ..

629- كيبيل ص 165

الجزائر ثقافيا وإيديولوجيا "[630] قبل شهر واحد من انتخابات ديسمبر التى فازت فيها جبهة الخلاص، قامت فرقة قد تكون مستقلة أو من الرجعيين الإسلاميين الجزائريين بعمل ارهابى بالغ العنف كان صادما للبلاد:

" كان المشهد الأول من العملية هجوم دموي على موقع حدودي قامت خلالــه مجموعة من الجزائريين الأفغان المحترفين بقطع رؤوس عدد من جنود الجــيش أو المجندين إلزاميا....وتم اختيار تاريخ هذه العملية بعناية – قبل أربعة أيــام – مــن الاحتفال بالذكرى الثانية لاستشهاد عبد الله عزام فى بشاور. كان هذا بداية الجهــاد على ارض الجزائر."[631]

كثير من الجزائريين كان يخشي أن تقوم حكومة إسلامية فتؤسس عهدا مــن الارهاب. كان هذا بمثابة إنذار لعدد من الحكومات العربية تشــمل مصــر والأردن وتونس والمغرب خوفا من أن تؤدى ظهور حكومة إسلامية فى الجزائر الى انتشار العدوى فى المنطقة. بالنسبة للولايات المتحدة، فرض عليها الجيش الجزائري مشكلة سياسية حساسة. هل تبارك واشنطن قمع الجيش لنتائج الانتخابات أم تدافع عن حق جبهة الخلاص واليمين الاسلامى؟

كان هذا مشكلة محيرة بالنسبة للإدارة الامريكية المشغولة بالنظــام العــالمي الجديد. وأصبح بوش ووزير الخارجية جيمس بيكر قلقين فيمــا يتعلــق بمســتقبل الإسلاميين بالجزائر ولكنهما انحازا بصفة شبه رسمية الى الجيش الجزائري واتخذا موقفا أطلق عليه احد النواب فى تقرير قدمه بعنوان " نوع مــن الغمــز والإيمــاء "[632]،(الغمز بالعين علامة الرفض والإيماء بالرأس علامة الموافقة) . قــال ببكــر موضحا موقفه فيما بعد " حينما كنت فى الإدارة اتبعنا سياسة اســتبعاد الراديكاليــة الإسلامية في الجزائر حتى حينما أدركنا أن هذا كان الى حد ما على النقيض مــن اتجاهنا المساند للديمقراطية.[633]

غير أن كثيرا من المسئولين الأمــريكيين الآخــرين بمــن فــيهم مســئولو المخابرات المركزية الامريكية الذين كان لديهم اتصالات بجبهة الخلاص الوطني لم يوافقوا على سياسة بوش– بيكر هذه.

630– المرجع السابق ص 170

631– المرجع السابق ص 174

632– لجنة الكونجرس للعلاقات الخارجية–المعركة تتصاعد.:الإسلام والسياسة فــى الشــرق الاوســط 1993، ص ص 2و6 ، مقتبس من أمريكا والإسلام السياسي (كمبردج ماسوشتس، 1999) ص75.

633– مقابلة مع جيمس بيكر 3 – مجلة الشرق الأوسط ربع السنوية سبتمبر 1994 ص 83

كان هناك خلاف حول سياسة بوش- ببكر فيما يخص منع الإسلاميين في الجزائر، حسبما يرى روبرت بللترو، وهو سفير سابق ومسئول عالي المستوى في الإدارة الامريكية: " فورا بعد انجلاء غبار قيام العسكريين بإلغاء نتيجة الانتخابات كنا في وضع حرج "، وبعد 24 ساعة اتخذنا موقفا عكسيا. واخترنا وجهة نظر اكثر مرونة."[634]

كانت ادارة بوش في حيرة من أمرها فيما يتعلق بكيفية التعامل مع التحدي الاسلامي في الجزائر وقررت مراجعة موقفها، ولكن ذلك كان ضربا من العشوائية، إذ كيف يمكن الوصول الى اتفاق في مسألة لا يعرف عنها سوى القليل حتى من جانب الخبراء ويختلف حولها السياسيون في قمة المسئولية في الإدارة ويجهلها أعضاء الكونجرس تماما. لم تكن خطوط المعركة قد تحددت بعد، ولكن كان هناك على الاقل وجهتا نظر أخذتا في التبلور، أحداهما وهي توفيقية وترى أن الولايات المتحدة لا ينبغي لها أن تخشى اليمين الاسلامي وان الدبلوماسيين ومسئولي المخابرات المركزية عليهم أن يبدؤوا مجهودا على النطاق الدولي من اجل فتح اتصالات مع الإسلاميين العازمين على نبذ العنف ابتغاء بدء الحوار، أما وجهة النظر الثانية - وهي لا تزال ناشئة - فهي تمثل مدرسة تصادم الحضارات التي تعتقد أن العالم الاسلامي و بالأساس وبشكل غير قابل للتغيير معادي للغرب. طبقا لوجهة النظر هذه فان عدو الولايات المتحدة ليس القاعدة فقط وليس حتى الجناح اليميني من الإسلام السياسي ولكنه عداء مستحكم يعود الى أصل الديانة الإسلامية والقرآن، والحضارة الإسلامية في تطورها خلال ثلاثة عشر قرنا. خلال التسعينات أكتسبت كل من هاتين المدرستين زخما وواجهت إحداهما الأخرى. ولسوف يبرز قياديان أكاديميان يمثلان الجانبين: الجانب التوفيقي ويمثله جون إسبوسيتو من جامعة جورجتاون؛ وبرنارد لويس من جامعة برنستون ويمثل مدرسة " تصادم الحضارات"

في سنة 1992 اتخذ قرار بتعيين ادوارد جرجيان، وكان في ذلك الحين مساعدا لسكرتير الدولة لشئون الشرق الأدنى ليكون مشرفا على الجهود المبذولة من اجل وضع سياسة جديدة تجاه الإسلام. ووقع عليه الاختيار ليلقي خطابا في يونيو 1992 في ميريديان هاوس في واشنطن. يقول ديفيد ماك:" جاءتني الإدارة الامريكية وقالت لي:، نحن نريد سياسة بخصوص الإسلام،". كان ماك وقتئذ نائبا لجرجيان ويقول أن الخطاب صمم جزئيا ليكون معارضا لوجهة نظر مسئولي

634- روبرت بللترو مقابلة مع المؤلف ابريل 2004

الإدارة الامريكية الذين كانوا قد أخذوا فى مناقشة وجهة النظر التى تقول انه ينبغي على الولايات المتحدة أن تتعامل مع الإسلام باعتباره العدو العالمي الجديد." كـان البعض وبوجه خاص ريتشارد شيفتر من مكتب حقوق الإنسان، يقولون أن الإسلام يمثل خطرا، بطبيعة الحال كان هذا معاصرا للوقت الذى بدأت فيه نظرية تصـادم الحضارات تطفو على السطح." يقول ماك:" حاولنا جهدنا أن نحرز تقدما. كان لدينا مؤتمر داخلي كبير مع رجال من "شئون الشرق الأدنى" ومن "مكتـب المخـابرات والأبحاث"، و"حقوق الإنسان" وعدد من الخبراء من خارج الإدارة – فـى شـئون الشرق الأدنى. كتبت مشروع الخطاب الذى سوف يلقيه جرجيان وعرضناه علـى جيمس ببكر الذى قال:" موافق، عظيم لو سمحتم قوموا بذلك."[635]

يقول شيفتر سكرتير الدولة المساعد لشئون حقوق الإنسان انه ينضم الى جين كيرك باتريك فى وجهة نظرها فيما يتعلق بالتمييز بين النظـامين " السـلطوي" و " الشمولي". وأضاف بأنه فيما يتعلق بالأزمة الجزائرية فانه يؤيد وجهة النظر المؤيدة لمساندة الجيش الجزائري فى قمعه للإسلاميين، لكن بالنسبة لشفتر وغيره الكثير من المتشددين والمحافظين الجدد، فهم يرون أن المسألة اكبر بكثير من الجزائـر وان" مانراه هو أن ثمة حركة مشابهة للشيوعية آخذة فى التطور وهذا هو الهجوم الثالث الشمولي على الديمقراطية بعد الفاشية والشيوعية."[636] طبقا لماك كان شـفتر يريـد خطا اكثر تشددا فى الخطاب مما اتفق عليه. ويضيف ماك" لقد شعر شيفتر ومكتب حقوق الإنسان أن المقاربة الفكرية كانت اكثر ليونة"[637]

أخيرا وضع خطاب جرجيان علامات مهمة، ولكنه تجنب الخوض فى مسائل حرجة. كان جرجيان يقصد مباشرة فكرة تصادم الحضـارات.قـال:" إن حكومـة الولايات المتحدة لا ترى الإسلام بوصفه شمولية جديدة تواجه الغرب أو تهدد السلام العالمي، وان الحرب الباردة ليست بالمسالة التى يحل محلها منافسـة جديـدة بـين الإسلام والغرب. إن الحروب الصليبية قد انتهت منذ أمد طويل ويعرف الأمريكيون الإسلام كقوة تمدن تاريخية من بين قوى أخرى عديدة أثرت فى ثقافتنـا وأغنتهـا." ولكنه مضى ابعد من ذلك ليقول:

"لقد أعطى مزيد من الاهتمام لظاهرة سميت "الإسـلام السياسـي، الإحيـاء الاسلامى، الأصولية الإسلامية.... إننا نرى فى أنحاء الشـرق الأوسـط وشـمال

---

635 – ديفيد ماك ،مقابلة مع المؤلف ابريل 2004

636– فيتشارد شفتر Richard Shifter مقابلة مع المؤلف مايو 2004

637– ماك ، مقابلة مع المؤلف

إفريقيا جماعات أو حركات تريد أن تصلح مجتمعاتها بواسطة المحافظة على مثاليات الإسلام.... إننا لا نلحظ وراء هذه الحركات بناءا متكاملا أو جهودا دولية منسقة، إن ما نلاحظه هو مؤمنون يعيشون فى دول مختلفة ويؤكدون مجددا على المبادئ الإسلامية، وحكومات تتوافق مع الأنشطة الإسلامية السياسية بدرجات متفاوتة وبطرق مختلفة.

ومضى جرجيان مضيفا بان الولايات المتحدة تريد انتخابات حرة ومنطقة تضطرد فيها الحريات المدنية، ولكنه أضاف، فى إشارة واضحة الى الأزمة فى الجزائر:" إننا نشك فى هؤلاء الذين يستخدمون العملية الديمقراطية للوصول الى السلطة، فقط من اجل تدمير نفس هذه العملية حفاظا على سلطتهم وسيطرتهم السياسية" وأضاف أن الولايات المتحدة تعارض هؤلاء الذين يلجئون الى العنف والقمع أو المواجهة الدينية و السياسية."[638]

فى لقاءات أخرى تحدث جرجيان بايجابية ولكن بغموض عن "الإسلاميين المعتدلين" بالرغم من انه فشل فى تحديد ماذا يعنى بمصطلح " معتدلين".[639] وبينما أدان جرجيان الارهاب ملاحظا أن الولايات المتحدة لديها علاقات جيدة مع البلدان التى تضع حكوماتها نفسها بثبات على المبادئ الإسلامية مثل السعودية وباكستان فانه تجنب تماما مناقشة اليمين الاسلامى نفسه وتجلياته. يكتب جرجس:" لسوء الحظ أن خطاب المريديان لم يوضح موقف ادارة بوش تجاه هذه الجماعات الإسلامية تحديدا."

ولكن إذا كان خطاب جرجيان قد فشل فى إعطاء فكرة عن السياسة الامريكية تجاه الإسلام السياسي فانه كان واضحا فيما يتعلق بالإجابة المحددة عن أحداث الجزائر حيث ساندت الولايات المتحدة ضمنا بسكوتها قمع الجيش للعملية الديمقراطية. ولكن الموقف اخذ يتطور من سيئ الى أسوأ حيث تورطت الجزائر فى دائرة من الهجمات العنيفة والهجمات المضادة دافعة الجيش الى الصدام مع هؤلاء المحاربين الجهاديين الذين صقلتهم المعارك.

فى سنة 1993 حاولت ادارة كلينتون أن تشجع على قيام حوار بين السلطات الجزائرية وعناصر من المعارضة الإسلامية. ولكن أوربا الغربية لا سيما فرنسا

638- ادوارد جرجيان Edward Djerejian الولايات المتحدة والشرق الأوسط فى عالم متغير يونيو 1992

639- جرجس ص س 80-81

اتهمت الولايات المتحدة باستخدام الحوار مع الإسلاميين الجزائريين للمحافظة على المزايا السياسية والتجارية التى تتمتع بها فى الجزائر فى وقت يتوقع فيه الكثيرون قيام ثورة إسلامية فى الجزائر." هاجم الفرنسيون الدوافع التى تكمن وراء المقابلة مع الإسلاميين يملؤهم الشك بان حكومة الولايات المتحدة تفضل جبهة الخلاص الوطني على النظام الجزائري." حسبما ذكر جرجس فى تقريره عن قيام شارل باسكا وزير الداخلية الفرنسي باتهام واشنطن بتوفير المأوى للأصوليين الإرهابيين."[640] فى إشارة الى أنور هدام ممثل جبهة الخلاص الإسلامية فى وشنطن الذى كانت له اتصالات بين حين وآخر مع مسئولين حكوميين فى أوائل التسعينات." كان الفرنسيون يريدون منا أن نطرد رجل جبهة الخلاص الإسلامية الموجود هنا" حسبما يقول بللترو الذى كان يعمل تحت إشراف كلينتون كسكرتير مساعد للإدارة لشئون الشرق الأدنى، ولكنهم لم يطلبوا منا أن نطرده."[641]

ولكن جراهام فوللر المحلل السابق فى المخابرات المركزية الامريكية والذي عمل مع كيزى فى تلفيق مبرر لعملية إيران- كونترا 1984-1986 من اجل التقارب مع طهران، كان الأعلى صوتا فى المطالبة بالمصالحة مع الإسلاميين- وفيما بعد عندما استقر وضعه فى مؤسسة (راند كوربوريشن) وضع فوللر كتابا بعنوان:" الجزائر: هل تكون هي الدولة الأصولية التالية؟". فى هذا الكتاب يرشح فوللر جبهة الخلاص الإسلامية لتكون الحكومة الحقيقية التالية فى الجزائر ويطلب من الولايات المتحدة ألا تقلق من ذلك ويكتب:"إن جبهة الخلاص لن تشكل على الأرجح اى تحد ذي شأن للولايات المتحدة وللمصالح الغربية." ويضيف متسائلا هل الولايات المتحدة مستعدة أن تدشن عملية ديمقراطية يستطيع الاسلاميون من خلالها أن يأخذوا الفرصة بجدارة ليكون لهم صوت يعتد به فى السلطة؟"[642] ويعترف فوللرأن جبهة الخلاص سوف تقمع حقوق الإنسان وتنشر عقيدتها فى الخارج" لتشجع الحركات الإسلامية الأخرى فى مصر وتونس وليبيا والمغرب وتقدم لها الملاذ والمساعدات المالية وحتى الأسلحة."[643]ولكنه يجادل بان هذا الزخم لا يمكن إيقافه:" سوف يكون من الصعب جدا إن لم يكن مستحيلا وقف القوات الإسلامية." حسبما يقول فوللر. " والأكثر احتمالا أن يتضاعف عدد الحكومات الإسلامية فى

640- المرجع السابق ص 155

641- بللترو -مقابلة

642- جراهام فوللر ، الدولة الأصولية التالية- مؤسسة راند 1996 ص xx.

643- المرجع السابق ص xiv

الشرق الأوسط خلال السنوات القادمة بحيث تأخذ أشكالا متعددة- وان على هذه الحكومات والغرب أن يتعلموا التعايش معا."[644] ويرى فوللر أن جبهة الخلاص الإسلامية سوف ترحب بالاستثمارات الامريكية الخاصة فى الجزائر وان تأخذ على عاتقها إقامة علاقات تجارية وثيقة مع الولايات المتحدة....وان جبهة الخلاص الإسلامية لديها علاقات جيدة وممتدة مع العربية السعودية وأنها تلقت منها تمويلا ضخما الى وقت قريب."[645] ومما هو جدير بالذكر أن مدونة فوللر هذه كتبت للجيش الامريكى وبرعايته.

بالنسبة لفوللر تمثل جبهة الخلاص الإسلامية فى الجزائر تجربة غنية وواحدة من التجارب التى لا يجوز للولايات المتحدة أن تغض الطرف عنها. ومن المؤكد أن وجهات نظره كان لها تأثيرها داخل ادارة كلينتون. غير أن الكثير من الجزائريين وخاصة محاربي الثورة التى وضعت أوزارها سنة 1962 لم يكونوا على استعداد لنبذ العلمانية و الاشتراكية من اجل السوق الحرة الإسلامية. يقول مولود الابراهيمى الرئيس السابق لجمعية حقوق الإنسان الجزائرية:" من السهل على الآخرين أن يتحدثوا عن ادارة تجربة سياسية كبرى فى الجزائر. ولكن ماذا سيكون من أمرنا....مجرد فئران بيضاء؟"[646]

مصـــــــر

فى أعقاب الانفجار الجزائري، كشر غول الإسلام السياسي عن أنيابه فى مصر فى التسعينات خالقا معضلة أخرى لإدارة الرئيس كلينتون. هل كانت مصر وهى المنبع الاصلى للإخوان المسلمين على وشك أن تسقط فى يد ثورة إسلامية ؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف ستكون سياسة الولايات المتحدة. إن المراجعة التى قامت بها ادارة بوش للسياسة الامريكية سنة 1992 ولجنة العمل الموحدة التى أقامها جرجيان لم تقدم لنا عونا يذكر.على خلاف الجزائر التى كانت على اى الأحوال فى أطراف منطقة الشرق الأوسط، بينما مصر فى القلب منها... ومبارك حليف قوى للولايات المتحدة.

644- المرجع السابق ص 4

645- المرجع السابق ص xv

646- جوديث ميللر الموجة الإسلامية مجلة نيويورك تايمس 31 مايو 1992 ص 23

فى التسعينات شن الاسلاميون المصريون هجوما على النظام بلغ من شدته انه هدد الاستقرار فى البلاد وقتل مئات الأشخاص من قبل الميليشيات المسلحة بمن فيهم عسكريون وضباط شرطة وموظفون حكوميون وكتاب مصريون مشهورون ومثقفون. برغم القمع الشديد بعد موت السادات والهجمات الدورية لقوات الأمن فى الثمانينات، حقق الإخوان المسلمون مكاسب مضطردة سيما فى المجتمع المدني. واستطاعت الجماعة أن تحقق سيطرتها على الكثير من التجمعات المهنية فى مصر: أطباء، محامون، مهندسون بالإضافة طبعا الى الجماعات الطلابية وهى من مراكز قوتها التقليدية. فى سنة 1993 أشارت صحيفة الصنداى تايمز البريطانية أن المخابرات المركزية الامريكية أصدرت تقريرا (تقدير موقف مخابراتي قومي) تحذر فيه بان " الأصوليين الإسلاميين الإرهابيين سوف يستمرون فى تحقيق مكاسب فى مصر مما يؤدى الى السقوط الفوري لحكومة مبارك."[647] يقول جيمس وولسى مدير المخابرات المركزية الامريكية فى ذلك الوقت:" كنا فى غاية القلق وكما اذكر عرضنا على مصر تقديم اى مساعدة يمكننا أن نقدمها فى حدود المعقول، وعموما فهناك قدر كبير من الدعم تستطيع أن تقدمه الحكومة الامريكية، وبالتأكيد فإنها تستطيع أن تقدم الى مبارك فى مجال الخدمات الأمنية ما يمكنه من الحيلولة دون استيلاء الإسلاميين على السلطة."[648] وقدمت الولايات المتحدة مساعدات أمنية الى الشرطة والمخابرات المصرية " قمنا بمساعدة المخابرات المركزية الامريكية بتدريب فرقة للعمليات الخاصة تم اختيارها بمعرفة السلطات المصرية المختصة" حسبما يذكر ادوارد ووكر سفير الولايات المتحدة فى مصر خلال الفترة 1994-1997" وتم استخدامها فى تطهير عدد قليل من هذه الخلايا "[649]

والحقيقة انه برغم أن الولايات المتحدة تعاونت مع مصر الى درجة معينة فى التغلب على الارهاب الاسلامى فى مصر إلا أن هذا التعاون كان اقل بكثير مما ينبغي لأسباب عديدة أهمها يعود الى الحكومة الامريكية حيث كان هناك اعتقاد ملح بان الإخوان المسلمين يشكلون شريكا مهما محتملا لاستحضار الديمقراطية الى مصر. وكان هذا الاعتقاد سببا فى تقليص المساعدات لقوات الأمن والمخابرات المصرية فى التسعينات. وثاني هذه الاعتبارات أن نظام مبارك يستخدم القمع شديد الوطأة ضد المعارضة بما فى ذلك الاعتقالات لكل أشكال المعارضة وممارسة

647- جرجس ص 171

648- جيمس وولسى مقابلة مع المؤلف مايو 2004

649- ادوارد ووكر مقابلة مع المؤلف فبراير 2004

التعذيب ضد المسجونين – كل ذلك وضع الولايات المتحدة فى وضع حـرج فيمـا يتعلق بتقديم المساعدات الى مصر.ويقول كل من وولسي و ووكـر أن الولايـات المتحدة لها تحفظات قوية فيما يتعلق بفظاظة الأساليب المستخدمة." كانوا عدوانيين جدا – عدوانيين لدرجة تعوق رغبنا فى المساعدة. فبعض الذين قبض عليهم تبـين أن الرصاص أطلق عليهم وهم مكتوفو الايدى" حسبما يقول ووكر " وكان علينا أن نوقف هذا البرنامج."[650] وثالثا انه كان هناك خلاف حاد بين المخابرات المركزيـة الامريكية والدبلوماسيين حول طبيعة الإخوان المسلمين أنفسهم: هـل كـان تنظـيم الإخوان يتعاون مع الراديكاليين (الأصوليين)، الجماعات التابعـة التـى تمـارس الارهاب علنا مثل الجماعة الإسلامية أو الجهاد الاسلامى ومن ضمن قادتهم أيمـن الظواهري الذى سيغدو المساعد الرئيس لبن لادن؟ أم أن الإخوان المسلمين جماعة معتدلة أو حتى جماعة مؤسسية يمكن التعويل علي دعاويها الديمقراطية؟

بالنسبة لمبارك على الاقل كانت الجزائر هي الرد. فالرئيس المصـري كـان يراقب بجزع ما يجرى فى ذلك البلد المتورط فى حـرب أهليـة واقسـم إلا يـدع الإسلاميين فى مصر يكسبون مزيدا من القوة التى تمكنهم من تشكيل تحدى واسـع لنظامه. بداية من رئاسته للجمهورية فى أوائل الثمانينات وحتى 11 سـبتمبر 2001 انتقد مبارك الولايات المتحدة مرارا لفشلها فى اتخاذ موقف ضد اليمين الاسلامى فى قواعده فى غرب أوربا وداخل الولايات المتحدة نفسها بما فى ذلك التنظيمات العلنية التابعة للإخوان المسلمين فى لندن وألمانيا والمركز الاسلامى فـى جنيـف الـذى يشرف عليه سعيد رمضان والخلايا فى نيويورك ونيوجرسي مثل تلك التى تنتمـي الى الشيخ الضرير عمر عبد الرحمن قائد الحلقة التى قامت سـنة 1993 بـالهجوم على مركز التجارة العالمي وعدد آخر من الخلايا الموجودة فى الولايات المتحـدة والمساجد والمراكز الإسلامية. ولكن حتى سنة2001 لم يكن هنـاك ثمـة مجهـود مركز من جانب الولايات المتحدة لاستقصاء أمر هذه الشبكات.

يقول عبد المنعم سعيد من مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية بالقاهرة:" لم تتعاون أوربا ولا أمريكا مع مصر حتى 2001/9/11، لقد وجد عمر عبد الـرحمن ملاذا فى الولايات المتحدة بعد إن هرب من مصر أثناء المحاكمـات وذهـب الـى السودان. لم تتعاون الولايات المتحدة معنا وكانوا يقولون " انتم لستم ديمقـراطيين. انتم لا تقومون بإصلاحات " وبذلك فإنهم كانوا يخلقون شبكة إرهاب واسعة علـى

650- المرجع السابق

مدار العالم. كنا عمليا بمفردنا. وكنا نريد من الولايات المتحدة أن تسلمنا هؤلاء الأشخاص وان يقضوا على شبكاتهم الدعائية وشبكاتهم التمويلية وان يشيعوا الاضطراب فى اتصالاتهم مع مناطق الاضطراب فى افغانستان. وحاولنا عدة مرات أن نشرك الولايات المتحدة فى الأمر بداية من 1986 حينما طالب الرئيس مبارك بعقد مؤتمر دولي لبحث الارهاب وقال ذلك فى البرلمان الاوربى فى ستراسبورج وكنا نعلم الكثير وقتئذ: إن المراكز الدولية لهذه الحركة موجود فى لندن ونيوجرسي وفرنكفورت ومراكز أخرى فى هامبورج وجنيف وكوبنهاجن كانوا جميعا فى أوربا غير متنبهين الى هذا فى الثمانينات والتسعينات."[651] بالنسبة لسفيري الولايات المتحدة فى مصر خلال هذه الفترة فقد كانت لهما وجهات نظر متضاربة بشان الإخوان المسلمين. ووكر الذى عمل خلال الفترة من 1994-1997 كان يشك فى الإخوان المسلمين ولكنه يتعاطف مع إسقاط مبارك. أما بللترو الذى عمل خلال الفترة 1991-1993 فقد كان اكثر ميلا للنظر الى الإخوان المسلمين بشكل أفضل بالرغم من أن ذلك قد استرعى انتباه المخابرات المصرية. يقول بللترو: " كان لي ولووكر سياسات مختلفة. لقد شعرت أن علينا أن نتحدث مع بعض أعضاء الإخوان المسلمين. وقد فعلت. " ولكن اتصالات بللترو بالإخوان المسلمين قد أغضبت مبارك. يعلق بللترو:" تلقيت ذات مرة رسالة قوية من الحكومة المصرية تطلب منى قطع هذه الاتصالات. وقلت لهم اننى لن افعل. لم اقابلهم بنفسي ولكن أشخاص من القسم السياسي. لقد طورنا علاقات مع بعض الأشخاص الذين كانوا فى داخل الحركة. ولكن فى مصر عليك أن تكون فى منتهى الحذر لأن لدى المصريين إمكانيات فى غاية الكفاءة فيما يتعلق بالتخابر المضاد."[652]

يذكر بللترو زيارة قام بها مبارك الى واشنطن حين فقد الرئيس مبارك أعصابه إزاء الموقف الامريكى غير المبالي.

بعد ذلك جاء مبارك الى واشنطن ودعاه وزير الخارجية على العشاء. سأل وارين كريستوفر مبارك عن أفضل الطرق للتعاون مع الإسلاميين. اننى لن أنسى أبدا ما حدث بعد ذلك فقد اعتدل مبارك فى جلسته بحدة وخشونة وقال بغضب:" هذه ليست ظاهرة جديدة فى مصر. هؤلاء الناس قتلوا الرئيس السابق !" ثم رفع قبضته الضخمة وضرب بها المائدة بقوة حتى أن كل شئ على المائدة قفز واصدر صوتا ".بانج"! قال مبارك:" حينما ظهروا كان يجب أن نضربهم."[653] يقول بللترو:" قلت

651-عبد المنعم سعيد مقابلة مع المؤلف يونيو 2004

652- بللترو مقابلة

653- المرجع السابق

لمبارك إن هذه السياسة صائبة فى حالة القيام بحملة على الإرهابيين ولكن ليس على الإخوان المسلمين." لكن المخابرات المركزية الامريكية لم تستطع الإجابة على السؤال حول كيفية تحديد الفرق بين الحالتين حسبما ذكر دبلوماسيون وضباط مخابرات أمريكان، فالخط الفاصل بين التنظيمات الإرهابية الصريحة والإخوان المسلمين لم تكن واضحة.الإخوان المسلمون يديرون العيادات ومراكز الخدمة الاجتماعية والمساجد ولهم وجود قوى بين الجماعات المهنية ويقيمون ما يشبه الحزب السياسي.

حسبما يقول بللترو و ووكر فان الصلة بين الإخوان المسلمين الرسميين والخلايا الإرهابية السرية من المحتمل أن يجرى تنظيمها من خلال المساجد المستقلة والمراكز الإسلامية فى مصر التى يديرها أمراء الجماعة ومن الواضح أنهم يحتفظون بعضويتهم فى الجماعة التى كانت جمعية سرية بينما تقدم للجماعات الإرهابية التشجيع والمساندة والفتاوى الدينية التى تبرر الارهاب. يقول بللترو:" أعلن المصريون أنهم اكتشفوا بعض قنوات الاتصال. وانأ استطيع أن أخمن انه يمكنك القول بان الخط الفاصل بين الإخوان المسلمين والجماعات المسلحة اصبح ضبابيا. يبدأ عدد من الامراء المستقلين بالظهور هنا وهناك فى أجزاء مختلفة من القاهرة. ويبدأ بعض رجال الدين فى تكوين مجموعة من الأتباع. هؤلاء لا يتورطون شخصيا فى أعمال عنف بأنفسهم ولكنهم يتسامحون معها.فمثلا قد يلجا إليهم احد الناس ويسألهم " هل من المسموح أن افعل كذا وكذا؟ فيردون عليه:" نعم طبقا للإسلام."

كان لووكر الذى خلف بللترو وجهة نظر مختلفة الى حد ما:" كنا ندرك أنها مشكلة اكبر كثيرا. كنا جد قريبين من الأوربيين فى التعاون من اجل القضاء على هذه التهديدات. ووضعنا خريطة لمعرفة كيفية تفاعل هذه الجماعات مع بعضها البعض. كان كثير من القادة فى أماكن مثل ايطاليا ولندن وكنا نتعاون عن طريق التقاط الاتصالات وإعادتها الى مصر ثم يقوم المصريون بتجميعها " ولكن المصريين كما يقول ووكر لم يكونوا مقتنعين بالتعاون الامريكي الاوروبي. ولا استطيع أن أحصى عدد المرات التى صاح فيها مبارك قائلا لي كيف أن البريطانيين يعطون الإخوان المسلمين وغيرهم من الإسلاميين الملاذ الآمن " ويقول " يدرك كل شخص فى مصر إن هذه مشكلة. ولكنهم لم يستطيعوا أن يقنعونا."[654]

654- ووكر مقابلة

مثله مثل بللترو أقام ووكر علاقة مع الإخوان المسلمين " حينما كنت فى مصر اتصلنا ببعض أعضاء الإخوان المسلمين بصفتهم الشخصية على مستوى القنصل السياسي. ولكنهم كانوا تنظيما غير شرعي ومن هنا كان الأمر حساسا وكان الإخوان المسلمون اكثر تقبلا من الجماعات الأخرى مثل الجهاد الاسلامى. كان الإخوان المسلمون يتمتعون بكثير من التعاطف من بعض الناس فى وشنطن الذين كانوا يرون انه يجب الوصول الى تفاهم معهم."ويضيف قائلا:" بالنسبة لكثير من هؤلاء الذين يؤيدون استعادة الديمقراطية الى المنطقة، كان الإخوان المسلمون فى نظرهم قوة معارضة محلية شرعية." ولكن ووكر وبعض ضباط المخابرات المركزية الامريكية لم يوافقوا على وجهة النظر هذه، إذ أن "للإرهاب مصدران، احدهما الفلسطينيين والآخر هم الإخوان المسلمون، ذلك أن لهم تاريخا متقلبا، فقد تكون ذات يوم صديق لهم ثم يحاولون اغتيالك." حسبما يقول ووكر. " كان رجال المخابرات لدينا ينظرون إليهم باعتبارهم من قبيل التآخي العالمي بين الارهابيين. كان عدد معين من المساجد متورطا فى هذا الأمر. انه ليس بناءا تنظيميا محكما. ولكن إذا لجأ إليهم احد فأنهم يقدمون له المساعدة."[655]

لطالما انتقد مبارك علنا الولايات المتحدة سيما بعد أن دبر الاسلاميون محاولة اغتياله سنة 1995 وقتلوا العديد من الموظفين المصريين فى الخارج كما قذفوا السفارات المصرية فى الخارج بالقنابل. وفيما يتعلق بالأمريكان الذين طالبوه بالتعاون مع الإسلاميين المعتدلين بمن فيهم الإخوان المسلمين اختصر مبارك القول مجيبا بازدراء " من هم هؤلاء المعتدلون؟ إن أحدا لم ينجح فى تحديد ماهيتهم لي." وسخر من جدوى الحوار مع الإسلاميين قائلا:" حوار مع من؟ انه سيكون حوار الطر شان. لقد أجرينا معهم حوارا طوال أربعة عشر عاما، وفى كل مرة كنا نشاركهم الحوار كانوا يخرجون منه اقوي مما كانوا. الحوار معهم موضة قديمة. ومن يطالبون بالحوار معهم لا يعرفونهم. نحن نعرفهم أفضل."[656]

لاحق شبح الثورة الإسلامية فى إيران سنة 1979 مبارك ومرة بعد أخرى كان يتهم الولايات المتحدة بإدارة حوار سرى مع الإخوان." انتم تظنون انه يمكن إصلاح الأخطاء التى وقعتم فيها فى إيران لأنه لم يكن لكم اى علاقات مع الخميني وجماعاته البغيضة قبل استيلائهم على السلطة. ولكنني أؤكد لكم أن هذه الجماعات لن تستولي ابدا على هذا البلد ولن يكونوا ابدا على وفاق مع الولايات المتحدة."[657]

655- المرجع السابق

656- جرجس ص ص 174-175

657- المرجع السابق ص 175

كان مبارك على صواب الى حد كبير فيما قاله بان المسئولين الأمريكيين كانوا يتوقعون أن يسيطر الاسلاميون على السلطة فى مصر ومن ثم فقد كانوا يحاولون الوصول الى موقع قدم لهم داخل اليمين الاسلامى. كانت توقعاتهم أضغاث أحلام المحافظين الجدد بعد سنة 2001 التى تتطلع الى إعادة تشكيل الشرق الأوسط وفرض نظام ديمقراطي جديد فى هذه المنطقة كما عبر عن ذلك احد المسئولين الأمريكيين فى هيئة الأمن القومي أوائل 1995 حيث قال بان الإسلاميين فى مصر هم موجة المستقبل، وحسبما قال:

" إن الأنظمة القائمة حاليا فى الشرق الأوسط محكوم عليها بالزوال فى المستقبل لان التغيير أمر لا يمكن تجنبه، واحد الأهداف الرئيسية لسياسة وشنطن المستقبلية هو ادارة التحولات التى تطرأ على الأنظمة السياسية بأقل تكلفة ممكنة. وترى الولايات المتحدة إن الإسلاميين جزء لا ينفصم من القوى الاجتماعية العريضة التى تعمل فى هذه المنطقة وإنهم من ضمن الفاعلين فيها. ومن ثم فان على النخب الحاكمة المسيطرة أن توسع قاعدتها الاجتماعية بدمج الإسلاميين ضمن نسيجها السياسي. وتوضح هذه الحقيقة المنطق وراء القرار المبكر لإدارة كلينتون بإجراء حوار رشيد مع الإسلاميين فى مصر والجزائر."[658] ولكن لا الحكومة الجزائرية ولا مبارك فكروا كثيرا فى هذه المسالة بل عملوا على سحق التمرد الاسلامى. وبعد محاولة اغتيال مبارك سنة 1995 شن هجوما على الإخوان المسلمين أعاد ذكرى الهجمات التى قام بها ناصر سنوات 1954 و1964و 1966. القي القبض على المئات من قادة الإخوان المسلمين وحلت مؤسساتهم وأغلقت النقابات المهنية وأقيمت لهم المحاكمات الصورية. وتوقع بعض المسئولين الأمريكيين ظهور رد فعل لهذا القمع. غير انه بدلا من ذلك شهد النصف الثاني من التسعينات تراجع اليمين الاسلامى فى مصر باستثناء واحد: سلسلة من الهجمات الاستعراضية موجهة ضد السياح فى مصر سنة1997. لقد ضرب اليمين الاسلامى فى مصر مرة أخرى فى الصميم. ولكن لم يقض عليه. تبعثرت قواه السرية القائمة على العنف أو اختبأت. واخذ من يبدو أنهم معتدلون فى صفوفه من مفكرين ووعاظ وسياسيين اخذوا يبحثون مسالة التحالف مع المعارضة الديمقراطية وأعلنوا تأييدهم للانتخابات لاختيار بديل لمبارك. ولكن مسئولي الحكومة الامريكية، من المستشرقين المتعاطفين ومراكز الرأي من مؤسسة بروكنجز الى مؤسسة السلام فى الولايات المتحدة أصروا على أن الإخوان المسلمين شريك مبشر فى مصر ما بعد الإصلاح.

658- المرجع السابق ص 178

طالبـــــان

كان الصعود الصاروخي لطالبان فى افغانستان التى مزقتها الحرب هو التحدي الثالث من جانب القوى الإسلامية التى ظهرت فــى مواجهــة واضـــعي السياســة الامريكية.

يعتبر كتاب احمد رشيد " طالبان: الإسلام الجهادي، البترول والأصولية فــى وسط آسيا" أفضل وأوفى بيان عن تأسيس ونمو وانتصار حركة طالبـــان. رشـــيد مراسل صحفي باكستاني ضليع امضي عدة ســـنوات يغطـــى نشـــاط المخـــابرات الباكستانية فى كل من افغانستان وباكستان. وحسبما ذكر رشيد كانت طالبـــان منـــذ البداية تتلقى المساعدات ليس فقط من العربية السعودية التى كانت تتـــولى تمويلهـــا ومن باكستان التى كانت مخابراتها هي القوة الرئيسة وراء سيطرتها على افغانستان المحكومة بأمراء الحرب ولكن من الولايات المتحدة أيضا.

" بين 1994-1996 ساندت الولايات المتحدة طالبان سياسيا من خلال حلفائها فى باكستان والسعودية أساسا لان الولايات المتحدة كانـــت تنظـــر الـــى طالبـــان باعتبارها ضد إيران وضد الشيعة ومع الغرب." وذكر رشيد فى كتابه انـــه" بـــين 1995-1997 كانت مساعدة الولايات المتحدة لطالبان تقدم أساســـا لأنهـــا تســـاند مشروع " يونو- كال"(خط أنابيب بترول يمتد من تركستان عبر افغانستان)" وكـــان عدد كبير من دبلوماسيي الولايات المتحدة يرون فيهم مثال المسيحيين الطيبين فاعلي الخير الذين ولدوا مجددا من بين طيات الكتاب المقدس الامريكي."[659]

كانت مساندة الولايات المتحدة لطالبان إستراتيجية. كانـــت الصـــدى الـــدقيق لسياسة برجنسكى (قوس الإسلام) وأحلام كيزى فى اســـتخدام الإســـلام لاختـــراق الاتحاد السوفييتى. حتى بعد انتهاء الحرب الباردة حاولت الولايات المتحدة إن تحقق مزايا فى دول آسيا الوسطى الغنية بالبترول وراهنت خلال التسعينات على كســـب هذه المزايا. كانت الولايات المتحدة ترى فى العربية السعودية وباكستان حلفاء لهـــا كما تري في الصين والهند وإيران منافسين لها. ثمة تحذير أوردته مذكرة صـــادرة عن الإدارة الامريكية سنة1996 كانت قد حررت قبل استيلاء طالبان على كـــابول، بان روسيا وإيران والهند والصين التى تخشى جميعها من الأصوليين الســـنة فـــى

659- أحمد رشيد طالبان، الإسلام الجهادي، البترول والأصولية فى آســـيا الوســـطى ط 2000 ص ص 176-177

المنطقة سوف يساندون القوى المضادة لطالبان فى افغانستان.[660] وهذا هو ماحدث بالدقة عندما قاد احمد شاه مسعود التحالف الشمالي الذى ظهر أواخر التسعينات بوصفه المنافس الرئيس لنظام طالبان المتطرف.(انه لمما يدعو الى السخرية أن يغدو هذا التحالف الشمالي هو الحليف الرئيس للولايات المتحدة حينما قامت- بعد الهجوم على مركز التجارة العالمي والبنتاجون بغزو افغانستان.)

يصف جراهام فوللر فى مؤلفه " مستقبل الإسلام السياسي" بدقة كيف كانت طالبان تهديدا للدول التى تنافس الولايات المتحدة فى آسيا الوسطى:

" انزعجت كثير من القوى التى ساهمت بدور فى الأحداث الأفغانية من تداعيات استيلاء طالبان على السلطة: إيران لان طالبان كانت تعارض الشيعة بشراسة وعاملت شعب الهازار الشيعي بمنتهى القسوة، وروسيا وأوزبكستان وطاجاكستان كانت تخشى أن توجه طالبان اهتمامها صوب الحركات الإسلامية فى شمال آسيا الوسطى. وكان للهند أيضا ماتخشى منه. فمن الناحية الجغرافية كانت تعمل على رفض الهيمنة الإستراتيجية الباكستانية على افغانستان وهو ما سوف يمثله انتصار طالبان. أما واشنطن فقد كانت تبدو محايدة مبدئيا، وكانت تأمل تحت إلحاح باكستان ألا تكون لطالبان أجندة مضادة للولايات المتحدة، ولكن فى النهاية ما كان للبلاد التى مزقتها الحرب الأهلية إلا أن تتوحد وبالتالي يمكن لأنابيب الغاز التركمانية التى تمر عبر افغانستان أن تصل الى المحيط الهندي ضاربة بذلك إيران، ويمكنها أن تبسط سيطرتها على مناطق زراعة الخشخاش المنتشرة فيها وان تهاجم مناطق حرب العصابات الإسلامية ومعسكرات التدريب الموجودة منذ الجهاد ضد السوفييت.[661]

. لقد عبرت الولايات المتحدة عن مقاصدها بتحدي السيطرة الروسية على آسيا الوسطى وأفغانستان سواء كانت هناك حرب باردة أم لم تكن. تقول شيلا هيسلين احد المسئولين فى هيئة الأمن القومي الامريكية، ان سياسة الولايات المتحدة هي تنمية استقلال هذه البلاد الغنية بالبترول أساسا لوضع حد لسيطرة روسيا الاحتكارية على نقل البترول من هذه المنطقة، وبصراحة لضمان امن الطاقة من خلال تعدد الإمدادات.[662] وكان" مشروع يونوكال" هو العمود الفقري لمشاريع الأنابيب التى

660- المرجع السابق ص 177

661- جراهام فوللر مستقبل الإسلام السياسي نيويورك 2003

662- شيلا هسلين Sheila Heslin شهادتها فى مجلس الشيوخ بشأن الأنشطة الممولة بطرق غير مشروعة 17 سبتمبر 1997؛ مقتطفة من راشد ص 174

تضمن هذا التعدد وقام بتوظيف عدد من المسئولين الأمريكيين السابقين لتطوير خطته بدءا من هنري كيسنجر الى زلماى خليل زاد الذى سيغدو سفير الولايات المتحدة فى كابول. فى سنة 1996 يقول خليل زاد بوصفه خبيرا فى "مؤسسة راند" أن طالبان لا تطبق الأساليب الأصولية المعادية للولايات المتحدة التى تطبقها إيران وهى اقرب الى النموذج السعودي. إن الجماعة تعتنق خليطا من قيم الباتون التقليدية وتفسير ارثوذكسى (نصي) للإسلام."[663]

بالإضافة الى العربية السعودية وباكستان انضم حليفان آخران للإستراتيجية الإقليمية للولايات المتحدة من اجل إزاحة روسيا واحتواء إيران، وهما إسرائيل وتركيا. وكانت تركيا التى ترزح تحت وطأة الإخوان المسلمين الخاصة بها المتصلين بالحركة الإسلامية كانت تلقى التشجيع من واشنطن لمد نفوذها الى آسيا الوسطى حيث توجد كتلة كبيرة من السكان من أصل تركي، يمكن –حسب ظنهم– أن يتجاوبوا مع كتلة تقودها تركيا تمتد من البوسفور حتى الصين.

فى نفس الوقت كان أسامة بن لادن يقيم مركز قيادته فى افغانستان بعد أن طلب منه مغادرة السودان سنة1996، وكان قادة طالبان الذين استضافوه والذين أصبحوا يعتمدون على مساعداته المالية، كانوا يروحون الى الولايات المتحدة جيئة وذهابا للقاء المسئولين الأمريكيين ورجال البترول والأكاديميين. كانت احتجاجات الهيئات النسائية المعارضة للمعاملة الكريهة التى تلقاها النساء الأفغانيات من جانب طالبان والتي تجاهلتها فى البداية ادارة كلينتون واليونوكال الذين كانوا يفضلون النظر الى طالبان كصيغة مصغرة من النخبة الحاكمة فى العربية السعودية. حسب قول احد رجال الإدارة الامريكية " إن طالبان سوف ينحون على الأرجح منحى السعودية وسوف تكون لديهم شركات مثل ارامكو وأنابيب بترول وأمير ولا يوجد برلمان وعدد من فقهاء الشريعة ونحن نستطيع أن نتعايش مع هذا النمط."[664]

خلال فترة التعاون بين الولايات المتحدة وطالبان 1994-1998 التي انتهت بإلقاء القنابل على اثنتين من السفارات الامريكية فى إفريقيا وحينما استهدفت الولايات المتحدة ليس فقط بن لادن بل وكذلك حلفاءه من الأفغان – كانت هناك شخصية استشارية رئيسية من العاملين فى "يونوكال" وهو اكاديمى من جامعة نبراسكا يسمى توماس جوتيير ويعمل مديرا للدراسات الأفغانية هناك. خلال وبعد

663- مقتطف من جين شارل بريسارد وغليوم داسكى Jean-Charles Brisard and Guillaume Dasquie " الحقيقة المحجوبة" نيويورك 2002 ص 21

664- رشيد ص 179

فترة الجهاد الافغانى حصل مركز جوتيير هذا على اكثر من 60 مليون دولار منحا فدرالية لتمويل البرامج "التعليمية " فى افغانستان وباكستان. وبالرغم من أن هذا التمويل تم من خلال الوكالة الدولية للتنمية التابعة للإدارة الامريكية إلا إن المخابرات المركزية الامريكية كانت هي الراعية الحقيقية له، واتضح فيما بعد إن برنامج جوتيير التعليمي هذا يتكون من دعاية إسلامية فجة تتضمن وضع كتب مدرسية للأطفال يتعلمون من خلالها الحساب عن طريق عدد جثث الروس القتلى وعدد بنادق الكلاشنكوف وكلها مزينة ببيانات إسلامية أصولية. وأعجبت طالبان بأعمال جوتيير الى درجة أنهم استمروا فى استخدام هذه الكتب المدرسية التى وضعها جوتيير. وحينما زار وفد من مسئولي طالبان الولايات المتحدة سنة1997 توقفوا بشكل استثنائي فى اوماها ليؤدوا زيارة عرفان بالجميل لجوتيير. وفى سنة 1999 ذهب وفد آخر من طالبان يضم قادة عسكريين على علاقة ببن لادن والقاعدة، أرسله جوتيير فى جولة الى مونت روشمور. [665] وحسبما جاء فى مجلة " اوماها ورلد هيرالد" يقول جوتيير:" ما إن تجلس معهم حتى يتبين لك أنهم مجرد أناس عاديين."40

حينما هاجمت الولايات المتحدة افغانستان سنة 2001، كان من مهامها أن تتخلص من وتستبدل المدرسة الإسلامية التي وضعها جوتيير وطالبان (ومولتها المخابرات المركزية الامريكية) و"كانت مملوءة بأحاديث عن الجهاد" كما جاء فى مجلة واشنطن بوست. [666]

تصـــــادم الحضــــارات

بنهاية التسعينات كانت هناك حالة حادة من توازن القوى فيما يتعلق باليمين الاسلامى فى الشرق الأوسط وجنوب آسيا. فى مصر والجزائر كان الاسلاميون قد وجهت إليهم ضربات اضطرتهم الى الإذعان ولكنهم كانوا لا يزالون يتمتعون بمستوى من الحضورولكن يقل عن ذي قبل. فى افغانستان وإيران والسودان كانوا

665- مايكل بيرينس " الجامعة تساعد الولايات المتحدة فى التوصل إلى طالبان" صحيفة شيكاجو تريبيون 21 اكتوبر 2001

666- ستيفن باترى و جيك ثومبسون Stephen Buttry and Jake Thompson " صلات اليونسكو بمراكز التعليم التي تشرف عليها طالبان " صحيفة اوماها وورلد هيرالد 16 سبتمبر 2001

يمتلكون الناصية ويسيطرون على جمهوريات إسلامية راديكالية (أصولية)تحكمها أنظمة دكتاتورية. فى باكستان والعربية السعودية كانوا يمارسون قدرا غير عادى من القوة فى تحالف مع النخبة الحاكمة بالرغم من إن العائلة المالكة فى السعودية والجيش فى باكستان كانوا يزدادون حدة فيما يتعلق بصفقات كل منهم الخاصة مع الشيطان. فى تركيا كانت الحركة الإسلامية (اليمين الإسلامى والجمعية الصوفية النقشبندية السرية)، تجنى مكاسب لم يسبق لها مثيل، وتهدد التقاليد العلمانية فى تركيا التى استمرت على مدى سبعين عاما منذ كمال أتاتورك،

فى الولايات المتحدة الامريكية، بدءا من الثورة الايرانية حتى أواخر التسعينات لم يتصد احد تقريبا للتفكير فى مشاكل الشرق الأوسط التى سببتها الحركة الإسلامية بما فى ذلك توابعها العنيفة اى الجماعات الإرهابية الإسلامية التى قوبلت بتجاهل تام من جانب وولسي وغيره من المسئولين الأمريكيين، فيما عدا ما يتعلق بحزب الله. وأخيرا استجابت المخابرات المركزية والمسئولين فى ادارة مكافحة الارهاب لسلسلة من النداءات التى تدعو الى اليقظة (تدمير الأبراج السكنية فى معسكر الخبر فى العربية السعودية سنة1996والسيارات المفخخة التى دمرت السفارتين الأمريكتين فى كينيا وتنزانيا سنة 1998 وهجمات سنة 2000 على المدمرة قول على الساحل اليمنى) فتم إنشاء سلسلة من قوات المهام الخاصة المخصصة لأسامة بن لادن والقاعدة وحلفائهم الذين أصبحوا العدو رقم واحد.

ولكن جهود الولايات المتحدة للعثور على بن لادن والقضاء عليه أسفرت عن عجز يدعو الى السخرية. 27 بليونا من الدولارات ونظام مخابرات امريكى يضم 100 ألف موظف ينتشرون بين 12 وكالة، مصفوفة واسعة من الأقمار الصناعية وأدوات البحث من جواسيس ومرشدين....كل ذلك يفشل فى العثور عليه، بينما فى نفس الوقت يستطيع صحفيون لا حصر لهم من الولايات المتحدة وأوربا بمن فيهم مراسلو " سى ان ان" و "فرنت لاين" ان يجدوه بسهولة وان يجروا معه أحاديث مطولة. وقام أشخاص من مدعى الارهاب مشكوك فيهم مثل جون ووكر ليند، قاموا بمحاولات للوصول الى بن لادن ولكن المخابرات المركزية الامريكية لا تستطيع ان تجاريهم مهارة، وتفشل فشلا ذريعة الهجمات التى تشنها بصواريخ كروز على مخابئ بن لادن فى افغانستان كما تفشل هجماتها على المواقع المزعومة للتسهيلات المقدمة لبن لادن فى السودان المرتبطة بتنظيم القاعدة لإنتاج أسلحة الدمار الشامل ولم ينجم عنها سوى تدمير المصنع الوحيد لإنتاج الأدوية فى هذا البلد. وتم العدول عن خطة وضعت بدقة شديدة لاصطياد بن لادن.

ثم وفى 11 سبتمبر سنة 2001 حصل هؤلاء الذين يؤمنون بنظرية تصـــادم الحضارات على بداية ما يبتغون: وكانت وجهة نظرهم التى بدت حتى ذلك الحين شاذة حسب أحسن الفروض والأشد تطرفا حسب أكثرها سوءا قد حققت نجاحا غير متوقع. فإدارة بوش التى وان لم تتبن فكرة الصراع بين المسيحية والإسلام، إلا أنها تلقفت فكرة الصدام بين الحضارات لتدفع بالولايات المتحدة الى توسـيع تواجـدها الامبريالي فى الشرق الأوسط الى مدى غير مسبوق.

لويس وهنتنجتـــــون

حتى ذلك التاريخ كان الرجلان المسئولان عن الترويج لفكرة التصـــادم بـين الحضارات: برنارد لويس و صمويل هنتنجتون، كان ينظــر إليهمــا باعتبارهمــا أعجوبة من قبل التيار الأساسي فى الأمن القـــومي وخبـــراء السياســـة الخارجيـــة الامريكية. وكانت حجة الذين اعتمدوا رابطة ايفى وأتاحوا لهم فرص الاتصال بدور النشر الشهيرة مثل مجلة الشئون الخارجية، كانت حجتهم فى ذلك أنها سوف تولـد نقيضها، وهو ما حدث فعلا. وفضلا عن ذلك فان الأصولية المتطرفة التى كانـت تستند إليها نظريتهم كانت قمينة بان تفعل ذلك. غير ان القليل من الناس هم الـذين اخذوا أفكارهم على محمل الجد فيما عدا مصفوفة متناثرة من المحافظين الجدد الذين هم أنفسهم كانوا على شفا التطرف. قوبلت نظرية هنتنجتون بهجمات مضـادة مـن جانب كثير من الصحفيين والأكاديميين وأئمة السياسة الخارجية ولكن ما لبثت هـذه الهجمات ان أخذت تنحسر شيئا فشيئا.

كتب صمويل هنتنجتون الذى بلغ كتابه" صدام الحضارات"حد إعلان الحـرب من جانب المحافظين الجدد، كتب يقول ان العدو ليس هو اليمين الاسلامى بل هـي عقيدة الإسلام ذاتها:

" ان أساس المشكلة بالنسبة للغرب ليس فى الأصولية الإسلامية ولكنهـا فـى الإسلام كونه حضارة مختلفة عن حضارة الغرب ويؤمن معتنقوه بتفـوق ثقـافتهم ولكن يقهرهم تدنى قوتهم. ان مشكلة الإسلام ليست هي المخابرات المركزيـة ولا هي وزارة الدفاع. ان مشكلته هي الغرب كحضارة مختلفة يعتقد أصحابها بعالميـة ثقافتهم[667] و تفوق قوتهم التى وان تكن آخذة فى الاضمحلال، إلا أنهـا تفـرض عليهم أن ينشروا ثقافتهم عبر العالم."[668]

---

667 – جو ستفينس و ديفيد اوتاواى من الولايات المتحدة إلف باء الجهاد صحيفة واشـنطن بوسـت 23 مارس 2002

668- صمويل هنتنجتون صدام الحضارات نيويورك 1996 ص8 21

ان ما يستتبع بيان هنتنجتون هو ان العالم المسيحي اليهودي من جانب والعالم الاسلامى من جانب آخر مقضي عليهما بان يظلا سجيني حرب ثقافية دائمـــة. وان الإرهابيين من أمثال القاعدة التى كانت فى طور التشـــكيل عنـــد ظهـــور كتـــاب هنتنجتون ليسوا فقط مجرد عصبة من المتعصبين لهم أجندتهم السياســـية ولكـــنهم تعبير عن صراع حضاري. ومثله مثل حكيم دلفي – بعث مجددا – تنبأ بان الآلهـــة قد حسمت الأمر وليس بوسع الإنسان ان يحول دون ذلك.

واعترف هنتنجتون – دون ان يذكر دور الولايات المتحدة – ان الإسلام كان قوة كامنة ضد اليسار خلال الحرب الباردة:"، وكتب يقول:" بين حين وآخر خـــلال الحرب الباردة قامت حكومات دول عدة تشمل الجزائر وتركيـــا والأردن ومصـــر وإسرائيل بتعضيد الإسلاميين كقوة مضادة للشيوعية أو معادية للحركات الوطنيـــة، وظلت العربية السعودية ودول خليجية أخرى تقدم أموالا طائلة للإخوان المســـلمين والجماعات الإسلامية فى العديد من البلدان حتى نشوب حرب الخلـــيج علـــى اقـــل تقدير."[669] ولكنه يقدم تفسيرا محكما للكيفية التي انفض بها هذا التحالف بين الغرب والإسلاميين فيقول:"

" ان انهيار الشيوعية قد قضى على العدو المشترك للغرب والإسلام وتركهما وكل منهما موقن أن الآخر يمثل تهديدا مؤكدا لـــه"[670]. ويضـــيف " فـــى خـــلال التسعينات رأى كثيرون ان " حربا باردة تنشب مرة أخرى بين الحضارات وتتطور مرة أخرى لتصبح حربا بين الإسلام والغرب"[671]. ولاحظ هنتنجتون، وهـــو لـــيس خبيرا بالإسلام، ان ثمة" علاقة بين الإسلام والتسلح[672]"وأكد ان الإسلام منذ بدايتـــه هو دين السيف وانه يمجد القيم العسكرية"[673] ولكي يتأكد ان أحدا لم تفته هذه النقطة اقتبس مقولة ينسبها إلى ضابط لا يسميه فى الجيش الامريكى،مؤداهـــا"ان الحـــدود الرابطة بين أوربا والشرق الأوسط " تتحول سريعا إلى خط المجابهة الجديد لحلـــف الاطلنطى"[674]

669- المرجع السابق ص 115

670- المرجع السابق ص 211

671 - المرجع السابق ص 207

672 - المرجع السابق ص 258

673- المرجع السابق ص 263

674- المرجع السابق ص 215

ومن اجل ان يثبت هنتنجتون ان الإسلام يمثل تهديدا قائمـا لـذات الوجـود الغربي يلجأ الى الاقتباس من برنارد لويس الذي يتخذه مرجعـا لـه فـى الأمـور المتعلقة بالإسلام:

" على مدى ألف عام – كما يلاحظ برنارد لويس– منذ اليوم الذى وطأت فيـه أقدام أول مغربى ارض اسبانيا وحتى الحصار الثاني الذي ضربه الأتراك على فيينا كانت أوربا تحت تهديد مستمر من جانب الإسلام.".إن الإسلام هو الحضارة الوحيدة التى وضعت مسالة استمرارية الوجود بالنسبة للغرب موضع الشك، وقد فعل ذلـك مرتين على الاقل"[675]

أما كيف بالتحديد يتسنى لدول أفقرت ومزقت فى منطقة الشرق الأوسط ووسط أسيا ان تجعل من وجود الغرب أمرا مشكوكا فيه فهذا ما لم يجب عليه هنتنجتـون ولكنها كانت نظرية برنارد لويس وكان يحـاول إدخـال تحسـينات عليهـا منـذ الخمسينات.

كان لويس ضابطا سابقا فى المخابرات البريطا نية وهو مؤيد منذ زمن طويل لليمين الاسرائيلى وداعية ومبررا للامبريالية وللتوسع الاسرائيلى لمدة تزيـد علـى الخمسين عاما. واستخدم لأول مرة تعبير صدام الحضارات سنة 1956. فى إحدى المقالات التى ظهرت فى جريدة الشرق الأوسط Middle East Journal

حاول ان يوضح " موقف الدول العربية المعادى للغرب " مؤكدا ان غضب العرب ليس ناجما عن المشكلة الفلسطينية " ولا علاقة له بالنضال ضد الامبريالية " ولكنه شئ اكثر عمقا واشد اتساعا":

" ان ما نراه فى وقتنا الراهن ليس بأقل من صدام بين الحضارات وبتعبير أدق ثورة العالم الاسلامى ضد التأثير المدمر للحضارة الغربية التى مزقـت واقتلعـت النظام القديم.إن.الغضب الناجم عن ذلك بالإضافة الى القهر عادة ما تشمل الحضارة الغربية بأكملها."[676]

هذه هي النظرية التى كان يعود إليها مرة بعد أخرى. وإذ كان لويس ينحـى باللائمة على الإحساس المعادى للغرب فى العالم العربى وأثره على قوى تاريخيـة عديدة فانه كان يعفى الغرب من عواقب سياسة الاستعمار الجديـدة بعـد الحـرب

675- المرجع السابق ص 210

676- برنارد لويس " رد فعل الشرق الأوسط على الضغوط السوفييتية" صحيفة الشرق الأوسـط ربيـع 1956 ص ص 130-131

العالمية الثانية حيث وضع يده على بترول المنطقة وساند إنشاء دولة صهيونية على الأرض العربية ومساندته التى لا هوادة فيها للأنظمة الملكية الفاسدة فى مصر والعراق وليبيا والأردن العربية السعودية والخليج. فى كتابه الكلاسيكي الصادر سنة 1964 "الشرق الأوسط والغرب" يكرر لويس وصفته العلاجية:" ان علينا ان ننظر الى أوجه السخط الحالية فى الشرق الأوسط ليس باعتبارها صراعا بين دول أو أمم ولكن باعتبارها صراعا بين حضارات."[677] يؤكد لويس بصراحة انه يجب على الولايات المتحدة ألا تبحث عن المصالحة مع العرب بواسطة الضغط على إسرائيل لصنع السلام. "إن البعض يتحدث بكثير من الاهتمام عن مدى سهولة الاستجابة إلى أمانى العرب – وعادة ما يفسر ذلك بأن هذه الاستجابة تتم على حساب أطراف أخرى، اى على حساب إسرائيل[678] بدلا من ذلك يطالب الولايات المتحدة أن تتخلى ببساطة عن العرب " أن على الغرب أن يفخر بتخلصه من السياسة العربية سيما السياسة العربية البينية" ويمضى لويس قائلا:" لا يجب على الغرب أن يصنع المزيد من الحلفاء العرب "[679] وتساءل لماذا البحث عن حلفاء بين أمم تدفعها ثقافتها ودينها الى معارضة الحضارة الغربية معارضة لا هوادة فيها؟

لعدة عقود لعب لويس دورا خطيرا كأستاذ ومحاضر وملهم لجيلين من المستشرقين والأكاديميين واخصائيى المخابرات البريطانية والأمريكية، والمفكرين الحاصلين على الجنسية الأمريكية والمحافظين الجدد المختارين بعناية هذا بينما كان يقابل بازدراء من جانب أكاديميين آخرين لا حصر لهم من المتخصصين فى الدراسات الإسلامية الذين كانوا يعتبرونه شخصا لا يرجى منه ومنحازا للصهيونية ومعاديا فكريا للإسلام. كان لويس بريطانيا يهوديا ولد سنة 1916 وقضى 5 سنوات خلال الحرب العالمية الثانية كرجل عمليات فى المخابرات البريطانية ثم استقر بعد ذلك فى جامعة لندن [680]. فى سنة 1974 ترك لندن الى برنستون حيث أقام علاقات مع الأشخاص الذين سيقومون فيما بعد بقيادة حركة المحافظين الجدد الناشئة. وأصبح لويس حسبما يقول ريتشارد بيرل [681] " هو على وجه التقريب ملهم

677- برنارد لويس الشرق الأوسط والغرب نيويورك 1964 ص135

678 المرجع السابق ص 133

679 المرجع السابق ص 140

680- بيتر والدمان Peter Waldman ,"A Historian's Take on Islam Steers U.S. in Terrorism Fight," Wall Street Journal 3 فبراير 2004 .

681- المرجع السابق

السناتور هنري جاكسون. يقول ريتشارد بيرل وهو مسئول سابق فى البنتاجون، وبوصفه رئيسا لإدارة السياسة الدفاعية فى البنتاجون وكان من اشد دعاة الحرب على العراق سنة2003 وعمل لفترة طويلة مساعدا للويس. أصبح لويس زائرا منتظما لمركز موشيه ديان فى جامعة تل أبيب ووثق علاقاته مع آرييل شارون.

فى الثمانينات كان لويس يتردد على بعض المسئولين فى قمة ادارة الدفاع، وحسبما يقول بات لانج المسئول السابق فى وكالة المخابرات التابعة لوزارة الدفاع، كان برنارد لويس يستدعى عادة من برنستون ليمد اندرو مارشال- مدير مكتب شبكة تقييم المعلومات- بالمشرفين اللازمين. (ادارة شبكة تقييم المعلومات هي الإدارة المختصة بتلقي المعلومات المختلفة من مصادر متعددة لتحليلها وتقييمها وتعتبر بمثابة هيئة لوضع وتقييم الفكر داخل الإدارة). واندرو مارشال هو مدير مكتب المعلومات التابع لإدارة الدفاع – هيئة تابعة للبنتاجون وتعتبر بمثابة الوعاء أو المطبخ الذى يجرى فيه إعداد الافكارللبنتاجون[682]. يعتبر هارولد رود احد الذين تتلمذوا على يد لويس ويعتبر خبيرا فى شئون الشرق الأوسط ويجيد عدة لغات عمل فى البنتاجون لأكثر من عقدين كنائب لمارشال. وخلال العشرين عاما السابقة عمل لويس بوصفه مستشارا داخليا لشئون الإسلام والشرق الأوسط للعديد من المحافظين الجدد بمن فيهم بيرل ورود ومايكل ليدن. سئل جيمس وولسى مدير المخابرات المركزية الامريكية عمن يمكن الرجوع إليهم خلال رئاسته للمخابرات المركزية للاستفادة بخبرتهم فقال:" لقد استعنا بأناس كانوا يفدون إلينا لإجراء حوارات معهم، وأتذكر أننى تحدثت مع برنارد لويس.[683]

وبالرغم من ان لويس كان يتمتع بموضوعية أكاديمية سطحية وبرغم ان الكثيرين من الأساتذة يقدرون مؤهلات لويس العلمية بوصفه مؤرخا للإمبراطورية العثمانية فقد نحى لويس جانبا كل المزاعم عن تجرده الاكاديمى فى التسعينات. فى سنة 1998 انضم لويس رسميا الى معسكر المحافظين الجدد ووقع رسالة تطالب بتغيير النظام العراقي من لجنة السلم والأمن فى الخليج وشارك فى التوقيع عليها بيرل ومارتن بيرنز من مؤسسة " الجمهورية الجديدة" اللذين سيغدوان من مسئولي ادارة بوش التى تضم بول وولفوفيتز وديفيد فورمسر ودوف زاخييم. واستمر يعمل بالقرب من المطبخ الفكري للمحافظين الجدد. فيما بعد 11 سبتمبر 2001 كان

682- باتريك لانج مقابلة مع المؤلف مارس 2004

683- وولسى مقابلة

يتواجد فى أماكن متعددة ناشرا آراءه بان الإسلام معادى للغرب ولا يمكن تغيير ذلك. بعد أسبوعين من أحداث 11 سبتمبر وجه بيرل الدعوة لكل من لويس واحمد شلبي ليتحدثا أمام الهيئة المختصة برسم السياسات الدفاعية ذات النفوذ القوى مقترحا ان يقوم المحافظون الجدد بالعمل لمدة سنتين ليثبتوا عدم وجود صلة بين أسامة بن لادن وصدام حسين. وقاد شلبي – وهو صديق بيرل ولويس منذ الثمانينات– مجموعة من المعارضة العراقية فى المنفى، يطلق عليها " المؤتمر الوطني العراقي". كان شلبي مسئولا عن إمداد ضباط المخابرات الامريكية بمعلومات مضللة، مما ساعد ادارة بوش على المبالغة فى حجم التهديد الذى تتعرض له الولايات المتحدة من جانب العراق.

بعد مضى اقل من شهر على ظهور لويس وشلبي انشأ البنتاجون وحدة سرية مخابراتية فرعية تحت قيادة فورمسر تحولت بعد ذلك الى ما يسمى مكتب الخطط الخاصة يقوم على تنظيمه رود و دوجلاس فيث وهو السكرتير المساعد للسياسة الدفاعية (رود مثل المنظر السوفييتى سوسلوف اى هو منظر حركة المحافظين الجدد حسبما يقول لانج)[684]. كان مكتب التخطيط الخاص المشار إليه ويضم رود وفيث تحت قيادة افرام شولسكي من المحافظين الجدد هو الذى اصطنع المعلومات المخابراتية المزورة التى تحمل العراق مسئولية ارتباطاته بالقاعدة. وكان مكتب التخطيط الخاص هو الذى انشأ عناصر الموضوعات التى تضمنتها أوراق نائب الرئيس ديك تشيني ووزير الدفاع رونالد رامسفيلد وغيرهم من العناصر القيادية فى ادارة بوش التى تتهم العراق بحيازة أسلحة دمار شامل كيميائية وبيولوجية وقذائف صاروخية طويلة المدى وطائرات مروحية بلا طيار وبرنامج متطور للتسليح النووي."[685] قام شلبي بتزييف معلومات مخابراتية زود بها مكتب التخطيط الخاص بشكل مباشر انتهى بها الأمر لتكون ضمن خطب تشيني ورمسفيلد وغيرهم من المسئولين فى ادارة بوش. فى عشية الحرب العراقية كان لدى لويس الذى ازداد تقربا من تشيني، غداء عمل معه لمناقشة خطط الحرب على العراق [686]. فى سنة 2003 قام لويس بإهداء كتابه " أزمة الإسلام" الى هارولد رود.

---

684 – لانج مقابلة مع المؤلف

685– من أجل معرفة المزيد من المعلومات عن تأسيس ودور OSP ينظر " مصنع الأكاذيب " للمؤلف روبرت دريفوس و جاسون فيست – الأم جونز ، يناير– فبراير 2004 ص34

686– والدمان صحيفة وول ستريت جورنال

عند توجهه الى شن الحرب، أولا على افغانستان ثم بعد ذلك علـــى العـــراق، وبإعلانه بدء حرب عالمية على الارهاب بلا نهاية منظورة، حرص الرئيس بـــوش على ألا يحتضن نظرية لويس – هنتنجتون بحذافيرها باعتبار المسألة صداما بـــين الحضارات.وفى خطاباته واحدا بعد الآخر، وبالرغم من تشبيهه الأخرق للحملة فى الشرق الأوسط باعتبارها حربا صليبية – كان بوش يصر على ان الولايات المتحدة تخوض حربا ضد الإرهابيين وأنها ليست موجهة ضد المؤمنين بـــالقرآن. كانـــت حرب بوش على الارهاب فى الوقع مجرد حجة لتطبيق سياسة راديكالية جديدة فى الشرق الأوسط وآسيا الوسطى، ولم تكن سياسة ضد الإسلام أو الأصولية الإسلامية أو حتى ضد الارهاب سواء كان إسلاميا أم لم يكن. منذ البدايـــة كانـــت اســـتجابة الرئيس لأحداث 9/11 تتسم برؤية امبريالية. كان فى تصوره انه يمكـــن إحـــداث تغييرات فى الشرق الأوسط مشابهة للعبة الدومينو، ويرتبط ذلك بتـــدخل عســـكري وسياسي فى المنطقة، يبدأ بطالبان ثم صدام حسين ثم الأنظمة القائمة فـــى إيـــران وسوريا والعربية السعودية وما وراءها لتتساقط واحدة وراء الأخرى علـــى مـــذبح الديمقراطية الامبريالية. كانت ادارة بوش متأثرة الى حد كبير بالمحـــافظين الجـــدد المتواجدين داخل الإدارة وخارجها الذين كانوا يبشرون بتغيير اقليمى كاســـح. فـــى داخل الإدارة كان يوجد وولفوفيتز وفيث وبيرل ومارشال و فورمســـر وشولســـكى بالاضافة الى شخصيات أخرى رئيسية فى البنتاجون مثل مايكل روبن ووليم لـــوتى ولويس ليبى فى مكتب تشينى نائب الرئيس وجون بولتون فى ادارة الدولة واليوت ابرامس فى مجلس الأمن القومي وكثير غيرهم، أما خارج الإدارة فهنالك الكثير من هيئات الفكر والعاملين فى وسائل الإعلام بمن فيهم توم دونللى وجارى شميدت من مشروع القرن الامريكى الجديد ووليم كريستول من مجلة ويكلى ســـتندرد ومايكـــل ليدين من المؤسسة الامريكية للمشروعات وماكس سنجر من مؤسسة هدسون، ومن مؤسسة الجمهورية الجديدة بيريتس ولورانس ف كابلان وجيمس وولســـى. يكتـــب كابلان وكريستول فى مؤلف " الحرب على العراق":" ان المهمة تبـــدأ فـــى بغـــداد ولكنها لا تنتهى هناك". اننا نقف على أعتاب حقبة تاريخية جديدة.... إنهـــا لحظـــة حاسمة.... ومن الواضح جدا أنها اكبر من العراق، بل إنها حتى اكبر مـــن مســـألة مستقبل الشرق الأوسط والحرب على الارهاب. أنها تتعلق بنوعية الدور الذى تنوى

الولايات المتحدة الاضطلاع به فى عالم القرن الواحد والعشرين."[687] فـي مـؤتمر صـحفي عقد عشية غزو العراق عرض ليدين الإستراتيجية بشكل اكثر فظاظة:" أنـا اعتقد أننا سوف نضطر الى خوض غمار حرب إقليمية سواء أردنا أم لم نرد." قال ذلك وأكد ان الحرب لا يمكن ان تقتصر على العراق" أنها قد تتحول لتصبح حربـا لإعادة صياغة العالم."[688]

هذه الأفكار الحمقاء هي سمة الرؤيـا العالميـة للمحـافظين الجـدد. انهـا استراتيجيتهم سيئة السمعة التى خطط لها سنة 1996 وتضمنتها مـذكرة سياسـية لرئيس وزراء إسرائيل فى ذلك الحين نتنياهو بمشاركة بيـرل وفيـث وفورمسـر وغيرهم بوصفها سياسة إقليمية شاملة. كانت المـذكرة بعنـوان:" تغييـر تـام.... إستراتيجية جديدة لتأمين المنطقة" تطالب إسرائيل بالعمل مع تركيا والأردن لاحتواء وإشاعة عدم الاستقرار، والارتداد " لدول متعددة فى المنطقة" والإطاحـة بصـدام حسين وحث الأردن على العمل لاستعادة حكم الأسرة الهاشمية لبغداد وشن حملـة عسكرية ضد سوريا ولبنان" وذلك كمقدمة لإعادة رسم خريطـة الشـرق الأوسـط لتهديد وحدة الاراضى السورية ". ولم يرد قط فى المذكرة المستفيضة ما يفيـد اى اقتراح يتعلق بمجابهة الأصـوليين الإسـلاميين أو الإخـوان المسـلمين أو حتـى القاعدة."[689]

وأبدا لم تكن الديمقراطية هي الهدف الحقيقي لإدارة بوش فى الشرق الأوسـط رغم ان هذه الفكرة كانت تحتل المكان الأساسى فى بيان الـرئيس. ان المحـافظين الجدد يريدون السيطرة على الشرق الأوسط وليس إصلاحه حتى لو أدي ذلك الـى تمزيق وحدة هذه البلاد وتشطيرها أجزاء متفرقة لتحل بدلا منها دويـلات صـغيرة تقوم على الاثنية والانعزال. واليمين الاسلامى هو مجـرد أداة أخـرى فـى هـذه المنظومة تستخدم لتفكيك الأنظمة القائمة، إذا ما كان لها ان تحصل على شئ. فى مقال نشرته مجلة الشئون الخارجية يوضح برنارد لويس مباشرة ما يعنيه بالعمليـة التى أطلق عليها "اللبننة".

احد الاحتمالات التى يمكن فهمها حتى من قبل الأصوليين هي ما يطلق عليـه "لبننه". ان معظم دول المنطقة فيما عدا مصر هي دول ذات بنية حديثة مصـنوعة

687- لورنس كابلان و وليم كريستول-الحرب على العراق -سان فرانسيسكو 2003 ص 124 وص ص vii و viii.

688 -Benador Associates,press conference ,Washington ,D.C. ,February,13, 2003

689- النص الكامل للمذكرة ينظر www.israeleconomy.org/strat1.htm

ومعرضة لمثل هذه العملية (اللبننة). وإذا ما تم إضعاف القوة المركزية بما يكفي فلن يكون هناك مجتمع مدني يساعد على تماسك الدولة مع بعضها البعض ولا يعود هناك معنى حقيقي للهوية العامة....ومن ثم فان الدولة تتفكك حالتئذ – كما حدث فى لبنان، وتتحول الى فوضى من النزاعات والإقطاعيات والقبائل والمناطق والأحزاب والفرق المتقاتلة.[690]

هذا بالطبع هو احد احتمالات المستقبل بعد الغزو الامريكى للعراق، وهو ما تنبأ به تشاس فريمان:" ان مقاصد المحافظين الجدد فى العراق لم يكن ابدا بناء ديمقراطية حقيقية هناك. كان القصد هو تسويته بالأرض، إزالته بوصفه تهديدا إقليميا لإسرائيل."[691]

ليس العراق وحده هو المعرض للتفكيك، فالمحافظون الجدد كشفوا عن نواياهم إزاء السعودية أيضا. يقترح كل من ريتشارد بيرل وديفيد فروم وكلاهما عضو فى المؤسسة الامريكية للمشروعات، يقترحان فى كتابهما"نهاية الشر وكيف نكسب الحرب على الارهاب" يقترحان استخدام الأصولية الشيعية ضد الدولة السعودية، ذلك ان الشيعة يشكلون قوة لها شأنها على شاطئ الخليج الفارسي حيث توجد حقول البترول السعودية.فيلاحظ بيرل وفروم ان السعوديين طالما كانوا يخشون " من مطالب الشيعة ذات يوم باستقلال الساحل الشرقي –والبترول الخاص به" ويضيفان:" من الواضح ان استقلال المناطق الشرقية سوف يكون بمثابة كارثة للسعودية. ولكنه قد يكون امرا جيدا جدا بالنسبة للولايات المتحدة. ومن المؤكد أنها مسالة تستحق النظر. وما هو أجدر بالتأكيد إننا نريد للسعودية ان تعلم إننا نمعن النظر فى ذلك."[692]

كثيرا ما اقترح ماكس سنجر المؤسس المشارك لمؤسسة هدسون، ان تبحث الولايات المتحدة فى تفكيك السعودية بتشجيع قيام دول منفصلة فى الأقاليم الشرقية وفى الحجاز غربا. " بعد إزاحة صدام سوف يحدث زلزال فى المنطقة" حسبما يقول سنجر " وإذا كان ذلك يعنى سقوط النظام السعودي، فليكن"[693]وكتب ليدين يقول ان

690- برنارد لويس إعادة النظر فى شئون الشرق الأوسط Rethinking the Middle East Foreign Affairs , (Fall 1992, pp.99ff

691- شارلس فريمان مقابلة مع المؤلف مايو 2003

692- ديفيد فروم David Frum و ريتشارد بيرل Richard Perle نهاية الشر: كيف نكسب الحرب على الارهاب نيويورك 2003 ص ص 140- 141

693- ماكس سنجر Max Singer مقابلة مع المؤلف فبراير 2003

سقوط بيت آل سعود يمكن ان يؤدى الى سقوط البلاد فى ايدى راديكاليي القاعدة – ويضيف:" فى هذه الحالة، يجب علينا ان نمد الحرب الى شبه الجزيرة العربية، على الاقل الى المناطق المنتجة للبترول"[694] يقول جيمس اكينز السفير السابق للولايات المتحدة فى الرياض:" لقد توقفت عن القول بان العربية السعودية سوف تسقط فى ايدى أسامة بن لادن أو نظيره إذا غزونا العراق. اننى مقتنع الآن بان هذا بالضبط ما يريده المحافظون الجدد. وبعد ذلك نستولي عليها نحن."[695]

خلال السنوات الأربع الاولى من حرب بوش على الارهاب جادل بعض المعارضين بان غزو افغانستان والعراق وبرفع صورة أمريكا فى الشرق الأوسط عاليا الى هذه الدرجة، فان ادارة بوش تخلق جيلا جديدا من الإسلاميين الأصوليين الذين سوف يلقون اللوم على أمريكا محملين إياها مغبة كل ما يصيب الشرق الأوسط من مصائب. وبالرغم من كل ادعاءاتها بشأن هزيمة الإرهابيين الإسلاميين فان ادارة بوش لم تحقق اى نجاح استراتيجي يحول دون انتشار الأصولية الإسلامية. يكتب مايكل شويير فى "امبريال هوبريس"Imperial Hubris مقالا غير موقع، يصف فيه الحالة على الوجه التالى:" تحاول كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وقوات التحالف الأخرى ان تسيطر على دول ما بعد الحرب غير الخاضعة للحكومات فى افغانستان والعراق بينما فى نفس الوقت تحارب المتمردين الإسلاميين فى كل منهما– وهى حالة يطلق عليها قادتنا نصرا. ان ادارة هذه الأنشطة والحملات العسكرية التقليدية التى تسبقها يعنى ان قوات الولايات المتحدة وسياستها تستكمل تأصيل العالم الاسلامى وهو شئ كان يحاوله بن لادن بدون نجاح كبير منذ التسعينات. ونتيجة لذلك فانه من المناسب ان انتهى الى النتيجة التى تقول بان الولايات المتحدة ستظل هي الحليف الذى لا غنى عنه لبن لادن."[696]

سواء كان صحيحا أم لم يكن ان فى إمكان افغانستان ان تهزم بقايا طالبان، فان عقودا عدة من عمليات الاسلمة المضادة يمكن ان تفكك قوى اليمين الاسلامى التى تعمل سرا ويبقى قيد الانتظار أن نرى دولا مستقرة وعلمانية. وسواء كان

694- مايكيل ليدن Michael Leeden الحرب على قيادات الارهاب نيويورك 2002ص ص 208-209 . يوجه ليدن – فى الكتاب– "الشكر لبرنارد لويس لإرشاداته الشخصية بالإضافة إلى هارولد رود Harold Rhode فى مكتب البنتاجون للانترنت الذي كان مرشده فى شئون الشر الأوسط لقرابة عشرين عاما. أما رئيسه أندى مارشال Andy Marshall فقد كان المصدر الدائم للأفكار الجيدة." ص 240

695- جيمس أتكنز مقابلة مع المؤلف يناير 2003

Anonymous ,Imperial Hubris , Washington2004 p.xv -696

العراق قادرا على إنتاج حكومة علمانية وسحق القوات المرتبطة بالقاعدة التي جمعت شتاتها ودفع الأحزاب الشيعية الأصولية كالمجلس الأعلى للثورة الإسلامية وحزب الدعوة التي سيطرت على عراق ما بعد الحرب وان تضع حدا للجهود التي يبذلها آيات الله في إيران ليفرضوا نفوذهم على منطقة جارتهم العربية فهو أيضا مسالة مطروحة. ان الفرصة سانحة بنسبة 50% على الاقل انه في مستقبل غير بعيد كثيرا سوف تسقط افغانستان من جديد تحت القبضة الحديدية للإسلاميين وان العراق سوف ينتهي الى حكم ثيوقراطي الى حد ما اقل تطرفا من مثيله في إيران.

وبنفس المنطق فان قيادة رجال الدين في طهران التي يتضح أنها شددت قبضتها الحديدية على الستة في جمهورية إيران الإسلامية يمكن ان تتوقع شيئا من هذا الذي نتوقعه هناك. وفي باكستان يمكن للرئيس مشرف الذي يعاني الآن من النفوذ القوي للإسلاميين في كراتشي يمكن ان يسقط نتيجة انقلاب يقوم به العسكر والمخابرات الباكستانية بالتحالف مع الإخوان المسلمين أو الأحزاب أو الجماعات اليمينية الأخرى. وتواجه اندونيسيا وبنجلاديش المتمردين الإسلاميين. وكانت تركيا تتجه ناحية المعسكر الاسلامي لأكثر من عقد من الزمان. بينما تواجه سوريا ولبنان والأردن وفلسطين، تواجه جميعا ضغوطا شديدة من جانب الإخوان المسلمين. أما قلب العالم العربي مصر والسعودية فأنهما تواجهان ضغوطا لانفتاح نظاميهما السياسيين الذي يعتقد كثير من المراقبين انه يمكن ان يؤدي الى إقامة جمهوريات إسلامية في كل منهما.

ان حالة العراق هي الأكثر مدعاة للدهشة. لقد ذهب بوش الى الحرب في العراق بعد ان اتهم صدام حسين بالتحالف مع القاعدة. وكان يحذر بان صدام يمكن ان يعطي خلايا بن لادن أسلحة دمار شامل، ولكن كما اصبح واضحا فيما بعد سنة 2003 ان نظام صدام لم يكن على صلة بالقاعدة وليس لديه أسلحة دمار شامل ليوزعها، فالنظام في بغداد بالرغم من انه كان دكتاتوريا إلا انه كان علمانيا وكانت قيادة حزب البعث عدوا مؤكدا للإسلاميين الشيعة على اختلافهم وكذلك السنة والإخوان المسلمين. ولكن بوش بوعي وعن عمد شجع إسلامي العراق على الوصول الى السلطة. وقامت القوات الامريكية والمخابرات المركزية الامريكية باستقدام احد آيات الله الى النجف بالعراق وأقامت تحالفا برجماتيا مع آية الله الآخر علي السيستاني وهو رجل دين ايراني اصبح من صناع الحكام في عراق ما بعد الحرب. وعملت الولايات المتحدة مع عبد العزيز الحكيم وهو رجل دين راديكالي يقود 20 إلفا من قوات بدر القوية شبه العسكرية التي سلحتها ودربتها إيران،

وطورت جماعة إرهابية أخرى يطلق عليها "الدعوة" وهى جماعة مارست طوال سني وجودها البالغ 40 عاما تفجير القنابل والاغتيالات وغيرها من أعمال العنف بما فى ذلك الهجوم على السفارة الامريكية فى الكويت أوائل الثمانينات. وعلى الجبهة السنية فى وسط العراق كان الحزب الرئيسي الذى ظهر بعد الحرب سنة2003 هو الحزب الاسلامى العراقي وهو الفرع الرسمي لجماعة الإخوان المسلمين فى العراق.

لقد أثارت ادارة بوش سلسلة من الإحداث التى كان يمكن ان تؤدى الى إعادة إشعال الأزمة الجزائرية التى كانت قائمة سنة 1992 فى عدد لا يحصى من الدول فى المنطقة. حتى فى دويلات صغيرة مثل الكويت حيث للإخوان المسلمين وجود قوى، وفى البحرين حيث العائلة المالكة سنية بينما أغلبية السكان من الشيعة، وهى جميعا معرضة لثورة إسلامية أو لانتخابات يفوز فيها الاسلاميون أو الاثنين معا.

فى بواكير 2005 القي جريشيت جانبا بكل ما كان يتظاهر به من معارضة لليمين الاسلامى وأطلق النفير بنداء مدو وجهه الى الولايات المتحدة لتشجيع الأصولية، سنية كانت أم شيعية فى كافة أنحاء الشرق الأوسط. ريبل مارك جريشيت هذا هو احد ضباط المخابرات المركزية الامريكية السابقين ويتمتع بخبرة فى الشئون العراقية والشرق أوسطية وهو زميل فى المعهد الامريكي للمؤسسات واحد المحافظين الجدد المتشددين وكان صوته مدويا فى تأييد غزو افغانستان والعراق وظل يظهر لمدة 3 سنوات متتالية بعد سنة 2002 فى ملتقى نظمه المعهد المذكور الى جانب بيرل وليدن ومحافظين جدد غيرهم وهو يكتب فى مجلة ويكلى ستندرد بالاضافة الى مجموعة أخرى من المطبوعات بما فيها وول ستريت جورنال. فى أول ظهور له فى المعهد أعلن جريشيت صدور كتابه الجديد " التناقض الاسلامى: رجال الدين الشيعة والأصوليون السنة والديمقراطية العربية الآتية"

فى هذا الكتاب يعلن جريشيت ان مستقبل الشرق الأوسط هو اليمين الاسلامى، وانه ينبغي على الولايات المتحدة ان ترحب به بالرغم من ان الكثيرين من الأمريكيين يأملون فى ان يكون المعتدلون المسلمون العلمانيون هم الأغلبية الصامتة فى الشرق الأوسط ويقول جريشيت:" ان المسلمين المعتدلين قد لا يكونون هم السبيل الى شرق أوسط اقل تهديدا."[697] ويضيف:

---

697 –Reuel Marc Gerecht The Islamic Paradox: Shiite Clerics, SunniFundamentalists, and the Coming of Arab Democracy (Washington.D.C.,2004), p.10

" ان معظم الأمريكيين الليبراليين والمحافظين سوف يقاومون بشدة فكرة ان رجال الدين المسلمين والأصوليين الذين عادة ما يكرهون، ان لم يكونوا يعافون الولايات المتحدة وإسرائيل والقضايا التقدمية مثل حقوق المرأة، هم مفتاح تحرير مسلمي الشرق الأوسط من عداوتهم للغرب المنعكسة من الأزمنة القديمة. هؤلاء الرجال، وليس الليبراليين العلمانيين هم محط الإعجاب والثناء وأحيانا الحماية من قبل الحكومة والصحافة الامريكية، هم أثمن الحلفاء المحتملين للولايات المتحدة الامريكية."[698]

جريشيت يفضل الخميني مقارنة بمبارك

وضع الخميني فكرة الجمهورية الإسلامية موضع التصويت الشعبي سنة 1979، والانتخابات العادية مع بعض عناصر المنافسة ضرورة أخلاقية فيما يتعلق بادراك النظام لمدى شرعيته هو ذاته، وهذا شئ مختلف تماما فيما يتعلق بالوضع الدكتاتوري للرئيس حسنى مبارك فى مصر.[699] ان معاداة أمريكا هي السائدة في الدول العربية التى تحكمها أنظمة دكتاتورية موالية لأمريكا. والمقارنة توضح ان إيران هي دولة موالية بعمق لأمريكا.[700] وبعد ان يعترف بالروابط الفكرية المباشرة بين جماعة الإخوان المسلمين التى أنشأها البنا والقاعدة التى أنشاها بن لادن ينتهي ويا للغرابة الى ان دكتاتورية الإخوان المسلمين فى مصر سوف تكون أفضل من نظام مبارك:

مما لاشك فيه ان مصر لديها أفضل الفرص للتزاوج السريع بين الأصولية والديمقراطية. وبالتأكيد فان احتمال إنهاء نظام الحكم التمثيلي هو أمر وارد إذا تمكن الأصوليون ان يضعوا أيديهم على السلطة فى مصر. ان القيم الديمقراطية، بالرغم من أنها اكثر عمومية فى مصر مما يعتقد كثير من الغربيين إلا أنها اقل ترسخا مما هي لدى الشيعة فى إيران أو فى فتاوى آية الله سيستانى الكبير. ولكن لم يزل على الولايات المتحدة ان تفضل هذا الخيار عن خيار الدكتاتورية العلمانية.[701]

698- المرجع السابق ص 18

699- المرجع السابق ص41

700- المرجع السابق ص50

701- المرجع السابق ص53

منذ ستين عاما حينما بدأت الولايات المتحدة جولتها الطويلة في الشرق الأوسط كانت ثمة أصوات أخرى تريد الإسلام المحافظ. والجماعات الإسلامية الاولى المرتبطة باليمين الاسلامى الناشئ من اجل ان يخوض المعركة ضد اليسار العلماني وناصر والشيوعيين العرب والاشتراكيين. والآن بعد ستة عقود تتبع ادارة بوش فى الشرق الأوسط إستراتيجية يبدو أنها محسوبة من اجل مضاعفة ثروات اليمين الاسلامى. فالولايات المتحدة تعتمد على الأصوليين الشيعة فى العراق لإنقاذ سياستها الفاشلة فى ذلك البلد، ويطالب عدد كبير من منظري هذه الحملة، يطالبون الولايات المتحدة بصراحة أن تلقى بثقلها الى جانب آيات الله والإخوان المسلمين.

وتستمر لعبة الشيطان،،

*

رقم الإيداع: 2010/10974
الترقيم الدولي (I.S.B.N): 977-221-140-8

كيف ساعدت الولايات المتحدة

على إطلاق العنان للأصولية الإسلامية

◆

أول وأوفى بحث في السياسة الأمريكية

على مدى ستين عاما من الدعم للأصولية الإسلامية

روبرت دريفوس

- رئيس التحرير المشارك لمجلة The Nation الأمريكية

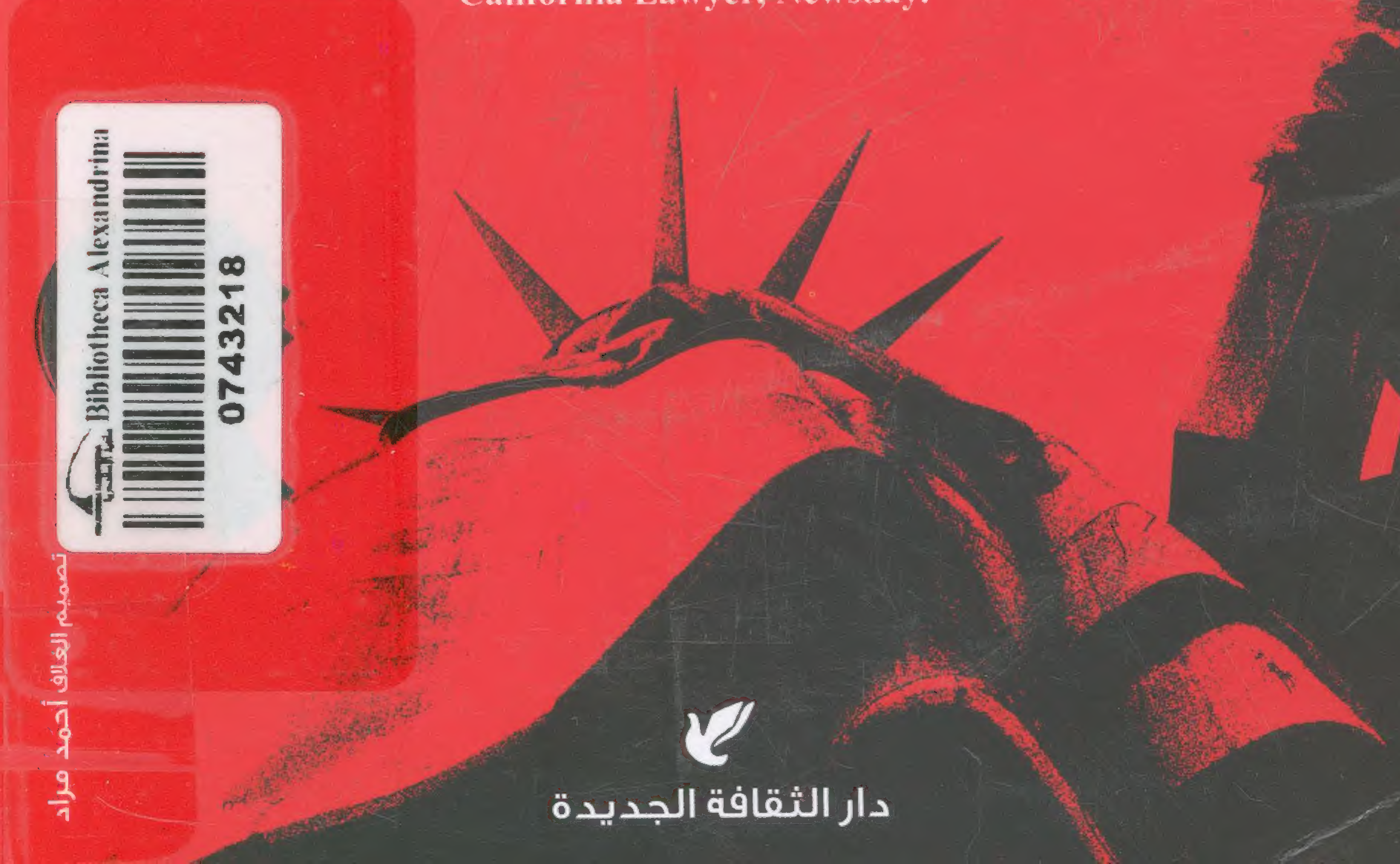
- المحرر المسئول عن تغطية شئون الأمن القومي في مجلة

The Rolling Stone

- تنشر مقالاته في عدة صحف منها:

Washington Monthly, the New republic, the Texas Observer,

California Lawyer, Newsday.



تصميم الغلاف أحمد مراد

دار الثقافة الجديدة